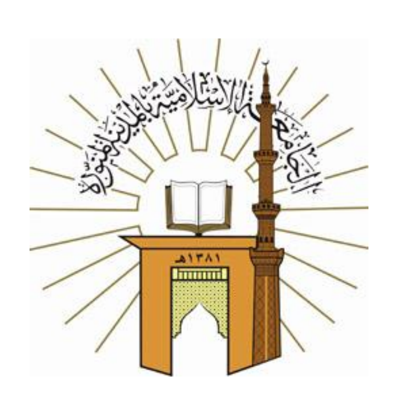


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٠٣٢
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
(البرنامج المسائي)

المباحث العقدية المتعلقة بشهادة الخالق عز وجل

جمعاً ودراسة

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب
أحمد بن محمد بن علي الغامدي

إشراف
د. بدر بن مقبل الظفيري

العام الجامعي
١٤٣٦/١٤٣٧هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3][4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٤) هذه الخُطبة تُسمى خُطبة الحاجة، وقد كان النبي ﷺ يُعلمها أصحابه ﭫ، وهي تُشرع بين يدي كل خطبة، وخاصة خطبة الجمعة، وكان السَّلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم، وكتبهم، ومختلف شؤونهم، وأخرجها جمع منهم في المسانيد، والسنن منهم الإمام الشافعي في مسنده (١٤٦/١)، برقم (٤٢٧) من حديث ابن عباس ﭭ ، والإمام أحمد في المسند (٤٧٧/٤)، برقم (٢٧٤٩) من حديث ابن عباس ﭭ ، و(١٨٨/٧)، برقم (٤١١٥) من حديث ابن مسعود ﭬ، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٢٩/١)، برقم (٣٤٠) من حديث ابن مسعود ﭬ، وأبي يعلى الموصلي في مسنده (١٥٠/٩)، برقم (٥٢٣٣) من حديث ابن مسعود ﭬ، و(١٨٥/١٣)، برقم (٧٢٢١) من حديث أبي موسى الأشعري ﭬ، وأبي داود في السنن، كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، باب الرجل يخطب على قوس من حديث ابن مسعود ﭬ، والترمذي في السنن، أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (٤٠٥/٣)، برقم (١١٠٥)، والنسائي في السنن، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، (١٠٤/٣)، برقم (١٤٠٤)، والدَّارمي في كتاب النِّكاح، باب في خطبة النِّكاح، (١٤١٣/٣)، برقم (٢٢٤٨)، وابن ماجة، كتاب النِّكاح، باب خطبة النِّكاح، (٦٠٩/١)، برقم (١٨٩٢)، والبغوي في شرح السنة، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح والحاجة، (٥٠/٩)، برقم (٢٢٦٨)، والطبراني في الدعاء ص(٢٨٩)، برقم (٩٣٢)، وص(٢٩٠)، برقم (٩٣٤)، والمعجم الأوسط (٧٤/٣)، برقم (٢٥٣٠)، و(٣٢/٨)، برقم (٧٨٧٢)، والمعجم الكبير(٣٠٤/٨)، برقم(٨١٤٨)، و(٩٨/١٠)، برقم (١٠٠٧٩)، و(٢١١/١٠)، برقم (١٠٤٩٩)، والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، (١٩٩/٢)، برقم (٢٧٤٤)، وابن أبي عاصم، باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال في

=

أما بعد :

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهديِّ هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة[١].

إن للشَّهادة في الإسلام أهميةٌ كبرى، ومنزلةٌ عظمى دلَّ عليها صريحُ القرآن العظيم، والسُّنة النَّبوية المطهرة؛ فقد شهد الله – تبارك، وتعالى – لنفسه بما هو له أهلٌ، وشهد لملائكته الكرام– عليهم السَّلام–، ولرسله – عليهم الصَّلاة، والسَّلام–، وكتبه بحقيقة ما هم عليه، وشهد لجميع الخليقة بما لها، وعليها شهادةَ مشاهدةٍ، وحضورٍ؛ يرى، ويسمع، ويعلم لا يغادر باطناً، ولا ظاهراً من المشهود إلا شاهده، وشهد له جميع الخلائق بما هو أهله، وشهدت على أنفسها ما ألزمها، وما هي عليه؛ فكلُّ شيءٍ له شاهدٌ، وهو على كُلِّ شيءٍ شهيد[٢].

وبعد بحث، وتأمل، وجدت شواهد عديدة حوت مسائل جمة في باب الاعتقاد عندها أحببت أن يكون عنوان رسالتي للماجستير:

بـ (المباحث العقدية المتعلقة بشهادة الخالق ﷻ) جمعاً، ودراسة.

=

خطبته من حديث ابن مسعود ﷺ (١/١١٤)، برقم (٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجمعة، جماع أبواب آداب الخطبة، باب الإمام يقرأ على المنبر آية السجدة، (٣/٣٠٤) برقم (٥٨٠٢)، والسنن الصغرى، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، (٣/٣٣)، برقم (٢٤١٦)، وأبي داود الطيالسي في مسنده، (١/٢٦٤)، برقم (٣٣٦)، ما أسند عبد الله بن مسعود ﷺ، وقد صححها الإمام الألباني في تخريجه على مشكاة المصابيح (٢/٩٤١)، برقم (٣١٤٩)، كما قام بدراسة أحاديثها في رسالته الموسومة بخطبة الحاجة، وقال ﷺ:((وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة ﷺ، وهم: عبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، ونبيط بن شريط، وعائشة ﷺ، وعن تابعي واحد هو الزهري ﷺ...))، انظر: خطبة الحاجة ص(٩)، وقال في خاتمتها:((تبين لنا من مجموع الأحاديث المتقدمة أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها؛ فليست خاصة بالنِّكاح كما قد يظن، وفي بعض طرق حديث ابن سعود التصريح بذلك كما تقدم، وقد أيَّد ذلك عمل السَّلف الصالح؛ فكانوا يفتتحون كتبهم بهذه الخطبة...)) انظر ص(٣٦)، والله تعالى أعلم.

(١) هذا الجزء من حديث أخرجه مسلم، كتاب الجمعة ،باب تخفيف الصلاة، والخطبة، (٢/٥٩٢)، برقم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي ص(٤١٦)، [بتصرف يسير].

وذلك لتقديمه إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة، وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

تتجلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره في النقاط التالية :

أولاً: فضل الشَّهادة، ومنزلتها العظيمة فقد نسبها الله سبحانه، وتعالى إلى نفسه، وشرف بها ملائكته، ورسله، وأفاضل خلقه من أهل العلم.

ثانياً: لما للشَّهادة من اعتبار، وأهمية كبرى في إثبات الحقوق لذا كان أعظم حق أولى بالإثبات هو توحيد الله تعالى، وما يتبعه من أصول الاعتقاد.

ثالثاً: لم أجد دراسة عقدية جامعة لمسائل شهادة الخالق ﷻ، على كثرتها.

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات المباشرة:

من خلال استعراض فهارس دليل الرسائل العلمية في الجامعات السعودية، وكذا الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، والأديان، والفرق، والمذاهب، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث، والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك سعود؛ فإني لم أجد دراسة سابقة جامعة للمسائل العقدية المتعلقة بشَّهادة الخالق ﷻ، والتي نحن بصدد جمعها، ودراستها.

ثانياً: الدراسات غير المباشرة:

١. شروط شهادة أن لا إله إلا الله – تأصيلا ودراسة –، للدكتور محمد عبد الله مختار محمد صالح، وقد نوقشت بتاريخ ٢/٢٤/ ١٤٢٩هـ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حرسها الله ﷻ، وموضوعها متعلق بالشروط الثابتة بالاستقراء، والمعتبرة عند أهل العلم لكلمة التوحيد.

٢. الشَّهادتان حقيقتهما، وأثرهما للباحث محمد يوسف سنيك، وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وموضوعها له تعلق بحقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وأثرهما.

خطة البحث :

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس تفصيلية على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على ما يلي:

١. أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

٢. الدراسات السابقة.

٣. خطة البحث.

٤. منهج البحث الذي سرت عليه.

تمهيد: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بلفظ الشَّهادة، وأهمية الشَّهادة، ومنزلتها في الإسلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بلفظ الشَّهادة في اللغة، والاصطلاح، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريفه في اللغة.

المطلب الثاني: تعريفه في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أهمية الشَّهادة، ومنزلتها في الإسلام، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الشَّهادة.

المطلب الثاني: منزلتها في الإسلام.

الفصل الثاني: أقوال السَّلف في معنى شهادة الله ﷻ، ومراتبها، ومنزلتها، وأهميتها في العقيدة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال السَّلف في معنى شهادة الله ﷻ، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: في أوجه ما قُرِأت به ألف "أن" من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾، وما تعلق بها من المعاني.

المطلب الثاني: ما قرره السَّلف من المعاني في شهادة الله ﷻ.

المبحث الثاني: أقوال السَّلف في مراتب شهادة الله ﷻ، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: التكلم، والخبر.

المطلب الثالث: الإعلام، والإخبار، وفيه فرعان:

الفرع الأول: **الإعلام القولي**، والأدلة على ذلك.

الفرع الثاني: **الإعلام الفعلي**، والأدلة على ذلك.

المطلب الرابع: الأمر، والإلزام.

المبحث الثالث: منزلة شهادة الله ﷻ، وأهميتها في العقيدة.

الباب الأول: اسم الله ﷻ (الشَّهيد)، والآثار المترتبة على الإيمان به، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في معنى اسم الله ﷻ (الشَّهيد)،والأدلة الدَّالة عليه، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي لاسم (الشَّهيد).

المبحث الثاني: أقوال السَّلف في بيان معنى اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

المبحث الثالث: الأدلة من الكتاب، والسُّنة على اسم الله ﷻ (الشَّهيد)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على إثبات اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

المطلب الثاني : الأدلة من السُّنة على إثبات اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

المبحث الرابع: حُكم تسمية المخلوق باسم (الشَّهيد).

الفصل الثاني: دلالات اسم الله ﷻ (الشَّهيد)، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على ذات الله ﷻ، وعلى صفة (الشَّهادة).

الباب الثاني: إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ، والأدلة على ذلك، ودلائل، ولوازم الشَّهادة، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: بيان معنى صفة (الشَّهادة) لله ﷻ عند أهل السُّنة، والجماعة، والأدلة على ذلك، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان معنى صفة (الشَّهادة) لله ﷻ عند أهل السُّنة، والجماعة.

المبحث الثاني: صفة (الشَّهادة) لله ﷻ صفة ذاتية.

المبحث الثالث: الأدلة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على إثبات صفة (الشَّهادة).

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على إثبات صفة (الشَّهادة).

المطلب الثالث: دلالة الفطرة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ.

المطلب الرابع: دلالة العقل على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ.

الفصل الثاني: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على المباحث المتعلقة بالتوحيد، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على ربوبيته بأخذ الميثاق على آدم، وذريته.

المبحث الثالث: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على نفي الشريك معه، وما تضمنته، ولوازمها.

المبحث الرابع: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على إثبات الإلهية له وحده، وما تضمنته، ولوازمها.

المبحث الخامس: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على بقية صفاته سبحانه.

المبحث السادس: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على تفرده بالكمال الإلهي، وتحته أربعة مطالب:

الفصل الرابع: شهادة الله ﷻ على نبوة الرسول ﷺ، وشريعته، وعلى كذب المنافقين، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بالرسالة، والنُّبوة.

المبحث الثاني: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بتأييده بالمعجزات الباهرة.

المبحث الثالث: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بتأييده بالحجج الظاهرة.

المبحث الرابع: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بنصره، وخذلان أعدائه.

المبحث الخامس: شهادة الله ﷻعلى شريعة النبي ﷺ.

المبحث السادس: شهادة الله ﷻعلى كذب المنافقين في شهادتهم بالنُّبوة، والرِّسالة.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

الفهارس، وهي كالتالي:

- **فهرس الآيات القرآنية .**
- **فهر الأحاديث النبوية .**
- **فهرس الآثار.**
- **فهرس الأعلام المترجمة.**
- **فهرس المصطلحات العلمية، والكلمات الغريبة.**
- **فهرس الطوائف، والفرق.**
- **فهرس الأشعار.**
- **فهرس المصادر، والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

منهج البحث:

١- اعتماد منهج أهل السُّنة، والجماعة، والاقتصار على ما ورد بلفظ الشَّهادة، ومعناه.

٢- جمع المادة العلمية، وتوثيقها من مصادرها الأصلية؛ فإن تعذر نقلت بواسطة، وأشرت إليه.

٣- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السُّورة، ورقم الآية، وكتابتها بالرَّسم العُثماني.
٤- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذكر مصدره، وإن لم يكن عزوته إلى مصدره، وبينت درجة صحته من كلام أهل العلم.
٥- ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.
٦- تعريف الفرق، والطوائف، والأماكن، والبلدان الواردة في البحث.
٧- بيان معنى الغريب من الألفاظ.
٨- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
٩- إنهاء الرِّسالة بخاتمة أذكر فيها أهم النتائج، والتوصيات التي تم التوصل إليها.
١٠- تذييل الرِّسالة بفهارس علمية للآيات القرآنية، والأحاديث النَّبوية، والآثار، والأَعلام المترجم لهم، والمصطلحات العِلمية، والكَلمات الغريبة، والطوائفِ، والفِرق، والأَشعار، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

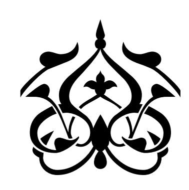
ثم إني أحمد الله تعالى، وأشكره، على ما مَنَّ به من تيسير هذا البحث، وإتمامه، واعترافاً بالفضل لأهل الفضل، وتقديراً لهم أدعو الله أن يجزي عنِّي بالخير كُلَّ من أسهم في إبراز هذه الرِّسالة خير الجزاء، وأوفاه، وأوَّلُ من أَخُص بالشُّكر على ذلك:
من لهما الفضل بعد الله تعالى عليَّ، ومن كَانَا سبباً في وجودي على هذه البسيطة، أبي الغالي الكريم- رحمه الله-، وأسكنهُ الفردوس الأعلى، وأمي الغالية الحنون التي ربتني، وتحملت المشَاقَّ في سبيل تعليمي منذُ صغري، فكم سمعت منها، ولا زلت أسمع دعواتها لي بالتوفيق، والسَّداد، مَصحوبةً بعبارات التَّشجيع، والمبادرةِ إلى إنجازِ هذا البحث، وإتمامه، فلك مني أماه الشُّكر، والثناء، والدعاء بالصحة، والعافية، وبركة العمر، وحسن العمل، والخاتمة، والفردوس الأعلى.
ثم الشُّكر بعد ذلك موصول لهذه الجامعة المباركة الرَّائدة في العلم، والتعلم، والتي أحسنت ظنها بالعبد الفقير إلى مولاه، وهيأت له، ولأمثاله من طلبة العلم فرصة الدِّراسة، وعلى رأسهم مدير الجامعة الموقر، أدام الله رياسته في خير، وبر، وكافة أعضاء هيئة التدريس بكلية الدعوة، وأصول الدين، والذين نهلت من معين علمهم فلهم مني أبلغ الشكر، والثناء، والدعاء.
كما أشكر شيخي الفاضل الدكتور بدر بن مقبل الظفيري – حفظه الله –، المرشد، والمشرف على هذه الرِّسالة على بذله الرائد في الإشراف، والتوجيه، والذي حاطني برعايته الكريمة، وفتح لي قلبه، وبابه، ولم يألُ جهداً في النُّصح، والتوجيه، والتَّصحيح بعلمه العاطر، وفكره المسدد الوقَّاد، فله مني أبلغ الثناء، والتقدير، وأزكاه، وأنماه، ودعائي بأن يجزيه الله خير

الجزاء، وأن يجزل له الأجر، والمثوبة، ويبارك علمه، وعمره، ويمتعه بالصحة، والعافية.

وأوجه الشُّكر خاصاً مشفوعاً بأبلغ عبارات التقدير، والامتنان لزوجتي، وشريكة عمري، التي وفرت لي الوقت الكثير، وتحملت الأعباء الكثيرة، والعظيمة في سبيل إنجاز هذه الرِّسالة، لا حرمها الله أجرها؛ فما أعجز عن الشكر، والدعاء لك أيتها الوفية، وما أحقك بأن ترضي من الوفاء بما قدمت، والله يتولى جزاءك مثوبة تكافئ وفاءك.

وفي الختام:

أشكر أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا الجهد، والوقت لقراءة هذه الرِّسالة، ومناقشتها، فجزاهم الله عني خير الجزاء على التوجيه، والتسديد، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.



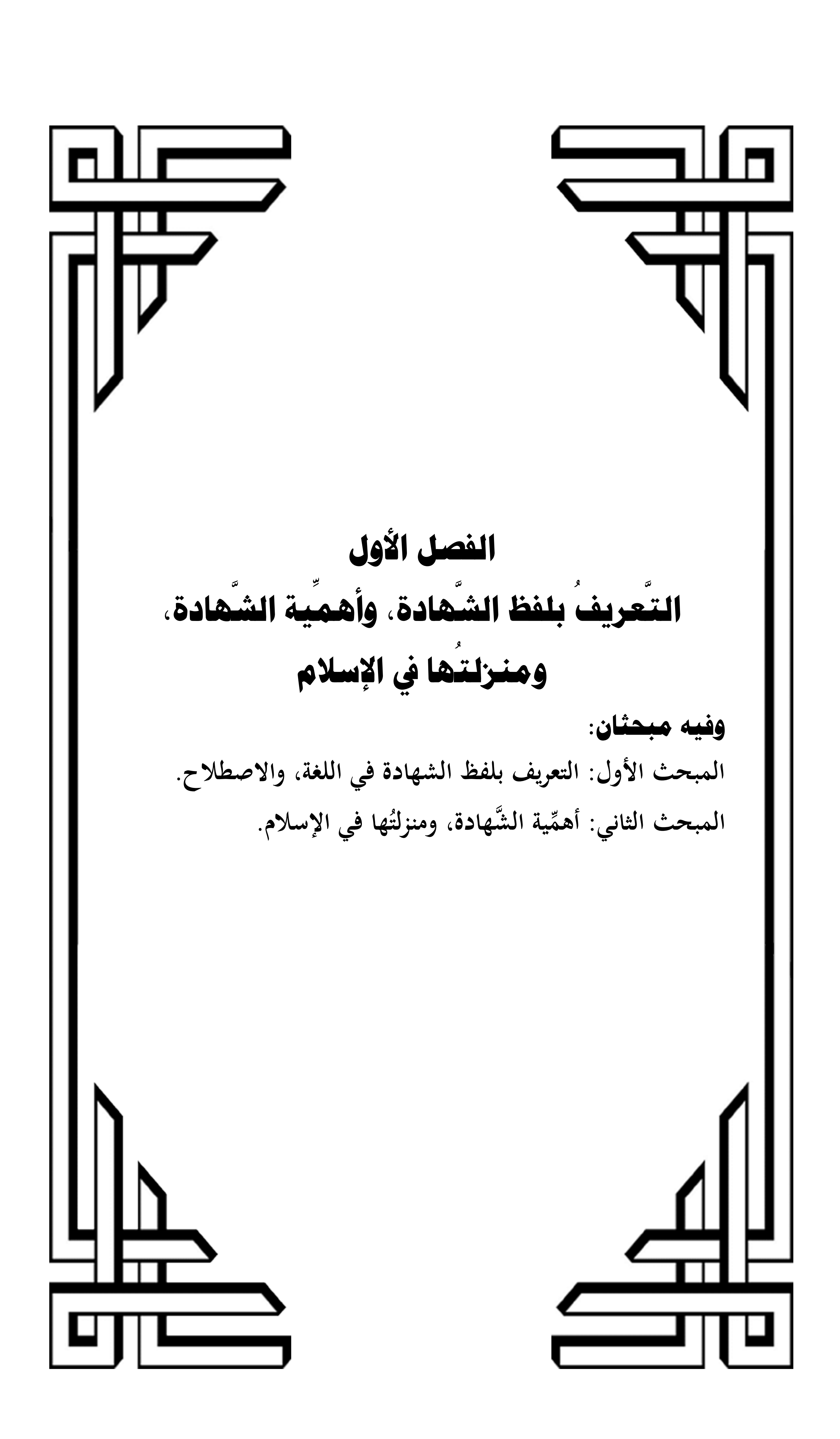


التمهيد

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التَّعريفُ بلفظ الشَّهادة، وأهمِّية الشَّهادة، ومنزلتُها في الإسلام.

الفصل الثاني: أقوال السَّلف في معنى شهادة الله ﷻ، ومراتبها، ومنزلتها،وأهميتها في العقيدة.



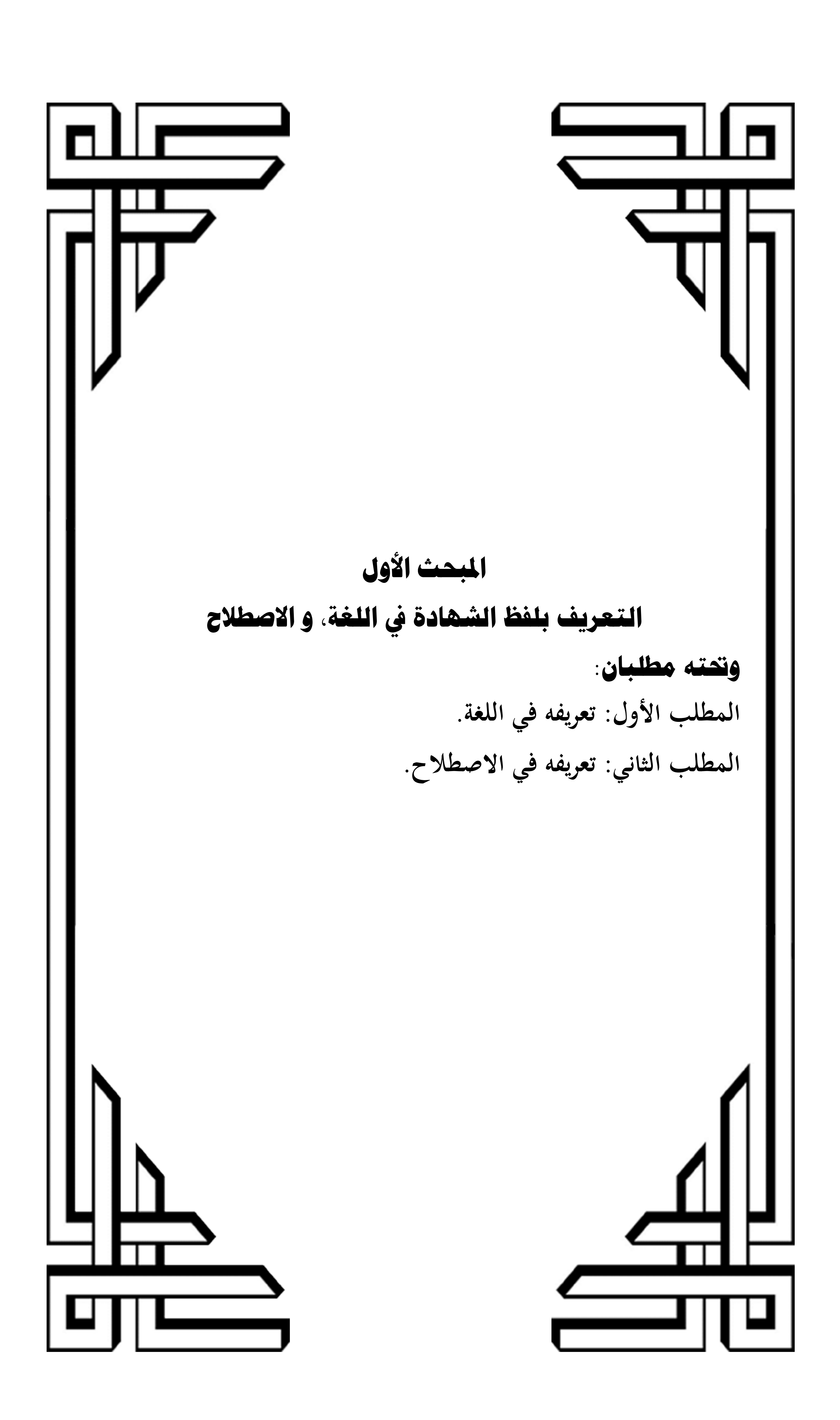
الفصل الأول

التَّعريفُ بلفظ الشَّهادة، وأهمِّية الشَّهادة، ومنزلتُها في الإسلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بلفظ الشهادة في اللغة، والاصطلاح.

المبحث الثاني: أهمِّية الشَّهادة، ومنزلتُها في الإسلام.



المبحث الأول

التعريف بلفظ الشهادة في اللغة، و الاصطلاح

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريفه في اللغة.

المطلب الثاني: تعريفه في الاصطلاح.

المبحث الأول

التَّعريف بلفظ الشَّهادة في اللُّغة، و الاصطلاح

المطلب الأول: تعريفه في اللغة:

الشَّهَادَةُ في اللغة: اسمٌ من شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً[١]؛ فَهُوَ شَاهِدٌ، وشَهِيْدٌ[٢].

قال ابن فارس[٣] رحمه الله:((الشِّين، والهاءُ، والدَّالُ أصْلٌ يَدُلُّ على حضورٍ، وعلمٍ، وإعلامٍ لا يخرجُ شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه، ومن ذلك الشَّهَادَةُ، يجمعُ الأصول التي ذكرناها من الحُضورِ، والعِلمِ، والإِعْلام))[٤].

ومن خلال هذه الأصولِ يُمكنُ معرفةَ معانيَ لفظِ الشَّهادة على اختلافِ استعمالات أهل اللغة له، وفيما يلي ذكرٌ لما تُصرف، واستُعمل، واشتُق منه على وجه الاختصار مع بيان المعنى المراد:

أولاً: الحُضُور، والمعاينة:

قال الجوهري[٥] رحمه الله:((..المشاهدة: المعاينة، وشَهِدَهُ شُهُوداً: أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ، وقَومٌ

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٢١/٣) كتاب الشين، باب الشين، والهاء، وما يثلثهما، مادة "شهد".

(٢) جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي (٦٥٣/٢) باب الدال، والراء، وما بعدهما، مادة "دصع".

(٣) أحمد بن فارس الرَّازي اللغوي، أبو الحسين المعروف بابن فارس كان إماماً في علوم شتى، وهو من أئمة اللغة والأدب، من مؤلفاته (المجمل)، و(مقاييس اللغة) في العربية، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن وغيرها، توفي سنة ٣٩٥هـ بالرَّي، وقيل توفي سنة ٣٧٥هـ بالمحمدية، والأول أشهر، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٣/١٧)، وإنباه الرواه للقفطي (١٢٩/١)، والوافي بالوفيات لابن أيبك الصفدي (١٨١/٧)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١١٨/١)، وبغية الوعاة للسيوطي (٣٥٢/١).

(٤) مقاييس اللغة (٢٢١/٣)كتاب الشين ، باب الشين والهاء وما يثلثهما، مادة "شهد".

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر المعروف بالجوهري إمام في علم لغة العرب كان أديباً فاضلاً، وخطه يضرب به المثل في الحسن والجودة كخط ابن مقلة نزل نيسابور ألَّف ودرس بها، من مؤلفاته: (الصحاح في اللغة)، وله كتاب في (العروض)، توفي رحمه الله سنة ٣٩٨هـ، انظر ترجمته في: يتيمة الدهر، للثعالبي (٤٦٨/٤)، ونزهة الألباء، لأبي البركات اللأنباري ص (٢٥٢)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (٦٥٦/٢).

شُهودٌ، أي حُضورٌ، وهو في الأصل مصدرٌ،..وأشْهَدَني إملاكَهُ، أي أَحضَرَني))[١].

وقال ابن سيده[٢] رحمه الله:((الشاهِدُ، والشَّهيدُ: الحَاضِر، والجْمع شُهداءُ، وشُهَّدٌ، وشُهَّادٌ، وأشْهادٌ، وشُهودٌ))[٣].

وقال الفيروزآبادى[٤] رحمه الله:((...شاهَدَهُ: عايَنَهُ، وامرأةٌ مُشْهِدٌ: حَضَرَ زوجها،...وأشْهَدَهُ:أحْضَرَهُ،...والمِشْهَدُ، والمِشْهَدَةُ، والمِشْهُدَةُ: مَحْضَرُ الناس))[٥].

وقال الرَّاغبُ[٦]الأصفهاني رحمه الله:((الشُّهُودُ، والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر، أو بالبصيرة، وقد يُقال للحضور مُفرداً قال الله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[٧] لكن الشهود بالحضور المجرَّد أولى، والشَّهادةُ مع المشاهدة أولى))[٨].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٤٩٤/٢) باب الدال، فصل الشين، مادة"شهد".

(٢) علي بن إسماعيل، على اختلاف في اسم أبيه، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفي بها سنة ٤٥٨هـ كان ضريراً، (وكذلك أبوه) نبغ في آداب اللغة، ومفرداتها، من مؤلفاته (المخصص)، وهو من أثمن كنوز العربية، و(المحكم والمحيط الأعظم)، وغيرهما، انظر ترجمته في: ومعجم الأدباء (١٦٤٨/٤)، ووفيات الأعيان (٣٣٠/٣)، والوافي بالوفيات (١٠٠/٢٠).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (١٨١/٤)، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة "شهد".

(٤) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، مجد الدين الشيرازي المعروف بالفيروزآبادى: من أئمة اللغة والأدب، رحل إلى زبيد،..وولي قضاءها..كان مرجع عصره في اللغة، والحديث، والتفسير، توفي سنة ٨١٧هـ، ومن مؤلفاته: (القاموس المحيط)، و(البلغة في تاريخ أئمة اللغة)، انظر ترجمته في: الضوء اللاَّمع، للسخاوي (٧٩/١٠)، والبدر الطَّالع، للشوكاني (٢٨٠/٢).

(٥) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ص (٢٩٢) باب الدال ، فصل الشين ، كلمة (الشهادة).

(٦) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، أو (الأصبهاني) المعروف بالراغب الأصفهاني، من أهل أصبهان، أديب، من الحكماء العلماء كان من أذكياء المتكلمين سكن بغداد، واشتهر، من مؤلفاته : (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(المفردات في غريب القرآن)، وغيرهما توفي سنة ٥٠٢هـ، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء(٣٤١/١٣)، والبُلغة، للفيروزآبادى ص(١٢٢).

(٧) سورة الأنعام، الآية:٧٣، وسورة التوبة، الآية: ٩٤، ١٠٥، وسورة الرعد، الآية: ٩، وسورة المؤمنون، الآية: ٩٢، وسورة السجدة، الآية: ٦، وسورة الزمر، الآية: ٤٦، وسورة الحشر، الآية: ٢٢، وسورة الجمعة، الآية: ٨، وسورة التغابن، الآية: ١٨.

(٨) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص (٣٠٠)، مادة "شهد".

وهذا ما يدل على أن بين الحضور، والشَّهادة علاقةُ تضمن، فالحضور أصل من أصول معانيها، والشَّهادة متضمنة له كما أن المعاينة من لوازمها الحضور.

ثانياً: الخَبرُ، والإِخبَار:

قال ابن فارس رحمه الله:((الشَّهَادَةُ: الإخبار بما قد شُوْهِدَ))[١]، وقال الجوهري رحمه الله:((الشَّهادَةُ خبرٌ قاطع تقول منه: شَهِدَ الرجل على كذا، وربما قالوا: شَهْدَ الرجل، بسكون الهاء للتخفيف))[٢]، وعلى ذلك؛ فالشَّهادةُ إخبارٌ، وخبرٌ، وهو التَّكلمُ عن أمرٍ بما يُقطعُ به.

ثالثاً: العلم، والإعلام، والبَيان:

قال ابن فارس رحمه الله:((فأما قوله جلَّ ثناؤه:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٣]؛ فيقال: معناه بَيَّنَ، وأَعْلَمَ كما يقال: شَهِدَ فلان عند القاضي، إذا بَيَّنَ، وأَعْلَمَ لمن الحق وعلى من هو))[٤]، ونقل الأزهري[٥] عن أبي بكر بن الأنباري[٦] رحمه الله أنه قال:((قال أبو عبيدة[٧]: معنى

---

(١) مجمل اللغة، لابن فارس (٥١٤/١) كتاب الشين، باب الشين، والهاء، وما يثلثهما، مادة "شهد".

(٢) الصحاح (٤٩٤/٢) باب الدال – فصل الشين – مادة "شهد".

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٤) مجمل اللغة (٥١٤/١)كتاب الشين، باب الشين والهاء وما يثلثهما، مادة "شهد".

(٥) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي نسبته إلى جده الأزهر ،أبو منصور المعروف بالأزهري أحد الأئمة في اللغة والأدب،كان عارفًا بالحديث، عالي الإسناد، ثخين الورع عني بالفقه ، ثم غلب عليه التبحر في العربية، من مؤلفاته (تهذيب اللغة)، و(تفسير القرآن)، توفي في هراة بخراسان سنة ٣٧٠هـ، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣٣٤/٤)، وإنباه الرواة (١٧٧/٤)، والوافي بالوفيات (٣٤/٢)، وبغية الوعاة (١٩/١).

(٦) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن ولد في الأنبار (على الفرات)، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨ هـ، من مؤلفاته (الزاهر)، و(غريب الحديث)، و(الأمالي)، انظر: ترجمته في : إنباه الرواه (٢٠١/٣)، وبغية الوعاة (٢١٢/١).

(٧) معمر بن المثنى التيمي مولاهم، أبو عبيدة البصري، النحوي، العلاَّمة، البحر صاحب التصانيف قال الذهبي: لم يكن صاحب حديث، وإنما أوردته لتوسعه في علم اللسان، وأيام الناس، قال ابن قتيبة:(كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه)، ومن مؤلفاته: كتاب (مجاز القرآن الكريم)، و(غريب القرآن)، و(غريب الحديث)، وغيرها كثير، قيل توفي سنة ٢٠٩هـ، وقيل غير ذلك، انظر: ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٣٥/٥)، والسير (٤٤٥/٩)، وإنباه الرواة (٢٧٦/٣).

: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ قضى الله أنه لا إله إلا الله، قال: وحقيقته علم الله وبَيَّنَ الله؛ لأن الشَّاهد هو العالم الذي يُبَيِّنُ ما علمه شَهِدَ عَلَيْهِ شَهادَةً))[١].

فالله ﷻ قد دل على توحيده بجميع ما خلق، فبَيَّنَ أنه لا يقدر أحد أن يُنشئ شيئاً واحداً مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم، وتبَيَّنَ من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى[٢] رحمه الله:((شَهِدَ الله، بَيَّنَ الله، وأظهر، وشَهِدَ الشَّاهِدُ عند الحاكم أي: بَيَّنَ ما يعلمه، وأظهره))[٣].

كما أن هذه المعاني اللغوية للشَّهادة توفرت في اسم الله ﷻ الشَّهيد، وكذا اسم الشَّهيد للقتيل في سبيل الله ﷻ، وبيان هذا في الفصل الأول من الباب الأول إن شاء الله تعالى.

ومن خلال ما تقدم تبين أن لفظ الشَّهادة لفظ عام شمل عدة معان لكثرة استعمالاته المتداخلة، والمتباينة؛ فيدخل فيه معنى الحضور، والمعاينة، والخبر، والإخبار، والعلم، والإعلام، والبيان، وقد ذكر بعض أهل اللغة فروقاً لغوية بَيْنَ بعضها كأبي هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية[٤] آثرت عدم ذكرها رغبةً في الاختصار، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: تعريفه في الاصطلاح:

اختلف السَّلف - رحمهم الله - في بيان معنى الشَّهادة في الاصطلاح، وتنوعت عباراتهم كتنوعها عند أهل اللغة؛ وهذا الخلاف يُعدُّ من باب اختلاف التنوع لا التضاد، كما قرر ذلك بعض أهل العلم.

---

(١) تهذيب اللغة، للأزهري (٤٧/٦) باب الهاء والجيم مع الراء، مادة "شهد"، وانظر: المحكم والمحيط (١٨١/٤)، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة "شهد".

(٢) أحمد بن يحي بن زيد بن سيَّار الشيباني بالولاء أبو العباس ، المعروف (بثعلب) إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه ،كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ، وصدق اللَّهجة ثقةً حُجة، من مؤلفاته (الفصيح)، و(قواعد الشعر)، و(إعراب القرآن)، أصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس، وكانت سبب وفاته رحمه الله سنة ٢٩١هـ، انظر: ترجمته في: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٨٣/١)، ونزهة الألباء ص(١٧٣)، ومعجم الأدباء (٥٣٦/٢-٥٣٧)، وفيات الأعيان (١٠٢/١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤٧/٦) باب الهاء والجيم مع الراء، مادة "شهد".

(٤) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري فقد ذكر فروقاً بين العلم، والخبر، والعلم، والتبين، والعلم والشهادة، والشاهد، والحاضر، والإعلام، والإخبار.

من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((الخلافُ بين السَّلف في التفسير قليلٌ، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالبُ ما يصحُ عنهم الخلاف يرجعُ إلى اختلاف تنوعٍ لا اختلاف تضاد، وذلك **صنفان**:

أحدهما: أن يعبر كل واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى، بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة، والمتباينة، كما قيل: في **اسم السَّيف** الصارم، والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله ﷺ، وأسماء القرآن....إذا عرف هذا، فالسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر؛ كمن يقول: **أحمد** هو الحاشر، والماحي، والعاقب، **والقدوس**: هو الغفور الرحيم، أي إن المسمى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه، ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس.

الصنف الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه، على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه، وخصوصه، مثلُ سائل أعجمي سأل عن المسمى لفظ"الخبز"؛ فأري رغيفاً، وقيل له: هذا؛ فالإشارة إلى نوع هذا، لا إلى الرغيف وحده، مثال ذلك: ما نقل في قوله﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[(١)]؛ فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات، والسَّابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات؛ فالمقتصدون هم أصحاب اليمين، والسَّابقون السَّابقون أولئك المقربون))[(٢)].

ومعنى الشَّهادة في الاصطلاح من هذا التنوع؛ فهو متعدد الألفاظ، والمباني لتعدد استعماله فيما وضع له، وهو ما يدل على مدى الصِّلة الوثيقة بين المعاني اللغوية، والشَّرعية.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) انظر: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية بحاشية ابن قاسم ص (٣٨-٤١-٤٣) [باختصار].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((وقد تنوعت عبارات المفسرين في لفظ شَهِدَ فقالت طائفة منهم مجاهد[١]، والفراء[٢]، وأبو عبيدة: أي حَكَمَ، وَقَضَى، وقالت طائفة منهم ثعلب، والزَّجاج[٣]: أي: بَيَّنَ، وقالت طائفة: أي أَعْلَمَ، وكذلك قالت طائفة: معنى شهادة الله الإِخبَارُ، وَالإِعلَامُ، ومعنى شهادة الملائكة، والمؤمنين الإِقرَارُ، وعن ابن عباس رضي الله عنه :(أنه شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان، ولم يكن سماءٌ، ولا أرضٌ، ولا برٌ، ولا بحرٌ فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾)[٤]، وكل هذه الأقوال، وما في معناها صحيحة؛ وذلك أن الشَّهَادَةَ تتضمن كلام الشَّاهِدِ، وقوله، وخبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك، ويقوله، ويذكره، وإن لم يكن معلماً به لغيره، ولا مخبراً به لسواه ثم قد يخبره، ويعلمه بذلك؛ فتكون الشَّهادةُ إعلاماً لغيره، وإخباراً له، ومن أخبر غيره بشيءٍ؛ فقد شهد به سواءً كان بلفظ الشَّهَادَة أو لم يكن))[٥].

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: ((شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس عرضه عليه ثلاثين مرة يقف عند كل آية يسأله))،كان فقيهاً عالماً ثقة كثير الحديث أخبر وكيع بن الجراح عن بعض أصحابه أنه مات وهو ساجد، واختلف في وفاته قيل:١٠٢، وقيل:١٠٣، وقيل:١٠٤ هـ، انظر ترجمته في: السير(٤/٤٤٩)، والطبقات لابن سعد (٦/٢٠).

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم أبو زكريا إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب صاحب الكسائي المعروف (بالفراء)، كان يحب الكلام، ويميل إلى الاعتزال، وكان متديناً متورعاً فقيهاً عالماً بأيام العرب، وأخبارها من مؤلفاته: معاني القرآن، اللغات، الجمع، والتثنية في القرآن، وتوفي بطريق الحج سنة ٢٠٧هـ، انظر ترجمته في: بغية الوعاة (٢/٣٣٣)، والسير (٨/٢٩١).

(٣) إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج أبو إسحاق عالم بالنحو، واللغة من أهل العلم بالأدب والدين اشتغل بالأدب فمال إلى النحو وعلَّمه المبرد، وأخذ عن ثعلب، قال الخطيب:((كان من أهل الدين، والفضل، وله مصنفات حسان في الأدب)) من مؤلفاته:(معاني القرآن)، و(فعلت وأفعلت)، و(العروض)، وغيرها توفي سنة٣١٠، وقيل:٣١١، وقيل: ٣١٦هـ، انظر ترجمته في:السير(١٤/٣٦٠)، والوافي (٥/٢٢٨)، ووفيات الأعيان(١/٤٩).

(٤) هذا جزء من أثر لابن عباس رضي الله عنهما أورده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٤/١٦٨)، والأثر ذكره بعض أهل العلم في مصنفاتهم بغير إسناد، وممن أورده الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان(٣/٣٢)، والإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل(٢/١٨)، وتمامه:((خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، وشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان، ولم تكن سماء، ولا أرض، ولا بر، ولا بحر، فقال:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾)) اهـ.

(٥) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/١٦٨).

وهذا ما ذكره- أيضاً- الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال:((عباراتُ السَّلف في (شَهِدَ) تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والإخبار قال مجاهد: حَكَمَ، وقَضى، وقال الزَّجاج: بين، وقالت طائفة: أَعْلَمَ، وأَخْبَرَ، وهذه الأقوال كلها حقٌّ لا تنافي بينها؛ فإن الشَّهادةَ: تتضمن كلام الشَّاهد، وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره، وبيانه))[١].

والكلمةُ تحتمل ذلك كله؛ فالله ﷻ عَلِمَ بوحدانيته، وهو أعلم بنفسه، وبخلقه، وبيَّن ذلك، وأظهره، وأخبر به عباده، وأعلمهم، وأمرهم، وألزمهم به، وذلك بأن يوحدوه، وأن يخلصوا له العبادة.

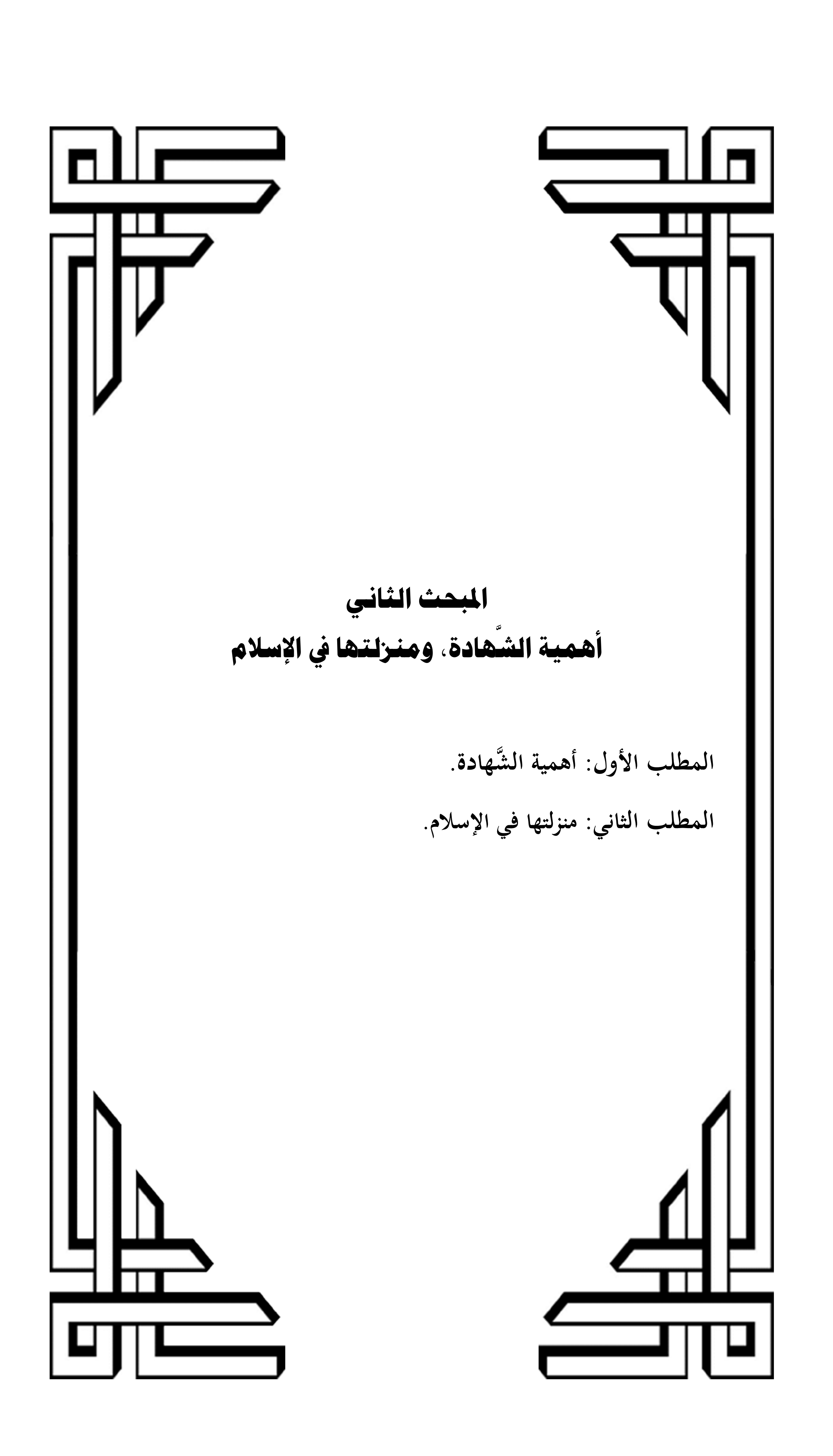
وقد بَيَّنَ الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - معنى الشَّهادة، وما تضمنته من كلام السَّلف فقال: ((تدل على الشهود البصري، أو الشهود العلمي، فمن شهد شيئاً ببصره - شاهده ببصره - فقد شهده، أو شهده علمياً، أي: علم هذا الشيء فشهد به، ولهذا يُقال للشَّاهد عند القاضي: شاهد؛ لأنه يشهد بما رأى، أو يشهد بما علمه، فتكون الشَّهادة بعلم، وقول الله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾؛ فالملائكة شهدت أن لا إله إلا الله، أي علمت ذلك وعلموا، وأيقنوا به وأعلموا، وأخبروا؛ فإذاً لا يُسمى الشَّاهد شاهداً حتى يجتمع فيه ثلاثة أشياء: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والإعلام المنافي للكتمان، فمن لم يعلم الأمر فليس بشاهد فيه ولا له، ومن لم يتيقن بل كان شاكاً فليس شاهداً، ومن لم يُعلم، ويُخرِّج فليس شاهد، ولهذا دارت كلمات السَّلف في تفسير آية آل عمران على هذه المعاني: علم، تيقن، أخبر، أعلم غيره، ونحو ذلك))[٢].

وهذا يُفيدُ بأن الشَّرع لم يُقيد لفظ(شَهِدَ)؛ فلما كان محتملاً لأكثر من معنى حمل عليها، من هنا يمكن القول بأن معنى الشَّهادة في الاصطلاح الشرعي- من عبارات السَّلف - متوافقٌ في الجملة مع ما ورد من كلام أهل اللغة لا يخرج عند التَّأمل، والنَّظر عن معنى العلم، والبيان، والتكلم، والخبر، والإعلام، والإخبار، والأمر، والإلزام (الحكم، والقضاء)، والإقرار، والله أعلم.

---

(١) مدارج السَّالكين، للإمام ابن القيم (٣/٤٤٤).

(٢) انظر: شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح آل الشيخ ص(١١٧-١١٨)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد للشارح أيضاً ص (٧٢-٧٣).



المبحث الثاني
أهمية الشَّهادة، ومنزلتها في الإسلام

المطلب الأول: أهمية الشَّهادة.

المطلب الثاني: منزلتها في الإسلام.

المطلب الأول: أهمية الشَّهادة

للشَّهادة في الإسلام أهمية كبرى، دل عليها صريح الكتاب، والسنة، وما أُثر عن سلف الأمة - رحمهم الله تعالى -، وفيما يأتي بيان لهذه الأهمية.

لقد كرر الله - ﷻ - ذكر الشَّهادة في كتابه، وفي مواضع عدة؛ فأمر بإقامتها توفيةً لحقِّها إذ هو فرض لازم، وواجب مُحتَّم فقال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[(١)]، وهذه الإقامةُ لا تكون إلا بنطقها بالحق، وأدائها على الصحة، طلباً لمرضاته - ﷻ -، وقياماً بوصيته[(٢)]، وهي أنواع متعددة.

فمنها ما هو متعلق بباب الاعتقاد، كشهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ فلا يصح إسلام عبد إلا بالنطق بها، والعمل بمقتضاها، وهي الفارقة بين المسلمين، وغيرهم من أهل الكتاب، والمشركين.

ومنها ما هو متعلق بباب الفقه كالشَّهادة من الشُّهود رجالاً كانوا أو نساءً، وذلك لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل في إقامة الحدود، وأحكام الشَّريعة.

إذ أن الشَّهادة من أهم طرق الإثبات بعد الإقرار لحفظ الحقوق، والممتلكات، والضروريات، وفض النِّزاعات، والخصومات، وعليها العمل لدى القضاة، ولذا فقد أفرد لها السلف - رحمهم الله - كتاباً مستقلاً فصلوا فيه ما يتعلق بالشهادات من الأحكام، وبينوا شروط قبولها، وموانعها.

فالشَّهادةُ سلاح للقاضي يلجأ إليه قال شُريح القاضي رحمه الله: ((القضاء جمرٌ فنحه عنك بعودين- يعني شاهدين-، وإنما الخصم داءٌ، والشُّهود شفاء فأفرغ الشِّفاء على الداء))[(٣)].

ويجب على الشَّاهد إذا دعي للشَّهادة أن يشهد، وهو غير معذور، فلا يجوز له أن يأبى

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٨/٢٩٠) [بتصرف يسير].

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة (١٠/١٢٨).

لقولـه: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾[١]، ثم أنَّ مـن لم يتصـف بصـفة الشـهداء المقبولـة شهادتهم لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها؛ ولأنه ليس من الشُّهداء[٢].

وقد حذر الله – تعالى– من كتمانها فقال: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[٣]، وإنما خص القلب بالإثم؛ لأنه موضع العلم بها، ولأن الشَّهادة أمانة، فلزم أداؤها، كسائر الأمانات[٤]، وأمر المؤمنين بالعدل، والصدق في أفعالهم، وأقوالهم[٥].

ومن الشَّهادة – أيضاً – الشهادة بالحق، ولو على النفس أو أقرب قريب إذ هي من حقوق الإيمـان، وواجباتـه قـال تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٦]، وذلك منتهى العدل.

كما أمر – ﷻ – بالإشهاد في البيع فقال: ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[٧]، أي: باع بعضكم على بعض[٨].

وهذا يدل على أنه، وإن رُخِّص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يُشرع الإشهاد حفظاً للحقوق[٩].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) انظر: تيسير الكاريم الرحمن لابن سعدي ص (١١٨) [بتصرف].

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٤) انظر: المغني (١٠/١٢٨).

(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣/٢٧).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

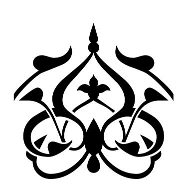
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٨) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، لابن عثيمين (٣/ ٤٠٩).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (١١٨) [بتصرف يسير].

إذا تقرر ذلك فقد ظهر ما للشَّهادة من أهمية كبرى في الإسلام في إثبات الحقوق، وحفظها ابتداءً من حق الله – ﷻ–، على عباده بالإقرار بألوهيته، وعبادته، وحده لاشريك له، والإقرار بالرَّسالة للنَّبي ﷺ، وانتهاءً بحقوق الآدميين فيما بينهم.

ولو أردت استقصاء الكلام حول هذه الأهمية لطال المقام، وإنما هي إشارات، وفي الإشارة إليها كفاية إن شاء الله تعالى.



المطلب الثاني: منزلتها في الإسلام

أما منزلةُ الشَّهادةِ في الإسلام فمنزلتها عظيمةٌ، وهي تظهرُ جليةً من حيثُ مفهومها الواسع فهي أول أركان الإسلام، وأصل مبانيه العظام، كما في حديث جبريل-عليه السلام- الطويل في صحيح مسلم[1]، وقد تقدم أنه لا يصح إسلامُ عبد إلا بالنُّطق بها، والعمل بمقتضاها، وأنها الفارقة بين الإيمان، والكفر.

كما يدخل في عظمها بهذا المفهوم أنها منزلةٌ عالية في الفردوس الأعلى لمن نالها بالقتل في سبيل الله – تعالى –، فهي منتهى مطالب المؤمنين الصَّادقين، وكرامةٌ، واصطفاءٌ من رب العالمين، قال- عز وجل-: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

وقال- عز وجل-: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

فهنيئاً والله لمن أكرمه الكريم الأكرم بها فنالها باصطفائه من بين سائر خلقه – نسأل الله العظيم من فضله–، أو بلغها بغيرها ممن أخبر النَّبي ﷺ عنهم ببلوغهم لمنزلتها بصدق نياتهم، وسؤالهم لربهم، ومعبودهم جلَّ وعلا، وقد وردت أحاديثٌ صحاح تدل على أن مُسمى الشَّهادة من الموت ليس قاصراً على من قُتل في سبيل الله– تعالى–، وحسب بل يتعداه بفضل الله– تعالى– من ذلك ما أخرجه أبو داود في السُّنن، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) السورة نفسها، الآيات: ١٦٩-١٧١.

الكبير، والبغوي في شرح السُّنه من حديث عتيك بن الحارث بن عتيك[1] أن عمه جابر بن عتيك[2] أخبره **أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غُلِبَ عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله ﷺ، وقال:(غُلِبْنَا عليك يا أبا الرَّبيع) فصاح النِّسوة، وبكين، وجعل ابن عتيك يُسَكِّتُهُنَّ فقال رسول الله ﷺ:(دعهن فإذا وَجَبَ فلا تَبْكِيَنَّ باكية) فقالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال:(إذا مات) قالت ابنته: والله إنْ كنت لأرجو أن تكون شهيداً فَإِنَّكَ كنت قد قضيت جِهَازَكَ فقال رسول الله ﷺ:(إن الله- ﷻ- قد أوقع أجره على قدر نيته، وما تعدون الشَّهادة؟) قالوا: القتل في سبيل الله- تعالى- قال رسول الله ﷺ :(الشَّهادة سبعٌ سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد)**[3].

---

(١) عتيك بن الحارث بن عتيك بن قيس بن هيشة المعاوي الأوسي الأنصاري المدني، شهد أحداً مع أبيه، وعمه، روى عن: عمه جابر بن عتيك، وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وروى عنه: ابن ابنته عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك الأنصاري، وهو جد عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، روى له أبو داود، والنسائي حديثاً واحداً في الشهيد، وروى له أبو جعفر الطحاوي، انظر ترجمته في: تهذيب الكمال، للحافظ المزي (٣٣٣/١٩)، وإكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطاي (١٣٥/٩)، والثقات، لابن حبان (٢٨٦/٥١)، برقم (٤٨٦٨)، ومغاني الأخيار، لبدر الدين العيني (٢٩٨/٢-٢٩٩)، برقم (١٧٤٠).

(٢) جابر بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك الأشهلي المعاوي الأنصاري المدني له صحبة مديني روى عن النبي ﷺ أحاديث، وكنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الملك من كبار الصحابة، اتفق على أنه شهد بدراً، وقيل: أنه كانت معه راية بني معاوية بن مالك بن الأوس يوم الفتح، توفي سنة إحدى وستين، وله إحدى وتسعون سنة، وهو آخر البدريين موتاً، روى عنه ابنه أبو سفيان بن جابر ابن عتيك، وعتيك بن الحارث بن عتيك، انظر في ترجمته: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٩٣/٢) برقم (٢٠٢٢)، الثقات لابن حبان (٥٢/٣-٥٣) برقم (١٧٤)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦٢٣/٢) برقم (١٤).

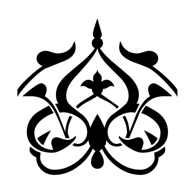
(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب فضل من مات في الطاعون، (١٨٨/٣)، برقم(٣١١١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، فصل في الشهيد، (٤٦١/٧) برقم(٣١٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير، ما أسند جابر بن عتيك، (١٩١/٢)، برقم(١٧٧٩)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، وما رخص فيه من إرسال الدمع، (٤٣٤/٥)، برقم (١٥٣٢).

والحديث صححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود ص(٧٢٣)، كتاب أحكام الجنائز(٥٤)، كما صححه في التعليقات الحسان (١٤١/٥)، برقم (٣١٧٩)، و(٣١٨٠)، وأشار إلى تصحيحه في السلسلة الضعيفة (٤٣٧/٨) برقم(٣٩٦٧).

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة -ﷺ-، قال: قال رسول ﷺ: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال:** «**إن شهداء أمتي إذا لقليل**»، **قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال:**«**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**»، **زاد في هذا الحديث:**«**والغريق شهيد**»، **وبلفظ:**«**ومن غرق فهو شهيد**» [(١)].

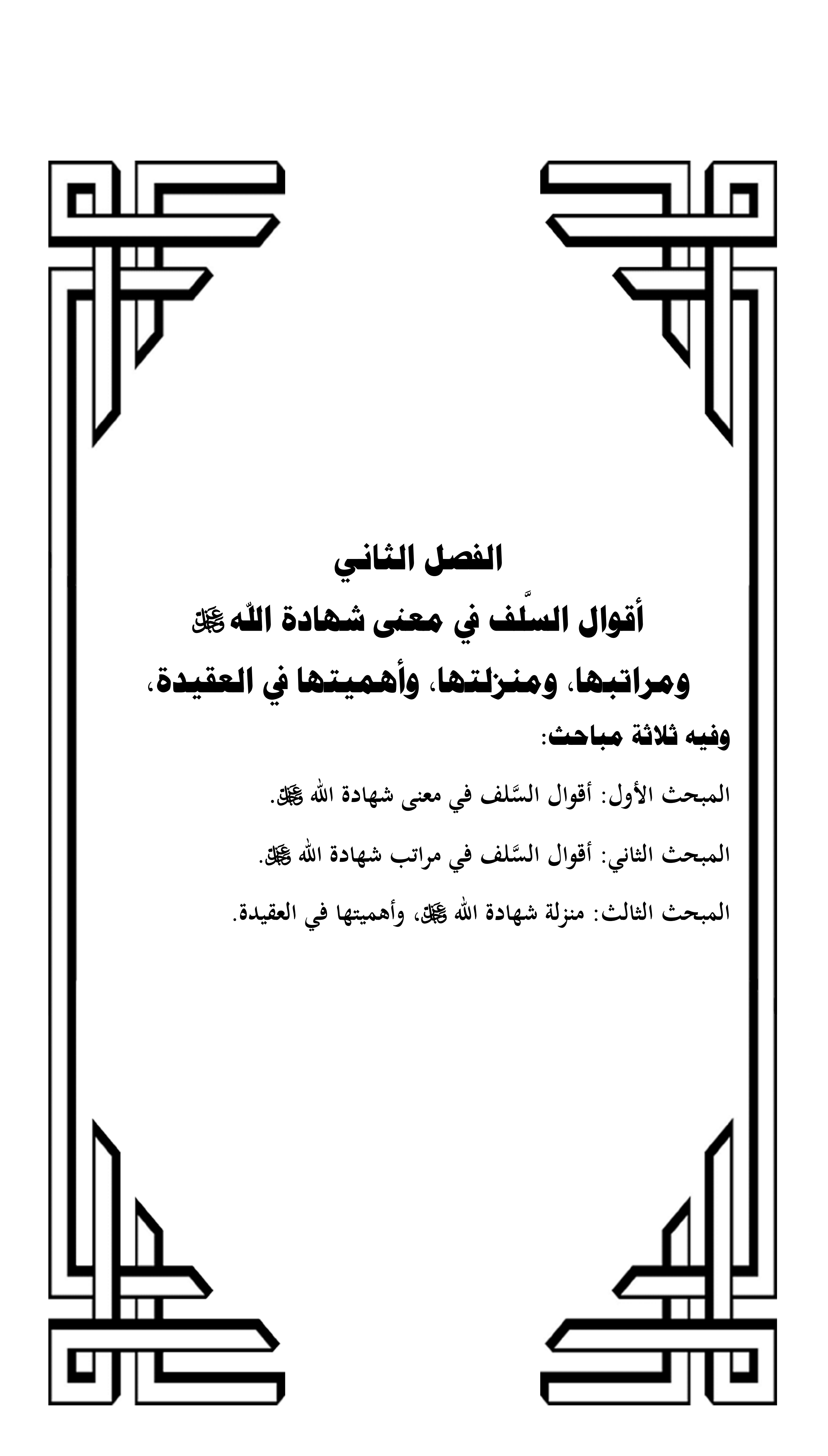
وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[(٢)].

ومما تقدم تبين أن باب الشَّهادة عظيمٌ في الإسلام، ومفهومها، واسعٌ طويل المقام، فهي تشمل الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والمراد تقرير أهميتها، وبيان منزلتها، وقد تبين إن شاء الله - تعالى - المراد، ودللت عليه بما أفاد، وفي طيَّاته غُنيةٌ عن كثرة الإيراد، والله تعالى أعلم.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، (١٥٢١/٣)، برقم (١٩١٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من قتل دون ماله، (١٣٦/٣)، برقم (٢٤٨٠).



الفصل الثاني

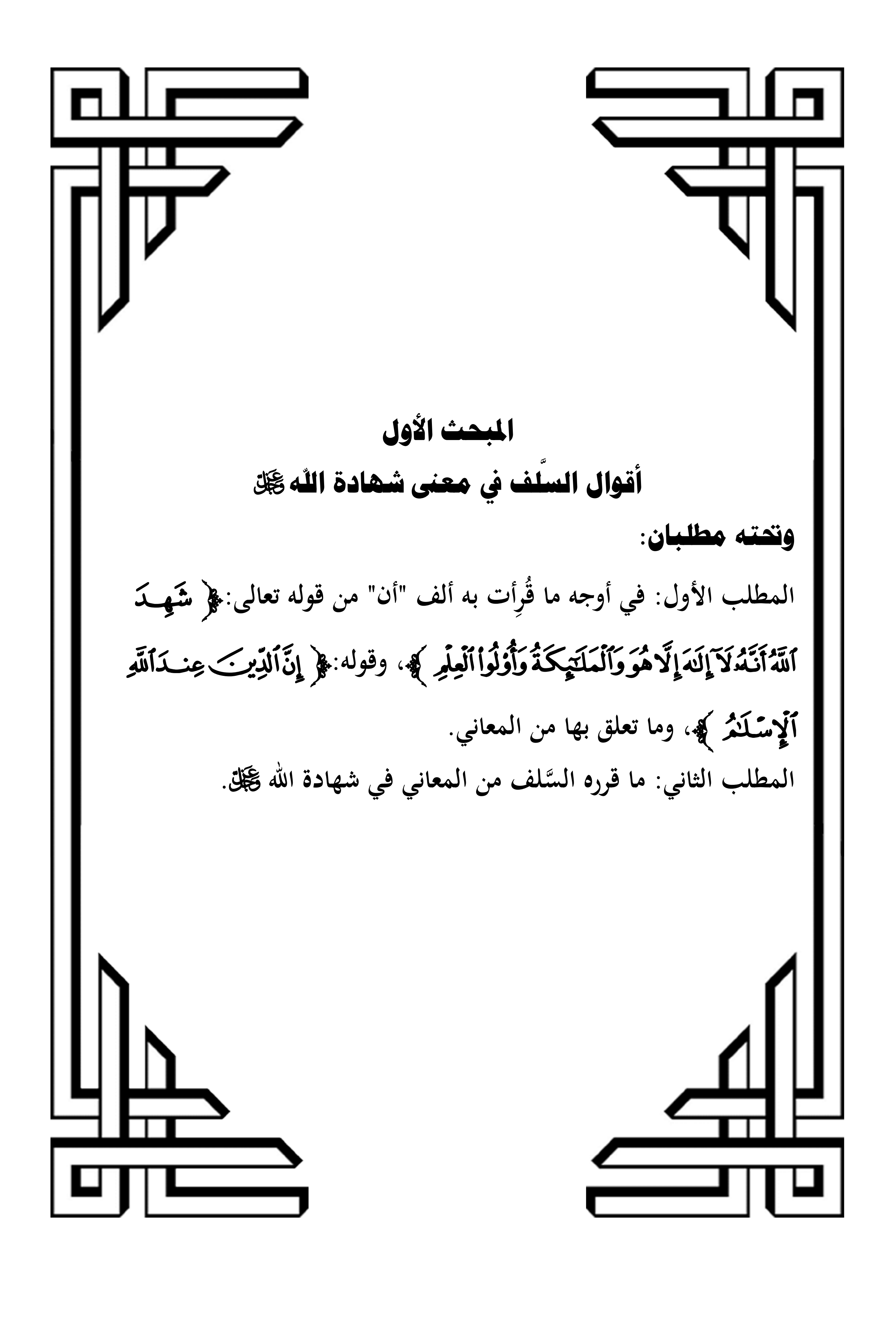
أقوال السَّلف في معنى شهادة اللّه ﷻ ومراتبها، ومنزلتها، وأهميتها في العقيدة،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقوال السَّلف في معنى شهادة الله ﷻ.

المبحث الثاني: أقوال السَّلف في مراتب شهادة الله ﷻ.

المبحث الثالث: منزلة شهادة الله ﷻ، وأهميتها في العقيدة.



المبحث الأول

أقوال السَّلف في معنى شهادة اللّه ﷻ

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: في أوجه ما قُرِأت به ألف "أن" من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾، وما تعلق بها من المعاني.

المطلب الثاني: ما قرره السَّلف من المعاني في شهادة الله ﷻ.

المبحث الأول

أقوال السَّلف في معنى شهادة الله ﷻ

تقدم الكلام عن اختلاف السَّلف رحمهم الله، وتنوع عبارتهم في لفظ"شهد"، وأنها لا تخرج في حقيقتها عن معنى العلم، والتكلم، والخبر، والإعلام، والإخبار، والإقرار، والأمر، والإلزام (الحكم، والقضاء)، وفيما يلي بيانٌ لأقوالهم – في معنى شهادة الله ﷻ–، وأقوال غيرهم مما هو موافق لعقيدة أهل السنة، والجماعة في الجملة، وذلك بشيء من التفصيل:

المطلب الأول: في أوجه ما قُرِأت به ألف "أن" من قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[١]، وقوله:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢]،وما تعلق بها من المعاني:

ذكر بعض المفسرين أن هاتين الآيتين قُرِأتا على ثلاثة أوجه، وبيانها على النحو التالي:

الوجه الأول: ما قرأ به أهل الإسلام وهم الجمهور بفتح الألف من (أَنَّه) في الآية الأولى، وكسر الألف من (إِنَّ) الثانية، وابتدائها.

وهذه القراءة مما أُجمع عليه، ومما نقله أئمة التفسير كالطبري، وابن كثير، والبغوي، وابن الجوزي، والزجاج، والشوكاني، وغيرهم من تواتر القراءة بها، وهو مذهب الجمهور.

قال الإمام الطبري رحمه الله أن -:((ابن مسعود رضي الله عنه قرأ:"﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾" بفتح"أَنَّ"، وكسر"إِنَّ"من: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ على معنى إعمال"الشَّهادَةِ" في"أَنَّ" الأولى، و"أَنَّ" الثانية مبتدأه))[٣].

قال:((..وهكذا قُرِأت قرأة أهل الإسلام بفتح الألف من"أَنَّه"، على ما ذكرتُ من إعمال"

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) االسورة نفسها، الآية: ١٩.

(٣) جامع البيان (٦/ ٢٦٨).

شَهِدَ " في"أَنَّه"الأولى، وكسر الألف من"إِنَّ" الثانية، وابتدائها))[١].

وقال ابن الجوزي رحمه الله في ((قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الجمهور على كسر "إن"..))[٢].

وقال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾:((قِرَأَةُ الجمهور بكسر إِنَّ على أن الجملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى..))[٣].

والمعنى على ذلك: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم؛ فالملائكة معطوف بهم على اسم الله، و"أَنَّه"مفتوحة بشَهِدَ[٤].

الوجه الثاني:ما قرأ به ابن عباس رضي الله عنه بكسر "إِنَّه"في الآية الأولى، وفتح "أَنَّ"في الثانية:

ذكر الامام الطبري رحمه الله:((أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ثم قال:"أَنَّ الدِّينَ"، بكسر"إِنَّ" الأولى، وفتح"أَنَّ" الثانية بإعمال"شَهِدَ" فيها، وجعل"أَنَّ" الأولى اعتراضًا في الكلام غير عامل فيها"شَهِدَ"))[٥].

وقال القرطبي رحمه الله:((..وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فيما حكى الكسائي" شهد الله "إِنَّه" بالكسر" أَنَّ الدين" بالفتح، والتقدير: شهد الله أَنَّ الدين الإسلام، ثم ابتدأ فقال: إِنَّه لا إله إلا هو))[٦].

وقال الشوكاني رحمه الله:((..وقرأ ابن عباس رضي الله عنه "إِنَّه" بكسر الهمزة بتضمين شهد معنى قال))[٧]

وعلى هذه القراءة فإِنَّ معنى شهادة الله عز وجل: شهادته لنفسه بالوحدانية إِنَّه لا إله إلا هو، وشهادته بأَنَّ الدين الذي لا يقبل ديناً سواه هو الإسلام.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣٦٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٥٤٣).

(٤) جامع البيان (٦/ ٢٦٨).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/٤٢-٤٣).

(٧) انظر: فتح القدير (١/٥٤٢).

الوجه الثالث:ما قرأ به بعض المتأخرين من أهل العربية ومنهم الكسائي[(١)]، وذلك بفتح ألف"أن" في كلتا الآيتين بدعوى الجمع بين قراءة ابن عباس، وابن مسعود ﵄.

قال القرطبي ﵀ :((..وقرأ الكسائي بفتح" أَنَّ" في قوله" أَنَّه لا إله إلا هو" وقوله" أَنَّ الدين". قال المبرد[(٢)]: التقدير: أَنَّ الدين عند الله الإسلام بأَنَّه لا إله إلا هو، ثم حذفت الباء كما قال: أمرتك الخير: أي بالخير. قال الكسائي: أنصبهما جميعاً، بمعنى شهد الله أَنَّه كذا، وأَنَّ الدين عند الله، قال ابن كيسان:" أَنَّ" الثانية بدل من الأولى؛ لأن الإسلام تفسير المعنى الذي هو التوحيد))[(٣)].

وقال الإمام البغوي ﵀:((..وفتح الكسائي الألف من "أَنَّ الدين" رداً على أن الأولى تقديره شهد الله "أَنَّه" لا إله إلا هو وشهد "أَنَّ" الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله "أَنَّ" الدين عند الله الإسلام "بأَنَّه" لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء))[(٤)].

وقال ابن الجوزي ﵀: في((قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾الجمهور على كسر"إِنَّ" إلا الكسائي، فإنه فتح الألف..))[(٥)].

---

(١) علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: أحد القراء السبعة ، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وهو مؤدب الرشيد العباسي، وابنه الأمين، وله تصانيف، منها (معاني القرآن)، و(القرآت)، ومختصر في (النحو)، و(المتشابه في القرآن)، وتوفي بالري، عن سبعين عاما. انظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٢٩٥/٣).

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد إماماً في النحو واللغة ، وأحد أئمة الأدب، والأخبار قال عنه الذهبي: كان إماماً، علامة، جميلا، وسيماً، فصيحاً، مفوهاً، موثقاً صاحب نوادر، وطرف، وقال ابن حماد النحوي: كان ثعلب أعلم باللغة، وبنفس النحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفننا في جميع العلوم من ثعلب، من مؤلفاته(الكامل)، و(المذكر والمؤنث)، و (المقتضب)، توفي ﵀ في أول سنة ٢٨٦هـ ببغداد. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٣١٣- ٣١٤)، والسير (١٣/ ٥٧٦- ٥٧٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٢-٤٣).

(٤) معالم التنزيل (١٨/٢).

(٥) زاد المسير (١/ ٣٦٢).

وقال الشوكاني رحمه الله: ((..وقرئ بفتح أَنَّ قال الكسائي : أنصبهما جميعاً يعني قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ ﴾ ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ بمعنى شهد الله أَنَّهُ كذا، وأَنَّ الدين عند الله الإسلام قال ابن كيسان : إن الثانية بدل من الأولى..))[١].

وعلى هذا يكون معنى شهادة الله ﷻ: شهد الله أَنَّهُ لا إله إلا هو، وشهد أَنَّ الدين الذي لا يقبل دينا سواه هو الإسلام، وذلك بفتح همز الألف في "أن".

وقد أجاب الإمام الطبري رحمه الله **عن هذا الوجه** بمخالفته جميع قراءة أهل الإسلام المتقدمين منهم، والمتأخرين فقال:((..سوى أنّ بعض المتأخرين من أهل العربية، كان يقرأ ذلك جميعًا بفتح ألفيهما، بمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وأنَّ الدين عند الله الإسلام – فعطف بـ"**أَنَّ الدِّينَ**" على"**أَنَّه**" الأولى، ثم حذف"واو" العطف، وهي مرادة في الكلام، واحتج في ذلك بأن ابن عباس رضي الله عنه قرأ ذلك: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، ثم قال:"**أَنَّ الدِّينَ**"، بكسر"**إِنَّ**" الأولى، وفتح"**أَنَّ**" الثانية بإعمال"**شَهِدَ**" فيها، وجعل"**أَنَّ**" الأولى اعتراضًا في الكلام غير عامل فيها"**شَهِدَ**"، وأن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ:" ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ " بفتح"**أَنَّ**" وكسر"**إِنَّ**" من: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ على معنى إعمال"الشَّهادَةِ" في"**أَنَّ**" الأولى، و"**أَنَّ**" الثانية مبتدأة؛ فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح، جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما؛ فخالف بقراءته ما قُرِأَ من ذلك على ما وصفت، جميعَ قرأةِ أهل الإسلام المتقدّمين منهم، والمتأخرين، بدعوى تأويلٍ على ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما ، زعم أنهما وقرآ به، وغيرُ معلوم ما ادّعى عليهما برواية صحيحةٍ، ولا سقيمة، وكفى شاهدًا على خطأ قراءته، خروجها من قراءة أهل الإسلام))[٢]، ورجح رحمه الله ما قرأ به الجمهور في الوجه الأول فقال:((..فالصواب إذ كان الأمر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتحُ الألف من "أَنَّه" الأولى، وكسر الألف من "إِنَّ" الثانية، أعني من قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ابتداءً))[٣].

---

(١) فتح القدير (١/ ٥٤٣).

(٢) جامع البيان (٦/٢٦٨).

(٣) المصدر السابق (٦/٢٦٨-٢٦٩).

كما رجحه الإمام ابن كثير مؤيداً بذلك قول الإمام الطبري فقال:((..وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ بكسر إِنَّه، وفتح ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ أي: شهد هو، وملائكته، وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام، والجمهور قرأوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر، والله أعلم))[١].

وهذا هو الصواب الموافق لما ذهب إليه الجمهور، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: فيما قرره أئمة السلف، وغيرهم من المعاني في شهادة الله ﷻ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((..إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر، وبين، وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد، وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة، وهذا يتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه، فإن النفي، والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر، والنهي كما إذا استفتى شخص شخصاً فقال له قائل: هذا ليس بمفت هذا هو المفتي ففيه نهي عن استفتاء الأول، وأمر وإرشاد إلى استفتاء الثاني، وكذلك إذا تحاكم إلى غير حاكم أو طلب شيئاً من غير ولي الأمر فقيل له: ليس هذا حاكماً، ولا هذا سلطاناً؛ هذا هو الحاكم، وهذا هو السلطان؛ فهذا النفي، والإثبات يتضمن الأمر، والنهي؛ وذلك أن الطالب إنما يطلب من عنده مراده، ومقصوده؛ فإذا ظنه شخصاً فقيل له: ليس مرادك عنده، وإنما مرادك عند هذا كان أمراً له بطلب مراده عند هذا دون ذاك، والعابدون إنما مقصودهم أن يعبدوا من هو إله يستحق العبادة؛ فإذا قيل لهم كل ما سوى الله ليس بإله إنما الإله هو الله وحده كان هذا نهياً لهم عن عبادة ما سواه وأمراً بعبادته، و"أيضا" فلو لم يكن هناك طالب للعبادة؛ فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة ؛فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمراً بما يستحقه..فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم، وقضى بأن لا يعبد إلا إياه..))[٢].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٧١-١٧٢).

وقال الإمام البغوي رحمه الله:((قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾أي بين الله؛ لأن الشهادة تبين، وقال مجاهد: حكم الله، وقيل: علم الله، وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو، ..وقوله:﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي، وشهدت الملائكة قيل: معنى شهادة الله الإخبار، والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة، والمؤمنين الإقرار، قوله تعالى ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ يعني الأنبياء عليهم السلام))[١].

وقال الزَّجاج رحمه الله:((قال أبو عبيدة معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾: قضى اللَّه، وحقيقته أنه عَلِمَ وبين اللَّه؛ لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله ﷻ قد دل على توحيده بجميع ما خلق فبين أنه لا يقدر أحدٌ أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما علمت من قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم، وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره))[٢].

وقال العلاَّمة ابن الجوزي رحمه الله:((..وفي معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى قضى، وحكم، قاله مجاهد، والفراء، وأبو عبيدة، **والثاني**: بمعنى بيَّن، قاله ثعلب، والزَّجاج.

قال ابن كيسان[٣]: شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه، أنه لا إله إلا هو، وسئل بعض الأعراب: ما الدليل على وجود الصَّانع؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على الصانع الخبير؟!))[٤].

وقال الإمام الطبري رحمه الله:((..إنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نَفْيَ ما أضافت النَّصارَى الذين حاجُّوا رسولَ الله ﷺ في عيسى من البنوَّة، وما نسب إليه سائرُ أهل الشرك من أنّ له شريكًا،

---

(١) معالم التنزيل (٢/١٧-١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٣٨٥-٣٨٦).

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان، اللغوي الأمام الفاضل أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم، كان قَيِّما بمعرفة البصريين، والكوفيين عالم بالعربية، نحواً ولغة، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب، وكان أبو بكر ابن مجاهد المقرىء يقول:(هو أنحى منهما) من مؤلفاته:كتاب (المهذب) في النحو، و(غريب الحديث)، و(معاني القرآن)، وغيرها، وتوفي سنة ٢٩٩هـ، وذلك في خلافة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله تعالى بن المعتضد، انظر ترجمته في: نزهة الألباء (١/١٧٨)، والوافي بالوفيات (٢/٢٤).

(٤) زاد المسير (١/٣٦٢).

واتخاذهم دونه أربابًا؛ فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالقُ كلِّ ما سواه، وأنه ربُّ كلِّ ما اتخذه كل كافر، وكل مشرك ربًّا دونه، وأنَّ ذلك مما يشهد به هو، وملائكته، وأهلُ العلم به من خلقه؛ فبدأ جل ثناؤه بنفسه، تعظيمًا لنفسه، وتنزيهًا لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك بما نسبوا إليها، كما سنَّ لعباده أن يبدأوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره، مؤدِّبًا خلقه بذلك))[١].

وقال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله:((شهد تعالى، وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين، وأعدلهم، وأصدق القائلين﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾أي: المتفَرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده، وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٢]))[٣].

ومعنى ذلك أن هذه الشَّهادة يُرَد بها على كل من زعم لله ﷻ الولد من اليهود في عزير–عليه السلام–، والنصارى في عيسى بن مريم–عليه السلام–، والمشركون في الملائكة الكرام تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا، كما يُرَدُّ بها على كل مُشركٍ اتخذ من دون الله ﷻ رباً يذل له، ويعظمه، ويتوجه إليه بالعبادة من دون الله تعالى، فالله ﷻ قد تفرد بالربوبية، والإلهية على جميع الخلائق، وهم عبيده مقهورون مربوبون مفتقرون إليه تبارك، وتعالى؛ فلا غناً لهم عنه ﷻ طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

وقال الماوردي رحمه الله: ((قوله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ في هذه الشهادة من الله **ثلاثة أقاويل**: **أحدها**: بمعنى قضى الله أنه لا إله إلا هو، **والثاني**: يعني بَيَّنَ الله أنه لا إله إلا هو، **والثالث**: أنها الشهادة من الله بأنه لا إله إلا هو، **ويحتمل أمرين**: **أحدهما**: أن

(١) جامع البيان (٦/ ٢٧١).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٤).

يكون معناها الإخبار بذلك، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد؛ لأنه أوكد للخبر، **والثاني**: أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو، فأما شهادة الملائكة، وأولي العلم، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته))(١).

وقال العلاَّمة القرطبي رحمه الله:((قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أي بين، وأعلم ؛ كما يقال: شهد فلان عند القاضي إذا بين، وأعلم لمن الحق ، أو على من هو))(٢).

ومعنى ذلك أن في شهادته ﷻ لنفسه بالوحدانية إخبار منه، وبيان، وإعلام مشتمل على الحكم والقضاء بأن لا يعبد إلا إياه؛ فقد اشتمل على النهي عن عبادة ما سواه، وهذا هو النفي في قوله (لا إله)كما اشتمل على الأمر بعبادته وحده، وهذا هو الإثبات في قوله (إلا الله)، والملائكة الكرام، وألو العلم شاهدون مقرون بذلك له وحده لا شريك له، والله تعالى أعلم.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله:((الشاهد بالشيء يقتضي حضوره بعلمه، والإنباء عنه، والحكم بما عليه، ولهذا تفسر الشهادة تارة بالحضور، وتارة بالعلم، وتارة بالإعلام، وتارة بالحكم، **إن قيل**:ما وجه قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾، وشهادة المدعي بما يدعيه لا تقتضي زيادة على دعواه مع أن هذه الشهادة إن كانت للجاحدين فغير مقبولة، وإن كانت للمؤمنين به ففضلة؟، وهل يكفي النبي ﷺ إذا طولب بالدلالة أن يقول: الله شاهد لي بذلك؟.

قيل: الشاهد العالم بالشيء، المبين لغيره، وأصدق شاهد من يعلم المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه، وعن كون الأمر على ما شهد به، والبارئ ﷻ لما جعل في كل شيء تنبؤاً عن وحدانيته صار له في كل شيءٍ لسان يشهد أنه واحد، وهذا ظاهر، وبين بقوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ أنهم قد عرفوا ذلك، وينبئون عنه، فإن الأدلة التي يذكرها

(١) النكت والعيون، للماوردي (٣٧٩/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٢/٤).

العلماء، وتأتي بها الملائكة، والأنبياء شهادة منهم، فحثهم الله تعالى بهذا القول على التأمل ليعرفوا صحة ما شهدوه، وكذا الآية كأنه قال، لنبيه: لا تستوحش من تكذيب الكافرين لك؛ فقد أبدى الله ﷻ من الآيات ما ينبئ أنه تعالى شاهد لك بصدق دعواك))[١].

وهذا تحريرٌ نفيسٌ قلَّ أن تجد مثله فتأمله.

وقال البيضاوي[٢] رحمه الله:((﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وإنزال الآيات الناطقة بها﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾بالإقرار ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان، والكشف بشهادة الشَّاهد))[٣].

وقال جلال الدين المحلي رحمه الله:((﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾بَيَّنَ لخلقه بالدلائل، والآيات﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ وشهد بذلك ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ بالإقرار﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ من الأنبياء، والمؤمنين بالاعتقاد، واللفظ))[٤].

وقال العلاَّمة شهاب الدين محمود الألوسي رحمه الله:((..وفي ﴿ شَهِدَ ﴾ مسنداً إلى الله تعالى استعارةٌ تصريحيةٌ تبعيةٌ؛ لأن المراد أنه سبحانه دل على وحدانيته بل وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وما نصبه من الدلائل التكوينية في الآفاق، والأنفس، وبما أوحى من آياته الناطقة بذلك كسورة الإخلاص، وآية الكرسي، وغيرهما فشبه سبحانه

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٢/٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير ناصر الدين البيضاوي كان إماماً قاضياً علاَّمة، عارفاً بالفقه، والتفسير، والأصلين، والعربية، والمنطق؛ نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً شافعياً من تصانيفه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) يُعرف (بتفسير البيضاوي)، وهو (مختصر الكشاف)، و(طوالع الأنوار) في التوحيد، و(المنهاج في الأصول)، وهو مضطرب العقيدة كان له ميل إلى الإعتزال في تفسيره مع انتصار منه لبعض أقوال أهل السُّنة، توفي سنة ٦٨٥هـ بتبريز، كذا ذكره الصفدي، وقال السُّبكي: ٦٩١هـ، انظر ترجمته في: بغية الوعاة (٢/٥٠٥١)، وطبقات المفسرين، للداوودي (١/٢٤٨-٢٤٩)، وطبقات المفسرين، لأدنه وي، ص(٢٥٤- ٢٥٥).

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي (١/١٧).

(٤) تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي ص(٦٥).

تلك الدلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان، والكشف ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ثم سرت الاستعارة من المصدر إلى الفعل، وجوز أن يكون هناك مجاز مرسل تبعي لما أن البيان لازم للشهادة، وقد ذكر اللفظ الدال عن الملزوم، وأريد به اللاَّزم، وهذا الحمل ضروري على قراءة الجمهور دون القراءة الشَّاذة[(١)] ..))[(٢)].

ومعنى ذلك: أن لفظ الشهادة الدَّال على الملزوم من الوحدانية لله ﷻ شمل اللازم المتعلق بأفعاله تعالى الخاصة من الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير، كما شمل الدلائل الكونية في الآفاق من خلق السماوات، وما حوته من الكواكب، والنجوم، والسحاب، وغيرها، والأرض، وما حوته من البحار، والجبال، والتلال، والهضاب، والسهول، والأودية، والبحار، والأنهار، والأشجار، والزروع، والثمار، وغيرها، كما شمل الدلائل في الأنفس من خلق الثقلين، وغيرها من المخلوقات، وما جعل لها من نعمة العقل لمن جعل، والسمع، والبصر، والكلام، والحركة، والسكون، وغيرها من النعم، كما شمل ما أوحاه إلى عباده الأنبياء، والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من الآيات الناطقة بذلك، ومما أنزل على رسول الله ﷺ كسورة الإخلاص، وآية الكرسي، وغيرها من الدلائل، والآيات الشاهدة بوحدانيته ﷻ، و أنه لا إله إلا هو.

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى، وشهادة خواص الخلق، وهم الملائكة، وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج، والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق، والأنفس على هذا الأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع، والمضار لأنفسهم، ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد، وبطلان الشرك، وأما شهادة الملائكة بذلك؛ فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك، وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم؛ فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصاً في أعظم الأمور، وأجلها، وأشرفها، وهو التوحيد، فكلهم من

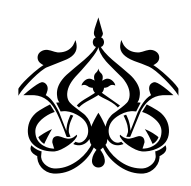
---

(١) وهي قراءة الكسائي، وقد تقدم بيانها في المبحث السابق.

(٢) روح المعاني للألوسي (٢/ ١٠٤).

أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك، ودعوا إليه، وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه؛ فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه، والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه، وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم، ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليلٌ على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم))[1].

هذا ما قرره أئمة السَّلف – رحمهم الله – ، وغيرهم من المعاني في شهادة الله ﷻ، وهي وإن اختلفت بعض الشيء في مباني الألفاظ إلا أنها متوافقة المعاني فيما قرره أهل السُّنة، والجماعة من الاعتقاد.



---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص(١٢٤).



المبحث الثاني

أقوال السَّلف في مراتب شهادة اللّه ﷻ

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: التكلم، والخبر.

المطلب الثالث: الإعلام، والإخبار.

المطلب الرابع: الأمر، والإلزام.

المبحث الثاني

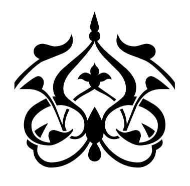
أقوال السَّلف في مراتب شهادة الله ﷻ

تقدم القول بتنوع عبارات السَّلف - رحمهم الله- في معنى الشَّهادة، وكان من بين تلك المعاني ما يدل على مراتب الشَّهادة، وأبرزُ من قررها شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم - رحمهما الله - حتى عدَّها بعضهم من شروط تمامها كما ذهب إلى ذلك العلاَّمة محمد بن أبي بكر القرطبي رحمه الله بقوله: ((للشَّهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي الحضور، والوعي، والأداء أما الحضور: فهو شهود الشَّاهد المشهود، والوعي لكل ما شاهده، وعلمه في شهوده ذلك، والأداء: هو الإتيان بالشَّهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك))[(١)].

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مجمل هذه المراتب فقال:((إن الشَّهادة تتضمن كلام الشَّاهد، وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره، وبيانه فلها **أربع مراتب**:

فأول مراتبها: علم، ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به، وثبوته، **وثانيها**: تكلمه بذلك، ونطقه به، وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم به مع نفسه، ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها، **وثالثها**: أن يُعَلِّم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له، **ورابعها**: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به، فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربعة علم الله سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم، وإلزامهم به))[(٢)].

وفي هذا المبحث إيضاح لهذه المراتب مما له تعلق بالشَّهادة في الاعتقاد إذ هو المقصود بالدِّراسة، وفي مقدمة ذلك شهادةُ التوحيد، والتي تعدُّ أولَ ما افترض الله ﷻ، وأوجب على عباده.



---

(١) الأسنى ص(٤١٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٤).

المطلب الأول: مرتبة العلم

عُرِّفَ العلم بعدةُ تعاريف من ذلك ما ذكره ابن فارس رحمه الله، فقال: ((العِلمُ: نقيض الجهل، وتعلمت الشيء: أخذته، وتَعلَّمتُ، أي: عَلِمت))[١].

وقال الجُرْجَاني[٢] رحمه الله:((العِلمُ: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: العِلمُ: هو إدراك الشيء على ما هو به))[٣].

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً))[٤]، وقيل غير ذلك، والعلم الشَّرعي هو من أجَلِّ العلوم، وأفضلها، فكيف إذا كان متعلقاً بعلم أصول الدين، وهو العلم بالله عز وجل، وأسمائه، وصفاته؟

لاشك أنه سيكون أشرفها، وأعظمها على الإطلاق لشرف المعلوم، وهو الله عز وجل.

وفي ذلك يقول شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:((لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها، ومعبودها، وفاطرها بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه))[٥]، ولقد فقه السَّلف – رحمهم الله – أهمية العلم بالله – تعالى– من نصوص الكتاب، والسُّنة، كما في قوله:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس (٦٢٤/١)كتاب العين، باب العين واللام وما يثلثهما، مادة "علم".

(٢) علي بن محمد بن علي الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ؛ يقال إن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً منها: (التعريفات)، و(شرح مواقف الإيجي)، و(شرح التجريد للنصير الطوسي)، توفي سنة ٨١٤هـ، وقيل سنة ٨١٦هـ بشيراز، انظر: ترجمته في: بغية الوعاة (١٩٦/٢).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (١٥٥/١)، باب العين، كلمة "العلم" [باختصار].

(٤) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص(١٨).

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٢٣/١) [باختصار].

﴿ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[(١)]؛ فقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتاب العلم من صحيحه – باباً عنونَ له بـ ((بابٌ العلم قبل القول، والعمل))[(٢)].

كما استهلهُ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه الأصيل، الموسوم بثلاثة الأصول مرشداً إلى أهمية تعلمه قبل العمل؛ فقال :((اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل؛ الأولى العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، الثانية: العمل به...))[(٣)].

والعلم بالله عز وجل على ضرورته، وفرضيته؛ لا يصح بالإقرار، والمعرفة، دون العمل بل هو مستلزم له، وهذه هي حقيقة الإيمان.

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((العلم لابد فيه من إقرار القلب، ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله به، وهو العلم بتوحيد الله، فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائناً من كان، بل كلٌ مضطر إلى ذلك))[(٤)].

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((معرفة الله بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه، والإذعان، والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه، ومعبوده قال عز وجل:﴿ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[(٥)]))[(٦)].

ومعرفةُ الشَّهادة هو أول ما افترضه الله عز وجل على عباده، وأوجبه عليهم قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:((اعلم رحمك الله: أن فَرضُ معرفة، شهادة أن لا إله إلا الله،

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (١/ ٢٤).

(٣) ثلاثة الأصول، للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي ص(٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٩٣٥).

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٦) شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين ص(١٩).

قبل فرض الصلاة، والصوم؛ فيجب على العبد: أن يبحث عن معنى ذلك، أعظم من وجوب بحثه، عن الصلاة، والصوم، وتحريم الشرك، والإيمان بالطاغوت: أعظم من تحريم نكاح الأمهات، والعمات؛ فأعظم مراتب الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله))[1].

وعلى ذلك فالعلم شرطٌ من شروط قبول الشَّهادة، وتمامها؛ فلا يكونُ شاهداً من لا علم له بما يشهد، وجهله سببٌ في ردها، وعدم تمامها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((أما مرتبة العلم فإن الشَّهادة بالحق تتضمنها ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به قال تعالى:﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]))[3].

قال الإمام البغوي رحمه الله:((وأراد بشهادة الحق قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم))[4].

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((والشَّهادة لا تكون إلا عن علم سابق، وهذا العلم قد يكون مكتسباً، وقد يكون غريزياً، فالعلم بأنه لا إله إلا الله غَريزيٌّ، قال ﷺ :((كل مولود يولد على الفطرة))[5]، وقد يكون مُكتسباً، وذلك بتدبُّر آيات الله، والتفكر فيها، ولا بد أن يوجد العلم بلا إله إلا الله ثم الشهادة بها))[6].

فالإنسَان لا يشهد إلا بما يعلم لا بما يظن، فلا يجوز لشاهد في قضية دنيوية أن يشهد فيها بظنه؛ وإنما يشهد بما يعلم، وما هو متأكدٌ، ومستيقن منه، فما بالك بمن يشهد أنه لا إله إلا هو!.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (١٢١/٢).

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٤٤٤/٣).

(٤) معالم التنزيل (٢٢٤/٧).

(٥) أخرجه البخاري،كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١٠٠/٢) برقم (١٣٥٨)، واللفظ له، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤-٢٠٤٨)، برقم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٧٤/١-٧٥).

وهذا هو التوافق بين المعنى الشرعي للشَّهادة، ومرتبة العلم، حيث جعلت الشهادة هنا بمعنى العلم، والمعرفة، والاعتقاد لصحة المشهود به[١]؛ فلا بد من الاعتقاد بما سينطق به، والاعتقاد بما شهده، فكونه يشهد أن لا إله إلا الله يستلزم أنه اعتقد بقلبه معنى هذه الكلمة عن علم ويقين؛ لأن الشَّهادة فيها الاعتقاد، والاعتقاد لا يُسمى اعتقاداً إلا إذا كان ثمَّ علمٌ، ويقين[٢].

كما عدَّ أهل العلم هذه المرتبةَ أحد شروط كلمة التوحيد السَّبعة[٣]؛ التي تنفع قائلها مجتمعة كما ضمنوها في كتبهم، نثراً، ونظماً من ذلك:

ما سطره الإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله بقوله:((لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

أحدها: العلم، المنافي للجهل.

الثاني: اليقين، المنافي للشك.

الثالث: القبول، المنافي للرد.

الرابع: الانقياد، المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة، المنافية لعدمها))[٤].

وممن أحسن في نظمها الإمام حافظ الحكمي رحمه الله بقوله :

وبشـروط سـبعة قـد قيـدت ... وفـي نصـوص الـوحي حقـاً وردت

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٣/٤٤٤)، والتوضيحات الجلية ، للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس (١/١٥١).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ ص(٧٣) [بتصرف يسير].

(٣) زاد بعض أهل العلم شرطاً ثامناً: الكفر بما سوى الله تعالى، انظر:حاشية ثلاثة الأصول، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ص(٥٢)، كما نظمه بعضهم -، ولا يعرف قائله- بقوله:

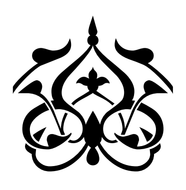
وزيـد ثامنهـا الكفـران منـك بمـا ... سـوى الإلـه مـن الأنـداد قـد أُلهـا

انظر: الدروس المهمة لعامة الأمة لابن باز، ص(٦).

(٤) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١/١٩٠).

فإنــــه لــــم ينتفــــع قائلهـــا	بـــالنطق إلا حيـــث يستكملـــها
العـــلم واليقـــين والقبـــول	والانقيـــاد فـــادر مـــا أقـــول
والصـــدق والإخـــلاص والمحبـــة	وفقـــك الله لمـــا أحبــــه[١]

وعلى ذلك؛ فإنه يُراد بهذه المرتبة بوجه خاص، كشرط من شروطها (لا إله إلا الله):العلم بمعناها نفياً، وإثباتاً؛ وذلك أن معنى كلمة التوحيد: لا معبود بحق إلا الله، وهي مشتملة على ركنين عظيمين هما النفي، والإثبات؛ فـ (لاإله) نَفيٌ مَعْنَاهُ: نفي جميع ما يعبد من دون الله، و(إلا الله) إِثبَاتٌ مَعْنَاهُ: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٣][٤]، ويُراد بها في باب الاعتقاد عموماً: العلم، والمعرفة، والاعتقاد لصحة المشهود به، وثبوته[٥]، والله أعلم.



---

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ الحكمي(٣٢/١).

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٤) انظر: ثلاثة الأصول ص(٢١-٢٣) [بتصرف يسير].

(٥) انظر: مدارج السالكين، (٤٤٤/٣).

المطلب الثاني: مرتبة التكلم، والخبر

هذه المرتبة الثانية من مراتب الشَّهادة، وهي: التكلم، والخبر، وقبل الشروع في بيانها من كلام السلف رحمهم الله لابد من معرفة حقيقتها عند أهل اللغة.

قال ابن فارس رحمه الله:((الكلام معروفٌ..يدل على نُطقٍ مُفهِمٍ..تقول:كَلَّمتُهُ أُكَلِّمُهُ تَكلِيمًا؛ وَهُوَ كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَو كَلَّمتَهُ والكليم: الذي يُكلِّمُك، والكلمة: القصة، والقصيدة بطولها))[1].

وقال في الخبر: ((الْخُبْرُ: العِلمُ بالشيء؛ تقول: لي بفلان خِبْرَةٌ، وَخُبْرٌ، والله تعالى الخبير، أي العالم بكل شيء، وقال الله تعالى:﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[2]))[3].

وقال في موضع آخر:((الخبْرُ: العلم بالشيء، (يُقال): خبرتُ الشيء أخبره خبراً وخُبرة، ومن أين خبرت هذا ؟ أي: من أين علمتهُ))[4].

وقال الكفوي رحمه الله [5]:((ويحد عند الأكثر فقال بعضهم: الخبر هو الكلام الذي يدخله الصدق، والكذب، ورُدَّ بخبر الله، وخبر الرسول ﷺ))[6].

وعلى ذلك فالشَّهادة متضمنةٌ لكلام الشاهد، وقوله، وخبره عما شهد به، وإن لم يكن الشاهدُ مُعلماً به غيره أو مخبرا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((الشَّهادة تتضمن كلام الشَّاهد، وقوله، وخبره عما شهد به،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١/١٣١)، كتاب الكاف، باب الكاف واللام وما يثلثهما، مادة"كلم"، ومجمل اللغة (١/ ٧٦٩)، كتاب الكاف، باب الكاف واللام وما يثلثهما، مادة "كلم" (باختصار).

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٤.

(٣) مقاييس اللغة (٢/٢٣٩)،كتاب الخاء، باب الخاء والباء وما يثلثهما، مادة"خبر".

(٤) مجمل اللغة (١/٣١٠)، كتاب الخاء، باب الخاء والباء وما يثلثهما، مادة"خبر".

(٥) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء من قضاة الأحناف، ولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ، من مؤلفاته (الكليّات)، وله كتب أخرى بالتركية، انظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ٣٨).

(٦) الكليات (١/٤١٥)، فصل الخاء، مادة "الخبر".

وهذا قد يكون مع أن الشَّاهد نفسه يتكلم بذلك، ويقوله، ويذكره، وإن لم يكن معلماً به لغيره، ولا مخبراً به لسواه))[١].

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم إلى مسائل مهمة، متعلقة بهذه المرتبة، وهي:

المسألة الأولى: في اشتراط لفظ "أشهد" لصحة الشَّهادة.

هذه المسألة من المسائل الخلافية بين جمهور الفقهاء[٢]، وقد قرر بعض السَّلف- من خلالها ممن ذهب إلى عدم الاشتراط – تقريرات عقدية قياساً على هذه المسألة منهم الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم – رحمهم الله – قولهم في ذلك هو: عدم اشتراط لفظ الشَّهادة عند التكلم بشيء، والإخبار به، وأن ذلك يُعدُّ شهادة من المتكلم، وإن لم يتلفظ بالشهادة.

قال شيخ الإسلام ﵀:((ومن أخبر غيره بشيء فقد شهد به سواءً كان بلفظ الشَّهادة أو لم يكن))[٣].

وقال الإمام ابن القيم ﵀: ((وأما مرتبة التكلم، والخبر؛ فمن تكلم بشيء، وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة قال تعالى:﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٦٩).

(٢) اختلف الفقهاء في لفظ"أشهد"على قولين ، وذلك من حيث أداء الشهادة في مجلس القضاء هل يجب بلفظ الشهادة دون غيره أم لا يجب ذلك فتصح بما يؤدي معناها كأعلم، وأتيقن أو بكل لفظ أو صيغة تفيد المعنى؟ ذهب إلى وجوب أدائها بلفظ الشهادة، الجمهور من الحنيفية، والشافعية، والحنابلة، ومن الفرق الإباضية، والزيدية، وحجتهم في ذلك: أن لفظ"أشهد"يدل على الحال بخلاف الماضي أو الصفة، ولتضمنه المشاهدة، والقسم، والإخبار، للحال، مستدلين بما ورد في الكتاب، والسنة، واللغة بلفظ الشهادة، وذهب إلى عدم وجوب ذلك، المالكية، والظاهرية، وأحمد في رواية أيّدها، ابن تيمية، وابن القيم، ومن الفرق الإمامية، والإباضية، حجتهم في ذلك: أن الشَّارع استعمل لفظ الشهادة مرادفاً لألفاظ أخرى مما يؤكد عدم تفرد لفظ الشهادة بمعنى خاص، انظر: وسائل الإثبات، للدكتور محمد مصطفى الزحيلي (١/١٠٧-١٠٩)، [باختصار].

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/١٦٩).

﴿حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ﴾[1]، ومعلوم قطعاً: أنه ليس المراد التلفظ بلفظة "أشهد" في هذا، بل مجرد الإخبار بتحريمه، وقال تعالى:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾[2]، ولا تتوقف صحة الشَّهادة على أنه يقول سبحانه " أشهد بكذا "، وقال تعالى:﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾[3] أي: أخبر به، وتكلم به عن علم، والمراد به التوحيد))[4].

وقال – أيضاً –:((قال تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾[5] ؛ فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشَّهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم،...والعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة لم يتلفظ في شهادته لهم بلفظ الشهادة بل قال:((أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة))[6]))[7].

ومما ورد عن الإمام أحمد ما ذكره الإمام ابن القيم بقوله:((وقد تناظر الإمام أحمد وعلي بن المديني في العشرة رضي الله عنهم فقال علي: أقول:(هم في الجنة، ولا أشهد بذلك) بناءً على أن الخبر في ذلك خبر آحاد، فلا يفيد العلم، والشَّهادة إنما تكون على العلم، فقال له الإمام أحمد:

---

(١) سورة الأنعام، الآية:١٥٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٤) مدارج السالكين (٤٤٥/٣)، والطرق الحكمية ص(١٥٧).

(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٦) أخرجه الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (٦٤٧/٥)، برقم (٣٧٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (٣٣١/٧) برقم (٨١٤٧)، وابن ماجة في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضائل العشرة رضي الله عنهم، (٤٨/١) برقم (١٣٣).

وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع (٧١/١)، برقم (٥٠)، وتخريجه على مشكاة المصابيح (١٧٢٦/٣) برقم (٦١١٨)، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٧) مدارج السالكين (٤٤٥/٣-٤٤٦).

(متى قلت: هم في الجنة، فقد شهدت)؛ فكل من أخبر بشيء فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بلفظ"أشهد"))[(١)].

المسألة الثانية:"اشتراط شهادة المرءعلى نفسه بلفظ الشَّهادة"، وهي ضمن المسألة السابقة.

نقل ابن تيمية رحمه الله من اتفاق السَّلف على عدم اشتراط شهادة المرء على نفسه بلفظ الشَّهادة، ووافقه ابن القيم رحمه الله على ذلك:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((شهادةُ المرء على نفسه هي إقراره، وهذا لا يشترط فيه لفظ الشَّهادة باتفاق العلماء))[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وسمى الله تعالى إقرارُ العبد على نفسه شهادة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾[(٣)]؛ فشهادة المرء على نفسه هي إقراره على نفسه، وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز الأسلمي (....فلما شهد على نفسه أربع..))[(٤)] مرات رجمه رسول الله ﷺ، وقال تعالى:﴿ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾[(٥)]، وهذا، وأضعافه يدل على أن الشَّاهد عند الحاكم، وغيره لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشَّهادة كما هو مذهب مالك، وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد، ولا يعرف عن أحد من الصحابة، والتابعين اشتراط ذلك، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: ((شهد عندي رجال مرضيون، وأرضاهم

---

(١) الطرق الحكمية ص(١٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري، ومسلم بهذا اللفظ، فأخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة، (٨/١٦٥)، برقم (٦٨١٥)، ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (٣/١٣١٨)، برقم (١٦٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد وردت كلمة "مرات" في إحدى روايات الحديث إلا أنها لم ترد بلفظ : "مرات رجمه رسول الله ﷺ"، ولعل الإمام ابن القيم رحمه الله أورد الحديث بالمعنى، والله تعالى أعلم.

(٥) سورة الأنعام، الآية:١٣٠.

عندي عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب))[١]، ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظ الشهادة))[٢]، وقد اطلاق ابن عباس رضي الله عنه لفظ الشَّهادة هنا على مجرد الإخبار كما هو ظاهر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((وهؤلاء حدثوه أنه نهى عن ذلك؛ ولم يقولوا: نشهد عندك؛ فإن الصحابة لم يكونوا يلتزمون هذا اللفظ في التحديث، وإن كان أحدهم قد ينطق به، ومنه قولهم في ماعز))[٣]، وقد تقدم.

المسألة الثالثة:(صحة إسلام الكافر، ولو لم ينطق بلفظ "أشهد").

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((ولا تفتقر صحة الإسلام إلى أن يقول الداخل فيه (أشهد أن لا إله إلا الله) بل لو قال: (لا إله إلا الله محمداً رسول الله)كان مسلماً بالاتفاق، وقد قال ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))[٤]؛ فإذا تكلموا بقول: (لا إله إلا الله) حصلت لهم العصمة، وإن لم يأتوا بلفظ أشهد))[٥].

كما نقل إجماع أهل العلم على عدم اشتراط ذلك فقال:((أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشَّهادة، وأنه قد دخل في قوله: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))[٦]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس (١/١٢٠)، برقم (٥٨١).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٤٥-٤٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٠).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٥]، (١/١٤)، برقم (٢٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (١/٥٢)، برقم (٢٢/٣٦)، من حديث عبد الله بن عمر عنهما، وروي بلفظ آخر في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

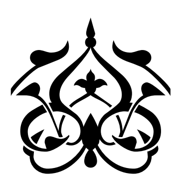
(٥) الطرق الحكمية ص(١٥٧).

(٦) تقدم تخريجه في المصادر السَّابقة.

لفظ آخر ((حتى يقولوا لا إله إلا الله))[١] فدل على أن مجرد قولهم: لا إله إلا الله شهادة منهم، وهذا أكثر من أنتذكر شواهده من الكتاب، والسُّنة فليس مع من اشترط لفظ الشَّهادة دليل يعتمد عليه، والله أعلم))[٢].

وقال في موضع آخر:((قال شيخنا (ابن تيمية) فاشتراط لفظ "الشَّهادة" لا أصل له في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا قول أحد من الصحابة، ولا يتوقف إطلاق لفظ"الشَّهادة" لغة على ذلك، وبالله التوفيق))[٣].

ومما تقدم تبين أن العبرة بالحقائق، والنتائج، وهذه المسائل الثلاث توفر فيها المعنى اللغوي، والشرعي للشَّهادة، والذي ليس من شروطه أن تكون بلفظ الشَّهادة "كأشهد" أو"شهد"، ونحوها بل بما يدل عليها من معنى أو لفظ، والله تعالى أعلم.



---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، (٨٧/١)، برقم (٣٩٢)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وكتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (١٠٥/٢)، برقم (١٣٩٩)، وكتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، والنبوة، (٤٨/٤)، برقم (٢٩٤٦)، وكتاب استتابة المرتدين، والمعاندين، وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، (١٥/٩)، برقم (٦٩٢٤)، وكتاب الاعتصام بالكتاب، والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (٩٣/٩)، برقم (٧٢٨٤)، وباب قوله تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾، [سورة الشورى، الآية: ٣٨]، (١١٢/٩)، برقم (٧٣٦٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٥٢/١)، برقم (٢٠)، و(٢١)، من حديث أبي هريرة، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) مدارج السالكين (٤٤٦/٣-٤٤٧).

(٣) الطرق الحكمية ص (١٥٨).

المطلب الثالث

مرتبة الإعلام، والإخبار

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإعلام القولي، والأدلة عليه.

الفرع الثاني: الإعلام الفعلي، والأدلة عليه.

المطلب الثالث: مرتبة الإعلام، والإخبار

قال الكفوي رحمه الله:((**الإعلام**: مصدر (أعلم)، وهو عبارة عن تحصيل العلم، وإحداثه عند المخاطب جاهلاً بالعلم به ليتحقق إحداث العلم عنده، وتحصيله لديه، واختص الإعلام بما إذا كان بإخبار سريع، والتعليم بما يكون بتكرير، وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم))[١].

وقال:((**الإخبار**: هو تكلم بكلام يُسمى خبراً، والخبر: اسم لكلام دال على أمر كائن أو سيكون، والإخبار كما يتحقق باللسان يتحقق بالكتابة، والرسالة؛ لأن الكتاب من الغائب كالخطاب، ولسان الرسول كلسان المرسل، وصح أن يقال: (أخبر الله بكذا)، وإن كان ذلك بالكتاب))[٢].

وعلى ذلك فبين الإعلام، والإخبار توافق من جهة، إعلام المخاطب، وإخباره بكلام يحصل به العلم، وتحققه باللسان، وبالكتابة، والرسالة.

وهذه المرتبة هي إعلام الغير، وإخباره، والله ﷻ شهد لنفسه بالإلهية، ومن آثار هذه الشَّهادة، وتمامها أن أعلم غيره بأنه لا إله إلا هو، ولا يكون ذلك إلا بطريق القول أو الفعل.

قال ابن تيمية رحمه الله:((وشهادة الرب، وبيانه، وإعلامه يكون بقوله تارة، وبفعله تارة))[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وأما مرتبة الإعلام، والإخبار، فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله كذلك شهادة الرب – جلّ جلاله –، وبيانه، وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله تارة أخرى))[٤]، وفيما يلي بيانٌ لهذين النوعين من الإعلام.

الفرع الأول: الإعلام القولي:

وإعلام الله ﷻ لخلقه بالقول: هو ما تضمنه كلامه الذي أوحاه إلى رسله عليهم الصلاة

---

(١) انظر: الكليات، ص(١٤٨)، فصل الألف والعين، كلمة "الإعلام"، [باختصار].

(٢) المصدر نفسه ص (٦٤)، فصل الألف والخاء، كلمة" الإخبار".

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٣/١٤).

(٤) مدارج السالكين (٤٤٧/٣).

والسلام، فإنه أرسل الرسل، وأوحى إلى كُلٍ منهم بهذا التوحيد، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1]؛ فهذا إعلام بالقول حيث أعلم كل نبي بواسطة الملائكة بهذا النوع الذي هو توحيد العبادة، وكذلك أنزل إلى كل نبي كتاباً أو صحفاً، وضمن تلك الكتب كلامه الذي يتضمن توحيده، وشرعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((**فالقول** هو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، وأوحاه إلى عباده كما قال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات، وقد علم بالتواتر، والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد، ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله، وكلامه؛ وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي ﴾[3]))[4].

وشابهه الإمام ابن القيم رحمه الله في تقرير ذلك بقوله: ((**فالقول**: هو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ومما قد علم بالاضطرار: أن جميع الرسل أخبروا عن الله: أنه شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وأخبر بذلك، وأمر عباده أن يشهدوا به، وشهادته سبحانه أن لا إله إلا هو معلومة من جهة كل من بلغ عنه كلامه))[5].

الفرع الثاني: الإعلام الفعلي:

أما إعلامه عز وجل بالفعل: فهو ما نصبه من الآيات، والدلالات التي من تأملها عرف حقيقة التوحيد، وعرف الدين الحق، وعرف أن الله هو الواحد الأحد، فإنه سبحانه نصب الآيات، ولفت إليها الأنظار، فلأجل هذا يذكر عباده بالمخلوقات التي خلقها، فيخبرهم بخلقهم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٣-١٧٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/٤٤٧).

أنفسهم، وبخلق ما على الأرض من الدواب، ويخبرهم بخلق الأرض، واختلاف ما فيها من جبال، ومن مهاد، ومن بحار، ومن أنهار، ومن أشجار، ومن ثمار، وما أشبه ذلك، وهكذا يلفت أنظارهم إلى ما فوقهم من الرياح، ومن السحب، ومن الأفلاك، وما فيها من النجوم السيارة، والثابتة، وما أشبهها، كل ذلك من الآيات التي نصبها لعباده يعلمهم بها التوحيد، كأنه يقول: تعلموا من هذه الآيات دلالتها على أن الخالق لها هو الواحد الأحد، وهو المستحق بأن يعبد، ويفرد؛ فشهد بالقول بقوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾، وشهد بالفعل، بأن أعلم عباده بالفعل؛ فنصب الآيات، والدلالات حتى يعلموا منها قدرته تعالى على كل شيءٍ، واستحقاقه؛ لأن يؤله وحده، وأن لا يؤله معه غيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((وأما **شهادته بفعله** فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل، وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة، والدلالة، والإرشاد؛ فإن الدليل يبين المدلول عليه، ويظهره؛ فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به كما قيل: سل الأرض من فجر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأحيا نباتها، وأغطش ليلها، وأوضح نهارها؛ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتباراً، وهو سبحانه شهد بما جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه لها؛ فإذا كانت المخلوقات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو سبحانه الذي جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه، وبين ذلك؛ فهو الشاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو، وهذه الشهادة الفعلية ذكرها طائفة، قال ابن كيسان:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه أنه لا إله إلا هو))[1].

كما وافقه الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله:((وأما **بيانه، وإعلامه بفعله:** فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تُعلم دلالتها بالعقل، والفطرة، وهذا أيضاً يُستعمل فيه لفظ الشهادة كما يستعمل فيه لفظ الدلالة والإرشاد، والبيان فإن الدليل يبين المدلول عليه، ويظهره كما يبينه الشَّاهد، والمخبر بل قد يكون البيان بالفعل أظهر، وأبلغ، وقد يُسمى

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٣-١٧٤).

شاهد الحال نُطقاً، وقولاً، وكلاماً لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه))[(١)].

والأمثلة على شهادة الله – ﷻ – الفعلية بآياته المخلوقة، وتدبيره العجيب، وأموره المحكمة كثيرة في الكتاب العزيز منها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)].

ومن الشواهد أيضاً قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٧).

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٠– ١٨.

أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١].

وقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[٣].

وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[٤].

فهذه شهادة منه سبحانه على تفرده بخلقها، وإبداعها، وتدبيرها، وإنعامه، وإفضاله، وإحسانه بها على عباده، وعلى ذلك فمن أقر بربوبيته سبحانه، مما تقدم في الآيات من الخلق،

---

(١) سورة الرعد، الآيات: ٢- ٤.

(٢) سورة يس، الآيات: ٣٣- ٤٠.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ٢٧- ٣٣.

(٤) سورة عبس، الآيات: ٢٤- ٣٢.

والتدبير، والإحياء، والتسخير، والإنزال، وغيرها لزمه الإقرار بألوهيته- ﷻ -، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومن أمثلة هذه الشَّهادة أيضاً من جعل داره مسجداً، وفتح بابها لكل من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها: كان معلماً أنها وقفٌ، وإن لم يتلفظ به، وكذلك من وجد مُتقرِّباً إلى غيره بأنواع المسارِّ: مُعلماً له، ولغيره أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس(١).

ومما يدل على أن الشَّهادة تكون بالفعل قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾(٢)؛ فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه من أعمال الكفر، وأقواله، فهي شهادة بكفرهم، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به، **والمقصود:** أن الله – سبحانه – يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه، وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية فتتطابق شهادة القول، وشهادة الفعل كما قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٣) أي: أن القرآن حقٌ فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية، والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية، وهذه الشَّهادة الفعلية قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية، والتفسير(٤).

وهذه الآيات، والتدابير تقتضي الشَّهادة لله – ﷻ – بالتفرد بالخلق، والحكمة البالغة من خلقه فيعلمون ذلك، ويتكلمون به، وينشرونه، ويذكرونه، وكل هذا من معاني، ومقتضياتها الشَّهادة في اللغة، والشَّرع.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٧)، [بتصرف يسير].

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٤٨)، [بتصرف].

المطلب الرابع: مرتبة الأمر، والإلزام

قال الكفوي رحمه الله:((الأمر: هو في اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء، والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقول (افعل)، و(ليفعل)، أو بلفظ خبر نحو:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾[١]، أو بإشارة، أو غير ذلك، ألا ترى أنه قد سمى ما رأى في المنام إبراهيم – عليه السلام – من ذبح ابنه أمراً حيث قال:﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[٢]، والأمر في الحكم، والقضاء نحو: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٣]))[٤].

والأمثلة على الأمر، والإلزام كثيرةٌ، ومتنوعة من ذلك قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥]؛ فهو بلفظ الخبر ومتضمنٌ للأمر، والإلزام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله – بعد بيانه لمراتب الشهادة في هذه الآية–:((فمن قال:حكم، وقضى؛ فهذا من باب اللازم؛ فإن الحكم، والقضاء هو إلزام، وأمر؛ ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد، وأمرهم به، وقضى به، وحكم، فقال:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٦]، وقال:﴿ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[٧]، وقال:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٨]، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٢) سورة الصافات، الاية: ١٠٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) انظر: الكليات، ص(١٧٦–١٧٧)، فصل الألف والميم، كلمة "الأمر"، [باختصار].

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٧) سورة النحل، الآية: ٢.

(٨) السورة نفسها، الآية:٣٦.

إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[١]، وقال:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَـٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[٢]،﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٣]، وهذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته، وتوحيده، ويحرم عليهم عبادة ما سواه فقد حكم وقضى: أنه لا إله إلا هو))[٤].

وقد قرر الإمام ابن القيم هذا المعنى بقوله:((وأما المرتبة الرابعة، وهي الأمر بذلك، والإلزام به، وإن كان مجرد الشَّهادة لا يستلزمه لكن الشَّهادة في هذا الموضع تدل عليه، وتتضمنه؛ فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى، وأمر، وألزم عباده به كما قال تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾[٨]، وقال الله سبحانه، وتعالى :﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾[٩]، والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو؛ فقد أخبر، وبين، وأعلم، وحكم، وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم؛ فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره، **وذلك يستلزم الأمر** باتخاذه

(١) السورة االسابقة، الآية:٥١.

(٢) سورة التوبة، الآية:٣١.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧١/١٤).

(٥) سورة الإسراء، الآية:٢٣ .

(٦) سورة النحل، الآية:٥١.

(٧) سورة البينة، الآية: ٥.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٢٢.

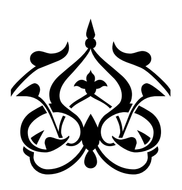
(٩) سورة القصص الآية: ٨٨.

وحده إلهاً، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي، والإثبات.

كما إذا رأيت رجلاً يستفتي، أو يستشهد، أو يستطب من ليس أهلاً لذلك ويدع من هو أهل له فتقول هذا ليس بمفتٍ، ولا شاهدٍ، ولا طبيب المفتي فلان، والشَّاهد فلان، والطبيب فلان؛ فإن هذا أمر منك، ونهي، وأيضاً؛ فإن **الآية دلت** على أنه سبحانه، وحده المستحق للعبادة؛ **فإذا أخبر** أنه هو وحده المستحق للعبادة **تضمن هذا الإخبار** أمر العباد، وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم؛ **فإذا شهد** سبحانه أنه لا إله إلا هو **تضمنت شهادته** الأمر، والإلزام بتوحيده، وأيضاً فلفظ الحكم، والقضاء يُستعمل في الجمل الخبرية؛ فيقال للجملة الخبرية قضية، وحكم، وقد حكم فيها بكيت، وكيت.

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(١)؛ فجعل هذا الإخبار المجرد منهم حكماً.

وقال في موضع آخر: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٢) لكن هذا حكم لا إلزام معه، والحكم، والقضاء بأنه لا إله إلا هو متضمن للإلزام، والله سبحانه أعلم))(٣).



(١) سورة الصافات، الآيات: ١٥١- ١٥٤.

(٢) سورة القلم، الآيتان: ٣٥- ٣٦.

(٣) مدارج السالكين (٣/٤٤٨-٤٥٠).

المبحث الثالث

منزلة شهادة الله ﷻ، وأهميتها في العقيدة

إن من نعمة الله ﷻ، ورحمته بعباده أهل السُّنة، والجماعة أن ميَّزَ عقيدتهم، وشرفهم بها، فكانت بحقٍ عقيدةً صافيةً من شوائب الشرك، والبدع، والخرافات متوقفةً في الأخذ على الكتاب العزيز، والسُّنة المطهرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وفي مقدمتها ركن الإسلام الأول، وأصله الأصيل، وما يَدخل به العبد في رحاب هذا الدين العظيم، والذي لا يقبل الله ﷻ ديناً سواه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(١)]، فأهل السَّنة، والجماعة بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله معتقدون متفقون، وعلى ذلك يوالون، ويعادون، وفي سبيلها يرخصون أرواحهم حتى يستشهدون.

والأصل في شهادة التوحيد ما شهد الله ﷻ به لنفسه في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(٢)].

ومما يبين أهمية، ومنزلة، وشرف هذه الشَّهادة، تشريف الله تعالى لها، وذلك بأن أستشهد بها، ونسبها إلى نفسه، وهو أجل شاهد، ثم شرف بها خيار خلقه، وهم الملائكة الكرام، والعلماء من عباده، واستشهد بهم على أجل مشهود، وأعظمه، وأكبره- شهادة أنْ لا إله إلا هو- وكفى بذلك فضلاً، وشرفاً[(٣)].

وقد تضمنت هذه الآية إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية؛ فتضمنت أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) السورة نفسها، الآية: ١٨.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١/١٧٤) [بتصرف].

مشهود به[(١)]، والشهادة هي كلمة التوحيد، والعروة الوثقى التي قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة، والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين، والكفار، والأبرار، والفجار، فهي منشأ الخلق، والأمر، والثواب، والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها، وعن حقوقها السؤال، والحساب، وعليها يقع الثواب، والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السَّلام، وعنها يُسأل الأولون، والآخرون[(٢)].

كما أن شهادة التوحيد لله ﷻ هي أول دعوة الرُّسل، وأول منازل الطريق، وأول مقامٍ يقوم فيه السَّالك إلى الله – تعالى– قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(٣)].

وقال هود لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[(٤)].

وقال صالح لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(٥)].

وقال شعيب لقومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٧)(٨)]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٤).
(٢) انظر: زاد المعاد (١/٣٦) [بتصرف يسير].
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.
(٤) السورة نفسها، الآية: ٦٥.
(٥) السورة نفسها، الآية: ٧٣.
(٦) السورة نفسها، الآية: ٨٥.
(٧) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٨) انظر مدارج السالكين (٣/٤٣٦) [بتصرف يسير].

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[١].

وهي مفتاح دعوتهم- عليهم الصلاة، والسلام- وكذا الدعاة إلى الله- ﷻ - قال تعالى:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٢].

ومن السُّنة ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه اليمن، **فقال**:((**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم**))[٣].

ومنه – أيضاً – حديث وفد عبد القيس، وبعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن فعن أبي جمرة، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ ، فقالوا: يا رسول الله، إنا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا، وبينك كفار مضر، فلسنا نخلص إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأشياء نأخذ بها، وندعو إليها من وراءنا، **قال**:((**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله،– وعقد واحدة – وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدُّبَّاءِ**[٤]**، وَالنَّقِيرِ**[٥]**، وَالحَنْتَمِ**[٦]**، وَالمُزَفَّتِ**

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، واللفظ له، (١٠٤/٢)، برقم (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، وشرائع الإسلام، وزاد فيها:((فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))، (٥٠/١)، برقم (١٩/٢٩).

(٤) الدُّبَّاءُ: القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب، وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في صدر الإسلام ثم نسخ، وهو المذهب، وذهب مالك وأحمد إلى بقاء التحريم، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٩٦/٢)، كتاب حرف الدال، باب الدال مع الباء، مادة"دبب".

(٥) النَّقِيرُ: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا. والنهي واقع على ما يعمل فيه، لا على اتخاذ النقير، فيكون على حذف المضاف، تقديره: عن نبيذ النقير، وهو فعيل بمعنى مفعول، انظر: المصدر السابق (١٠٤/٥)، كتاب حرف النون، باب النون مع القاف، مادة"نقر".

(٦) الحَنْتَمُ: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم، واحدتها حنتمة. وإنما نهي عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها، وقيل لأنها كانت تعمل من طين يعجن بالدم =

))[١][٢].

فالشَّهادة ركن الإسلام الأول -كما تقدم -، وعليها مدار جميع العمل فعن ابن قال: قال رسول الله ﷺ :((**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**))[٣].

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**))[٤].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم؛ فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ:((**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**))[٥]؛ فهو أول واجب، وآخر واجب؛ فالتوحيد أول الأمر، وآخره))[٦].

وهذا ما يميز عقيدة أهل السنة، والجماعة عن غيرها، ويبين لنا بجلاءٍ مدى منزلتها، وأهميتها في الإسلام.

=

والشعر فنهي عنها ليمتنع من عملها، والأول الوجه، انظر: المصدر السابق (١/٤٤٨)، كتاب حرف الحاء، باب الحاء مع النون، مادة"حنتم".

(١) المزَفَّتِ: هو الإناء الذي طلى بالزفت، وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه، انظر: المصدر السابق (٢/٣٠٤)، كتاب حرف الزاي، باب الزاي مع الفاء مادة"زفت".

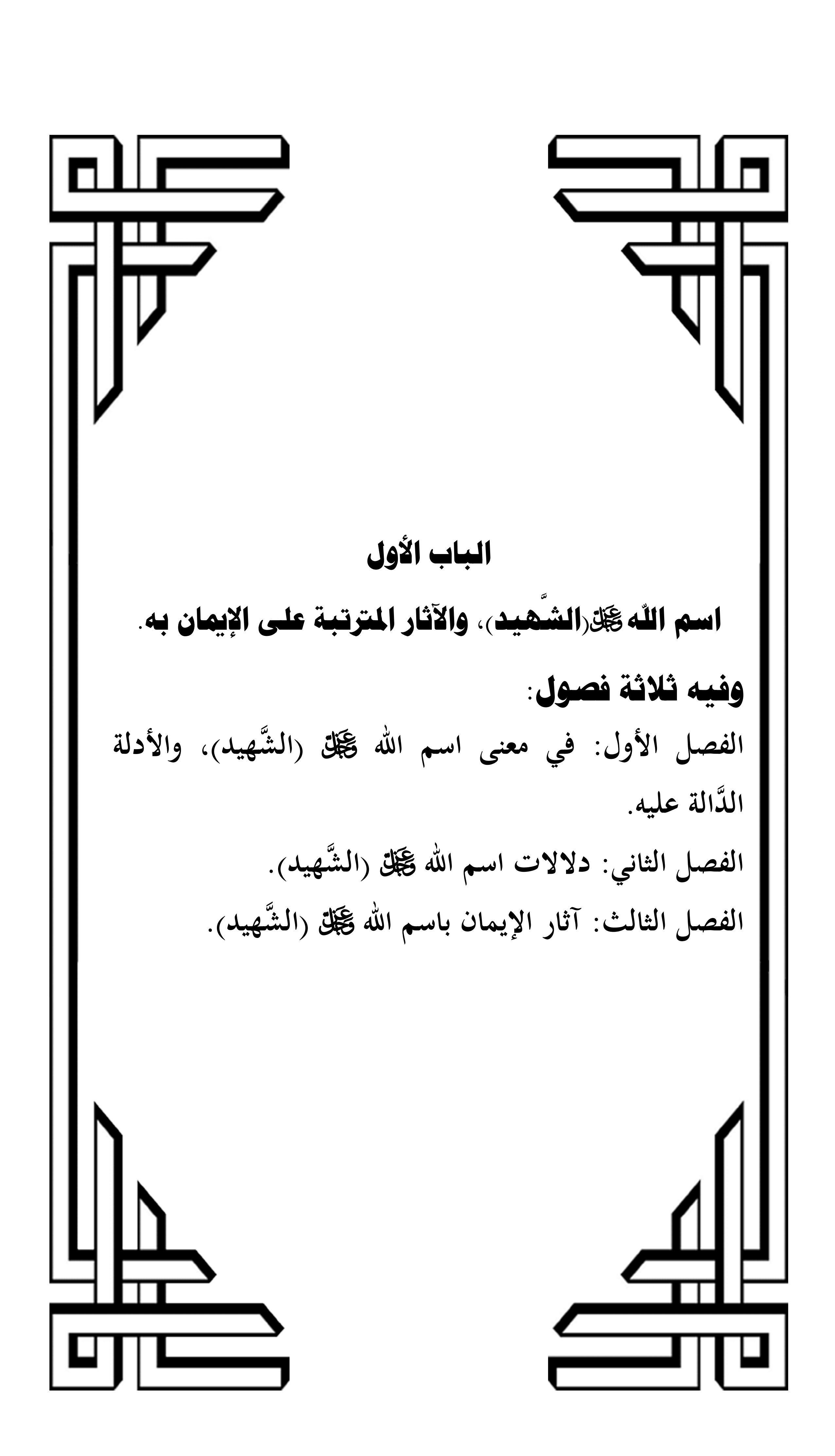
(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، واللفظ له (٥/١٦٩)،برقم (٤٣٦٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين والدعاء إليه، (١/٤٦)، برقم (١٧/٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (١/١١)، برقم (٨)، ومسلم (١/٤٥)، برقم (١٦/٢٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ، بني الإسلام على خمس.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين، (٣/١٩٠)،برقم(٣١١٦)، والحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز (١/٥٠٣)، برقم (٥٠٣)، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وصححه الإمام الألباني في تخريجه على مشكاة المصابيح (١/٥٠٩)، برقم(١٦٢١)، وقال - في أحكام الجنائز ص(٣٤)، -: ((أخرجه الحاكم، وغيره بسند حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه)) ، والله أعلم.

(٦) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٧).



الباب الأول

اسم الله ﷻ (الشَّهيد)، والآثار المترتبة على الإيمان به.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في معنى اسم الله ﷻ (الشَّهيد)، والأدلة الدَّالة عليه.

الفصل الثاني: دلالات اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

الفصل الثالث: آثار الإيمان باسم الله ﷻ (الشَّهيد).



الفصل الأول

في معنى اسم اللّه ﷻ (الشّهيد)، والأدلّة الدالّة عليه.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي لاسم الشَّهيد.

المبحث الثاني: أقوال السَّلف في بيان معنى اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

المبحث الثالث: الأدلة من الكتاب، والسُّنة على اسم الله ﷻ (الشَّهيد).

المبحث الرابع: حُكم تسمية المخلوق باسم (الشَّهيد).

المبحث الأول
المعنى اللغوي لاسم الشَّهيد

ورد معنى اسم الله ﷻ الشَّهيد في مقالات أهل العلم، بعبارات مختلفة، وكنتُ قد بينت في مستهل هذه الرِّسالة ما اشتمل عليه لفظ الشَّهادة من المعاني، والتي تُعدُّ هنا أصولاً في بيان معنى اسم الله الشَّهيد، وفيما يلي ذكرٌ لجملةٍ مما ورد في ذلك من مقالات أهل اللغة.

قال الجوهري رحمه الله:((..الشَّهِيدُ: الشَّاهد، والجَمْع الشُّهَداءُ..))(١).

وقال ابن منظور(٢) رحمه الله:((شَهِدَ: من أسماء الله ﷻ الشَّهِيد..))(٣).

وقال الزَّجَّاج رحمه الله:((الشَّهيدُ الحاضرُ يقال شَهِدتُ الشَّيءَ، وشَهِدتُ بِه، وأصلُ قولهم شَهِدتُ بِه من الشهادة التي هي الحضور، واليوم المشهود يوم القيامة؛ لأنه معلوم كونه لا محالة؛ فكان معنى الشهيد العالم))(٤).

وقال الزُجَاجِي(٥) رحمه الله:

((الشَّهيد في اللُّغة بمعنى الشَّاهد، كما أن العليم بمعنى العالم، والرَّحيم بمعنى الراحم، والشَّاهد خلاف الغائب كقول العرب: فلان كان شاهداً لهذا الأمر، أي: لم يَغب عنه،...والشَّهيد أيضاً في اللغة: الشَّاهد الذي يشهد بما عاين، وحضر كما يقال: ((فلانٌ شاهد فلانٍ، وشهيده))،

---

(١) الصحاح (٤٩٤/٢)، باب الدال، فصل الشين، مادة "شهد".

(٢) محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المعروف بابن منظور، العلاَّمة اللغوي، كان فاضلاً في الأدب، مليح الإنشاء كما كان مغرى باختصار كتب الأدب المطوّلة اختصر الأغاني، والعقد، والذخيرة، وغيرها، وكتابة الشهير بـ(لسان العرب) جمع فيه بين التهذيب، والمحكم، والصحاح وحواشيه، والجمهرة، والنهاية ،توفي سنة٧١١هـ، وانظر ترجمته في: الدرر الكامنة لابن حجر (١٥/٦)، وبغية الوعاة (٢٤٨/١).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (٢٣٨/٣)، باب الدال المهملة ، فصل الشين المعجمة، مادة "شهد".

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، للزَّجاج ص (٥٣).

(٥) يوسف بن عبد الله الزُّجَاجِي الجُرجَاني المعروف بالزُّجَاجِي – بضم الزاي مع التشديد، وتخفيف الجيم -: أديب لغوي، ومحدث، و نسبته إلى عمل الزُّجاج، وبيعه سكن أستراباد، وجرجان، وأصله من بني همدان، وتوفي بأستراباد، ومن مؤلفاته: (عمدة الكتاب)، و(عدة ذوي الألباب)، و(اشتقاق الأسماء)، وانظر ترجمته في: بغية الوعاه (٣٥٧/٢).

قال ﷻ:﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[(١)] أي: شاهداً))[(٢)].

ونقل ابن منظور عن أبي إسحاق[(٣)] قوله:((الشَّهِيدُ من أسماء الله الأمين في شَهَادَتِهِ، وقيل: الشَّهِيدُ الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشَّهِيدُ: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل فإذا اعتبر العلم مطلقاً، فهو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة، فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرةٍ، فهو الشَّهِيدُ، وقد يعتبر مع هذا أن يَشْهَدَ على الخلق يوم القيامة))[(٤)].

وقال ابن فارس رحمه الله:((الشَّهِيدُ: الْقَتِيلُ في سبيل الله، قال قوم: سمي بذلك؛ لأن ملائكة الرحمة تَشْهَدُهُ، أي تحضره، وقال آخرون: سمي بذلك لسقوطه بالأرض، والأرض تُسمَّى الشَّاهِدَةَ))[(٥)]، ونقل ابن منظور عن ابن الأنباري رحمه الله قوله:((سُمي الشَّهِيدُ شهيداً؛ لأن الله وملائكته شُهودٌ له بالجنة؛ وقيل: سُمُّوا شُهَدَاءَ؛ لأنهم ممن يُسْتَشْهَدُ يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية، قال الله ﷻ: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[(٦)]))[(٧)].

وقال ابن سيده رحمه الله:((الشَّهِيدُ: المقتول في سبيل الله، والجمع شُهَداء...والاسم الشَّهادَة، واسْتُشْهِدَ: قُتِل شَهيداً، وتَشَهَّدَ: طلب الشَّهادةَ))[(٨)].

وعلى هذا فإن من أسماء الله ﷻ الشَّهيد، وهو متصف بصفة الشَّهادة على ما يليق بجلاله، وعظمته، ويُسمى القتيل في سبيل الله ﷻ باسم الشَّهيد كما هو ثابت بالنصوص الشَّرعية من الكتاب، والسُّنة، وإجماع سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزَّجَاجِي ص(١٣٢).

(٣) لم أقف على ترجمة له بَيِّنة، وذلك لكثرة من كُني بأبي إسحاق من أهل اللغة.

(٤) لسان العرب (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، باب الدال المهملة ، فصل الشين المعجمة، مادة "شهد".

(٥) مقاييس اللغة (٢٢٢/٣) كتاب الشين، باب الشين والهاء، وما يثلثهما، مادة "شهد".

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٧) لسان العرب (٢٤٢/٣)، باب الدال المهملة ، فصل الشين المعجمة، مادة "شهد".

(٨) المحكم والمحيط (١٨٢/٤)، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة "شهد".

المبحث الثاني

أقوال السَّلف في بيان معنى اسم الله ﷻ (الشَّهيد)

ثبت اسم الله ﷻ الشَّهيد لدى جمعٍ من السلف رحمهم الله، وذلك بناءً على ثبوته بالكتاب، والسنة، وهذا يدل دلالة واضحة على صفاء منهجهم، وقوته حجتهم بالدليل فهم لا يصدرون في اعتقاداتهم إلا عن طريقهما، فعقيدتهم متوقفة في الأخذ على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ، وقد تنوعت عباراتهم في بيان معنى اسم الله ﷻ الشهيد، وفيما يلي ذكرٌ لجُملة من أقوالهم:

قال الإمام الخطابي رحمه الله:((الشَّهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء. يُقال: شاهد، وشهيد كعالم، وعليم. أي:كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء، وقد قال سبحانه:﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[1] أي: من حضر منكم في الشهر فليصمه، ويكون الشهيد، بمعنى: العليم، كقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] قيل: معناه: علم الله، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى معناه: بين الله أنه لا إله إلا هو، وهو أيضا الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له، ولا ناصر على الظالم المتعدي الذي لا مانع له في الدنيا؛ لينتصف له منه))[3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:((الشهيد: الذي لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء بل هو المطلع على كل شيءٍ مشاهد له عليم بتفاصيله))[4].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[5] -: ((شَهيدٌ على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تُكن ضمائرهم))[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، ص(٧٥- ٧٦).

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٤٦٠).

(٥) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/٤٠٢).

وقال الإمام ابن الأثير رحمه الله:((الشَّهيد: هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهدٌ، وشهيد، كعالمٌ، وعليم، أي أنه حاضرٌ يُشاهد الأشياء، ويراها))[(١)].

وقال العلاَّمة القرطبي رحمه الله: ((الشَّهيد بمعنى العالم، أو هو من الشَّهادة التي هي الحضور))[(٢)].

وقال العلاَّمة البيهقي رحمه الله: ((الشَّهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء، وقيل هو العالم الرائي فيرجع معناه إلى صفة العلم، وصفة الرؤية الحق هو الموجود حقاً، وهذه صفة يستحقها بذاته))[(٣)].

ونقل رحمه الله عن أبي إسحاق الاسفراييني رحمه الله قوله:((..الشَّهيد، ويختص بأن يعلم الغائب، والحاضر، ومعناه أنه لا يغيب عنه شيء))[(٤)].

وقال قوام السُّنة أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله:((الشَّهيد: أي الشَّهيد على العباد بأعمالهم، وأحوالهم قال الله ﷻ:﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[(٥)]))[(٦)].

ومن الأئمة المعاصرين قول الإمام ابن سعدي رحمه الله:((الشَّهيد أي: المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها، وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها، وجليلها صغيرها، وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده بما عملوه))[(٧)].

ومما تقدم يكاد السلف – رحمهم الله تعالى – يجمعون في بيانهم لمعنى اسم الله ﷻ الشهيد على لفظ واحدٍ، متشابه، وهو أن الشَّهيد سبحانه، وتعالى هو:(الذي لا يغيب عنه شيء)، وهذا اللفظ على وجازته تضمن سعة علمه تبارك وتعالى، وإحاطته بجميع خلقه على ما يليق

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير (١٧٣/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٧٥/٣).

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي ص(٦١).

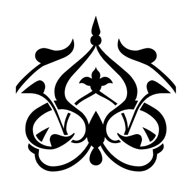
(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي (٢٩٣/١-٢٩٤).

(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٦) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم الأصبهاني (١٣٤/١).

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي ص(٢١١).

بجلاله، وعظمته؛ فالله ﷻ شَهيدٌ حاضرٌ مع كل مخلوق في كل زمان، ومكان، لا يغيب عنه شيء داخل ملكه، مطلع مشاهدٌ له، عالم بتفاصيله، بلغ الغاية في علمه بالأمور الظاهرة المشَاهدة، وهو سبحانه شَهيدٌ يَشْهد على الخلق يوم القيامة بما علم، وشاهد من أفعالهم[1] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2]، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للدكتور زين محمد شحاته ص(٥٠٧) [بتصرف].

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

المبحث الثالث

الأدلة من الكتاب، والسنّة على اسم الله ﷻ (الشَّهيد)

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب:

ثبت اسم الله ﷻ (الشَّهيد) في كتابه العزيز تسع عشرة مرة، وهذه الأدلة كما يلي:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

وقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[(٥)].

وقوله: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٩٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٥) السورة نفسها، الآية: ١٦٦.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

وقوله: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾(١)، وقوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾(٤)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٥)، وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٦)، وقوله: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾(٧)، وقوله: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٨)، وقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٩).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٩.

(٢) السورة نفسها، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٦.

(٥) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٥٢.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٥.

(٨) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٩) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١]، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٢]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٤].

ومن تدبر هذه الآيات الكريمات تبين له ما تدل عليه من تسمية الله – تبارك، وتعالى – نفسه باسم الشَّهيد، وأنه متصف بالشَّهادة الكاملة من كل وجه، والتي لا تماثل شهادة المخلوقين كبقية صفاته العُلا، وأسمائه الحسنى كما هو معتقد السَّلف الصالح رحمهم الله تعالى.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة:

أما من السُّنة فقد ثبت اسم (الشَّهيد) لله – تبارك، وتعالى – في الصحيحين، وفي بعض المسانيد، والسنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وبروايات متعددة، فأخرج البخاري في صحيحه عن عباس رضي الله عنهما، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:((يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلاً[٥]، ثم قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٤) سورة البروج، الآية: ٩.

(٥) غُرْلا: بضم الغين وسكون الراء جمع أغرل، وهو الأقلف، والغرلة القلفة التي تقطع من ذكر الصبي. قال النووي:((..معناه غير مختونين جمع أغرل، وهو الذى لم يختن، وبقيت معه غرلته، وهي قلفته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان))، قال ابن عبد البر:((يُحشر الآدمي عاريًا، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع له شيء يرد حتى الأقلف))، وقال أبو الوفاء بن عقيل:((حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فلما أزالوها في الدنيا أعادها الله في الآخرة ليذيقها من حلاوة فضله))، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص(٨٨٥)، والمنهاج شرح مسلم، للنووي (١٧/١٩٣)، وإرشاد السَّاري، للقَسْطِلاَّني (٧/١١٤).

﴿ فَٰعِلِينَ ﴾[(١)] إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أُصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(٢)]؛ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين[(٣)]على أعقابهم منذ فارقتهم))[(٤)].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ثبوت اسم الشهيد لله – تعالى–، في السُّنة المطهرة، كما يدل على شهادته – على خلقه، وعلمه بجميع أحوالهم، ومعاينته لأفعالهم فعلى العبد أن يتقي الله – ﷻ – فيما يأتي، ويذر، ويقول، ويفعل فإنَّ الله شهيدٌ عليه لا يخفى عليه من أمره شيئاً ألبته.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٣) قال الإمام الشَّاطبي رحمه الله:((ويحتمل هذا الحديث أن يراد به أهل البدع كحديث الموطأ، ويحتمل أن يراد به من ارتد بعد النبي ﷺ))، انظر: الاعتصام (١/١١٧)، ونص حديث الموطأ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، **فقال**:((**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**)) الحديث، إلى أن قال فيه: ((**فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، ألا هلم، ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك؛ فأقول: فسحقاً، فسحقاً، فسحقاً**))، انظر: مسند الموطأ للجوهري ص(٤٨٦-٤٨٧) برقم (٦١٨)، قال الشّاطبي:((حمله جماعة من العلماء على أنهم أهل البدع، وحمله آخرون على المرتدين عن الإسلام))، انظر: الاعتصام (١/١١٤)، والحديث (صحيح) فقد أخرجه مالك في الموطأ ،كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، (١/٢٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، والتحجيل في الوضوء، (٣/١٣٧-١٣٩)، وغيرهما، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهم: الذين ارتدوا على عهد أبي بكر رضي الله عنه فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى قتلوا، وماتوا على الكفر، كما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله ، انظر: الفتح (١١/٣٨٥-٣٨٦)، ومن العلماء من أدخل أهل الكبائر، وأهل البدع في المراد بالحديث كما ذكره الحافظ عن الداودي، وغيره، انظر: الموضع نفسه، والله تعالى أعلم.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾، (٦/٥٥)، برقم(٤٦٢٥)، واللفظ له، كما أخرجه مسلم،كتاب الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، (٨/١٥٧)، برقم(٧٣٨٠)، زاد:((وفي حديث وكيع، ومعاذ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)).

المبحث الرابع
حكم تسمية المخلوق باسم(الشَّهيد)

ورد في القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم ما يدل على جواز إطلاق اسم (الشَّهيد) على المخلوق، وهو عند الاستقراء، والتأمل منقسمٌ إلى عام، وخاص.

القسم الأول: الشَّهيد بالمعنى العام:

سمى الله ﷻ الإنسان عموماً بالشَّهيد، وهذا على قول من فسَّر (الشَّهيد) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾[1] بالإنسان؛ فيكون المعنى ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾أي: وإن الإنْسان لشاهدٌ على نفسه بما يصنع، وممن ذهب إلى ذلك محمد بن كعب القُرظي[2]، والحسن، وقتادة، وروي عن مجاهد أيضاً في أحد قوليه[3].

وتقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً[4] لشهيد، أي: بلسان حاله، أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله، وأفعاله، كما قال تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ

---

(١) سورة العاديات، الآيتان: ٦- ٧.

(٢) محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام، العلامة، الصادق، أبو حمزة – وقيل: أبو عبد الله – القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، وحدث عن جمع من الصحابة ﷺ منهم: أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، ومعاوية، وزيد بن أرقم، وابن عباس، وكان من أوعية العلم، وقال ابن سعد: كان ثقة، عالما، كثير الحديث، ورعاً، وقال ابن المديني، وأبو زرعة، والعجلي: ثقة، وزاد العجلي: مدني، تابعي، رجل صالح، عالم بالقرآن، وقال الذهبي:كان من أئمة التفسير. وقيل: إنه كان مجاب الدعوة، كبير القدر، واختلف في سنة وفاته أقربها ما ذهب إليه الواقدي أنه مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة ومائة وذلك عندما كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه، وعليهم فقتلهم رحمهم الله، انظر ترجمته في:سير أعلام النبلاء (٥/٦٥-٦٨)، وصفة الصفوة، لابن الجوزي (١/٣٧٤-٣٧٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/١٦٢)، [بتصرف]، قلت: وأكثر المفسرين على أن الشهيد في الآية: الله ﷻ.

(٤) الكَنُوْد: الكَفُوْر، يُقال: كَنَدَ يَكْنِدُ، وكَنَدَ فلانٌ النِّعْمَةَ:كَفَرهَا، والمعنى: أن الإنسان لنعم ربه لجحود كفور، انظر: مجمل اللغة (١/٧٧٢)، كتاب الكاف، باب الكاف والنون وما يثلثهما، وتفسير القرآن العظيم (٨/٤٦٧).

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾[1][2].

القسم الثاني: الشَّهيد بالمعنى الخاص:

جاء إطلاق اسم الشَّهيد للمخلوق بمعناه الخاص في كتاب الله – تعالى–، وسنة رسوله ﷺ على ثلاثة معاني، وهي:

المعنى الأول: النبي المبلغ لأمته :

أخبر الله – ﷻ– في كتابه العزيز، وأخبر رسوله ﷺ في سُنته المطهرة عن شهادة الأنبياء، والرُّسل– عليهم الصلاة، والسلام – يوم القيامة، وأنهم شهداءٌ على أممهم إذ أبلغوهم رسالة ربهم فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، فشهيد كل أمة نبيها، والأدلة على ذلك كثيرة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[3].

وقوله سبحانه:﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[4].

وقولــه ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[5].

ومن السُّنة:

مـا أخرجـه البخـاري في صـحيحه عـن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه، قـال: قـال رسـول الله ﷺ:((يُدعى نـوح يـوم القيامـة، فيقـول: لبيك وسعديك يـا رب، فيقـول: هـل بلغـت؟ فيقـول:

(١) سورة التوبة، الآية: ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٦٧) [بتصرف يسير].

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩.

نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾))[1]، والوسط: العدل.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال: قال رسول ﷺ:((يجيء النبي يوم القيامة، ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيدعى وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا: أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾قال: "يقول: عدلا"،﴿وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾))[2].

المعنى الثاني: أمة النبي ﷺ:

فهم يشهدون لأنبياء الله تعالى على أممهم بتبليغهم الرسالة، وأداء الأمانة، والأدلة على شهادتهم كما تقدم ذكرهم في النبي المبلغ لأمته.

قال العز بن عبد السَّلام رحمه الله:((نزَّل الله – تعالى– أمته منزل العدول من الحكام، فإن الله – تعالى– إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم بتبليغ الرِّسالة أحضر أمة محمد ﷺ، فيشهدون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩]، (٢١/٦)، برقم (٤٤٨٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١٢/١٨-١١٣)، برقم (١١٥٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٣٤/٢)، برقم (٨٠٣٣-٣١٢٥)، والصحيحة ٥٧٧/٥، برقم (٢٤٤٨)، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

على الناس بأن رسلهم أبلغتهم، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء)) [١].

المعنى الثالث: القتيل (الشَّهيد) في سبيل الله تعالى:

وهو الذي يُقْتَل في سبيل إعلاء كلمة الله ﷻ، وفي سبب تسميته بذلك عدة أقوال:

قيل: لأن ملائكة الرحمة تَشْهَدُهُ، أي تحضره.

وقيل: لسقوطه بالأرض، والأرض تُسمى الشَّاهِدَةَ.

وقيل: لأن الله، وملائكته شُهودٌ له بالجنة.

وقيل: سُمُّوا شُهَدَاءَ لأنهم ممن يُسْتَشْهَدُ يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية[٢].

والأدلة على تسمية القتيل في سبيل الله بالشَّهيد كثيرةٌ منها:

قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((وأما قوله: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾، فإنه يعني: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وليتخذ منكم شُهداء، أي: ليكرم منكم بالشَّهادة من أراد أن يكرمه بها))[٤].

ومن الأدلة أيضاً قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[٥].

وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ

---

(١) بداية السُّول ص(٦٩)، وانظر: خصائص أفضل المخلوقين ص(٤٠٣).

(٢) انظر: مقاييس (٣/٢٢٢) كتاب الشين، باب الشين والهاء، وما يثلثهما، مادة "شهد"، ولسان العرب (٣/٢٤٢)، باب الدال المهملة ، فصل الشين المعجمة، مادة "شهد"، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (٩/٣٧٤).

(٣) سورة آل عمرآن، الآية: ١٤٠.

(٤) جامع البيان (٧/٢٤٢-٢٤٣).

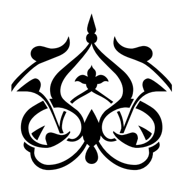
(٥) سورة النساء، الآية: ٦٩.

أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [1].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((والشُّهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة، ونورهم))[2].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:((أي: في جنات النعيم...لهم عند ربهم أجر جزيل، ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال))[3].

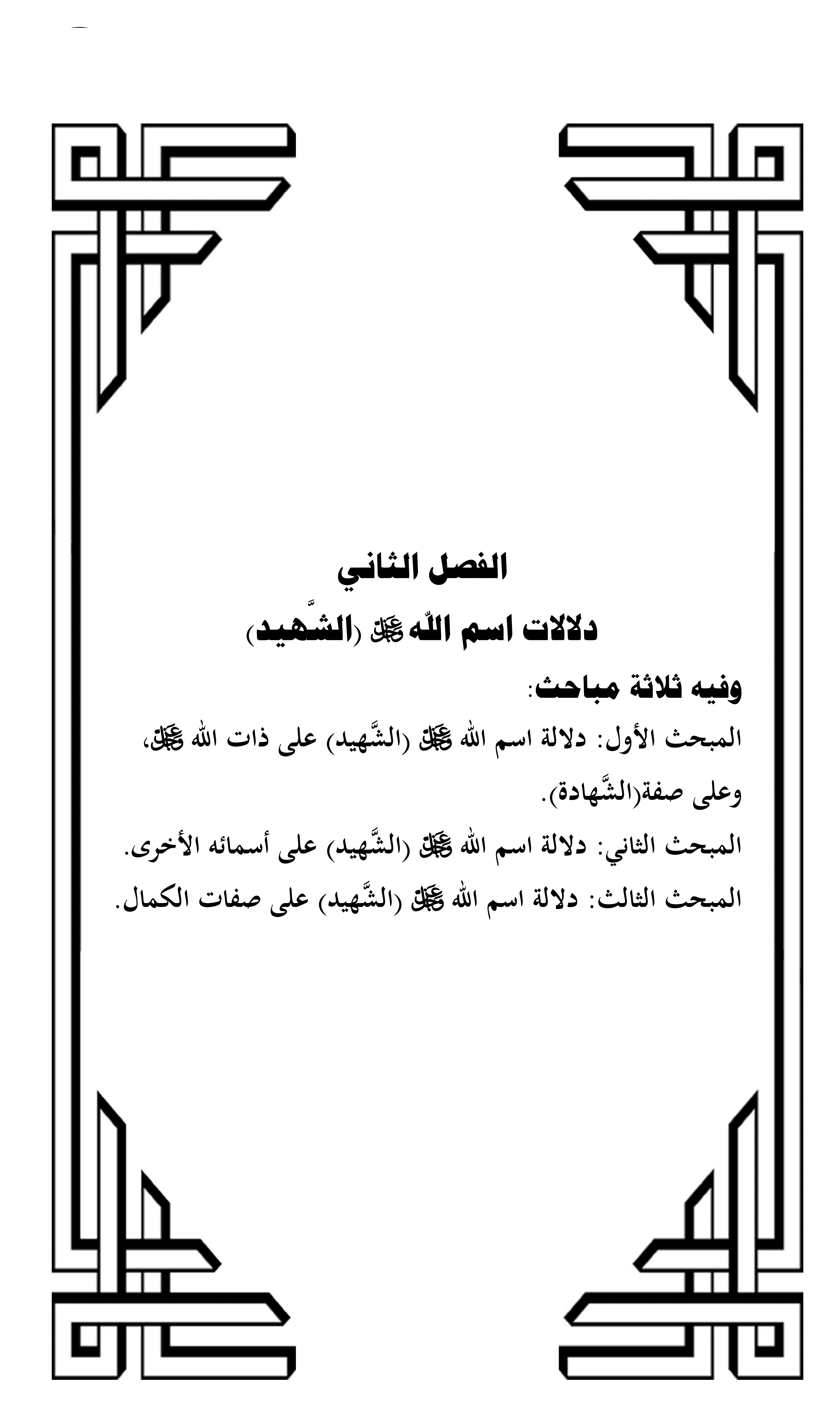
ومما تقدم تبين أن اسم الشَّهيد ورد في النُّصوص الشَّرعية، وأُريد به المخلوق، وهذا دليلٌ قاطعٌ على جواز إطلاقه عليه مع اعتقاد عدم المماثلة للخالق عز وجل في الاسم، والصفة، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله تعالى، وصفاته، والله تعالى أعلم.



(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٢) جامع البيان، (١٩٣/٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٣/٨) [باختصار].



الفصل الثاني

دلالات اسم اللّه ﷻ (الشَّهيد)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على ذات الله ﷻ، وعلى صفة(الشَّهادة).

المبحث الثاني: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على أسمائه الأخرى.

المبحث الثالث: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفات الكمال.

المبحث الأول

دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على ذات الله ﷻ، وعلى صفة (الشَّهادة)

قبل الشروع في بيان هذه الدَّلالة لاسم الله ﷻ (الشَّهيد) لابد أن أقدم بمقدمة يسيرة توضح ما قرره بعض علماء اللغة في بيان معنى الدَّلالة.

قال الجُرجاني رحمه الله:((الدلالة اللفظية الوضعية: هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه، للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة، والتضمن، والالتزام؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام كالإنسان، فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام))[١].

فدلالة التَّضمن يُراد بها: اللفظ الدَّال بالوضع على جزء ما وضع له بالتَّضمن[٢]، أو هو دلالة اللفظ على بعض معناه[٣].

فدلالة التضمن سميت بذلك لتضمن المعنى لجزء المدلول، كدلالة الإنسان على الحيوان[٤].

والمراد بدلالة المطابقة: اللفظ الدال بالوضع على تمام ما وضع له بالمطابقة[٥].

أي على نفس المعنى الموضوع له، فدلالة المطابقة سميت بذلك لمطابقة الدال المدلول كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، إذ هو موضوع لذلك[٦].

وهذه الدَّلالات داخلة في باب العقائد، ومن ذلك باب أسماء الله تعالى، وصفاته كدخولها في باب الأحكام الشرعية كما قرر ذلك السَّلف رحمهم الله تعالى.

---

(١) التعريفات ص(١٠٤).

(٢) انظر: المصدر، والصفحة نفسها [بتصرف يسير].

(٣) انظر: التعليق على القواعد المثلى ، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، ص(٣٦).

(٤) انظر: الكليات ص(٤٤١).

(٥) التعريفات ص(١٠٤) [بتصرف].

(٦) انظر: الكليات ص(٤٤١) [بتصرف].

فقد دل اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على ذاته وحدها، وصفة (الشَّهادة) وحدها بالتضمن.

والمراد هو أن الذَّات وحدها، والصفة وحدها كلٌ منهما جزءٌ لمعنى الاسم داخلٌ في ضمنه. كأن الاسم لم يدل إلا على صفته - تعالى - دون ذاته أو على الذَّات فيما إذا افترض عدم دلالته على الصفة، وإن كان الاسم لا ينفك عن الدلالة عليهما مجتمعين سواءً استعمل استعمال الأسماء فلم يكن تابعاً لغيره كلفظ الجلالة، واسمه الرحمن، أو اسمه الشهيد- الذي بصدد بيانه- أو استعمل استعمال الصفات؛ فكان تابعاً لغيره كبقية الأسماء الحسنى، فاسمه الرحمن مثلاً يدل على صفة الرحمة وحدها، وكذا اسمه الشهيد يدل على صفة الشهادة وحدها، وذلك على فرض عدم دلالة أحدهما على الذات، ويُسمى هذا تضمناً لأن الاسم دل على جزء معناه في هذا السِّياق المفترض، وهو صفة الرحمة أو الشَّهادة، وهو كذلك بالتضمن على ذات الله جل، وعلا وحدها على فرض عدم دلالته على صفة الرحمة أو الشَّهادة في هذا السِّياق الفرضي إذ قد فرض تجرد الذات عن الصفة أو تجرد الصفة عن الذات، وهذا الأمر مستحيلٌ، وأنى تكون ذات موجودة لا صفات لها، وأنى تكون صفة مجردة عن القيام بالموصوف؛ فكانت دلالة الرحمن أو الشهيد على الذات دلالة تضمنية لأن الرحمن أو الشَّهيد له جزءان ذات، وصفة الرحمة أو ذات، وصفة الشَّهادة، ودلالته على الذَّات جزء المعنى، وبعضه[1].

كما دل اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على ذاته، وعلى صفة (الشَّهادة) بالمطابقة بمجموعهما.

فدلالة اللفظ بالوضع على جميع أجزائه في أسماء الله الحسنى يكون في الذات، والصفة؛ فما من اسم منها إلا هو دال على رب العالمين كعلمٍ من أعلامه، وعلى صفة خاصة كمعنى من معاني كماله، وجماله؛ فاسمه (الله) دال بالمطابقة على ذات رب العالمين، وعلى صفة الألوهية خاصة، وهكذا أسماؤه الشَّهيد، والعليم، والحليم، والسميع، والبصير، ونحوها دالة على ذات الرب بالعَلَمية، وعلى صفة الشَّهادة، والعلم، والحلم، والسمع، والبصر بالوَصْفية المختصة إذ أن هذه الأسماء لا تدل إلا على خصوصية صفة الشهادة، والعلم، والحلم، والسمع، والبصر بالمطابقة دون غيرها من الحياة، والإرادة، ونحوها، وهذه الدلالة منها دلالة على جميع أجزاء

(١) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات، الدكتور إبراهيم محمد البريكان ص(٢٣٨-٢٣٩) [بتصرف].

اللفظ، وأفراده إذ أن أجزاء هذه الأسماء ذات، وصفة شهادة، وذات، وصفة علم، وذات، وصفة حلم، وذات، وصفة سمع، وذات، وصفة بصر، وهكذا[(١)].

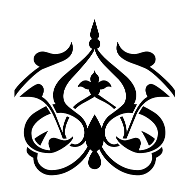
ومن مقالات علماء السَّلف – رحمهم الله – في بيان هذه الدلالة في باب أسماء الله – تعالى–، وصفاته.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((..كل اسم من أسماء الله فإنه يستلزم معنى الآخر؛ فإنه يدل على الذات، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر، لكن هذا باللزوم، وأما دلالة كل اسم على خاصيته، وعلى الذات بمجموعهما فبالمطابقة، ودلالتها على أحدهما بالتضمن))[(٢)].

وقال أيضاً:((وكل اسم فإنه يدل على ذات الله، وعلى خصوص، وصفة بالمطابقة، ويدل على أحدهما بالتضمن، ويدل على الصفة التي للاسم الآخر بالالتزام، فإنه يدل على الذَّات المستلزمة للصفة الأخرى))[(٣)].

قول العلاَّمة السَّفاريني رحمه الله:((إن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات، والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم))[(٤)].

وبناءً على ما تقدمَ يُقالُ أنَّ اسم الله عز وجل (الشَّهيد) دلَّ على ذاته وحدها، وصفة الشَّهادة وحدها بالتضمن، كما دل على ذاته، وعلى صفة الشَّهادة بالمطابقة بجموعهما.



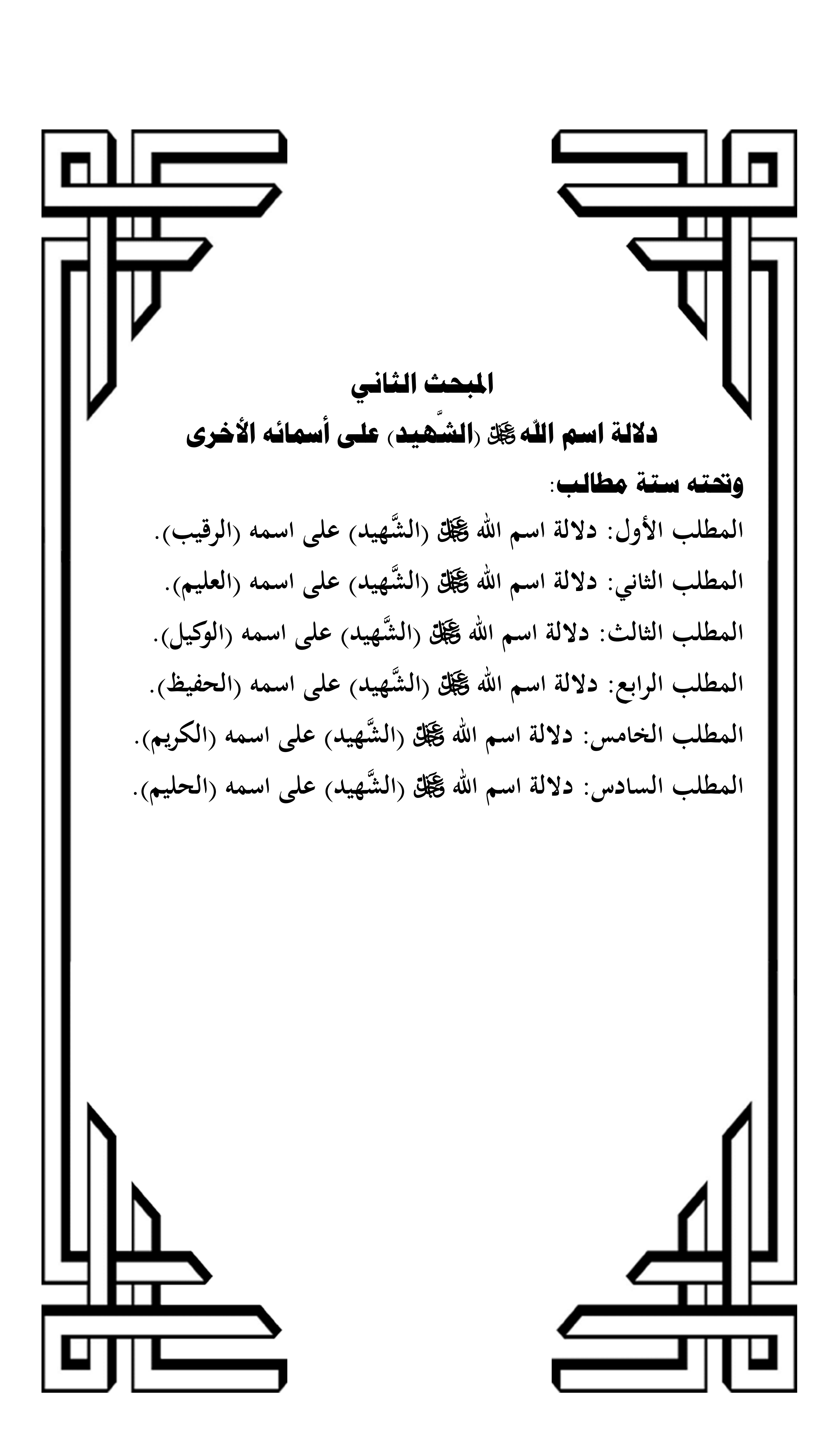
---

(١) انظر: المصدر السابق ص(٢٣٨) [بتصرف].

(٢) الفتاوى الكبرى لا بن تيمية(٥/٢٣٠).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٤/٤١٤).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/٢٢٤)، وانظر: شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المسمى بـ (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد) لابن عيسى، (٢/٢١٧).



المبحث الثاني

دلالة اسم الله ﷻ (الشّهيد) على أسمائه الأخرى

وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الرقيب).

المطلب الثاني: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (العليم).

المطلب الثالث: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الوكيل).

المطلب الرابع: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الحفيظ).

المطلب الخامس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الكريم).

المطلب السادس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الحليم).

المبحث الثاني

دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على أسمائه الأخرى

هذه الدَّلالة هي دلالة اللزوم، واللُّزوم للشيء عدم المفارقة عنه، وهو يستعمل بمعنى امتناع الانفكاك عن الشيء، فحصوله يستلزم حصوله[١].

ومن هنا فإن دلالة معنى اسم الله الشَّهيد مستلزمة لبقية معاني أسمائه الأخرى لدلالتها على الذَّات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((..كل اسم من أسماء الله فإنه يستلزم معنى الآخر؛ فإنه يدل على الذَّات، والذَّات تستلزم معنى الاسم الآخر، لكن هذا باللُّزوم))[٢].

المطلب الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الرقيب).

لاشك أن أصل دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الرَّقيب) مأخوذ من قوله تعالى عن نبيه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣]، وفيما يلي بيان لهذه الدَّلالة، وما تدل عليه:

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((ومن أسمائه الحسنى الشهيد، والرّقيب، وهو المطلع على ما في الضمائر، وأَكَنَّتهُ السَّرائر، ولحظته العيون، وما اختفى في خبايا الصدور، فكيف الأقوال، والأفعال الظاهرة، ومقام الإحسان الذي هو مقام المراقبة: التعبد لله بهذين الاسمين الكريمين، وحفظ الخواطر أن تساكن ما لا يحب الاطلاع عليه))[٤]، وقال أيضاً:((الرَّقيب، والشَّهيد من أسمائه الحسنى، وهما مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة، والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللَّواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، والرقيب المطلع على ما أكنته

---

(١) انظر: الكليات ص(٧٩٥-٧٩٦)، والتعريفات، ص(١٩٠).

(٢) تقدم ص (٨٨).

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٤) توضيح الكافية الشافية ص(١٩٠).

الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات، وأجراها على أحسن نظام، وأكمل تدبير، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[(١)] ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(٢)]، ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر، وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان؛ فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه))[(٣)].

وفي موضع آخر مُعلقاً على بيتٍ من نونية الإمام ابن القيم رحمه الله عند قوله:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا   حظ كيف بالأفعال بالأركان[(٤)]

قال: ((الرَّقيب، والشَّهيد مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، ولهذا قال المصنف: وهو الرقيب على الخواطر، أي يعلم ما يخطر في القلوب من الأفكار، والوساوس التي لم يتكلم بها العبد، وعلى اللواحظ بالأبصار اللواحظ الخفية، والجلية، فإذا كان رقيباً على الخواطر، واللحظات فكيف لا يكون رقيباً على ما هو أظهر منها من الأفعال بالأركان، والحركات، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[(٦)]، ولهذا كانت المراقبة هي التعبد لله باسمه (الرقيب)، فإذا علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٦، وسورة البروج، الآية: ٩.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٥٥).

(٤) الكافية الشافية ص(٢٠٧).

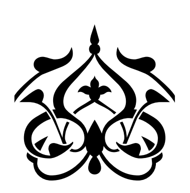
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

(٦) سورة ق، الآية: ١٦.

أحاط الله بعلمها، واستحضر العبد لهذا العلم في جميع أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر، وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، قال تعالى – منبهاً على هذا المعنى- : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)]))[(٢)].

فهو سبحانه شهيد رقيب قد أحاط تعالى سمعه، وبصره، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة، والخفية لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء؛ فالشهيد يدل على إحاطته، وعلمه بالأعمال الظاهرة، والرقيب يدل على ذلك للأعمال الباطنة، ولذا كان الترادف من حيث اشتمالهما على علم الله تعالى الظاهر، والباطن.

فوجب على العبد استشعار عظمة الله ﷻ، وأنه مطلع عليه لا تخفى عليه خافية مع استحضاره لهذه المعاني الجليلة مما يدفعه ذلك لأن يحسن العمل فيصلح سريرته، وعلانيته، ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة، وبرضوان الله تعالى يوم القيامة، والله أعلم.



(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧-٢٢٠.

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين، ص(٩١-٩٢).

المطلب الثاني: دلالة اسم الله ﷻ (الشهيد) على اسمه (العليم).

دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على اسمه العليم بدلالة اللزوم، ودلالة التلازم بين هذين الاسمين العظيمين هي من حيثُ أنَّ الشَّهيد عليمٌ بمن يراقبهم، ويحفظ أعمالهم، فلا يكون بشهادته نقصٌ، أو عيبٌ، وهذا ما يتفق مع كونه تعالى منزهاً عن النقائصِ، والعيوبِ، فعلمهُ ﷻ محيطٌ بكل شيءٍ لا يقتصر على ما ظهر من أعمال، وأقوال بل يتعداه لما تخفيه الصدور لقوله: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (1).

فبعلمه، وخبرته يشهد على عباده فهو الذي لا يعزب، ولا يغيب عنه أي شيءٍ في الأرض أو في السماء، وكما أن علمه لا يتحدد بزمنٍ أو وقتٍ فهو يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون(2).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو العليم بما يوسوس عبده	**في نفسه من غير نطق لسان**
بل يستوي في علمه الداني مع الـ	**قاصي وذو الإسرار والإعلان**
وهو العليم بما يكون غداً وما	**قد كان والمعلوم في ذا الآن**
وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ	**ـف يكون موجوداً لدى الأعيان(3)**

فأهل السنة، والجماعة يعتقدون أن الله ﷻ شهيد عليم قد شهد بعلمه كما بين ذلك في

(١) سورة التغابن، الآيات: ١- ٤.

(٢) انظر: موسوعة أسماء الله الحسنى، للدكتور عقيل حسين عقيل، (٦/١٨) [بتصرف].

(٣) الكافية الشافية ص(٢٠٤).

كتابه بقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾[(١)]، وأن علمه متعلق بكل ما من شأنه أن يُعلَم لا يعزب عنه من ذلك شيء، فهو يعلم ما يحدِّث به المرء نفسه، وما يرد على خاطره من الهواجس، وإن لم يحرك به لسانه، ويستوي في علمه ما قَرُب، وما بَعُد، وما أُسرَّ، وما أُعلِن كما قال سبحانه: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[(٢)]؛ فيستوي في علمه الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ فهو يعلم ما سيكون مستقبلاً، كما يعلم ما قد كان في الماضي، وكما يعلم ما هو كائن الآن، فالأشياء كلها حاضرة لديه، وهو يعلم الكيفيات التي ستكون عليها الأشياء قبل وجودها، فيعلم ما لم يوجد من الأشياء لو وجد، فعلى أي كيفية يكون وجوده في عالم الأعيان[(٣)].

ويعلم الواجبات، والممتنعات، والجائزات، وما في أقطار العالم العلوي، والسفلي ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[(٤)]، ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾[(٥)].

أخرج البخاري في صحيحه عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: ﴿ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ خمسٌ: **((إنَّ الله عنده علم السَّاعة وينزلُ الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت إنَّ الله عليمٌ خبير))**[(٦)].

فهو سبحانه شهيدٌ عليم يعلم ما يدخل في الأرض من المياه، والكنوز، والأموات، والبذور

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٣) انظر: شرح القصيدة النونية، للهرَّاس، (١/١٠١-١٠٢) [بتصرف].

(٤) سورة الأنعام، الآية:٥٩.

(٥) سورة طه، الآية:٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (٦/٥٦)، برقم (٤٦٢٧).

والوحوش، والأوادم في الكهوف، وغيرها، ويعلم ما يخرج منها من نبات، ومعادن، ومياه، وأموات، وأبخرة، وغيرها، ويعلم ما ينزل من السماء من ملائكة، وأمطار، ومصائب، وحر، وبرد، وغيرها، وما يعرج فيها من حفظة، وأعمال[١]، وغيرها قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[٢]، وهو على ذلك شهيد قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣]؛ فلا يقع شيءٌ في ملكه إلا بعد شهادته عليه، وعلمه به تبارك، وتعالى؛ فأثبت لنفسه الملك، والشَّهادة، وسمى نفسه بالعليم، والحكيم، والقدير في محكم آياته فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[٥]، فدل ذلك على تمام ملكه، وكمال شهادته، وتدبيره لتمام علمه، وحكمته، وتقديره.

ومما ورد من مقالات السَّلف رحمهم الله في بيان معنى اسم الله ﷻ (العليم):

قول الإمام ابن القيم رحمه الله: ((العليم الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات))[٦].

أي: أنه العليم الذي كَمُل في صفة علمه، وسائر صفاته، وتنزه عن مماثلة أحد من خلقه مهما بلغ علمه فلا يخفى عليه من سائر خلقه شيءٌ في الأرض، ولا في السماء.

وقال العلاَّمة البيهقي رحمه الله: ((العليم: هو العالم على المبالغة، والعلم صفة له قائمة بذاته))[٧].

---

(١) انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، لعبد العزيز السلمان، ص(١٣٤) [بتصرف يسير].

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢، وسورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) سورة البروج، الآية: ٩.

(٤) سورة التحريم الآية: ٢.

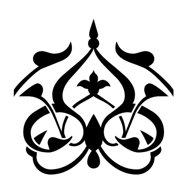
(٥) سورة الروم الآية: ٥٤.

(٦) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٤١٤/١).

(٧) الاعتقاد، للبيهقي ص(٥٩).

أي: أن اسمه العليم على وزن المبالغة من فعيل، فهو الذي بلغ الغاية في كمال، وسعة علمه ﷻ.

ومما تقدم عُلم أن اسم الله – ﷻ– الشهيد دلَّ على اسمه العليم بدلالة اللزوم؛ فالعلم متضمنٌ لشهادته – تعالى– إذ هو كما تقدم مرتبة من مراتبها، وشرطٌ من شروطها.



المطلب الثالث: دلالة اسم الله ﷻ (الشهيد) على اسمه (الوكيل).

دل اسم الله ﷻ الشهيد على اسمه (الوكيل) من حيث أن الله هو الشَّاهد على كل شيء، فالشَّاهد على كل شيءٍ لابد أن يكون الوكيل عليه.

قال الزَّجَّاج رحمه الله:((الوكيل: فعيل بمعنى مفعول من قولك، وكلت أمري إلى فلان إذا سلمته إليه والله تعالى موكول إلى تطوله الأمور كما قال الله تعالى:﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ ﴾[1]))[2].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((الوكيل: هو المتولي لتدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور؛ فمن أتخذه وكيلاً كفاه:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[3]))[4].

وقد أخبر الله تعالى أنه ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[5]، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل، بما كان وكيلا عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.

ومن المعلوم أن الله تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وشهادته عليها، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها[6].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٤.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٥٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٨٩)

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٧٢٨) [بتصرف يسير].

وتوكل العبد على الله ﷻ: هو اعتماده عليه في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة به، وفعل الأسباب النافعة، ويُعرف أيضاً بأنه الاعتماد على الله – سبحانه، وتعالى- في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، ولابد من أمرين :

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب، نقص توكله على الله، ويكون قادحاً في كفاية الله، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب، فقد طعن في حكمة الله؛ لأن الله جعل لكل شيءٍ سبباً، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً، كان قادحاً في حكمة الله، لأن الله حكيم، يربط الأسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد، وهو لا يتزوج[(١)].

وإذا وصل المسلم لفهم هذه الدلالة توكل على الشَّهيد الذي لا يموت، وأيقن بكفاية الله تعالى له ما أهمه من أمر الدنيا، والآخرة، فهو الذي يشهد على حفظه ما وكله به عبده صغيراً كان أم كبيراً، وهذا ما وصل إلى قلوب عباده المؤمنين في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[(٢)]؛ فالاكتفاء بتوكيله ﷻ هو أساس طاعته، والإيمان به[(٣)].

كما أن هذه الدَّلالة ظاهرة في قوله تعالى- للنبي ﷺ :﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[(٤)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:((أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت

---

(١) انظر: القول المفيد (٣٢٦/١)، و(٥٣/٢) [بتصرف].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) انظر: موسوعة أسماء الله الحسنى، (١٧/٦) [بتصرف].

(٤) سورة الفرقان، الآية:٥٨.

أبداً، الذي ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء، ومليكه، اجعله ذخرك، وملجأك، وهو الذي يُتوكَّلُ عليه، ويُفزعُ إليه؛ فإنه كافيكَ، وناصركَ ومُؤيدكَ، ومُظفركَ،كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾، أي: اقرن بين حمده، وتسبيحه؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: ((**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**))[3] أي: أخلص له العبادة، والتوكل، كما قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾[4]، **وقال**: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[5]، ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[7] أي: لعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة))[8].

فهو تبارك، وتعالى الحي المتصف بالحياة الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ فلا سِنَةٌ، ولا نومٌ، ولا موتٌ يلحق به جلَّ جلاله، ولذا فهو القائم على خلقه الشَّاهدُ عليهم

---

(١) سورة الحديد، الآية:٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب الدعاء في الركوع (١/١٥٨)،برقم (٧٩٤) ، وباب التسبيح، والدعاء في السجود (١/١٦٣)، برقم (٨١٧)، كما أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، والسجود (١/٣٥٠)، برقم (٢١٧)، من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، ونصه كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه، وسجوده:((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن))، وقد روي عند البخاري في باب الدعاء في الركوع بدون زيادة (يتأول القرآن).

(٤) سورة المزمل، الآية: ٩.

(٥) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٦) سورة الملك، الآية: ٢٩.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٨) تفسير القرآن العظيم (٦/١١٨-١١٩)

بعلمه، والوكيلُ عليهم قد تولى تدبيرهم لكمال قدرته، وشمول حكمته.

وقد تضمن اسم الله ﷻ الوكيل اتصافه بصفة الكفاية التي تدل على شهادته سبحانه، وتعالى على خلقه، وقيامه، وتدبيره لهم قال ﷻ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٢].

قال القرطبي رحمه الله: ((أي: شهادة الله كافية، ووكالته للعبد كافية فيجب على الإنسان أن يتحقق، ويعلم: أن لا كافي على الإطلاق في جميع الأمور مهماتها، وشدائدها حقيرها، وجليلها إلا هو سبحانه، فيكتفي به عن ما سواه، فمن اكتفى به عن غيره فقد اكتفى بالمكتفي الحقيقي، ومن اكتفى بغيره عنه فلم يكتف بمكتفٍ، بل بلوامع السراب))[٣].

كما دل على كفاية الله ﷻ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[٤].

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾- ((أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه، وقدره، ولكنه ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ أي: وقتاً، ومقداراً، لا يتعداه، ولا يقصر عنه))[٥].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣.

(٣) الأسنى ص(١٤٤).

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

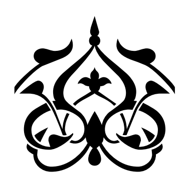
(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(٨٦٩).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهـــو الحســـيب حمايـــة وكفايـــة والحسـب كـافي العبـد كـل أوان[1]

وقال – مبيناً فائدة التوكل على الله تعالى في دفع أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم، وحصول الكافية من الله لعبده في ذلك–:((والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم، وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي كافية، ومن كان الله كافيه، وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر، والبرد، والجوع، والعطش وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له، وهو في الحقيقة إحسان إليه، وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال بعض السلف جعل الله تعالى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾، ولم يقل نؤته كذا، وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السموات، والأرض، ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه، ونصره..))[2].

وعلى ذلك فاسم الله ﷻ الشهيد دالٌ على اسمه الوكيل بدلالة اللزوم؛ فالوكيل متضمنٌ لشهادته تبارك، وتعالى، وذلك لما تقتضيه شهادته سبحانه من الحضور، والمعاينة للمتوكل عليه، وكفايته له ما أهمه من أمر الدنيا، والآخرة، والله تعالى أعلم.



(١) الكافية الشافية ص(٢١٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٣٩-٢٤٠).

المطلب الرابع: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على اسمه (الحفيظ).

دل اسم الله ﷻ الشهيد على اسمه الحفيظ، والحافظ، فلا يوجد حافظ لكل شيء غيره جل جلاله فهو الحافظ المطلق الذي يحفظ بعلمه المطلق، وشهادته المطلقة ما يشاء، وطوبى لمن كان في حفظه قال ﷻ:﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١].

فهو الحافظ لنا برحمته، والحافظ لنا من النار بمغفرته، والحافظ لنا حقوقنا بشهادته، والحافظ لنا المال، والبنون بكرمه[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وهــو الحفــيظ علــيهم وهــو الكفيــ ل بحفظهــم مــن كـــل أمر عـــان[٣]

قال الزجاج رحمه الله:((الحفيظ هو فعيل في معنى فاعل، والله حافظ، وحفيظ))[٤].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب، والهلكات، ولطف بهم في الحركات، والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم، وجزاءها))[٥].

قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾[٦]، وقال:﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، وقال ﷻ:﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾[٧]، وهما يدلان على اتصافه سبحانه بصفة الحفظ، المتضمنة للعلم، والإحاطة، والمستلزمة لشهادته ﷻ على الخلق.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٢) موسوعة أسماء الله الحسنى، (١٣/٦).

(٣) الكافية الشافية ص(٢٠٧).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج ص(٤٨).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي ص(٣١)

(٦) سورة هود، الآية: ٥٧.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٢١.

والحفيظُ يتضمنُ معنيين:

أحدهما: حفظه على العباد جميع ما عملوه بعلمه، وكتابته، وأمره الكرام الكاتبين بحفظه.

فقد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها، وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين يعلمون ما يفعلون، فهذا المعنى من حفظه يقتضي شهادته، وإحاطة علمه ﷻ بأحوال العباد كلها ظاهرها، وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله، وعدله.

والمعنى الثاني: من معاني الحفيظ: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون؛ فيحفظهم من جميع المكاره، والشرور.

وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص:

النوع الأول: حفظه العام لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيها، ويقيمها، ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة لها مما قدر، وقضى لها التي قال عنها: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له، وقضى له من ضروراته، وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر بل الحيوانات، وغيرها، فهو الشهيد الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه أن يفسدوا أو يتلفوا، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه، وعباده المؤمنين سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل يقينهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها، ويخرجهم منها

---

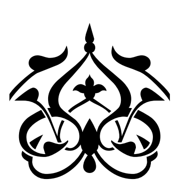
(١) سورة طه، الآية: ٥٠ .

بسلامة، وحفظ، وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن، والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾(١).

وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: ((احفظ الله يحفظك))(٢) أي: احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك، ودينك، ومالك، وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله.

فحفظه لخواص عباده الذين حفظوا وصيته، وحفظوه بالغيب بحفظ إيمانهم من النقص، والخلل، وحفظهم، وحمايتهم من الخطل، والزلل، وحفظه عليهم دينهم، ودنياهم.

فصار حفظ الله ﷻ لخلقه بحفظ أعمالهم ليجازيهم بها، وحفظهم مما يكرهون(٣)، وهو على ذلك شهيد يحفظ بعلمه المطلق، وشهادته المطلقة ما يشاء، والله تعالى أعلم.



---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع من طريق عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن صحيح، (٤/٦٦٧)، برقم (٢٥١٦)، وأحمد في المسند من طرق عن قيس بن الحجاج الزرقي عن حنش بن عبد الله عن ابن عباس به (٥/١٨-١٩)، برقم (٣٨٠٣).

والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله بقوله: (...وهذا إسناد صحيح...)، انظر: الصحيحة، (٥/٤٩٧)، برقم (٢٣٨٢).

(٣) انظر: توضيح الكافية، لابن سعدي ص(١٩٠)، والتوضيح المبين، ص(٩٥)، وتفسير أسماء الله الحسنى، للمؤلف ص(٣١-٣٢)، [بتصرف يسير].

المطلب الخامس: دلالة اسم الله عَجَّلَ (الشَّهيد) على اسمه (الكريم).

دل اسم الله الشهيد على اسمه الكريم، فالله هو الشَّهيد الكريم الذي عم بجوده جميع المخلوقات قد عمها، وملأها من فضله، وإحسانه ، ونعمه الظاهرة، والباطنة، وشمل بها أهل السماء، والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسَّهم الضرُّ فإليه يرجعون، وبه يتضرعون؛ فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما من الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها: تكميل عبودية الله الظاهرة، والباطنة، العلمية،والعملية، القولية، والفعلية، والمالية، وتتحقيقها باتباع محمد ﷺ في الحركات، والسكنات[1].

قال الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:((الكريم: كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها))[2].

فنعم الرب الشهيد الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة، والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون[3]؛ ففضله واسع، وجوده عظيم، خصوصاً لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين[4].

وهو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، واسع الجود، والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم، ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك..يغني فقيراً، ويجبر كسيراً، ويعطي قوماً، ويمنع آخرين، ويميت، ويحيي، ويرفع، ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الشهيد الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض، والسماوات، وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء

---

(١) انظر: توضيح الكافية، لابن سعدي، ص(١٩٢-١٩٣)، و التوضيح المبين، ص(١٠٤) [بتصرف].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص(٧٠) [بتصرف].

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٨٩) [بتصرف].

(٤) انظر: المصدر نفسه ص(٣٣٣).

الجاهلين به وبكرمه[(١)]، وسبحانه من شهيد كريم وفق عباده للتوبة، والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، لينالوا المغفرة منه، والفضل، والإحسان؛ فهو الغفور لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب، فهو الرحيم بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه[(٢)].

هذا، ومن تمام لطفه، وكرمه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم، وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار[(٣)].

ومن عظيم كرمه سبحانه ما تفضل به على الإنسان محفزاً إياه للطاعة، والعمل الصالح، والزيادة في سعيه وراء الحسنات في قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[(٤)]؛ فالكريم يعطي الإنسان من أوسع أبوابه، ويضاعف الحسنة بعشرة أمثالها، ولا يكتب السيئة إلا بسيئة مثلها، وهو الشهيد، فشهادته بمثابة فرحة عظيمة النعيم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾[(٥)]، وبذلك يكرمه الله بنجاته من النار، ودخول الجنات[(٦)].

فالله سبحانه، وتعالى هو الشهيد على خلقه، وعلى كل عمل يعملون، كرمه واسع، وجوده لا ينقطع، وهو بحسب تحقيق الأسباب المقتضية لذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٣٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه ص(٦٦٠) [بتصرف].

(٣) انظر: المصدر نفسه ص(٧١٢) [بتصرف].

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٦٠-٦١.

(٦) انظر: موسوعة أسماء الله الحسنى (١٦/٦) [بتصرف].

المطلب السادس: دلالة اسم الله ﷻ (الشهيد) على اسمه (الحليم)

دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على اسمه الحليم، وذلك من حيث أنه – سبحانه – شهيد على عباده، ويعلم العاصي، والجاحد منهم إلا أنه لا يسارع في عقابهم لحلمه بهم، فلو عاجل الله تعالى العاصي، والمذنب لما وجدنا تائباً أو مستغفراً، ولكن الله تعالى العليم بعباده، وضعفهم يمنحهم الفرصة تلو الأخرى كي يرجعوا للحق، وهو شهيد عليهم فالله شهيد على المؤمن، والكافر، وهو أيضاً حليم بهم، ومحيط بهم جميعاً عليم بما في صدورهم قال تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[(١)].

فالحليم هو الشَّهيد على ما في النفوس فيحلم بأصحابها كي يرجعوا للحق، والصواب، ومع أنه ﷻ شهيد على خلقه إلا أنه لا يمسك فضله عن عباده عقاباً لهم على ذنوبهم؛ فلا يغضب لعصيان عاصي، ولا لذنب مذنب فهو الغني الحميد الذي لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، فيحلم بالعصاة، ويجعل من حلمه بهم حافزاً لهم للتوبة، والندم.

وحلمه على العباد شاهد على أنه سبحانه، وتعالى قادر، ورحيم في ذات الوقت؛ فهو يملك القدرة، ولكنه يعاملنا بالرحمة، والود، فهو الشهيد، وهو الحليم الذي يؤخر عقابه بعلمٍ وخبرة، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴾[(٢)(٣)].

ومما ورد من مقالات السلف رحمهم الله في معنى اسم الله ﷻ (الحليم):

قول الإمام الخطَّابي رحمه الله:((الحليم : هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٣) انظر: موسوعة أسماء الله الحسنى (٦/١٩-٢٠) [بتصرف].

الحليم هو الصفوح مع القدرة، و المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة))[١].

وقال الزجاج رحمه الله:((الحليم: هو الذي لا يعاجل بالعقوبة..))[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان[٣].

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله: ((يعني أنه تعالى الحليم الذي له الحلم الكامل، والعفوُّ الذي له العفو الشامل..فحلمه تعالى يقتضي إمهال العاصين، وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ليتوبوا من عصيانهم، وعفوه تعالى يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب، خصوصاً إذا أتوا بأسباب العفو من الاستغفار، والتوبة النصوح، فإن حلمه، وعفوه، وسعا أهل السماوات، والأرض..))[٤].

وقال في موضع آخر: ((فإن الله تعالى الجواد المطلق من جميع الوجوه، والاعتبارات، فكما أنَّه الجواد بإعطاء الخيرات، ونيل المواهب، والهبات، والبركات؛ فإنه الجواد بالحلم عن العاصين، والسَّتر على المخالفين، والصبر على المحاربين له، ولرسله المبارزين، والعفوُّ عن الذنوب..هذا وهو يسمع ما يقولون، ويعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما به يتفوهون، وهو يلاطفهم بنعمه، ويتحبب إليهم بكرمه، فياويح المعرضين عنه!ماذا حرموا من الخيرات؟، ويا سعادة المنقطعين إليه ماذا ادَّخر لهم من الألطاف، والكرامات؟، ويا بؤس العاصين ما أقلَّ حياءهم، وأعظم شقاءَهم، وأشدَّ جُرأَتَهُم؟!!))[٥].

فهو الشَّهيد عليهم، والعليم بهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٦]؛ إلا أنه لا يعاجلهم بالعقوبة إذا عصوه لعظيم حلمه بهم- تبارك، وتعالى -، والله أعلم.

---

(١) شأن الدعاء ص(٦٣).

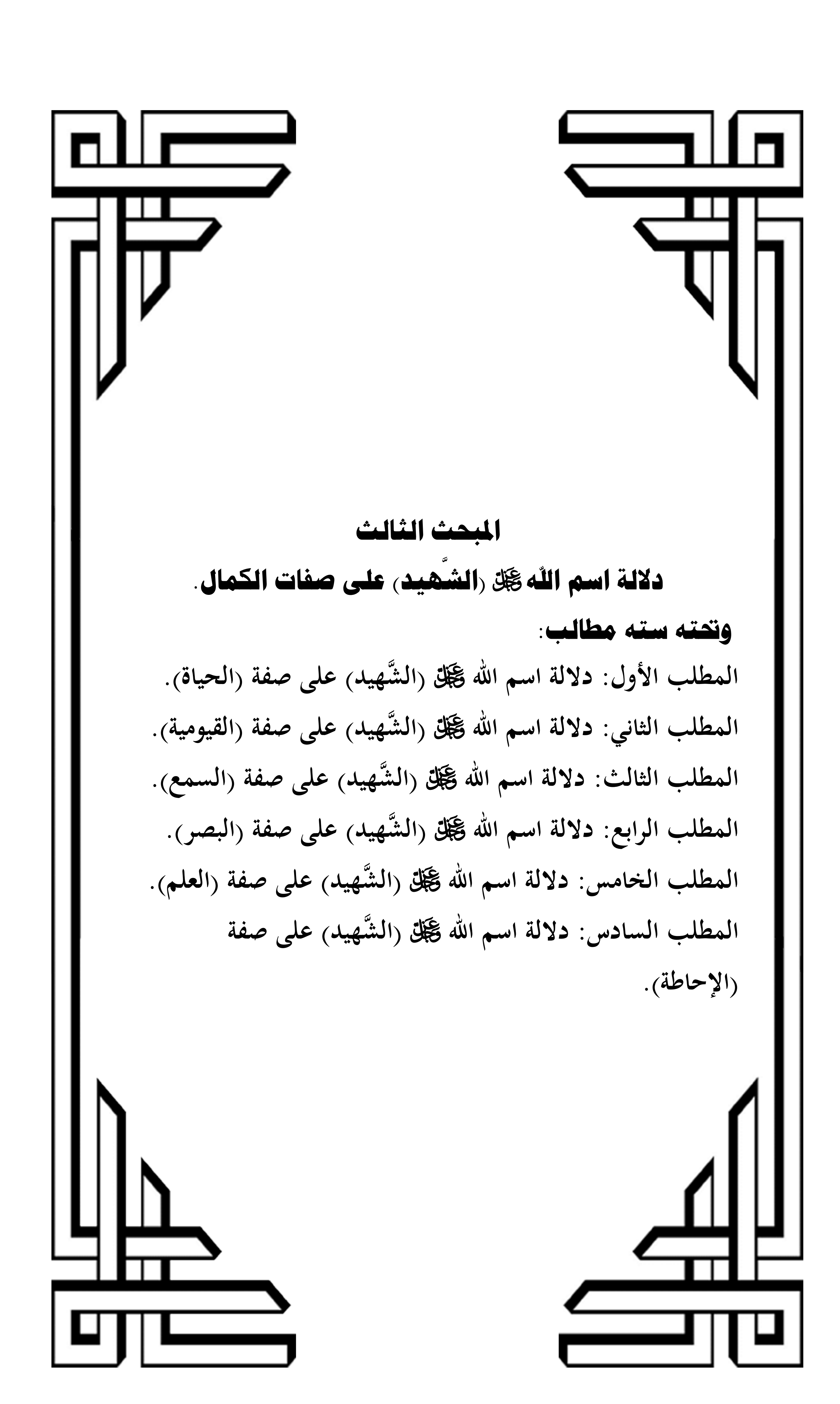
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٤٥).

(٣) الكافية الشافية ص(٢٠٧).

(٤) انظر: التوضيح المبين ص(٨٨) [باختصار].

(٥) انظر: توضيح الكافية ص(١٨٨-١٨٩) [باختصار].

(٦) سورة الملك، الآية: ١٤.



المبحث الثالث

دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفات الكمال.

وتحته سته مطالب:

المطلب الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (الحياة).

المطلب الثاني: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (القيومية).

المطلب الثالث: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (السمع).

المطلب الرابع: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (البصر).

المطلب الخامس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (العلم).

المطلب السادس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (الإحاطة).

المبحث الثالث

دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفات الكمال

وهذه الدَّلالة لاستلزام كل اسم من أسمائه تعالى معنى الآخر لدلالتها جميعاً على الذات كما أن الذات تستلزم الصفات.

وقد تقدم قول العلاَّمة السَّفاريني رحمه الله:((إن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات، والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم))(١).

قال الامام ابن القيم رحمه الله:

أسماؤهُ دلت على أوصافهِ ... مشتقةٌ منها اشتقاقُ معانِ

وصفاتهُ دلت على أسمائهِ ... والفعلُ مرتبطٌ به الأمرانِ(٢)

وعلى ذلك فأسمائه – تبارك، وتعالى – دلت على الصفات الأخرى باللزوم لدلالتها على الذات.

المطلب الأول: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (الحياة).

دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على صفة الحياة، وذلك لاستلزام صفة الشَّهادة لصفة الحياة إذ هي متعلقة بالذَّات، فالحياةُ لازمةٌ لحصول الشهادة؛ فلاشهادة إلا بحياة، كما أنها تدل على صفة القيومية لله ﷻ مما يجعل من الحي المطلق شهيداً مطلقاً منزهاً عن النقائص، ومن ذلك السِّنة، والنَّوم، وغيرهما، وهذا الذي أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه بقوله ﷻ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾(٣).

---

(١) لوامع الأنوار البهية، (٢٢٤/١)، وانظر:شرح قصيدة الإمام ابن القيم لابن عيسى (٢١٧/٢).

(٢) الكافية الشافية، ص(١٧٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

((..ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته، وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه من النوم، والسنة، والعجز وغيرها..))[١].

فالشهيد عز وجل المطلق مطلق العلم بعباده، وبما خلق لما تدل عليه الشهادة من المعاينة، والمراقبة، والعلم، والعدل، وهذه الصفات لا تكون مطلقة إلا لله عز وجل الذي يشهد على كل صغير، وكبير.

ولا يمكن أن تكون هذه الدقة، وهذا النظام البديع إلا بوجود شهيدٍ دائم الحياة، وفي تقديمه للصغائر عن

الكبائر في قوله: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٢]،دليلٌ على عدل شهادته، ودقته، وعلمه المطلق بكل شيء[٣].

والحي جلَّ جلاله: هو من له الحياة الكاملة التامة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، والحياة الكاملة مستلزمة للسَّمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة النافذة، وسائر الصفات الذاتية داخلة في مسمى الحياة[٤].

فصفة الحياة أصل الصفات الذاتية التي أثبتها أهل السنة، والجماعة لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وعظمته.

---

(١) الصواعق المرسلة، (١٣٧١/٤)، وانظر: مختصر الصواعق، ص(٢١٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) انظر: موسوعة أسماء الله الحسنى (٤/٦) [بتصرف].

(٤) انظر التوضيح المبين، ص(١٣٤) [بتصرف يسير].

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله – في شرحه على العقيدة السَّفارينية عند قول الناظم[١] رحمه الله

لــــه الحيـــاةُ والكـــلامُ والبصـــر ســــمعٌ إرادةٌ وعلـــمٌ واقتـــدر

– ((..يعني الحياة الكاملة، أو لبيان الحقيقة، وتعرف الحقيقة بحسب ما تضاف إليه الصفة، فالحياة المضافة إلى الله ليست كالحياة المضافة إلى البشر أو إلى المخلوق على صفة العموم، فحياة الله ﷻ أزلية أبدية، أي لم يزل ولا يزال حياً، ثم هي حياة أيضاً كاملة لا يعتريها نقصٌ بوجه من الوجوه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[٢]؛ فهذا فيه الامتناع عن زوال هذه الحياة، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[٣]، وهذا منع لوصفها بالنقائص، فهي حياة كاملة ليس فيها سنة، ولا نوم، حياة دائمة ليس فيها موت، حياة أزلية؛ لأنها لم تُسبق بعدم، وكل حياة البشر بل كل المخلوقات حياتها مسبوقة بعدم، وكذلك أيضاً جميع حياة الأحياء قابلة للزوال غير الله ﷻ، حتى ما خُلق للبقاء كالروح، وغلمان أهل الجنة، والحور؛ هذه خلقت للبقاء، وستبقى، لكنها قابلة للزوال لو شاء الله تعالى لأهلكها، أما حياة الله ﷻ فإنها غير قابلة للزوال، ولا للنقص، ولا للابتداء، فيستحيل عليه ابتداء الحياة، وزوالها، ونقصها، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ بخلاف حياة الإنسان فإنه، وإن حاول أن يمتنع عن النوم؛ فلابد أن يأخذه النوم أو يهلك، ولهذا عبر بقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ ﴾:أي لا تغلبه، ولم يقل: لا ينام؛ لأن البشر قد يحاول ألا ينام، ولكن لو حاول أن لا ينام فلنقصه؛ لأنه لابد أن تأخذه السنة، والنوم أو يهلك، أما الرب ﷻ فلا تأخذه السنة، ولا النوم، وفي الحديث الصحيح:((**إن الله لا ينام،**

---

(١) محمد بن أحمد بن سالم السَّفاريني النابلسي: عالم بالحديث والأصول والأدب، من المحققين رحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ، ومن مؤلفاته(الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) الشهيرة((بالعقيدة السفارينية))، انظر ترجمته في : الأعلام (١٤/٦).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

ولا ينبغي له أن ينام))[1]؛ فانتفى بذلك غلبه النوم، والسنة عليه ﷻ بنص القرآن، وأنه لا ينام، ولا بإرادته؛ لأن ذلك من المستحيل عليه، لقوله ﷺ :((**ولا ينبغي له أن ينام**))؛ لأن النوم نقص، ونحن إنما ننام لنقصنا لا لكمالنا، ننام من أجل الراحة مما مضى، واستجلاب القوة لما يستقبل أما الله ﷻ فإنه لم يزل، ولا يزال قوياً، وخلق السماوات، والأرض في ستة أيام، وما مسه من لغوب.

فالحاصل أن الله له الحياة الكاملة أزلاً: ابتداءً، وانتهاءً، واستمراراً، فابتداءً حيثُ لم تُسبق، وانتهاءً حيثُ لا يلحقها زوال، واستمراراً حيثُ إنها حياة كاملة لا يعتريها سنة، ولا نقصٌ بأي نوع من أنواع النقص:﴿ **لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾[2]..))[3].

فحياته سبحانه أكمل حياة، وأتمها، ويستلزم ثبوتها كل كمال يُضاد نَفيهُ كمال الحياة، وتخصيص صفة الحياة في قوله:﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ** ﴾[4] إشارةٌ إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا لله – سبحانه – دون الأحياء المنقطعة حياتهم؛ فإنهم إذا ماتوا ضاع من يُتوكل عليهم، ويَشهد لهم[5].

وقد جمع الله ﷻ بين صفة الحياة، والقيومية، في ثلاثة مواضع من كتابه كما دل عليهما اسمه (الحي)، و(القيوم) في قوله تعالى:﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾[6]، وقوله:﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾[7]، وقولـــــه:﴿ **وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام:((إن الله لا ينام))، وفي قوله:((حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))، (١٦٢/١)، برقم (١٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) شرح العقيدة السَّفارينية، لابن عثيمين ص(١٧٠-١٧٢).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٥) الكواشف الجلية، لعبد العزيز السلمان ص(١٣١) [بتصرف].

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢.

ظُلۡمٗا ﴾[١].

قال الإمام بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

((هذان الاسمان فيهما الكمال الذاتي، والكمال السلطاني؛ فالذاتي في قوله:﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾، والسُّلطاني في قوله:﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾؛ لأنه يقوم على كُلِّ شيءٍ، ويقوم به كُلُّ شيءٍ))[٢].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هــذا ومــن أوصــافه القيــوم والــ	**قيــوم فـي أوصــافــه أمــران**
إحــداهما القيــوم قــام بنفســه	**والكــون قــام بـه همــا الأمــران**
فــالأول استغنــــاؤه عــن غيــره	**والفقــر مـن كـل إليــه الثــاني**
والوصــف بــالقيوم ذو شــأن كــذا	**موصــوفه أيضــاً عظـيم الشـــان**
والحــي يتلــوه فأوصــاف الكمــا	**ل همـا لأفـق سمائهـــا قطبــان**
فــالحي والقيــوم لــن تتخلــف الــ	**أوصــاف أصــلا عنهمــا ببيـــان**[٣]

فهذان الاسمان (الحي)، و(القيوم) مشتملان على جميع أوصاف الكمال، ومتضمنان لذلك؛ فإنك إذا أعطيتهما حقهما من المعنى لم يختلف عن ذلك شيء من الأسماء الحسنى، والصفات العُلى[٤].

فهما من أعظم أسماء الله الحسنى، وعليهما مدار الأسماء كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن،وأصدقه، واقترانهما يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها، ودوامها، وانتفاء

---

(١) سورة طه، الآية: ١١١.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٦٦/١).

(٣) الكافية الشافية ص(٢١١).

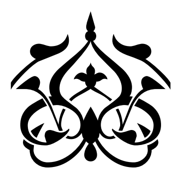
(٤) انظر التوضيح المبين ص(١٣٤) [بتصرف].

النقص، والعدم عنها أزلا وأبدا [(١)].

فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة، وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته، وعزته فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم نظام، والغنى التام، والقدرة التامة فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى، وبكل صفة من صفاته فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات[(٢)].

وصفة الحياة متضمنةٌ لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم[(٣)]، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام، والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم همٌ، ولا غمٌ، ولا حزنٌ، ولا شيءٌ من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة، والقيومية له تأثيرٌ في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال[(٤)].

وعلى كُلٍ فصفة الشَّهادة لله ﷻ منتظمة مع صفات كماله لدلالتها، واستلزامها لحياته جلَّ جلاله، كما تقدم، وكذا القول في قيوميته، و سيأتي بيان ذلك في المطلب القادم إن شاء الله تعالى.



(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٩١) [بتصرف].

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤) [بتصرف يسير].

(٣) هذا على قول بعض أهل العلم، ومن أراد الوقوف على الأقوال في ذلك فالينظر كتاب "اسم الله الأعظم" للدكتور عبد الله الدميجي فقد أجاد فيه، وأفاد.

(٤) انظر: زاد المعاد (١٨٧/٤).

المطلب الثاني: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (القيومية).

دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على صفة القيومية، وصفة الحياة كما تقدم، وذلك لاستلزامها معنى اسم الشهيد؛ فالشَّهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض، ولا في السماء كما قرر ذلك السَّلف رحمهم الله تعالى، وهذا لا يكون إلا لله جلَّ، وعلا المتصف بصفات الكمال.

فالله سبحانه، وتعالى شَهيدٌ قائم على مخلوقاته يُراقبهم، ويرعاهم، ويكلؤهم، وهم نائمون قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[(١)].

فهو الرحمن الشَّهيد القائم بحفظهم، ومراقبتهم، ورعايتهم، وتدبيرهم، وهو المنزه عن النقص فلا يعتريه سنة، ولا نومٌ، ولا موت، ولا غير ذلك؛ لأنه الذي يُمسك هذه المخلوقات قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[(٣)] أي: هو الذي يمسكهما حتى لا تضطربا، ولا تزولا[(٤)].

وهو سبحانه العلي على عرشه قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[(٥)] الشَّهيد القيوم على خلقه يدبرُ الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه قال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤١.

(٤) انظر: الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية، لابن جبرين (١/ ٤١٩) [بتصرف].

(٥) سورة طه، الآية: ٥.

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]، فيُحيي هذا، ويُميت هذا، ويُمرض هذا، ويَشفي هذا، ويُعزُّ هذا، ويُذلُّ هذا، وهو الحي القيوم القائم بنفسه، وكل شيءٍ قائم به[٢].

ومما ورد من مقالات السَّلف رحمهم الله في بيان معنى اسم الله ﷻ القيوم، وصفة القيومية :

قال الإمام الخطابي رحمه الله:((القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، ووزنه، فيعول، من القيام، وهو نعت المبالغة في القيام على الشيء، ويقال: هو القيم على كل شيء بالرعاية له، و يقال قمت بالشيء إذا وليته بالرعاية، والمصلحة))[٣].

وقال الزَّجاج رحمه الله:((القيوم هو فيعول من قام يقوم الذي بمعنى دام لا القيام المعروف وقال الله تعالى ذكره:﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ﴾[٤] أي دائماً، والله أعلم القيوم، وهو الدائم، وكان من قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾))[٥].

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((القيوم على وزن فيعول، وهذه من صيغ المبالغة، وهي مأخوذة من القيام، ومعنى القيوم أي: أنه القائم بنفسه؛ فقيامه بنفسه يستلزم استغناءه عن كل شيء، لا يحتاج إلى أكل، ولا شرب، ولا غيرها، وغيره لا يقوم بنفسه بل هو محتاج إلى الله ﷻ في إيجاده، وإعداده، وإمداده ومعنى القيوم كذلك أنه قائم على غيره لقوله تعالى:﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾[٦]، والمقابل محذوف تقديره: كمن ليس كذلك، والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله ﷻ، ولهذا يقول العلماء القيوم هو القائم على نفسه القائم على

---

(١) سورة السجدة الآيتان: ٥ – ٦.

(٢) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، لأبي محمد الجويني ص(٨٣) [بتصرف].

(٣) شأن الدعاء ص(٨٠–٨١).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٥٦).

(٦) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

غيره، وإذا كان قائماً على غيره؛ لزم أن يكون غيره قائماً به؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[(١)]؛ فهو إذاً كامل الصفات، وكامل الملك، والأفعال))[(٢)].

فمعنى القيوم: الذي قام بنفسه بماله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، بحيث كان مستغنياً عن غيره تعالى من جميع الوجوه، الذي قام بجميع المخلوقات في إيجادها، وإعدادها، وإمدادها جل وعلا، فكما لا وجود لها إلا بالله تبارك، وتعالى، فلا بقاء لها، ولا صلاح إلا به ﷻ، فهي مفتقرة إليه في جميع شئونها، لا يمكن أن تستغني عنه سبحانه طرفة عين، ومن كمال قيوميته أنها تستلزم جميع الصفات الفعلية فهو كامل القوة، والقدرة، نافذ الإرادة، والمشيئة، فعال لما يريد، قام بنفسه، وقام به من سواه، **والصفات الفعلية** التي يفعلها الباري، مما يتعلق بنفسه: كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده، والكلام، وغير ذلك، ومما يتعلق بالمخلوقات: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والرحمة، وأنواع التدابير الإلهية، داخلة في القيوم، لأن معنى القيوم الذي قام بنفسه بماله من صفات الكمال، ونعوت الجلال[(٣)].

وعلى ذلك فالقيوم هو القائم بنفسه مطلقاً، لا بغيره أزلاً، وأبداً فلم يحتج إلى أحد بوجه من الوجوه لكمال غناه، وقدرته فهو الذي قامت به جميع المخلوقات من في الأرض، ومن في السماوات إذ هي فقيرة محتاجة إليه فلا صلاح، ولا بقاء لها إلا به، وهو الغني عنها من كل وجه من الوجوه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وأما القيوم فهو متضمنٌ كمال غناه، وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

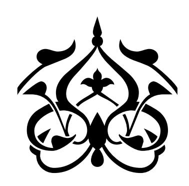
(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/١٦٥).

(٣) انظر التوضيح المبين ص(١٣٤) [بتصرف يسير].

وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته، وعزته))[١].

كما أن القيوم يُفيد إقامتهُ لغيره، وقيامه عليه، ويُفيدُ دوام قيامه، وكمال قيامه لما فيه من المبالغة فهو سبحانه لا يزول، ولا يأفل؛ فإن الآفل قد زال قطعاً أي لا يَغيِبُ، ولاَ ينْقُص، ولا يفنى، ولاَ يَعْدَمُ، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل، ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال[٢].

والقيوم جامع لجميع صفات الأفعال كما تقدم؛ فلا يتعذر عليه فعل ممكن، كالخلق، والرزق، والإنعام، والإحياء، والإماتة، وذلك كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((مُقتضٍ لتدبير أمر العالم العلوي، والسفلي، وقيامه بمصالحه، وحفظه له))[٣]، وهو مستلزمٌ لشهادته تبارك، وتعالى على كُل شيءٍ، والله أعلم.



(١) بدائع الفوائد (١٨٤/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(٩١/١) [بتصرف].

(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص(١٦٣).

المطلب الثالث: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (السَّمع).

دل اسم الله ﷻ الشهيد على صفة السمع باللزوم؛ فالشَّهيد سبحانه، وتعالى يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانيةٌ، والبعيد عنده قريبٌ[(١)]، وهو على ذلك شهيد سبحانه، وتقدس، وقد وصف الله تعالى، ذاته في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بصفة السَّمع، وسمى نفسه بالسَّميع؛ فقال سبحانه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[(٢)].

وبَوَّب البخاري رحمه الله ببابِ قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[(٣)]، ثم روى بسنده حديثاً عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: ((**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ:** ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾))[(٤)].

وفي رواية للنسائي رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ((**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فكان يخفى عليَّ كلامها، فأنزل الله ﷻ** ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ ﴾ **الآية**))[(٥)].

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: ((ففي هذا إثبات السَّمع لله – سبحانه، وتعالى–، وأنه

---

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية ص(١٨٣) [بتصرف].

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٤

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (١١٧/٩)، وهو حديث الباب.

(٥) أخرجه النسائي، كتاب الطلاق، باب الظهار، (١٦٨/٦)، برقم (٣٤٦٠)، وقد صححه الألباني، انظر: صحيح، وضعيف سنن النسائي، (٣٢/٨).

يسمع الأصوات مهما بعدت، ومهما خفيت))[١].

فالله شهيدٌ على كل شيءٍ مدركٌ لجميع الأصوات محيطٌ بها لا يفوته شيءٌ منها يسمعُ بسمعٍ، حقيقة، وهو مُنزهٌ عن صفات المخلوقين، ومماثلتهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

فأهل السنة، والجماعة يثبتون لله ﷻ صفة السمع، ويقولون هو سميعٌ يسمعُ، وسمعهُ يتعلق بكل مسموع من الأصوات مهما خفتت[٣].

هذا هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى، وعلى ذلك دل الكتاب، والسنة[٤].

قال الإمام الخطَّابي - رحمه الله - في بيان معنى اسم الله ﷻ السَّميع-:((السَّميع: بمعنى السَّامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة، كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر، والنجوى، وسواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة...ومن هذا قول المصلي:(سمع الله لمن حمده) معناه: قبلَ اللهُ حمدَ من حمده))[٥].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((..السَّميع: الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية، والبعيد عنده قريب))[٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

وهو السميع يسمع ويرى كل ما — في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر — فالسر والإعلان مستويان

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (٣٢٣/١).

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

(٣) انظر: شرح القصيدة النونية، للدكتور محمد خليل هراس (٤٢١/١) [بتصرف].

(٤) انظر: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للدكتور زيد الفياض ص(١٢٧) [بتصرف].

(٥) انظر: شأن الدعاء ص(٥٩) [بتصرف].

(٦) انظر: توضيح الكافية الشافية ص(١٨٣) [بتصرف].

والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والدّان[١]

وقال أيضاً رحمه الله:

وكذا سميعٌ وهو ذو سمعٍ ويسمـ ـعُ كل مسموعٍ من الأكوانِ[٢]

فهو الشَّهيد المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها، وجليها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شَهد لعباده، وعلى عباده بما عملوه[٣].

والسَّمعُ يُراد به إدراك الصوت، ويراد به فهم المعنى، ويراد به القبول، والإجابة، والثلاثة في القرآن:

فمن الأول: قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٤]، وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع ذكر الماضي، والمضارع، واسم الفاعل سمع، ويسمع، وهو سميع، وله السمع...

والثاني: سمع الفهم كقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[٥] أي: لأفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٦] لما في قلوبهم من الكبر، والإعراض عن قبول الحق ففيهم آفتان إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم ولو فهموه لتولوا عنه، وهم معرضون عنه لكبرهم وهذا غاية النقص والعيب.

والثالث: سمع القبول، والإجابة كقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

---

(١) الكافية الشافية ص(٢٠٤).

(٢) المصدر نفسه ص(١٧٢).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي ص(٢١١).

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

(٦) السورة، الآية نفسها.

﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾[(١)] أي: قابلون مستجيبون، ومنه قوله: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[(٢)] أي: قابلون له مستجيبون لأهله، ومنه قول المصلى: سمع الله لمن حمده أي: أجاب الله حمد من حمده، ودعاء من دعاه، كما صح عند أبي داود، والنَّسائي، وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد يسمع الله لكم))[(٣)] أي: يجيبكم[(٤)].

والسَّمع الذي أثبته الله ﷻ لنفسه، وأضافه نوعان: سمع إدراك المسموع، وسمع إجابة المسموع، وهو داخلٌ في دلالة اسمه ﷻ الشَّهيد باللزوم، وبيانهما على ما يلي:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة، والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها.

والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين، والداعين، والعابدين فيصيبهم، ويثيبهم[(٥)].

وأصل ذلك في كتاب الله - تعالى- قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[(٦)]، **فقوله**: ﴿ سَمِعْنَا ﴾ أي: سمع إدراك، **وقوله**: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي : سمع استجابة، وفي قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ هنا سمع إدراك، وفي **قوله**: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ﴾[(٧)] أي: سمع استجابة، وفي قول المصلي: سمع الله لمن حمده سمعُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٣) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، باب التشهد، (٢٥٥/١)، برقم (٩٧٢)، والنسائي، كتاب التطبيق، باب قول ربنا ولك الحمد، (١٩٦/٢)، برقم (١٠٦٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار، (٢٣٨/١)، برقم (١٤٢١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، (٣٧/٢)، برقم (٣٣٢)، وفي أصل صفة الصلاة، (٣٨٧/١)، وذكر من أخرجه بدون قوله ﷺ:(يسمع الله لكم).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٧٩/١) [بتصرف].

(٥) المصدر نفسه.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

الأمرين جميعاً بمعنى: أنه يسمع، ويجيب من حمده بالإثابة.

وعلى ذلك فسمع الله تعالى نوعان كما تقدم سمع إدراك، وسمع استجابة.

فالأول: سمعٌ يتعلق بالمسموعات؛ فيكون معناه إدراك الصوت، وهو من الصفات الذاتية.

الثاني: سمعٌ بمعنى الاستجابة، فيكون معناه أن الله يجيب من دعاه؛ لأن الدعاء صوت ينطلق من الداعي، وسمع الله دعاءه أي: استجاب دُعاءه، وليس المرادُ سمعه مجردُ سماع فقط لأن هذا لا فائدة منه بل الفائدة أن يستجيب الله الدعاء، وهو من الصفات الفعلية لأن الله تبارك، وتعالى إن شاء استجاب، وإن لم يشاء لم يستجب.

والسَّمع الذي بمعنى الإدراك للأصوات على قسمين:

الأول: سمع عام لكل شيء؛ فهذا يشمل المؤمن، والكافر، وما يرضاه الله، وما لا يرضاه، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]؛ فهذا عام يشمل كل شيء، ويقصد به بيان إحاطة الله تعالى.

الثاني: سمعٌ خاصٌ بحسب ما قصد به، والذي يقتضيه، **وهو نوعان:**

النوع الأول: ما قُصِدَ به النصر، والتأييد، وهذا السمع الخاص له أمثلة في كتاب الله مثل قوله تعالى لموسى، وهارون عليهما الصلاة، والسلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]، أراد الله ﷻ أن يؤيد موسى، وهارون بذكر كونه معهما يسمع، ويرى أي: يسمع ما يقولان، وما يقال لهما، ويراهما، ومن أرسلا إليه، وما يفعلان، وما يفعل بهما، فينتصر لهما؛ فهذا السَّمع مقتضاه النَّصر، والتأييد.

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: ((..فأعلم الرحمن جل وعلا أنه سمع مخاطبة كليمه موسى، وأخيه هارون عليهما السلام، وما يجيبهما به فرعون، وأعلم أنه يرى ما يكون من كل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

منهم..))[١].

وهو يدل على مُشاهدته ﷻ لأنبيائه، ورسله عليهم الصلاة، والسلام، ولأوليائه المؤمنين، فينتصر لهم ويؤيدهم، و يخذل أعدائهم، وينتقم منهم.

النوع الثاني: ما قصد به التهديد، والوعيد مثل **قوله تعالى**: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾[٢]، **وقوله تعالى**: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٣].

فالسَّمع الخاص نوعان ما قصد به النَّصر، والتأييد، وما قصد به الوعيد، والتهديد، وضابط معرفتهما قرائن الأحوال، وسياق الكلام التي تدل مقتضاه كذا أو كذا [٤].

وعلى كلٍ فالله ﷻ هو الشَّهيد السَّميع الذي لا يغيب عن شهادته، ولا سمعه مثقالُ ذرةٍ في الأرض، ولا في السَّماء بل هو المطلع على كل شيءٍ العليمُ بتفاصيله[٥]، تبارك، وتعالى.

أما من حيث اقترن اسم الله ﷻ السَّميع باسمه البصير، وصفة السَّمع، والبصر فقد قرن الله تعالى بينهما في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٦]؛ فكلٌ من السَّمع، والبصر محيطٌ بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة فالسَّميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات،فكل ما في العالم العلوي، والسُّفلي من الأصوات يسمعها سرها، وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد.

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، لابن خزيمة (١/ ١٠٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، (١/٣٢٣- ٣٢٤)، وشرح العقيدة السَّفارينية، ص(١٨٥-١٨٧)، لابن عثيمين [بتصرف].

(٥) مدارج السالكين (٣/٤٦٠)

(٦) سورة النساء، الآية: ١٣٤.

قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[1][2].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((يقول تعالى ذكره: معتدلٌ عند الله منكم، أيها النَّاس، الذي أسر القول، والذي جهر به، والذي هو مستخفٍ بالليل في ظلمته بمعصية الله ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾، يقول: وظاهر بالنَّهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، سواءٌ عنده سِرُّ خلقه، وعلانيتهم؛ لأنه لا يستسرُّ عنده شيءٌ، ولا يخفى))[3].

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[4]، وقال تبارك، وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات المثبتة لاقتران اسمي الله ﷻ (السَّميع البصير)، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[6]، وقوله: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[8]، دليلٌ على سعة إطلاعه تبارك، وتعالى، وإحاطة علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات[9].

وقد وصف الله ﷻ نفسه بالسمع، والبصر فقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾، فأخبر أنه سميعٌ من كل الجهات لكل الأصوات بصيرٌ بكل الأشياء من كل الجهات، لم يزل يسمع،

(١) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي ص(١٧٥) [بتصرف يسير].

(٣) جامع البيان (٣٦٦/١٦).

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٦) سورة الشعراء الآيتان: (٢١٨ - ٢١٩).

(٧) سورة غافر الآية: ١٩.

(٨) سورة المجادلة الآية: ٦، وسورة البروج، الآية:٩.

(٩) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي، ص(١٧٤) [بتصرف].

ويبصر، ولا يزال كذلك، ووصف عباده بالسَّمع، والبصر المحدث المخلوق الفاني بفنائهِ الذي يَكلُّ، ويعجزُ عن جميع حقيقة المسموع، والمبصر..[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ أصلٌ في طريقة سلف الأمة، وأئمتها، والتي تتضمن إثبات الأسماء، والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل،..ففي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ردٌ للتشبيه، والتمثيل، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ردٌ للإلحاد، والتعطيل[(٢)].

ومن الأدلة على اقتران السميع بالبصير ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال:((**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً، ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، أو قال ألا أدلك به**))[(٣)].

وقد بَوبَّ البخاري رحمه الله في صحيحه بما يدل على إثبات هذين الاسمين لله تعالى، وما تضمناه من صفات الكمال بقوله:((**باب قوله تعالى:** ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾..))[(٤)]، غرضه في هذا كما قال الإمام ابن بطال رحمه الله:((..أن يرد على من يقول: إن معنى سميع بصير: معنى عليم لا غير؛ لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى، والأصم الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، وأن في العالم أصواتاً، ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع الصوت، وعلمه ورأى خضرة السماء وعلمها أدخل في صفات الكمال ممن انفرد بإحدى

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٠٤) [باختصار].

(٢) انظر: التدمرية، لابن تيمية ص(٨) [بتصرف].

(٣) أخرجه البخاري أيضاً في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٩/١١٧)، برقم (٧٣٨٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/٢٠٧٦)، برقم (٢٧٠٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٩/١١٧).

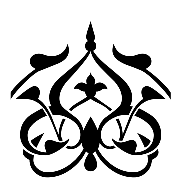
هاتين الصفتين، وإذا استحال كونه أحدنا ممن لا آفة به أكمل صفة من خالقه وجب كونه تعالى سميعاً بصيراً مفيداً أمراً زائداً على ما يفيده كونه عليما، ثم نرجع إلى ما تضمنه كونه سميعاً بصيراً، فنقول: هما متضمنتان لسمع، وبصر بهما كان سميعاً بصيراً كما تضمن كونه عالماً علماً لأجله كان عالماً، وكما أنه لا خلاف بين إثباته عالماً وبين إثباته ذا علم، فإن من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر، وهذا مذهب أهل السُّنة، والحق))[١].

فالله ﷻ سميعٌ بصيرٌ، له سمعٌ، وبصرٌ؛ إذ لا يُعقل مُسمى سميعاً بصيراً في لغةٍ، ولا عقلٍ في النُّشوء، والعادة، والمتَعارف إلا من له سمعٌ، وبصر[٢]؛ فقد ورد بهما النَّص، وانعقد عليهما الإجماع.

ثم إن هذا الاقتران يورث العبد استشعاراً لعظمة الله تعالى، وأنه شهيد على كل شيء.

فإذا قيل:(السَّميع البصير) عَلِم أنه لا يخفى على الله خافية، وأنه بمرأى منه، ومسمع؛ فيخافه في سره، وعلنه، ويراقبه في كافة أحواله[٣].

وخلاصة القول في هذا أن عقيدة أهل السُّنة، والجماعة في اتصاف المولى – جلَّ، وعلا – بالسَّمع، والبصر ثابتةٌ بنصوص الكتاب، والسُّنة، وإجماع السلف– رحمهم الله–؛ فالله – تبارك، وتعالى– موصوف بالسَّمع، والبصر من غير تمثيل، ولا تعطيل، ومن غير تحريف، ولا تكييف، وقد دل اسم الله – ﷻ– الشهيد عليهما، وهما متضمنان له.



(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/٤١٦-٤١٨).

(٢) انظر: التبصير في معالم الدين، لابن جرير الطبري (١/١٤٠-١٤١) [بتصرف].

(٣) انظر: شأن الدعاء ص(٢٧- ٢٨) [بتصرف يسير].

المطلب الرابع: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (البصر).

دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على صفة البصر، فهو الشهيدُ البصير، بكل شيء الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسَّماوات، حتى أخفى ما يكون فيها؛ فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة جداً، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدث العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وتبارك من تبهر العقول عن التأمل لبعض صفاته المقدسة، وتشهد البصائر كماله، وعظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشَّهادة، والحاضر، والغائب، والخفي، والجلي، ويرى تعالى خيانات الأعين بلحظها، أي حين يلحظ العبد منظراً يخفيه على جليسه، فالله تعالى يراه في تلك الحالة التي يحرص العبد على إخفاء ملاحظته عن كل أحد، فسبحانه ما أحلمه على عباده، ويرى تقلبات الأجفان حين يقلبها الناظر من آدمي أو ملك أو جني أو حيوان، وحين يطبقها، ويفتحها، ويرى حركات الجنان قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[(١)]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[(٣)] أي: مطلعٌ، ومحيطٌ علمهُ بجميع المعلومات، وسمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المرئيات ما نبصره، وما لا نبصره فهو سبحانه يبصر ما تحت الأراضين السبع، كما يبصر ما فوق السَّماوات السَّبع، وأيضاً سميعٌ بصيرٌ بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى حكمته[(٤)].

---

(١) سورة الشعراء الآيتان: ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) سورة غافر الآية: ١٩.

(٣) سورة المجادلة الآية: ٦، وسورة البروج، الآية: ٩.

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص(١٧٤-١٧٥)، والتوضيح المبين، لابن سعدي ص(٤٦) [بتصرف].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو البصير يرى دبيب النملة السـ ـــوداء تحت الصخـرو الصـوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويـرى نياط عروقها بعيـان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كـذاك تقلب الأجفان[١]

وقال أيضاً:

وكذا بصيرٌ وهو ذو بصرٍ ويبصـ ـــرُ كل مرئيٍّ وذي الأكوانِ[٢]

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((..البصر: هو رؤية الأشياء، وقد أثبت الله في كتابه أنه بصير بما يعمل العباد، وأخبر النبي ﷺ أن لله بصراً في قوله:((**حجابه النور[٣] لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه[٤] ما انتهى إليه بصره من خلقه**))[٥]، وعلى هذا فالبصر ثابت لله تعالى بالكتاب، والسنة.

لكن هذا الحديث الذي ذكرناه هو بصر الرؤية، أما بصر العلم فيستفاد من الآية، ولهذا نقول: إن بصر الله ﷻ **نوعان:** بصر رؤية، وبصر علم، وكلاهما يشمله قوله تعالى:﴿ **وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ** ﴾[٦]، **وقوله:**﴿ **وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[٧]، وما أشبه ذلك من

---

(١) الكافية الشافية ص(٢٠٤).

(٢) المصدر نفسه ص(١٧٢).

(٣) حِجَابُه النور: أي إن النور يمنع من رؤيته، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥/ ١٢٥).

(٤) سُبُحَاتُ وجْهه: سُبُحَاتُ الله: جلاله، وعظمته، وهي في الأصل جمع سُبْحَةٍ، وقيل أضواء وجهه، وقيل سُبُحَاتُ الوجه: محاسنه؛ لأنك إذا رأيت الحَسَنَ الوجه قُلْتَ: سُبْحَان الله، وقيل معناه تنزيه له: أي سبحان وجهه، وقيل: إن سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل، والمفعول: أي: لو كشفها لأحرقت كل شيء أدركه بصره، فكأنه قال: لأحرقت سبحات الله كل شيء أبصره، كما تقول: لو دخل الملك البلد لقتل والعياذ بالله كل من فيه، وأقرب من هذا كله أن المعنى: "لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيءٍ لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خَرَّ موسى عليه السلام صَعقاً، وتقطع الجبل دكاً لما تجلى الله سبحانه وتعالى؛ كما في سورة الأعراف، الآية: ١٤٣، انظر: المصدر نفسه.

(٥) تقدم تخريجه ص: (١١٢).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٧) سورة الحجرات الآية: ١٨.

الآيات، فإن هذا البصر شاملٌ لبصر العلم، وبصر الرؤية.

أما قوله عليه الصلاة السلام:((لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[١] ، فإنه يختص ببصره الرؤية..))[٢].

- والرؤية لله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

١- رؤية بمعنى العلم.

٢- رؤية بالبصر، وهي بمعنى إدراك المبصرات.

وكل ذلك ثابت لله ﷻ.

والرؤية التي بمعنى إدراك المبصرات ثلاثة أقسام:

- قسمٌ يقصد به النَّصر، والتأييد؛ كقوله:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٣].

- وقسمٌ يقصد به الإحاطة، والعلم؛ مثل قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[٤].

- وقسمٌ يقصد به التهديد؛ مثل قوله:﴿ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٥].

وعلى كل حال فالبصر ثابت لله ﷻ، وهو من الصفات الذاتية التي لم يزل، ولا يزال متصفاً بها، فهو لم يزل، ولا يزال عليماً، ولم يزل، ولا يزال بصيراً بخلقه ﷻ، يبصرهم، وهو الشهيد عليهم[٦].

ومما ورد من مقالات السلف رحمهم الله في بيان معنى اسم الله ﷻ البصير، وصفة البصر:

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١١٢).

(٢) شرح العقيدة السَّفارينية ص(١٨٤- ١٨٥).

(٣) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٩٤.

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٣٢٩/١-٣٣٠) [بتصرف يسير].

قول الإمام الطبري رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)]:
((والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها، وأصل"بَصير""مُبصر" من قول القائل:"أَبصرت فأنا مُبصر"، ولكن صرف إلى"فَعيل"، كما صرف"مُسمع" إلى"سَميع"، و"عذاب مُؤلم" إلى"أَليم"،"ومُبدع السموات" إلى بَديع، وما أشبه ذلك))[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله – في تفسيرها –:((أي: خبيرٌ بصيرٌ بما يعمل عباده من خير، وشر، وسيجازي كل عامل بعمله))[(٣)].

وقال الإمام الخطَّابي رحمه الله:((البصير: هو المبصر، فَعيل بمعنى مُفعل، كقولهم، أَليم: بمعنى مُؤلم، ...ويقال: البَصيرُ: العالم بِخَفِيَّاتِ الأمور))[(٤)].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((البصير: الذي يبصر كل شيءٍ، وإن دق، وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضاً سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة))[(٥)].

وقال العلاَّمة محمد خليل الهراس رحمه الله:((ومعنى البصير: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص، والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز، والأستار، وهو من فَعِيل بمعنى مُفْعل، وهو دالٌّ على ثبوت صفة البصير له سبحانه على الوجه الذي يليق به))[(٦)].

ومما تقدم تبين أن الأصل في معنى اسم الله ﷻ البصير أن يُفسَّر بما يدل على إثبات الصفة له تعالى على ما يليق بجلاله، وعظمته، وأن له سبحانه بصراً حقيقةً يبصر به جميع الخلائق لا يماثل ما وهبه لعباده، ومخلوقاته من نعمة البصر، والعلم متضمن لهذه الصفة، وقد تقدم ما يدل على ذلك من كلام ابن بطال في السميع البصير، وهو دالٌّ على شهادته التي وسعت كل شيء؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٢) جامع البيان (٣٧٦/٢-٣٧٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٦/٢).

(٤) انظر: شأن الدعاء ص(٦٠-٦١) [باختصار].

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(٩٤٦).

(٦) شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص(٩٧).

المطلب الخامس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (العلم).

تقدم الكلام عن دلالة اسم الله ﷻ الشهيد على اسمه العليم، ولعلي هنا أبين وجه الدلالة على صفة العلم الذَّاتية التي وصف الله تعالى بها نفسه،كما وصف نفسه بعلاَّم الغيوب، وعالم الغيب، والشَّهادة، وأنه بكل شيء عليم، وهذه الدلالة متلازمة إذ أن العلم كما تقرر مرتبة من مراتب الشَّهادة التي لا تتم إلا به فلا يُعدُّ شهيداً من لا علم له بما يشهد، والله تبارك، وتعالى عليم شهيد لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض، ولا في السَّماء.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو العليم أحاط علماً بالذي ... في الكونِ من سرٍ ومن إعلانِ

وبكل شيءٍ علمهُ سبحانهُ ... فهو المحيطُ وليس ذا نسيانِ

كذاكَ يعلمُ ما يكونُ غداً وما ... قد كانَ والموجود في ذا الآنِ

كذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذا إمكانِ[1]

قال الحليمي[2] رحمه الله في معنى قوله تعالى:﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾((..أنه يدرك الأشياء على ما هي عليه، وإنما وجب أن يوصف- عز اسمه – بالعالم؛ لأنه قد ثبت أن ما عداه من الموجودات فعلٌ له، وأنه لا يمكن أن يكون فعلٌ إلا باختيار، وإرادة، والفعل على هذا الوجه لا يظهر إلا من عالم، كما لا يظهر إلا من حيٍّ))[3].

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((من صفات الله تعالى العلم، والعلم صفة كمال، ولهذا يمتدح به الإنسان، ويكره أن يوصف بضده، فلو قلت لشخص: يا جاهل، وأنت من أعلم الناس

---

(١) الكافية الشافية ص(٢٠٤).

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعيّ، قاض،كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، وحدث بنيسابور، وروى عنه الحافظ الحاكم، وغيره، مولده بجرجان، ووفاته في بخارى سنة ٤٠٣ هـ، ومن مؤلفاته :(المنهاج) في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاما كثيرة، ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، (١٣٨/٢)، والأعلام (٢٣٥/٢).

(٣) المنهاج، للحليمي (١٩١/١).

قال لك: أنت الجاهل؛ لأنه يرى أن وصفه بالجهل عيب، وقدح، ومسبة لابد أن ترد؛ فالعلم صفة كمال بلا شك، وعلم الله شامل لكل شيء، حاضراً، ومستقبلاً، وماضياً، قال الله سبحانه، وتعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[١]، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣]، وكذلك أيضاً علم الله محيط بكل شيء تفصيلاً، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٤]، وعلمه سبحانه، وتعالى شامل لما يتعلق بفعله، وما يتعلق بفعل عباده، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٥].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٧]؛ فعلم الله شامل لكل ما يعمله العبد.

إذاً علم الله ثابت له بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، والنظر الصحيح بالكتاب، وما أكثر الآيات التي تصف الله بالعلم.

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة التغابن، الآية: ٤.

(٦) سورة ق، الآية: ١٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

والسُّنة كذلك مملوءة بما يدل على أن الله تعالى بكل شيء عليم، كما في حديث الاستخارة، وغيره.

وإجماع المسلمين ثابت بأن الله بكل شيء عليم.

والنَّظر الصحيح يدل عليه، لقول الله تعالى مستدلاً على علمه بدلالة عقلية: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١]، فالخالق لا بد أن يكون عالماً بمخلوقه، وعالماً بخلقه كيف يخلق؛ فالعلم دلَّ عليه القرآن، والسُّنة، والإجماع، والعقل جملة، وتفصيلا))[٢].

وإذا كان علم الله ﷻ شاملٌ لكل شيءٍ للحاضر، والمستقبل، والماضي، ومحيطٌ بكل شيءٍ؛ فإن ذلك دليلُ شهادته على كل شيءٍ كما أخبر بذلك عن نفسه بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾[٣]؛ فهو العليمُ، والشَّهيدُ بالأشياء قبل كونها في أوصافها، وأجناسها، وذاتها، وألوانها، وأعدادها، فجاءت بعد كونها على ما سبق في علمه بلا زيادة، ولا نقصان قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، وأيضاً قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[٥]، والدَّلائل في ذلك أكثر من أن تحصى[٦].

ومن أقوال السَّلف الصالح رحمهم الله في الاعتقاد الصحيح الواجب في علم الله - تبارك، وتعالى-، والذي صار بعد ذلك عقيدةً لأهل السَّنة، والجماعة، في كل عصرٍ، ومصر: قول

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) شرح العقيدة السفارينية ص(١٩١- ١٩٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٧ - ٢٨.

(٦) انظر: جزء فيه امتحان السني من البدعي، لابي الفرج عبد الواحد الشيرازي ص(٣٧٨) [بتصرف].

الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله:((واعلموا أن الله عز وجل لم يزل عالماً بالخلق، وأعمالهم، قبل أن يخلقهم، ولا يزال عالماً بهم، لم يزدد في علمه بكينونة الخلق خردلة، واحدة، ولا أقل منها، ولا أكثر، ولكن خلق الخلق على ما كان في نفسه قبل أن يخلقهم، ومن عنده بدأ العلم، وهو علم الخلق ما لم يعلموا))[١].

وقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:((..والله عز وجل على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات السبع، والأرضين السَّبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة، وكل شجرة، وكل زرع، وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى، والرمل، والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السَّماء السَّابعة، ودونه حجب من نور، ونار، وظلمة، وما هو أعلم به))[٢].

كما عقد البخاري رحمه الله في صحيحه باباً عنون له بـ:((باب قول الله تعالى:﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٣]، و:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٤]، و:﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾[٥]، و:﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾[٦]، و:﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٧] قال يحي[٨]:﴿ وَٱلظَّـٰهِرُ ﴾[٩] على كل شيءٍ علماً، ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[١٠]

---

(١) الرد على الجهمية، لعثمان بن سعيد الدارمي ص(١١٢).

(٢) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (٢٨/١)، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، لعبد الإله الأحمدي،(٢٨٤/١).

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٧.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٦) سورة فاطر، الآية: ١١، وسورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

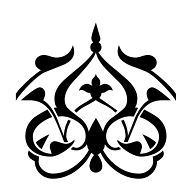
(٨) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي المعروف بالفراء، وقد تقدمت ترجمته ص١٨.

(٩) سورة الحديد، الآية: ٣.

(١٠) الآية نفسها.

على كل شيءٍ علماً))[١].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله:((أراد البخاري رحمه الله بيان ثبوت علم الله تعالى، وعلمه تعالى من لوازم نفسه المقدسة، وبراهين علمه تعالى ظاهرة مشاهدة في خلقه، وشرعه، ومعلوم عند كل عاقل أن الخلق يستلزم الإرادة، ولا بد للإرادة من العلم بالمراد، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢]، والخالق هو المبدع بتقدير سابق الوجود في الخارج، وهذا يتضمن تقدير المخلوقات في العلم قبل إيجادها في الخارج، وهو أيضاً يستلزم الإرادة، والمشيئة، والإرادة مستلزمة تصور المراد، والعلم به.. والأدلة على وصف الله بالعلم كثيرة، ولا ينكرها إلا ضالٌ أو معاند مكابر، وفي هذه الآيات التي ذكرها البخاري مدح الله سبحانه وتعالى فيها نفسه بأنه عالم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه، فكان ذلك دليلاً على أنه لا يعلم الغيب سواه، فعلمه تعالى من ارتضاه من رسله، فأطلعهم على ما يشاء من غيب، عن طريق الوحي إليهم، وإعلامهم به، وجعل ذلك معجزة لهم، ودليلاً على نبوَّتهم، وصدقهم))[٣]، والله تعالى أعلم.



---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾، (٩/١١٥-١١٦).

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله الغنيمان (١/٨٠).

المطلب السادس: دلالة اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفة (الإحاطة).

وأما إحاطته – تعالى فهي حق ثابت له لا يخالف العقل، والنقل، فهو المحيط، والشهيد على كل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((..والإحاطة قد عُلم أن الله قادر عليها، وعلم أنها تكون يوم القيامة بالكتاب، والسنة، وليس في إثباتها في الجملة ما يخالف العقل، ولا الشرع، لكن لا نتكلم إلا بما نعلم، ومالا نعلمه أمسكنا عنه..))[١].

فالله ﷻ لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيءٍ، وفوقه لا يحويه شيءٌ، ولا يحيط به شيءٌ، كما يكون لغيره من المخلوقات، وهو المحيط بكل شيءٍ، العالي على كل شيء[٢].

قال العلاَّمة البيهقي رحمه الله:((المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته))[٣].

وقال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله:((..المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عددا))[٤].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: في قوله:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[٥]:

((نفى تعالى عنَّا الإحاطةَ بشيء من علمه، وكيف يمكن لنا ذلك، وقد عُلم أنه المحيط بنا علماً، كما قال ﷻ:﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٦]، ومن المحال أن يكون المحيط بكل شيء

---

(١) الرسالة العرشية ص(٢٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص(٢٦٧) [بتصرف].

(٣) الاعتقاد ص(٦٨).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٣-١٦٤).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٦) سورة الطلاق الآية: ١٢.

يُحيطُ به شيء))[١].

وهو ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة ((أن الله سبحانه موصوف بالإثبات، والنفي))بعد تقريره أن عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنٌ لإثبات المدح، وذلك عند بيانه للقول الصواب في المنفي من قوله ﷻ:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[٢]، قال رحمه الله:((إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدح؛ إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يحاط به، وإن رُئي؛ كما أنه لا يحاط به، وإن عُلم فكما أنه إذا عُلم لا يحاط به علماً: فكذلك إذا رُئي لا يُحاط به رُؤية فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفةَ كمال، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها))[٣].

ومن الأدلة على سعة إحاطته، وعلمه قوله سبحانه:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[٤].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((يقولُ جلَّ ثناؤه: لتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علمًا، لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر: يقول جلّ ثناؤه فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر، ومحيط أيضًا بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خافٍ، وهو محصيها عليكم، ليجازيكم بها، يوم تجزى كلُّ نفسٍ ما كسبت))[٥].

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٥٢٧/١).

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) التدمرية ص(٥٩).

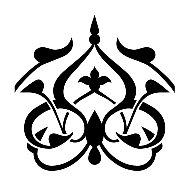
(٤) سورة الطلاق الآية: ١٢.

(٥) جامع البيان (٤٧٢/٢٣).

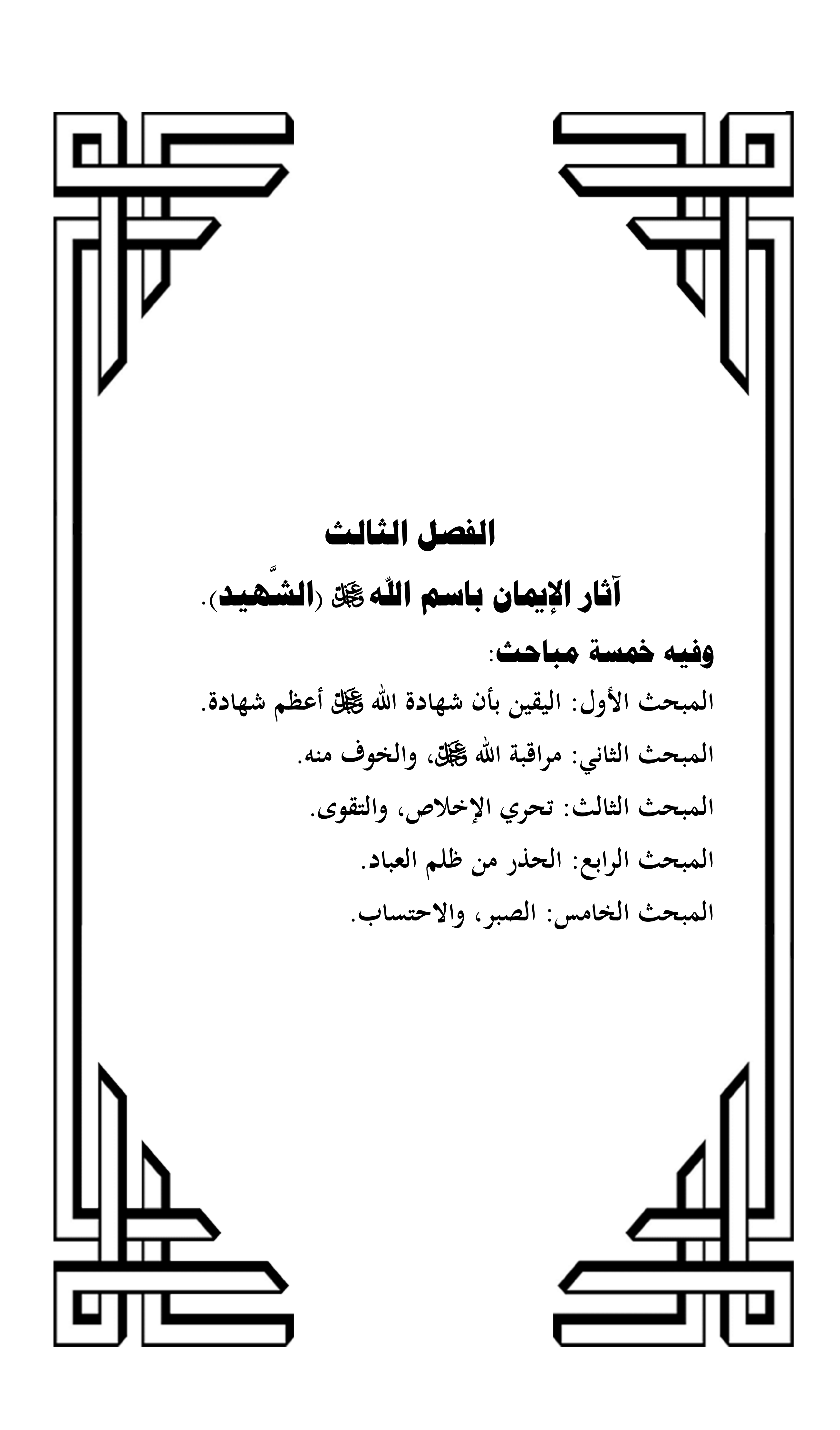
ففي هذه الآية إخبار منه- جل جلاله - عن نفسه أنه خلق الخلق من السماوات السبع، ومن فيهن، والأرضين السبع، ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع، والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله عليهم الصلاة والسلام لتذكير العباد، ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية، والقدرية التي يدبرﷻ بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد، ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه، المقدسة ﷻ، وأسمائه الحسنى، وعبدوه، وأحبوه، وقاموا بحقه؛ فهذه الغاية المقصودة من الخلق، والأمر معرفة الله، وعبادته، فقام بذلك المؤمنون الموفقون من عباد الله الصالحين، الفائزون بجنة رب العالمين، وأعرض عن ذلك الظالمون المخذولون المعرضون[(١)].

هذا، وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الكلام على مسألة الإحاطة في عدد من مؤلفاته، وردَّ على المخالفين لمنهج السَّلف في ذلك، والمقصودُ هو إثبات دلالة اسم الله ﷻ الشَّهيد على صفة العلم، والإحاطة مما لا يدع مجالاً للجهل بسعة علمه ﷻ، وإحاطته المستلزمة لشهادته على جميع الخلائق.

ومن خلال ما تقدم تبين أن اسم الله ﷻ (الشَّهيد) له مدلولات، ولوازم تدل على صفات الكمال.



(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٨٧٢) [بتصرف].



الفصل الثالث

آثار الإيمان باسم اللّه ﷻ (الشَّهيد).

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اليقين بأن شهادة الله ﷻ أعظم شهادة.

المبحث الثاني: مراقبة الله ﷻ، والخوف منه.

المبحث الثالث: تحري الإخلاص، والتقوى.

المبحث الرابع: الحذر من ظلم العباد.

المبحث الخامس: الصبر، والاحتساب.

المبحث الأول

اليقين بأن شهادة الله ﷻ أعظم شهادة.

لاشك أن لاسم الله - جل وعلا - الشَّهيد آثاراً إيمانية عظيمة في قلب العبد تورث أثراً بالغاً على جوارحه بتقويم سلوكه، من إقباله على ربه - تبارك، وتعالى- بقلب خاشع خاضع منيب مع استشعاره لعظمته، واطلاعه ﷻ على خفيات الأمور، وظواهرها، إلى غير ذلك.

وفيما يلي بيان لبعض هذه الآثار:

من ذلك (اليقين بأن شهادة الله ﷻ هي أعظم شهادة)؛ فالله ﷻ هو الأعظم، والأعلى، والأجل[١]

شهد لنفسه بالتوحيد، وشهد له به ملائكته الكرام، وأنبياؤه، ورسلهُ - عليهم الصلاة، والسلام - قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]؛ فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد،..وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية؛ فتضمنت أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به[٣].

وأمر رسوله ﷺأن يقول للمشركين الذين ينازعونه في التوحيد، وفي صدق ما جاء به[٤] كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٥].

---

(١) انظر: كتاب (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، لعبد العزيز ناصر الجليل ص(٦٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٤).

(٤) انظر: كتاب (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، لعبد العزيز ناصر الجليل ص(٦٥٣).

(٥) سورة الأنعام: ١٩.

قال الإمام ابن جعفر الطبري رحمه الله:((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:قل يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يكذّبون ويجحدون نبوّتك من قومك: أيُّ شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة:"الله"، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السَّهو، والخطأ، والغلط، والكذب، ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة، شهيدٌ بيني، وبينكم، بالمحقِّ منَّا من المبطل، والرشيد منَّا في فعله، وقوله من السَّفيه، وقد رضينا به حَكَمًا بيننا))[١].

وقد أخبر سبحانه عن عموم رسالة رسوله محمد ﷺ فقال:﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٢] على أنك رسول الله حقاً بما أيدك بنصره، والمعجزات الباهرة، والبراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾[٣] فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصراً عظيماً، تيقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين[٤].

وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٥]، فأخبر سبحانه أن الكتاب الذي أنزله على رسوله يكفي عن كل آية، ففيه الحجة، والدلالة على أنه من الله، وأن الله

---

(١) جامع البيان (٢٨٩/١١).

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(٢٥٢).

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان:٥١– ٥٢.

سبحانه أرسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة، وينجيه من العذاب، ثم قال:﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١)، فإذا كان الله سبحانه عالماً بجميع الأشياء؛ كانت شهادته أصدق شهادة وأعدلها، فإنها شهادة بعلم تام، محيط بالمشهود به، فيكون الشاهد به أعدل الشهداء، وأصدقهم، وهو سبحانه يذكر علمه عند شهادته، وقدرته، وملكه عند مجازاته، وحكمته عند خلقه وأمره، ورحمته عند ذكر إرسال رسوله، وحلمه عند ذكر ذنوب عباده ومعاصيهم، وسمعه عند ذكر دعائهم، ومسألته، وعزته، وعلمه عند قضائه، وقدره، فتأمل ورود أسمائه الحسنى في كتابه، وارتباطها بالخلق، والأمر، والثواب والعقاب.

ومن هذا قوله تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢)، فاستشهد على رسالته بشهادة الله له، ولابد أن تعلم هذه الشهادة، وتقوم بها الحجة على المكذبين له، وكذلك قوله ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾(٣)، وكذلك قوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٤)، وكذلك قوله:﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٥)، وقوله:﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٦)، وقوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾(٧)، وقوله:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٨)؛ فهذا كله شهادة منه لرسوله، قد أظهرها،

---

(١) سورة العنكبوت، الآية:٥٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٥) سورة يس، الآيتان:١-٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

(٧) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٨) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وبينها، وبين صحتها غاية البيان، بحيث قطع العذر بينه، وبين عباده، وأقام الحجة عليهم، فكونه سبحانه شاهداً لرسوله: معلوم بسائر أنواع الأدلة: عقليها، ونقليها، وفطريها، وضروريها، ونظريها، ومن نظر في ذلك، وتأمله؛ علم أن الله – سبحانه – شهد لرسوله أصدق الشَّهادة، وأعدلها، وأظهرها، وصدقه بسائر أنواع التصديق: بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه، وبفعله، وإقراره، وبما فطر عليه عباده: من الإقرار بكماله، وتنزيهه عن القبائح، وعما لا يليق به، وفي كل وقت يحدث من الآيات الدالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة، ويزيل به العذر، ويحكم له، ولأتباعه بما وعدهم به من العزِّ، والنَّجاة، والظفر، والتأييد، ويحكم على أعدائه، ومكذبيه بما توعدهم به: من الخزي، والنَّكال، والعقوبات المعجلة، الدَّالة على تحقيق العقوبات المؤجلة ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[١]؛ فيظهره ظهورين: ظهوراً بالحجة، والبيان، والدلالة، وظهوراً بالنَّصر، والظفر، والغلبة، والتأييد، حتى يظهره على مخالفيه، ويكون منصوراً، وقوله:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٢]، فما فيه من الخبر عن علم الله الذي لا يعمله غيره: من أعظم الشَّهادة بأنه هو الذي أنزله، كما قال في الآية الأخرى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣]، وليس المراد مجرد الإخبار بأنه أنزله – وهو معلوم له، كما يعلم سائر الأشياء، فإن كل شيء معلوم له من حقٌ، وباطلٌ – وإنما المعنى: أنزله مشتملاً على علمه، فنزوله مشتملاً على علمه هو آية كونه من عنده، وأنه حقٌ، وصدق، ونظير هذا قوله:﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ

---

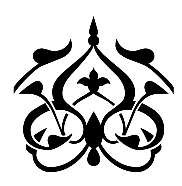
(١) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١٣– ١٤.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١] ذكر ذلك سبحانه تكذيباً، ورداً على من قال: افتراه[٢].

وعلى ذلك فلا بد للعبد أن يوقن بشهادة الله ﷻ على كل شيء إذ هي أعظم شهادة، وأكبرها، وأصدقها، وأعدلها، على الإطلاق، والله تعالى أعلم.



(١) سورة الفرقان، الآية: ٦.

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٦٣-٤٦٥).

المبحث الثاني
مراقبة الله ﷻ، والخوف منه

إن الإيمان بشهادة الله ﷻ على عباده يورثه دوام المراقبة له، والخوف منه، ويثمر في القلب يقضةً، وحذراً بحيث لا يصدر من العبد إلا ما يحبه الله ﷻ، ويرضاه من الأقوال، والأعمال؛ لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية في ليل أو نهار، وفي سر أو علانية[١].

والمراقبة هي: دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه؛ فاستدامته لهذا العلم، واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين.

وعلامتها كما قال ذو النون[٢]: ((علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله))[٣].

ومن تدبر كلام ربه تعالى في قوله ﷻ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٦] إلى غير ذلك من الآيات عُصم بعد توفيق الله تعالى من الذنوب،

---

(١) انظر: كتاب (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، لعبد العزيز ناصر الجليل ص(٦٣٤) [بتصرف].

(٢) ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفَيَّاض، أو أبو الفيض: الصالح المشهور أحد الزهاد العباد، كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الامام مالك ﷺ؛ وكانت له فصاحة وحكمة وشعر، من أهل مصر أسند عنه أحاديث غير ثابتة، وَالحمل فيها على من دونه، وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر، وتوفي بالجيزه، انظر: ترجمته في : تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (٣٩٠/٨)، وفيات الأعيان، (٣١٥/١).

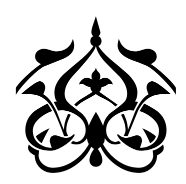
(٣) انظر: مدارج السالكين (٨٦/٢) [بتصرف].

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٥) سورة غافر، الآية:١٩.

(٦) سورة العلق، الآية: ١٤.

والمعاصي، وكان ذلك باعثاً له إلى الحياء من ربه من اقتراف ما يجرئه على انتهاك محارمه، والمراقبة: التعبد باسمه الشهيد، الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة [1]، والله أعلم.



(١) انظر: مدارج السالكين (٨٧/٢) [بتصرف].

المبحث الثالث

تحري الإخلاص، والتقوى

إن الإيمان بهذا الاسم يبعث على تحري الإخلاص، والتقوى في جميع الأقوال، والأعمال؛ لأن الله ﷻ شاهد رقيب على ما في القلوب من النوايا، والمقاصد، ولا يقبل سبحانه من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((**قال الله تبارك، وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته، وشركه**))[١].

وهو الشَّهيد على ما تعمله الجوارح، لذا كان لزاماً على العبد ألا يصدر منه إلا ما يحبه مولاه ويرضاه من الأقوال، والأعمال قال تعالى:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٣]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار، وغيرها من الجمادات، وكذلك الدَّواب السَّارحة في قوله:﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي

---

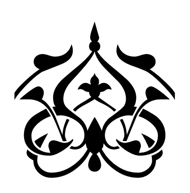
(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، (٤/٢٢٨٩)، برقم (٢٩٨٥).

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

ﵟٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَﵞ[١]، وقال تعالى: ﵟوَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖﵞ[٢]، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟ كما قال تعالى: ﵟوَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَﵞ[٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﵟوَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚﵞ[٤] أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال، عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٥])[٦].

فحريٌ بالعبد أن يجتهد في تحقيق الإخلاص، والتقوى لمن ﵟيَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰﵞ[٧]، والله أعلم.



---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٦.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧- ٢١٩.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، (٣٦/١)، برقم (٨)، من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﵁.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢٧٧/٤).

(٧) سورة طه الآيتان: ٧- ٨.

المبحث الرابع: الحذر من ظلم العباد

لقد حرم الله جل جلاله الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً، ونهاهم عن اقترافه، والتلطخ بأوحاله فعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك، وتعالى أنه قال:((**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا..**)) الحديث، قال سعيد[1]: كان أبو إدريس الخولاني[2]، إذا حدث بهذا الحديث، جثا [3] على ركبتيه[4].

قال الإمام النووي رحمه الله:((قال العلماء معناه تقدست عنه، وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى كيف يجاوز سبحانه حداً وليس فوقه من يطيعه، وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه وأصل التحريم في اللغة المنع فسمى تقدسه عن الظلم تحريماً لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشئ قوله تعالى:((**وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**)) هو بفتح التاء أي: لا تتظالموا، والمراد: لا يظلم بعضكم بعضاً، وهذا توكيد لقوله تعالى يا عبادي، وجعلته بينكم محرماً، وزيادة تغليظ في تحريمه..))[5]، وعلى ذلك؛ فإن الإيمان بأنه سبحانه شهيد على الخلق في الدنيا كما أنه شهيد عليهم يوم القيامة بما عملوا يجعل العبد

---

(١) هو سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي الإمام، القدوة، مفتي دمشق، وفقيهها، أبو محمد التنوخي، الدمشقي كان حافظاً حجة، ولد: سنة تسعين، في حياة سهل بن سعد، وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على ابن عامر، ويزيد بن أبي مالك، وحدث عن: مكحول، والزهري، ونافع مولى ابن عمر، وانتهت إليه مشيخة العلم بعد الأوزاعي بالشام قال أحمد في (المسند): ((ليس بالشام رجل أصح حديثاً من سعيد بن عبد العزيز))، وقد جمع الطبراني مرويات سعيد في جزء واحد قيل: مات سنة سبع وستين ومائة، وما نقل من أنه مات سنة ثلاث أو أربع وستين، فهو خطأ ووهم، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/٣٢-٣٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٦١-١٦٢).

(٢) عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني العوذي الدمشقي الفقيه: عالم أهل الشام أحد من جمع بين العلم، والعمل أخذ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وكان واعظ أهل دمشق، وقاصهم، وقاضيهم قال أبو داود: ((سمع أبو إدريس الخولاني من أبي الدرداء وعبادة رضي الله عنهما))، وقال مكحول: ((ما علمت أعلم من أبي إدريس وثقه النسائي وغيره))، وقال الزهري: ((كان أبو إدريس من فقهاء الشام))، وقال سعيد بن عبد العزيز: ((كان عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء))، ولاه عبد الملك في خلافته القضاء في دمشق، قال سيَّار، وابن معين مات: سنة ثمانين رحمة الله عليه ، انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (١/٤٥-٤٦).

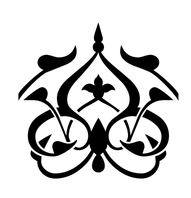
(٣) الجُثِيِّ: بتشديد الياء جمع جَاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه، انظر: النهاية (١/٢٣٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر، والصلة، باب تحريم الظلم، (٤/١٩٩٤)، برقم (٢٥٧٧).

(٥) المنهاج شرح مسلم للنووي (١٦/١٣٢).

على حذر من ظلم العباد مطلقاً سواءً كان ذلك بالتعدي عليهم أو أخذ حقوقهم بغصبها أو سرقتها، ونحو ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]، وفصله ﷻ بين عباده يوم القيامة بأن يحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، ويأخذ الحق للمظلوم ممن ظلمه، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تكن ضمائرهم[٢].

فعلى المسلم أن يلين مع إخوانه، ويتسامح معهم، ويؤدي إليهم حقوقهم، ويحذر من ظلمهم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[٣]، والله تعالى أعلم.



(١) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٤٠٢) [بتصرف].

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٨.

المبحث الخامس: الصبر، والاحتساب

الصبر منزلة عظيمة من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(١)].

ذُكر في القرآن في نحو تسعين موضعاً، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

والصبر في اللغة: الحبس، والكف، ومنه: قتل فلان صبراً إذا أمسك، وحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[(٢)]، أي: احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع، والتسخط، وحبس اللِّسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.

وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً؛ فقد أمر الله ﷻ به، ونهى عن ضده كالاستعجال، والوهن، وأثنى على أهله، وأخبر بأنه خير لأصحابه، وبشرهم، وأوجب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، وبغير حساب، وضمن النصر، والمدد لهم، وأخبر بأن الصابرين هم أهل العزائم، والمتفردون بالجزاء على الأعمال الصالحة، والحظوظ العظيمة، والمنتفعون بالآيات، والعِبرَ، والوارثون للإمامة في الدين، والفائزون بجنته، كما قرنه – سبحانه – بمقامات الإسلام، والإيمان، واليقين، والتقوى، والتوكل، والشكر، والعمل الصالح، والرحمة[(٣)].

وإذا كان الصبر نصف الإيمان كما تقدم؛ فإن الإيمان بشهادة الله ﷻ على جميع الخلائق مع التحلي بالصبر يقذف في قلب العبد نور اليقين، والشعور بمعية الله تبارك، وتعالى، واقتراب فضله، وفرجه، ونصره، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٤)]، ويحمله على التخلق بأخلاق أهله، مع الاحتساب على ذلك، فالله جلَّ، وعلا شاهد على صبره؛ فيأجره بقدره، والله تعالى أعلم.

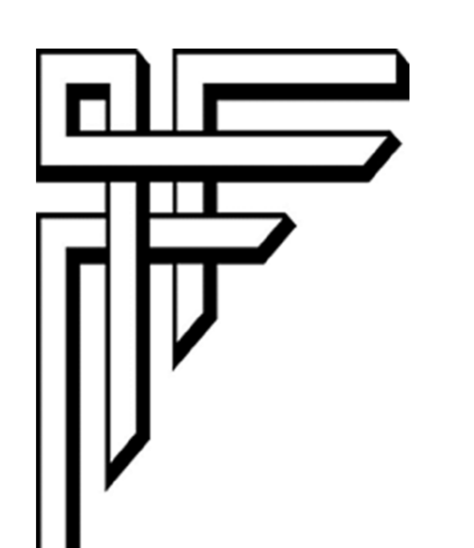
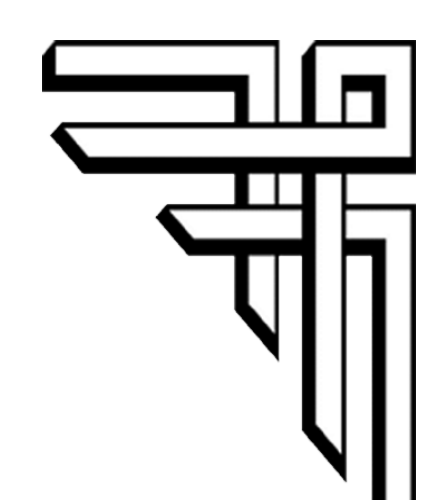
---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) انظر: مدارج السالكين (١٨٣/٢-١٨٦) [بتصرف يسير].

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

الباب الثاني

إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ والأدلة على ذلك ودلائل، ولوازم الشَّهادة

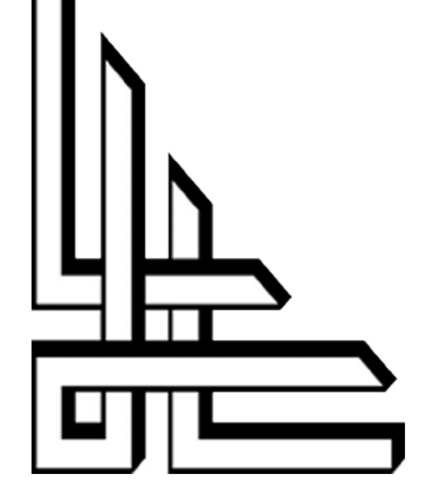
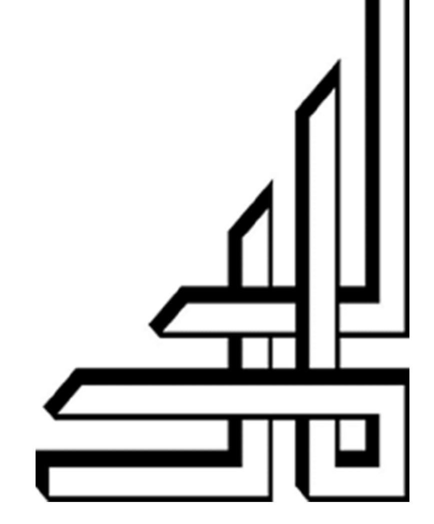
وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:بيان معنى صفة (الشَّهادة) لله ﷻ عند أهل السُّنة، والجماعة، والأدلة على ذلك.

الفصل الثاني:دلالة صفة(الشَّهادة) لله ﷻ على المباحث المتعلقة بالتوحيد.

الفصل الثالث:شهادة الله ﷻ على القرآن الكريم، والكتب المنزلة، وأعمال العباد.

الفصل الرابع: شهادة الله ﷻ على نبوة الرسول ﷺ، وشريعته، وعلى كذب المنافقين.



الفصل الأول

بيان معنى صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ عند أهل السُّنة، والجماعة، والأدلة على ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان معنى صفة (الشَّهادة) لله ﷻ عند أهل السنة، والجماعة.

المبحث الثاني: صفة (الشَّهادة) لله ﷻ صفة ذاتية.

المبحث الثالث: الأدلة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ.

المبحث الأول

بيان معنى صفة (الشَّهادة) لله ﷻ عند أهل السنة، والجماعة

تقدم الكلام في مباحث سابقةٍ عن معنى لفظ الشَّهادةِ، واسم الله ﷻ الشَّهيد في اللغة والاصطلاح، وأقوال السَّلف رحمهم الله -تعالى- مع الأدلة على ذلك، وفيما يلي بيانٌ لمعنى صفة الشَّهادة عند الإضافة إلى الله ﷻ.

من المتقرر في عقيدة أهل السنة، والجماعة أنَّ أسماء الله ﷻ الحسنى هي أعلام، وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العَلَمية بخلاف أوصاف العباد؛ فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى، كما أن أسماؤه تعالى الحسنى أيضاً لها اعتباران اعتبار من حيث الذَّات، واعتبار من حيث الصِّفات فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة[1]، ومعنى ذلك أنها:

أعلامٌ: مترادفة لدلالتها على الذَّات، فهي دالةٌ على مسمى واحد، وهو الله ﷻ.

وأوصافٌ: متباينة لما دلت عليه من المعاني، فكل واحد منها على معناه الخاص.

فالشَّهيد، الحيُّ، العليم، القدير، السَّميع، البصير، الرَّحمن، الرَّحيم، العزيز، الحكيم أسماءٌ لمسمى واحد، ولكنها مختلفة المعاني مع بعضها البعض؛ فليس الشَّهيدُ كالحيُّ، ولا الحيُّ كالعليم، ولا العليم كالقدير، ولا القدير كالعزيز، ولا السَّميعُ كالبصير، في المعنى، وهكذا.

وهي أعلامٌ، وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[3]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١٦٢/١) [بتصرف].

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

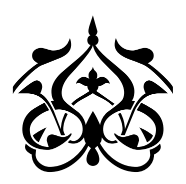
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

﴿وَبَيْنَكُمْ﴾[(١)]، دليلٌ على أن الشَّهيد ﷻ على خلقه هو المتصف بصفة الشَّهادة التي هي أكبر الشَّهادات، وأصدقها، وأصحها، وأعدلها، والتي لا يعتريها السَّهو، والخطأ، والغلط، والكذب؛ فلا يجوز أن يقع في شهادته ما يقع في شهادة غيره من خلقه تبارك، وتعالى.

وأسماؤه ﷻ أعلام، وأوصاف لإجماع أهل اللغة، والعُرف على أنه لا يُقال: شَهيدٌ إلا لمن شَهِد، ولا عليمٌ إلا لمن علم، ولا سميعٌ إلا لمن سمع، ولا بصيرٌ إلا لمن له بَصُرَ، وهذا أمرٌ أبينُ من أن يحتاجَ إلى دليل[(٢)].

وعليه فصفةُ الشَّهادة صفةٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب، والسُّنة، وكلام سلف الأمة، وحالها كحال جميع صفات الكمال الثابتة له جلَّ جلاله، والمتضمنةِ للمدحِ، والجمال، وهي بمعنى اسم الله الشَّهيد الدَّال باعتبار العَلَمِية على الذَّات، والدَّال على الصِّفةِ بما دلت عليه من المعاني كالحضور، والمعاينة، والعلم، وغيرها من معاني الجلال التي تقصر عن إدراكها العقول، والمتباينة في معنى الصفة مع الصفات الأخرى لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.

وبهذا عُلم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا، وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السَّمع، والعقل على بطلانها[(٣)]، والله تعالى أعلم.



---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحُسنى، لابن عثيمين ص (٢٤) [بتصرف].

(٣) انظر: المصدر نفسه ص(٢٥).

المبحث الثاني

صفةُ (الشَّهادة) للّه ﷻ صفةٌ ذاتية

من قواعد أهل السنة، والجماعة أن صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:
(صفات ثبوتية)، و(صفات سلبية).

والمراد بالصفات الثبوتيةُ هي التي أثبتها الله – تعالى – لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

وهذه الصفات يجب إثباتها لله تعالى حقيقةً على الوجه اللائق به، بدليل السَّمع، والعقل.

وهي صفات مدح، وكمال؛ فكلما كثرت، وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت(الصفات الثبوتية) التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من (الصفات السَّلبية) كما هو معلوم.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

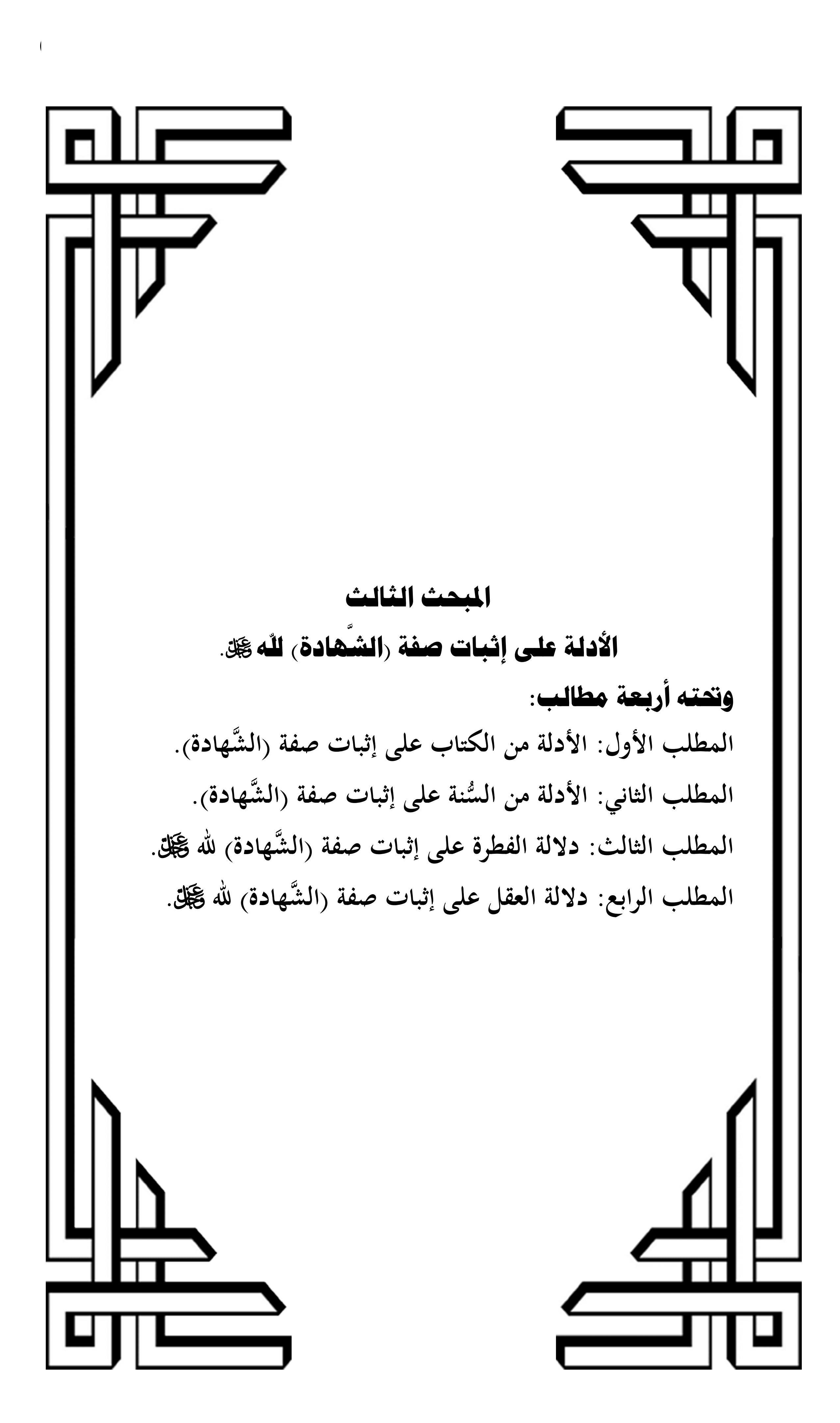
(ثبوتية ذاتية)، و(ثبوتية فعلية) ، والمراد هنا بيان أن صفة الشهادة لله ﷻ من الصفات الذاتية.

والصفات الثبوتية الذَّاتية: هي التي لم يزل، ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، والعينين[1].

ولا شك أن صفة الشَّهادة لله – تعالى – من الصفات الثبوتية الملازمة لذاته تعالى المقدسة، والمتضمنة، لبقية صفاته الذاتية الأُخرى، والمستلزمة لها كالعلم، والسَّمع، والبصر، والعدل، والإحاطة، والعزَّة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغيرها من الصفات الذاتية، والله أعلم.

---

(١) انظر: القواعد المثلى ص(٥٩)، [بتصرف يسير].



المبحث الثالث

الأدلة على إثبات صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على إثبات صفة (الشَّهادة).

المطلب الثاني: الأدلة من السُّنة على إثبات صفة (الشَّهادة).

المطلب الثالث: دلالة الفطرة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ.

المطلب الرابع: دلالة العقل على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ.

المبحث الثالث

الأدلة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ

لقد تنوعت دلالة الكتاب، والسُّنة في إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ، وهذا يرجع إلى أن أسماء الله تعالى – كما تقدم– هي في حقيقتها أعلام، و أوصاف.

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على إثبات صفة (الشهادة):

وهذه الأدلة تُعدُّ بمثابة قواعد أساسية في أنواع ما يضاف إلى الله تعالى فمن ذلك:

أ– إخبار الله ﷻ بمصادرها، ووصفه لنفسه بها: والمصدر هو الوصف الذي اشتقت منه الصفة[١]

فمن أدلة الكتاب على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٢] ، وقوله: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾[٤]، وغيرها من الآيات الدَّالة على إثبات هذه الصفة لله تعالى.

فالشَّهيد من أسمائه تعالى، والشَّهادة معناه الموصوف به، ولولا ثبوت الشَّهادة له ﷻ، وأنه أكبر شهادةً لم يُسمَّ شهيداً، وذلك أن الشَّهيد هو المتصف بالشَّهادة الكاملة من كل وجه على ما يليق بجلاله، وعظمته تبارك، وتعالى.

وقد دل القرآن، والسُّنة على إثبات مصادر الأسماء له سبحانه، وصفاً، ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الأسماء، والصفات، والأفعال فإن أفعاله غير صفاته، وأسماءه غير أفعاله،

---

(١) انظر: معتقد أهل السنة، والجماعة في أسماء الله الحسنى، للدكتور محمد خليفة التميمي ص(٣٤٣).

(٢) سورة آل عمران: ٩٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٣.

وصفاته فإذا لم يقم به فعل، ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً، وهذا غاية الإلحاد[١]، وعليه فإن كل ما دلت عليه أسماؤه فهو مما وصف به نفسه، فيجب الإيمان بكل ما وصف به نفسه[٢].

ب- إخباره – تبارك، وتعالى – عن الأسماء بأفعالها ((أي حُكمُ تلك الصفة))[٣].

فقد أخبر ﷻ في أكثر ما آية من كتابه الكريم عن اسمه الشَّهيد بصيغة الفعل بذكر الفعل الدَّال على الصفة؛ فإن الفعل حُكم قيام الصفة بالموصوف كـ "شهد"، و"يشهد"، وهو ما يُسمى: بحكم الصفة وذلك :كقوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٤]، وقوله جلَّ جلاله:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾[٥]، وغيرها من الآيات الدَّالة على أفعال اسمه ﷻ الشَّهيد.

فلو لم تكن أسماؤه مشتملة على معانٍ، وصفات لم يسغ أن يخبر عنها بأفعالها؛ فلا يُقالُ: يسمع، ويرى، ويعلم، ويريد، فإن ثبوت أحكام الصِّفات فرعُ ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصِّفة استحال ثبوت حُكْمِها[٦].

ج- استدلاله ﷻ بأسمائه، وأفعاله على توحيده:

فالله تبارك، وتعالى يستدل على توحيده، ونفي الشريك عنه بأسمائه، وأفعالها الدَّالة عليها من باب إضافة الصفة إلى الموصوف إضافة فعلية، وذلك بنسبة الفعل إلى الاسم، أو بإضافة الصفة إلى الموصوف إضافة اسمية، وذلك بنسبة الاسم إلى الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم من ذلك:

---

(١) انظر: شفاء العليل، لابن القيم ص(٢٧١) [بتصرف].

(٢) انظر: معتقد أهل السنة، والجماعة في أسماء الله الحسنى ص(٣٤٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه ص(٣٤٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٦) انظر: معتقد أهل السنة، والجماعة ص(٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، قوله: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2]، فشهد على توحيده بالإلهية، والملك، ونفى الشريك معه، وأثبت شهادته على كل شيء.

ففي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إضافة للصفة إلى الموصوف إضافة فعلية، وذلك بنسبة الفعل إلى الاسم، وفي قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، إضافة للصفة إلى الموصوف إضافة اسمية، وذلك بنسبة الاسم إلى الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم.

د- تعليق المعمولات من الظروف، والجار، والمجرور، وغيرهما، بأسمائه:

من باب إضافة الصفة إلى الموصوف إضافة اسمية إما بنسبة الاسم إلى الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾[3]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾[4]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6]، وقوله تبارك، وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة البروج، الآية: ٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

﴿ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾[(١)]، وقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾[(٢)]، وقوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴾[(٦)]،وقوله: ﴿ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[(٧)]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[(٨)].

ومما تقدم عُلمَ أن الصِّفات إذا أُضيفت إليه تبارك، وتعالى-كالعلم، والقدرة، والكلام، والسَّمع، والبصر، والشَّهادة، والإحاطة، والحياة، والرضا، والغضب، وغيرها من الصفات الثابتة له بدلالة الكتاب، والسُّنة- دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها بل لابد لها من موصوف تقوم به فإذا أضيفت إليه عُلم أنها صفة له[(٩)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٩.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٨) سورة البروج، الآية: ٩.

(٩) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/١٥٨-١٥٩)، [بتصرف يسير].

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على إثبات صفة (الشَّهادة):

وكذلك الحال في السُّنة، وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين فيما أخرجه البخاري- رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: ((يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرلاً، ثم قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾[1] إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشِّمال، فأقول: يا رب أُصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2]؛ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم))[3].

قال الإمام ابن سعدي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ -: ((علماً، وسمعاً، وبصراً، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير، وشر))[4].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ إضافة للصفة إلى الموصوف من حيث الإضافة الإسمية، وهذا دليلٌ على إثبات صفة الشَّهادة لله ﷻ كما يليق بجلاله، وعظمته، مع نفي المماثلة، وهي متضمنة لسعة علمه، وسمعه، وبصره تبارك، وتعالى، وإحاطته بخلقه ﷻ، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٧٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص(٢٤٩).

المطلب الثالث: دلالة الفِطْرة على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ

دلت الفطرة على وجوده الله تبارك، وتعالى فكلُّ مخلوق فُطِر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها [(١)].

جاء في الصحيحين أن أبا هريرة ﷺكان يُحدِّث، قال النبي ﷺ:((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء[(٢)]، هل تحسون فيها من جدعاء[(٣)]**))، ثم يقول أبو هريرة ﷺ:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[(٤)(٥)].

قال الإمام ابن الأثير ﷺ: ((ومعنى الحديث أن المولود يولد على نوع من الجِبِلَّة، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً، وطوعاً، لو خَلَّتْهُ شياطين الإنس، والجن، وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء، والجدعاء مثلاً.

يعني: أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة من الجدع، لولا تعرض النَّاس إليها لبقيت كما ولدت سليمة))[(٦)].

فالفطرة مجبولةٌ على الإقرار بوجود الله ﷻ، وتوحيده، واعتقاد أنه أكمل الأشياء، لما تفرد به من صفات الكمال المطلق، وهي فطرةٌ عامة يجدها كل إنسان في قرارة نفسه، ولا يتخلف مقتضاها إلا لمانع، كفساد التربية، واجتيال الشياطين، واتباع الهوى، ومكابرة الحق.

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص(٨٠)، [بتصرف].

(٢) جمعاء: أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها، ولا كي، انظر: النهاية لابن الأثير، (٢٩٦/١)، حرف الجيم، باب الجيم مع الميم، مادة "جمع".

(٣) جدعاء: أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها، انظر: المصدر السابق، (٢٤٧/١)، حرف الجيم، باب الجيم مع الدال، مادة"جدل".

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (٩٤/٢)، برقم (١٣٥٨)، واللفظ له، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٢٠٤٨/٤)، برقم (٢٦٥٨).

(٦) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢٤٧/١).

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي[١] رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: ((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا..**))[٢].

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((إن جميع أحكام الشرع الظاهرة، والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل؛ فلعارض عرض لفطرته أفسدها))[٣].

وترتكز دلالة الفطرة عند السلف رحمهم الله على نوعي الآيات في الأنفس، والآفاق قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٤].

فالتفكر في ملكوت السموات، والأرض وفي الأنفس هو الطريق إلى الاستدلال على الخالق بالمخلوق قال تعالى:﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٥].

---

(١) عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان المجاشعي التميمي من بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وله صحبة، عِدَادُه في أهل البصرة سكن بها، ولقي النبي ﷺ بمكة، ولما وفد عليه قبل أن يسلم، ومعه نجيبة يهديها إليه، فقال: أسلمت؟ قال: لا. قال: إن الله نهاني أن أقبل زبد المشركين، فأسلم فقبلها منه، روى عن: النبي ﷺ ، وروى عنه: العلاء بن زياد العدوي، ومطرف، ويزيد، ابنا عبد الله بن الشخير، والحسن البصري، وله حديث طويل في صحيح مسلم انظر ترجمته في : التاريخ الكبير، للبخاري، (١٩/٧)، ومعرفة الصحابة، لأبي نعيم، (٢١٦٤/٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (٧٦/١)، وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٥٢٩/٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، وأهل النار، (٢١٩٧/٤)، برقم (٢٨٦٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص(٦٤٠).

(٤) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الذاريات، الآية:٢١.

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[2].

فهذه النصوص الشرعية تُثبِّتُ العقيدة في النفوس عن طريق مخاطبة الفطرة[3].

فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، محبة له، تعبده لا تشرك به شيئاً، ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس، والجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[4].

والله تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة، وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[8].

---

(١) سورة الطارق، الآيات: ٥ – ٧.

(٢) سورة عبس، الآيات:٢٤ – ٢٦.

(٣) انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس ص(٥٩٢-٥٩٣) [بتصرف].

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢ – ١٧٣.

(٥) سورة العلق، الآيات من: ١– ٥.

(٦) سورة الرحمن، الآيات من: ١ – ٤.

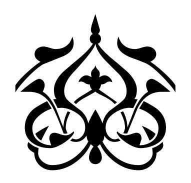
(٧) سورة الأعلى، الآيات من: ١ – ٣.

(٨) سورة البلد: ١٠.

ففي كل أحد ما يقتضى معرفته بالحق، ومحبته له، وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يُمكِنهُ أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى، والآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك، لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته، وغفلته عن طلب علم ما ينفعه(١)، وقد اتفق السلف الصالح رحمهم الله على إثبات جميع صفات الكمال لله تبارك، وتعالى، والتي جاءت في القرآن، أو صحت بها السُّنة، وثبوت هذه الصفات لله تعالى هو مقتضى الفطرة، والعقل، والنقل.

كما أن النفوس السليمة مجبولة، ومفطورة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته، وهل تحبُ، وتعظمُ، وتعبدُ إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته، وألوهيته؟!(٢).

ومن ثبوت صفات الكمال لله ﷻ صفة علوه تعالى فدلالة الفطرة عليها أمر لا يمكن المنازعة فيه، ولا المكابرة؛ فكل إنسان مفطور على أن الله في السَّماء، فما من داع يدعو ربه إلا وجد من قلبه ضرورة بالاتجاه إلى العلو من غير دراسة كتاب، ولا تعليم مُعلم، وهذا العلو الثابت لله تعالى بهذه الدَّلالة القطعية لا يناقض حقيقة المعية، وهذه الفطرة توافق ما أخبر به الرسل – عليهم الصَّلاة والسَّلام–، ولا تعارضها أبداً، ولذلك فإنَّ دَليلَ الفطرة على علو الله تعالى لا يمكن أن يكون ما جاءت به النُّصوص بخلافه(٣)، وإثبات هذا العلو له –تبارك، وتعالى– متضمنٌ لإثبات صفة شَّهادته ﷻ إذ يَستحِيلُ إثباته مع نفي شهادته على خلقه فالله –جل جلاله– بدلالةِ الفِطَرِ عليٌ شهيدٌ على خلقه متصفٌ بصفة الشَّهادة على ما يليق بجلاله، وعظمته–، وهي صفةُ كمالٍ مستلزمةٌ لصفاتُ كماله الأُخرى كالسَّمع، والبَصر، والعلمِ، والإِحاطَةِ، وما في معناها، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٤/٢٩٦- ٢٩٧) [بتصرف يسير].

(٢) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين، ص(٢٦) [بتصرف].

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية (١/٣٩٢)، لابن عثيمين، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبد الرحمن المحمود، (١/٢٥٨)، والمجلى في شرح القواعد المثلى، لكاملة الكواري ص(٣٢٢) [بتصرف يسير].

المطلب الرابع: دلالة العقل على إثبات صفة (الشَّهادة) لله ﷻ

استعمل السلف – رحمهم الله تعالى – في إثبات العقائد لتأييد دلالة الشرع دلالةُ العقل للجمع بين الحسنيين باتفاق الدلالتين، وذلك من خلال ما تضمنه الكتابُ، والسنةُ من الأمثال المضروبة، والتي تُسمى بالأقيسة العقلية.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:((وإذا كان الشيء موجوداً في الشرع، فذلك يحصل بأن يكون في القرآن الدلالة على الطرق العقلية، والتنبيه عليها، والبيان لها، والإرشاد إليها، والقرآن ملآن من ذلك، فتكون شرعية بمعنى أن الشرع هدى إليها، وعقلية بمعنى أنه يُعرف صحتها بالعقل، فقد جمعت، وصفي الكمال، وأيضاً فإذا كان الشرع قد دل على شيء أو أوجبه، وقدر أن في العقل ما يوافق ذلك لم يضر ذلك، وإن كان قد يستغنى عنه، فلا يطعن في صحته للاستغناء عنه، وأما كون النبي ﷺ لم يطالب الناس بالنظر، والاستدلال، فهذا دليل قاطع على أن الواجب متأدى بدون الطرق التي أحدثها الناس، وأبدعها))[1].

وقد دل العقل على إثبات صفات الكمال لله تعالى موافقاً بذلك دلالة الشرع، والفطرة التي فطر الله الناس عليها، وذلك أن كل موجود لابد له من اسم، وصفة، ثم أن هذه الصفات إما أن تكون صفات نقص أو كمال، والله ﷻ، واهب خلقه الصفات، وهو معطي الكمال لبعض من اتصف بها، فعلى ذلك هو أولى بالاتصاف، والكمال لتنزهه عن النقائص فمعطي الكمال هو أولى به.

وهذا ما يدعو إلى القول بأن من الأقيسة العقلية التي ذهب إليها السلف– رحمهم الله– في مصنفاتهم ما يُسمى بقياس الأولى.

وقياس الأَوْلَى: هو كل كمال اتصف به المخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزيه عنه، وهو جائزٌ في حق الله تعالى **بضابطين**:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٩/٩).

الضابط الأول: أن يكون الكمال ليس فيه نقص بأي، وجه من الوجوه، فالأكل، والشرب كمال عند المخلوق لكن فيه نقص من وجه، وهو الافتقار، والحاجة إليهما، فلا يصح أن يتصف بهما الخالق لهذا النقص.

الضابط الثاني: أن يكون الكمال قد دل عليه النقل ثم يأتي القياس تعضيداً، وتعزيزاً فقط.

وقياس الأولى: مستفاد من النصوص الشرعية، ومنها ما يلي:

١ . قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١]

٢ . وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢] أي: وصف الكمال المطلق[٣].

وقال الإمام السَّمعاني رحمه الله في معنى(المثل الأعلى):

((أي: الصفة العليا، وذلك مثل قولهم: عالمٌ، وقادرٌ، ورازقٌ، وحيٌّ، وغير هذا))[٤].

وقال أيضاً:((**فإن قيل**: قد قال في موضع آخر:﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾[٥]، وقال هاهنا:﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ فكيف وجه الجمع؟

والجواب: أن معنى قوله:﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ أي: الأمثال التي هي الأشباه فإن الله تعالى لا شبه له، وأما قوله:﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ أي: الصفةُ العليا، وهذا جائزٌ لكل أحد أن يقوله، بل واجب))[٦].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) انظر: شرح الرسالة التدمرية، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص(١٩٩-٢٠٠) [بتصرف يسير].

(٤) تفسير القرآن، للسَّمعاني (١٨١/٣).

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٤.

(٦) المصدر السابق.

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله في قوله تعالى﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: ((وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحبة، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجليل، والعبادة منهم؛ فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى، وما ترتب عليه، ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى، وأحرى))[(١)].

وعلى ذلك فلا يجوز ضرب الأمثال لله تعالى التي فيها مماثلة بخلقه؛ لأنه سبحانه لا مثيل له بل له المثل الأعلى، وهو -كما تقدم - كل ما اتصف به المخلوق من كمال جاز أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به، وكل ما ينزه المخلوق عنه من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسمية، فالله تعالى أولى بذلك[(٢)].

وخلاصته: أن ما يثبت من الكمالات ثبوتاً عاماً للخالق، والمخلوق؛ فإن لله تعالى أكمله، وأعظمه ليس له فيه مكافئ، ولا نظير كما تقدم في قوله تعالى:﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وقوله:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[(٣)].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مدى هذه الأولوية لقياس الأولى فقال رحمه الله: ((..وأما قياس الأولى الذي كان يسلكه السلف اتباعاً للقرآن: فيدل على أنه يثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتاً لغيره مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل كما لا يضبط التفاوت بين الخالق، وبين المخلوق بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق، ومخلوق ما لا ينحصر قدره، وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوق أعظم من فضل مخلوق على مخلوق كان هذا مما يبين له أن ما يثبت للرب أعظم من كل ما يثبت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٠).

(٢) انظر: شرح الرسالة التدمرية، للخميس، ص(١٩٩-٢٠٠) [بتصرف يسير].

(٣) انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، لأحمد القاضي، ص(٤٨٤) [بتصرف].

لكل ما سواه بما لا يدرك قدره؛ فكأن قياس الأولى يفيده أمراً يختص به الرب مع علمه بجنس ذلك الأمر؛ ولهذا كان الحُذَّاق[1] يختارون: أن الأسماء المقولة عليه، وعلى غيره مقولة بطريق التشكيك ليست بطريق الاشتراك اللفظي، ولا بطريق الاشتراك المعنوي الذي تتماثل أفراده؛ بل بطريق الاشتراك المعنوي الذي تتفاضل أفراده كما يطلق لفظ البياض، والسواد على الشديد كبياض الثلج، وعلى ما دونه كبياض العاج؛ فكذلك لفظ الوجود يطلق على الواجب، والممكن، وهو في الواجب أكمل، وأفضل من فضل هذا البياض على هذا البياض؛ لكن هذا التفاضل في الأسماء المشككة لا يمنع أن يكون أصل المعنى مشتركًا كلياً فلا بد في الأسماء المشككة من معنى كلي مشترك، وإن كان ذلك لا يكون إلا في الذهن، وذلك هو مورد التقسيم: تقسيم الكلي إلى جزئياته إذا قيل الموجود ينقسم إلى واجب، وممكن؛ فإن مورد التقسيم مشترك بين الأقسام، ثم كون وجود هذا الواجب أكمل من وجود الممكن لا يمنع أن يكون مسمى الوجود معنى كلياً مشتركاً بينهما، وهكذا في سائر الأسماء، والصفات المطلقة على الخالق، والمخلوق: كاسم الحي، والعليم، والقدير، والسميع، والبصير، وكذلك في صفاته كعلمه، وقدرته ورحمته، ورضاه، وغضبه، وفرحه، وسائر ما نطقت به الرسل من أسمائه، وصفاته..))[2].

وهذا من الطرق التي ورد استعمال قياس الأولى بها في النصوص، وهو:

١- أن صفات الكمال إذا اتصف بها المخلوق فلأن يتصف بها الخالق من باب أولى، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[3].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:((نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر، وتتكلم وتعلم أولى أن يكون بصيراً متكلماً عالماً؛ فأي دليلٍ عقلي قطعي أقوى من

---

(١) الحِذْقُ، والحَذَاقَةُ: المهارةُ في كل عمل، حَذَق الشيء يَحْذِقُه، وحَذِقَهُ حِذْقاً، وحَذْقاً، وحَذَاقاً، وحَذَاقَةً؛ فهو حاذِقٌ من قوم حُذَّاقٍ، انظر: المحكم والمحيط (٥٧٠/٢) باب الثلاثي الصحيح، مادة "حذق".

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٦/٩-١٤٧)

(٣) سورة البلد الآيات: ٧ - ٩.

هذا، وأبين وأقرب إلى المعقول))[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((والكلام في الكمال الممكن الوجود الذي لا نقص فيه؛ فإذا كان الكمال الممكن الوجود ممكناً للمفضول فلأن يمكن للفاضل بطريق الأولى؛ لأن ما كان ممكناً لما هو في وجوده ناقص فلأن يمكن لما هو في وجوده أكمل منه بطريق الأولى لا سيما، وذلك أفضل من كل وجه فيمتنع اختصاص المفضول من كل وجه بكمال لا يثبت للأفضل من كل وجه بل ما قد ثبت من ذلك للمفضول فالفاضل أحق به؛ فلأن يثبت للفاضل بطريق الأولى، ولأن ذلك الكمال إنما استفاده المخلوق من الخالق والذي جعل غيره كاملا هو أحق بالكمال منه؛ فالذي جعل غيره قادراً أولى بالقدرة، والذي علم غيره أولى بالعلم، والذي أحيا غيره أولى بالحياة..))[٢].

ومن الطرق أيضاً:

٢- أن من ثبتت له صفات الكمال أولى بالإلهية ممن امتنعت في حقه.

وذلك أن الاتصاف بالصفات في ذاته كمال، وعدم الاتصاف في ذاته نقص، والله أولى بالكمال.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((نبه سبحانه على إثبات صفاته، وأفعاله بطريق المعقول فاستيقظت لتنبيهه العقول الحية، واستمرت على رقدتها العقول الميتة فقال الله تعالى في صفة العلم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٣] فتأمل صحة هذا الدليل مع غاية إيجاز لفظه، واختصاره وقال سبحانه ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٤] فما أصح هذا الدليل، وما أوجزه، وقال تعالى في صفة الكلام ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/٩١٥)، ومختصر الصواعق، للموصلي (١/١٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٧٦ -٧٧).

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٧.

﴿حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾[١] نبه بهذا الدليل على أن من لا يكلم، ولا يهدي لا يصلح أن يكون آلهاً، وكذلك قوله في الآية الأخرى عن العجل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[٢] فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم، وعدم ملك الضر، والنفع دليلاً على عدم الإلهية، وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا بد أن يكلم، ويتكلم، ويملك لعابده الضر، والنفع، وإلا لم يكن إلهاً، وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[٣]؛ فجعل سبحانه عدم البطش والمشي، والسمع، والبصر دليلاً على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصفات فالبطش، والمشي من أنواع الأفعال، والسَّمع، والبصر من أنواع الصفات))[٤].

وبناءً على ما سبق فقياس الأولى هو: القياس الصحيح الذي يُسلك تبعاً لكتاب الله تعالى، ولما كان عليه سلف الأمة الصالح رحمهم الله، ولإفادته بما يختص به الرب تبارك، وتعالى من العظمة، والتفاضل، والتفاوت عن كل مخلوق؛ في الأسماء، والصفات فما يُثبتُ له جلَّ جلاله أعظم من كل ما يُثبتُ لغيره، وأكمل، وهو مقولٌ بطريق الاشتراك المعنوي الذي تتفاضل أفراده مع عدم امتناع الاشتراك المعنوي الكُلي، ويدخل في ذلك ما أثبته الرب تبارك، وتعالى لنفسه من اتصافه بصفة الشَّهادة – الكاملة من كل وجه، والتي لا نقص فيها بوجه من الوجوه –، وتسميه باسم الشَّهيد فهما من الاشتراك الكلي في المعنى الذي بين الخالق، والمخلوق، وهو مقولٌ بطريق الاشتراك المعنوي الذي تتفاضل أفراده، والله أعلم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٥.

(٤) انظر: الصواعق المرسلة (٣/٩١٤-٩١٥)، ومختصر الصواعق، للموصلي (١/١٢٨-١٢٩) [باختصار].



الفصل الثاني

دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على المباحث المتعلقة بالتوحيد.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على ربوبيته بأخذ الميثاق على آدم ﵇، وذريته.

المبحث الثالث: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على نفي الشَّريك معه، وما تضمنته، ولوازمها.

المبحث الرابع: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على إثبات الإلهية له وحده، وما تضمنته، ولوازمها

المبحث الخامس: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على بقية صفاته سبحانه.

المبحث السادس: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على تفرده بالكمال الإلهي.

المبحث السابع: من لوازم صفة (الشَّهادة) لله ﷻ (تنزهه سبحانه عن النقائص).

المبحث الثامن: دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على عدله.

المبحث الأول

دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على توحيد الرُّبوبية

دلت صفة الشَّهادة لله ﷻ على توحيد الربوبية بدلالة أفعاله جلَّ وعلا من الخلق، والملك، والتسخير، والتدبير، وغيرها على وحدانيته إذ هي بيانه، وإعلامه بفعله الذي يستعمل فيه لفظ الشَّهادة، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة، والإرشاد، والبيان، وهو بمنزلة المخبر الشَّاهد به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((..وأما شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل، وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشَّهادة، والدلالة، والإرشاد؛ فإن الدليل يبين المدلول عليه، ويظهره؛ فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به كما قيل: سل الأرض من فجر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأحيا نباتها، وأغطش ليلها، وأوضح نهارها؛ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، وهو سبحانه شهد بما جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه لها؛ فإذا كانت المخلوقات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو سبحانه الذي جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه، وبين ذلك؛ فهو الشَّاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو ،وهذه الشَّهادة الفعلية ذكرها طائفة، قال ابن كيسان : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾[1] بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه أنه لا إله إلا هو))[2].

وكذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((..وأما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تُعلم دلالتها بالعقل، والفطرة، وهذا أيضاً يُستعمل فيه لفظ الشهادة كما يستعمل فيه لفظ الدلالة والإرشاد، والبيان فإن الدليل يبين المدلول عليه، ويظهره كما يبينه الشاهد، والمخبر بل قد يكون البيان بالفعل أظهر، وأبلغ، وقد يُسمى شاهد الحال نُطقاً، وقولاً، وكلاماً لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه..))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٣-١٧٤).

(٣) مدارج السالكين (٣/٤٤٧).

وقال أيضاً:((..والمقصود: أن الله سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية فتتطابق شهادة القول، وشهادة الفعل كما قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١] أي: أن القرآن حقٌ فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية، والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية، وهذه الشهادة الفعلية قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية، والتفسير..))[٢].

وقد أخبر الله ﷻ في مواضع عدة من كتابه تعالى، عن أدلة وحدانيته، والآيات في هذا كثيرة جداً، والمقصود هنا ذكر مجمل مما جاء في القرآن من الإشارة إلى شواهد ربوبيته تبارك، وتعالى.

فمن الأدلة على فعله الشَّاهد بربوبيته – تبارك، وتعالى- ما شهد به من دلالة ملكه، وعلمه، وتدبيره للسماوات، والأرض، وما فيهما، وما بينهما في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾- :((من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات، والأرض، وما فيهما، وما بينهما، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية))[٤].

وقال العلاَّمة برهان الدين البقاعي رحمه الله:((ولما قدم سبحانه التحذير بالشَّاهد، والمشهود، وأن الكافرين شهود على أنفسهم، زاد في التحذير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) مدارج السالكين (٤٤٨/٣).

(٣) سورة البروج، الآية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٣٦٦/٨).

وغيره فهو لا يحتاج إلى غيره، ولكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه فقال: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾أي: الملك الأعظم الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي هذا الفعل، وغيره ﴿ شَهِيدٌ ﴾ أي أتم شهادة لا يغيب عنه شيء أصلاً، ولا يكون شيء، ولا يبقى إلا بتدبيره، ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلاً، بل لا بد أن ينتقم لهم من أعدائه، ويعليهم بِعَلائه))[1].

ومن الأدلة أيضاً حكمه ﷻ بين عباده يوم القيامة، وشهادته جلَّ ثناؤه على أعمالهم قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان، والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود، والصابئين، والنصارى، والمجوس، الذي عظموا النيران، وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله، ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء، وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم، والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم...إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيدٌ لا يخفى عنه شيء من ذلك))[3].

فهو سبحانه، وتعالى الذي يحكم بينهم، وهو العليم بما يستحقه كل منهم، فلا يجري في ذلك الفصل ظلم، ولا حيف[4].

ومن الأدلة على شواهد فعله ﷻ دلالة الخلق، والبعث بعد الموت، وذلك في مواضع عدة من كتابه تبارك، وتعالى كقوله سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي (٢١/٣٥٨-٣٥٩).

(٢) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٣) جامع البيان، (١٨/٥٨٤- ٥٨٥).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (١٤/٤٢)، [بتصرف].

قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[(١)].

فدلت هذه الآيات على الخلق، والبعث، وعلى حاجة المخلوق إلى الخالق ضرورة، وقد أشار تعالى في هذه الآيات مع عظمة خلقه إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت، وبينها في آيات أُخر:

الأول:خلق الناس أولاً المشار إليه بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾؛ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني.

البُرهان الثاني: خلق السماوات، والأرض المشار إليه بقوله:﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى.

البُرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾، وقد أوضح تعالى هذه البراهين في آيات كثيرة من كتابه العزيز[(٢)].

فالآيات في تقرير دلالة الخلق، والبعث كثيرة جداً كقوله سبحانه:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾[(٤)]،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ — ٢٢.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للإمام محمد الأمين الجكني الشنقيطي (١/١٧-١٨)، [بتصرف يسير].

(٣) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

وقوله ﷻ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[(١)]، وغيرها من الآيات.

وبدء الخلق، والإعادة هينٌ عليه ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[(٢)]، وقوله لنبيه زكريا عليه السلام عند بشارته بنبيه يحي عليه السلام: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾[(٣)]؛ فلا يعجزه جل جلاله شيءٌ في الأرض، ولا في السماء فقد خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم، وخلق أُمنا حوى عليها السلام من ضلع آدم عليه السلام، وخلق نبي الله عيسى ابن مريم عليهما السلام من أم بلا أب، وخلق بني آدم من أب، وأم، ولذا فكل منكر للبعث، مستبعد لوقوعه لو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل، لرأى استبعاده للبعث، في غاية السخافة، ولهذا ذكر تعالى برهاناً قاطعاً، ودليلاً واضحاً، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾[(٤)] أي: أو لا يلفت نظره، ويستذكر حالته الأولى، وأن الله خلقه أول مرة، ولم يك شيئاً، فمن قدر على خلقه من العدم، ولم يكن شيئاً، مذكوراً، أليس بقادر على إنشائه بعد ما تمزق، وجمعه بعد ما تفرق؟، وهذا كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، وفي قوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ دعوة للنظر، بالدليل العقلي، بألطف خطاب، وأن إنكار من أنكر ذلك، مبني على غفلة منه عن حاله الأولى، وإلا فلو تذكرها، وأحضرها في ذهنه، لم ينكر ذلك[(٥)].

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٣٥ – ٣٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٦٧.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٤٩٨)، [بتصرف].

وهو مع ذلك عليم بما خلق، وشهيد على أعمال عباده بعد بعثهم، ورجوعهم إليه بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[٢]، والآيات في هذا كثيرة.

ومن شواهد فعله - ﷻ - على ربوبيته دلالة الإتقان، والتقدير، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدَّلالة في مواضع عدة كقوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾[٤]،وقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾[٦]، قال ابن عباس:((ذات البهاء، والجمال، والحسن، والاستواء))[٧]، وأصل الحبك: الإحكام[٨]، فهي محكمة الإتقان بديعة الخلق شاهدة بربوبية الله ﷻ، ولو تفكر في خلقها العبد لرأى فيها من الحسن والبهاء- كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تحار فيه الأعين، وتعجز عن وصفه الألسن؛ فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت، والسيارات، موشحة بالشمس، والقمر، والكواكب الزاهرات[٩].

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٤) سورة السجدة: ٧.

(٥) سورة التين، الآية: ٤.

(٦) سورة الذاريات: ٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم (٧/٤١٤).

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص (٢١٧)، [بتصرف يسير].

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/٤١٥)، [بتصرف].

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾[(١)]، فخلقه تعالى مستو، ليس فيه اختلاف، ولا تنافر، ولا مخالفة، ولا نقص، ولا عيب، ولا خلل، ومن ذلك خلقه للسماء فلو كررت البصر، مهما كررت لرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى عيباً أو خللاً، وهو كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر، ولا يُرى نقصاً، ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها، وزينتها فقال: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾[(٢)]، وهي الكواكب التي وضعت فيها من السَّيارات، والثوابت[(٣)].

أما دلالة التقدير فقد دل عليها عموم قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[(٨)].

ومن التخصيص للتقدير كما في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[(٩)]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾[(١٠)]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣.

(٢) السورة السابقة، الآية: ٥.

(٣) انظر: المصدر السابق (١٧٧/٨)، [بتصرف].

(٤) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٥) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ – ٣.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٨) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٩) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(١٠) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

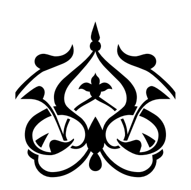
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾[1].

ومن شواهد فعله – ﷻ– على ربوبيته دلالة التسخير، والتدبير، والأدلة على ذلك متوافرة لا حصر لها:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾[3].

ومما تقدم من الدَّلائل، والآيات تتبين دلالةُ شهادته – تعالى– بفعله على وحدانيته؛ فهو المتفرد بالخلق، والإبداع، والبعث، والإتقان، والتقدير، والتسخير، والتدبير، والإنعام، والإفضال، والإحسان، وغيرها من الأفعال، فكل شيءٍ ناطق بربوبيته تعالى مستلزم للإقرار بإلهيته– ﷻ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، والله أعلم.



(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٢– ١٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢.

المبحث الثاني
دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على ربوبيته
بأخذ الميثاق على آدم عليه السلام، وذريته

إن الأصل في شهادة الله – ﷻ– على توحيده بالربوبية هو الميثاق أي: العهد الذي أخذه على آدم – عليه السلام –، وذريته من بعده، وهو ما خطاب به تعالى نبيه محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

مسألة: في معنى أخذ الذرية من ظهور بني آدم – عليه السلام–، والإشهاد عليه.

وقع الخلاف قديماً – بين أهل العلم – في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾، وذلك في معنى أخذ الذُّرية من ظهور بني آدم– عليه السلام – في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، والإشهاد عليه في قوله: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، والمقصود هنا: هو الرَّاجح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة، وذلك لعلاقتها المتصلة بشهادة الله– تعالى– على توحيده، وسأعرض لها – إن شاء الله تعالى– بشيء من التفصيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

تقدم الكلام معنا أن موطن الخلاف هو في معنى أخذ الذرية من ظهور بني آدم، والإشهاد عليه، والمعنى: أهذه الآيةُ دليلٌ على الاستخراج، وأن الاستخراج كان حقيقياً ؟ أم نقول غير ذلك؟

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢ – ١٧٤.

وعند التحقيق نجد أن في المسألة ثلاثة أقوال[١] حكاها أهل العلم في مصنفاتهم، وهي كما يلي:

القول الأول: وعليه أكثر السَّلف من الصحابة، والتابعين، والمفسرين، وأهل الأثر، وبعضٌ من الخلف، منهم أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين الفاروق عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، وعبد الله ابن عمرو، وأُبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قتادة السُّلمي، وسعيد بن جبير، وعطاء بن السَّائب، والضَّحاك، السُّدِّي، وابن جرير الطَّبري، وابن أبي حاتم، وأبو بكر بن الأنباري، وإسحاق بن راهوية، وابن عبد البر، والشَّوكاني، والقَنُّوجي، والشِّنقيطي، والألباني، وغيرهم.

قولهم في هذا: أنه الأخذ يوم الميثاق المعروف، وهو أن الله تبارك، وتعالى أخذ من ظهر آدم - ﷺ -، ومن ظهور ذرياته كل نسمة سبق في علمه أنها مخلوقة إلى يوم القيامة فأخذهم بيده - ﷻ -، وميزهم أصحاب اليمين إلى لجنَّة، وأصحاب الشِّمال إلى النَّار، وجعل فيهم إدراكاً، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾.

وقد عُلِمَ أن هذا العهد لا يولدُ أحدٌ إلاَّ وهو ناسٍ له، إلا أن الله جلَّ وعلا أرسل الرُّسل يذكرون بهذا العهد، وما ثبت عن الرُّسل هو، وما حضره الإنسان في التحقيق واحد؛ لأن ما قاله رسول الله ﷺ حقٌ نجزم بوقوعه أشد مما نجزم بما شاهدناه، ولاحظناه، وتذكرناه[٢].

فيكون المقصود بالعهد: أن الله - سبحانه - أخرج الأرواح قبل الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمتْ به ما خاطبها ربها؛ فشهدت، ونطقت[٣].

وهو الذي دلت عليه أحاديثٌ، وآثارٌ صحيحةٌ منها:

ما خُرِّج في الصحيحين-، وهو أقوى ما يشهد لصحة هذا القول- عن أنس بن مالك- رضي الله عنه

---

(١) تنبيه: عَقَدَ صاحب رسالة:(المسائل العقدية المتعلقة بآدم ﷺ) (١٠١٠/٢)، أربعة أقوال في هذه المسألة جاعلاً قول الإمام القنوجي في تفسيره قولاً منفرداً عن بقية الأقوال، والحق أنه موافق لقول متقدمي السَّلف الأوائل، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله - تعالى-، انظر: فتح البيان (٧٠/٥-٧٢).

(٢) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للإمام محمد الأمين الشنقيطي (٣١٠/٤-٣١١).

(٣) انظر: الهداية الربانية شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ عبد العزيز الراجحي (٣٣٧/١).

-، يرفعه:((**إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً:لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صُلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك**))[١]، وقد روي من طريق أخرى : ((**قد سألتك أقل من ذلك، وأيسر فلم تفعل فَيُرَدُّ إلى النار**))[٢]، وليس فيه قوله: ((**في صُلب آدم**))؛ فهذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث أنس - ﵁ -، وقد ذكر فيه النبي ﷺ أن عدم الإشراك أُخذ عليهم، وهم في ظهر آدم-﵇-، فدل ذلك على أن قوله:﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أنه استخراج الله - ﷻ - لهم، وإشهاده عليهم، ثم ردهم في ظهر أبيهم آدم[٣].

كما استدل أهل هذا القول بأحاديثٌ ورد فيها صفة الإشهاد رويت عن ابن عباس﵁، وابن عمر ﵄ إلا أن بعض أهل العلم تكلم فيها[٤].

فمما روي عن ابن عباس- ﵁ -، عن النبي ﷺ أنه - قال:((**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان**[٥] **- يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، وذريته (١٣٣/٤)، برقم (٣٣٣٤)، واللفظ له، ومسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة، والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (٢١٦٠/٤)، برقم (٢٨٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (مسند أنس بن مالك ﵁)، (٤٠٢/٢)، برقم (١٣١٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢/٧)، برقم (٣٠٠٨)، وصحيح الجامع الصغير، وزياداته (١٣٢٥/٢)، برقم (٧٩٩٦).

(٣) انظر: العذب النمير (٣١١/٤).

(٤) انظر: الهداية الربانية (٣٤٠/١-٣٤١)، [بتصرف يسير].

(٥) نَعْمان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، هو فعلان من نِعْمة العيش، وهو غَضارتهُ، وحُسنه، وهو نَعْمان الأراك: وهو واد ينبته ويصب إلى ودّان، بلد غزاه النبيّ ﷺ، وهو بين مكة، والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات، وقيل: وادي عرفة دونها إلى منى، وهو وادٍ من بلاد هذيل قريب من مكة كثير الأراك، وموضعٌ فيه نخيلات ثم يصعد عقبة كرى ثم يشرف على الطائف ثم ينزل ثم يصعد عقبة خفيفة ثم يدخل الطائف، وقيل: وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات يُقَالُ له نَعْمان الأراكِ، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢٩٣/٥)، ومعجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري (١٣١٦/٤)، والجبال والأمكنة والمياه، للزمخشري ص(٣٠٣)، ونزهة المشتاق، للشريف الإدريسي(١٤٤/١)، والأماكن، لأبي بكر الحازمي الهمداني ص(٨٩٥).

كالذَّر، ثم كلمهم قُبلاً[1] قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2].

---

(١) قِبَلًا: أَيْ عِيانَاً، ومُقابَلة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يُوَلِّيَ أمره أو كلامه أحداً من ملائكته، انظر: النِّهاية لابن الأثير (٤/ ٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٦٧)، برقم (٢٤٥٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/٥٤٧)، برقم (١٥٣٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٨٩)، (٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٥٩٣)، برقم (٤٠٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٥١٨)، برقم(٤٤١)، قال الإمام الألباني رحمه الله: ((كلهم من طريق الحسين بن محمد المروذي حدثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: فذكره..))، انظر الصحيحة (٤/١٥٨)، برقم(١٦٢٣)، وقال الحاكم:((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي بقوله:(قال: صحيح، قلت: على شرط البخاري، ومسلم))، انظر: مختصر تلخيص المستدرك لابن الملقن (٢/٩٩٧)، قال الألباني:((قلت: وحقهما أن يقيداه بأنه على شرط مسلم، فإن كلثوم بن جبر من رجاله، وسائرهم من رجال الشيخين، وتابعه وهب بن جرير حدثنا أبي به دون ذكر " نعمان" وقال أيضاً: " صحيح = = الإسناد، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر"، ووافقه الذهبي أيضاً، وأما ابن كثير فتعقبه بقوله في " التفسير" (٢/٢٦٢) : "هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية، ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر، وأثبت. والله أعلم))اهـ، انظر الصحيحة (٤/١٥٨)، برقم(١٦٢٣)، وقال في ظلال الجنة:((إسناده حسن، وهو مخرج في الصحيحة (١٦٢٣)))، انظر: السنة لابن أبي عاصم بتخريج ظلال الجنة(١/٨٩)، (٢٠٢)، كما صححه في تحقيقه على مشكاة المصابيح (١/٤٣)، برقم (١٢١)، وصحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٣٤٩)، برقم(١٧٠١)، وصرح برفعه في (تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات) (١/٩١)، قال:((وهو حديث صحيح بل متواتر المعنى كما بينته في الصحيحة (١٦٢٣)))، وانظر: شرح الطحاوية بتخريج الألباني (ص٢٦٦)، والحديث أخرجه الهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند (٣/٢٢٤)، برقم (٣٢٥٧)، وفي مجمع الزوائد (٧/٢٥)، برقم (١١٠٢٠)، وقال: ((رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح))، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/١٠٢)، برقم (١١١٢٧)، وقال:((كلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ))، وأبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/٢٩) برقم(٣٨٨٩)، وعلق عليه منتصراً له.

ومن الأحاديث التي استدل بها – أيضاً – أصحاب هذا القول ما جاء في بعض المسانيد، والسُّنن، والتفاسير عن مُسلم بن يسار الجُهني[(١)] أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- سُئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾، فقال عمر – رضي الله عنه-: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ :((**إن الله تبارك، وتعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**))، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ :((**إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار**))[(٢)].

---

(١) مسلم بن يسار الجُهَني: اختلف أهل الحديث فيه بين مُوثق، وقائل بجهالته، وعدم معرفته، قال العجلي:((بصري، تابعي، ثقة))، انظر: معرفة الثقات (٢/٢٧٨)، برقم(١٧٢٠)، ووثقه ابن حبان في الثقات (٥/٣٩٠)، برقم (٥٣٤٥)، (٥/٤٧٧)، برقم (٥٨٠٥)، وابن حجر في التهذيب (١٠/١٤٢)، برقم(٢٦٢)، ولسان الميزان (٧/٣٨٦)، برقم(٤٨٣٣)، وأما القائلون بجهالته فهو الإمام يحى بن معين قال: ((مُسلم بن يسار لا يُعرف))، وقال – في موضع آخر-:((لا يُعرف مُسلم بن يسار هذا)) يعني: (الجُهني)، انظر: المتفق والمفترق للخطيب البغدادي (٣/ ١٩١٩)، برقم(١٣٣٦)، والأقرب توثيقه لكثرة القائلين بذلك، وأما عدم المعرفة فليست بدليل على الجهالة، وذلك أن عدم المعرفة حاصلة بحسب العلم، وكما هو معلوم أن عدم العلم لا يعني العلم بالعدم، والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القدر (٥/١٣٢٢)، برقم (٣٣٣٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٣٣-٢٣٤)، برقم (١٥٣٥٧)، و(١٥٣٥٨) ، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ، باب بدء الخلق (١٤/ ٣٧-٣٨)، برقم (٦١٦٦)، وأبي دواد في السنن، كتاب السنة، باب القدر (٤/٢٢٦)، برقم (٤٧٠٣)، و أحمد في المسند (١/ ٣٩٩-٤٠٠)، برقم(٣١١)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر (١/ ١٣٨-١٣٩)، برقم (٧٧)، وابن الأثير في جامع الأصول (٢/١٤٠)، برقم (٦٢٧)، والترمذي في السنن، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف (٥/٢٦٦)، برقم (٣٠٧٥)، وقال:((هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً))، كما أخرجه أبو جعفر الطحاوي في شرح =

=

مشكل الآثار(١٠/ ٢٤)، برقم (٣٨٨٦)، وقال:((وكان هذا الحديث منقطعاً؛ لأن مسلم بن يسار الجهني لم يلق عمر رضي الله عنه، فنظرنا في الذي أخذه عنه، عن عمر من هو؟))، وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٠)، برقم(٧٤)، (٢/ ٣٥٤)، برقم (٣٢٥٦)، (٢/ ٥٩٣)، برقم (٤٠٠١)، وذلك في ثلاثة مواضع: قال في الأول، والثالث أنهما:((على شرط الشيخين))، وأما الثاني فقال: ((الحديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي إلا في الموضع الأول قال:((فيه إرسال))، وعند التحقيق عُلم أن هذا الراوي هو: (نُعيم بن ربيعة الأزدي)، وقد ورد عند البخاري في تاريخه (٨/ ٩٧)، برقم(٢٣١٤) باسم (الأَودِيُّ)، ولعله خطأ مطبعي فقد أجمع أهل الحديث على أنه (الأزدي)، وقد وثقه ابن حبان في الثقات (٥/٤٧٧)، برقم(٥٨٠٥)، وأشار إلى توثيقه ابن حجر في لسان الميزان (٧/٤١٣)، وتهذيب التهذيب(١٠/٤٦٤)، والحافظ المزي في تهذيب الكمال(٢٩/ ٤٨٥)، ومصححاً للحديث (٢٧/٥٥٦)، برقم (٥٩٥١)، وقال الذهبي:((لا يُعرف)) كما في الميزان (٤/٢٧٠)، برقم(٩١٠٤)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٥٠) برقم(٤٧٠٣)، وضعفه في مواضع كما في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٧/٧١)برقم (٣٠٧١)، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩/٢٢)برقم (٦١٣٣)، وضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/٢٣١) برقم (١٦٠٢)، وفي ظلال الجنة (١/ ٨٧)، وقال:((إسناده ضعيف لانقطاعه بين مسلم بن يسار، وعمر وبينهما رجل يُدعى نعيم بن ربيعة الأودي...وهو مجهول، والحديث مُخرج في الضعيفة))،كما ضعفه في ضعيف سنن الترمذي (١/٣٧٦)، وقال: ((هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار، وبين عمر رجلا))، وعليه فإن القول ببلوغه درجة الحسن ممكنة لما تقدم، ولأن للحديث طريقين:

أحدهما: يرويه زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة، عن عمر.

والثاني: مخالف للأول، وهو ما رواه مالك بن أنس في الموطأ عن زيد بن أبي أنيسة، ولم يذكر في الإسناد نعيم بن ربيعة، وأرسله عن مسلم بن يسار، عن عمر، والطريق الأول حدث عنه كذلك يزيد بن سنان، أبو فروة الرهاوي، وجوَّد إسناده، ووصله، وحديث يزيد بن سنان متصل، وهو أولى بالصواب، والله أعلم، وقد تابعه عمر بن جعثم، فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، كذلك قاله بقية بن الوليد عنه، انظر: العلل للدارقطني (٢/٢٢٢)، برقم (٢٣٥)، وقد أشار الإمام الألباني إلى تصويب الدارقطني للرواية الأولى على الثانية، ونقل كلام الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله:((الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً، لما جهل حال نعيم، ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصولات))، انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٢١٤- ٢١٥) ، ثم قال الألباني: ((وهذه فائدة عزيزة هامة من قبل هذا الحافظ النِّحرير فعض عليها بالنواجذ))، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧/٧٢-٧٣)، وقد تقدم توثيق جماعة من أهل العلم لنُعيم بن ربيعة، ومسلم بن يسار الجُهني، وجملة القول في هذا الحديث كما قال الإمام ابن عبد البر: ((أنه حديث ليس = = إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار، ونعيم بن ربيعة جميعاً غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة

=

كما أسدلوا بما أخرجه الإمام الطبري، وابن أبي حاتم، والسِّيوطي، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما،- وقد روي مرفوعاً، وموقوفاً من عدة طرق- قال: قال رسول الله ﷺ :

((﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ **قال: أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم:** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾، **قالت الملائكة:** ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾))[1]، وعنه قال:((**أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس**))[2]، وفي رواية: ((**أخذهم كما يأخذ المشط عن الرأس**))[3]،

=

ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب، وغيره جماعة يطول ذكرهم)) انظر: التمهيد(٦/٦)، قلت: ولعل الحديث يرتقي إلى درجة الحسن، وذلك بمجموع الشواهد، وتوثيق جماعة من أهل العلم لرواته، والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره مرفوعاً من طريق، وموقوفاً من طريقين على عبد الله بن عمرو (١٣/ ٢٣٢-٢٣٣)، برقم(١٥٣٥٤)، و(١٥٣٥٥)، و(١٥٣٥٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً عليه (١٦١٣/٥)، برقم (٨٥٣٢)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور موقوفاً، ومرفوعاً (٥٩٨/٣)، (٦٠١/٣)، وقال ابن جرير الطبري – عنه في تفسيره- :((ولا أعلمه صحيحاً؛ لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم، وإتقانهم حدَّثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم يرفعوه، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طَيبة عنه)) انظر: جامع البيان (٢٥٠/١٣)، كما ذكره ابن كثير في تفسيره، وضعف رفعه، وبين أن وقفه أصح، وقد قال – بعد أن روى ما أخرجه الطبري مرفوعاً – : ((أحمد بن أبي طيبة هذا هو: أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان أحد الزهاد، أخرج له النسائي في سننه، وقال أبو حاتم الرازي:((يُكتب حديثه)) (٦٤/٢) برقم(١٠٨)، وقال ابن عَدِيّ:((حدث بأحاديث أكثرها غرائب)) (٣٦١/١-٣٦٢)، وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، عن سفيان الثوري عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قوله، وكذا رواه جرير، عن منصور، به، وهذا أصح، والله أعلم)) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٠٢/٣-٥٠٣)، قلت: وقد أثنى على أحمد بن أبي طيبة الجرجاني الإمام الذهبي رحمه الله بقوله:((وكان عالماً زاهداً نبيلاً، ولاه المأمون قضاء جُرجان))، انظر: تاريخ الإسلام (٢٢/٥)، وقال:((صالح الحديث)) انظر: الكاشف (١٩٦/١)، برقم(٤١)، وقال أبو يعلى الخليلي في "الإرشاد ": ((ثقة ينفرد بأحاديث، وهو من الكبار روى عنه ابن أبي حاتم بالإجازة في فوائد الرازيين))، انظر: إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطاي (٦٣/١-٦٤)، برقم(٥٩)، وقال ابن معين:((أحمد بن أبي طيبة الجرجاني ثقة..)) انظر:مختصر الكامل في الضعفاء للمقريزي ص (٥٧٥)، و الحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٦٠/٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه.

وعند ابن أبي حاتم موقوفاً:((**استخرجهم من صلبه كما يستخرج المشط من الرامي**))[١]، وعند السيوطي موقوفاً:((**أخذهم من ظهرهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس**))[٢]، وفي رواية مرفوعاً: ((**أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس**))[٣].

ومن الأدلة ما أخرجه الإمام الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة – ﷺ–، قال: قال رسول الله ﷺ :((**لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً[٤] من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته**))[٥].

واستدلوا – أيضاً – بما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن قتادة السُّلمي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء في الجنة، ولا أبالي وهؤلاء في**

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير موقوفاً (١٦١٣/٥)، برقم (٨٥٣٢).

(٢) أخرجه السيوطي في تفسيره الدر المنثور موقوفاً (٣/ ٥٩٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٦٠١/٣)، وقد روي مرفوعاً، والصحيح وقفه على ابن عمرو كما تقدم.

(٤) الْوَبِيصُ: البَرِيق، وقد وَبَصَ الشَّيءُ يَبِصُ، وَبِيصاً، انظر: النهاية في غريب الحديث (١٤٦/٥).

(٥) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة الأعراف (٥/ ٢٦٧)، برقم(٣٠٧٦)، وقال:((هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ))، وحسنه الألباني في تحقيقه على مشكاة المصابيح (٤٢/١) برقم (٤٠/١١٨)، وانظر: أحكام القرآن للقرطبي (٣١٥/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٠٤)، والسراج المنير للخطيب الشربيني (٥٣٤/١)، ومحاسن التأويل للقاسمي(١٣٣/١)، ولباب التأويل للخازن (٢٦٦/٢)، وكتاب القدر للفريابي، والروح لابن القيم ص(١٥٨)، ومعارج القبول للحافظ الحكمي (١/ ٨٦).

النار ولا أبالي قال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر))، وعند الحاكم:((**على موافقة القدر**))[1].

وبما أخرجه الطبراني في الكبير، وغيره عن هشام بن حكيم بن حزام: أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنبتدئ الأعمال أم قد قضي القضاء؟، فقال رسول الله ﷺ : ((**إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفة، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار**))[2]، وبما أخرجه الطبراني في الكبير – أيضاً – عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ :((**لما خلق الله ﷻ الخلق، وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه، وأهل الشمال بشماله، فقال: يا أصحاب اليمين، قالوا: لبيك وسعديك قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحاب الشمال قالوا: لبيك وسعديك، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم خلط بينهم، فقال قائل: يا رب لم خلطت بينهم؟ قال: لهم أعمال من دون ذلك، هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صلب آدم**))[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٢٠٦)، برقم (١٧٦٦٠)، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها (٢/٥٠)، برقم(٣٣٨)، والهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب القدر، باب في أخذ الميثاق، وما سبق في العباد، (٦/٤١)، برقم(١٨٠٦)، ومجمع الزوائد (١٨٦/٧)برقم (١١٧٧٩)، وقال: ((رواه أحمد، ورجاله ثقات))، وقال الحاكم:((هذا حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته، عن آخرهم إلى الصحابة، وعبد الرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة، وقد احتجا جميعاً بزهير بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، وليس له راو غير أبي عثمان النهدي، وكذلك احتج البخاري بحديث أبي سعيد بن المعلى، وليس له راو غير حفص بن عاصم))، ووافقه الذهبي، وقال:((على شرطهما إلى الصحابي)) المستدرك، كتاب= = الإيمان(١/٨٥) برقم (٨٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان(١/٣٦٩) برقم (٣٣٩)، وصحيح الجامع الصغير (١/٣٦٢) برقم (١٧٥٧)، والسلسلة الصحيحة (١/١١٣) برقم (٤٨).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٦٨/٢٢)، برقم (٤٣٤)، و(٤٣٥)، ومسند الشاميين (١٨٥/٣)، برقم (٢٠٤٦)، والقضاء والقدر للبيهقي (١/٢٢٥)، برقم(٢٨٤)، وابن بطه في الإبانة الكبرى (٣/ ٣٠٥)، برقم (١٣٢٦)، (٣/ ٣٢٩)، برقم (١٣٥٥)، والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٤/١٦٠) رقم (١٦٢٣)، وصحيح الجامع (١/٣٥٠)، برقم (١٧٠٢/ ٧٥٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٤٢)، برقم ٧٩٤٣، وصححه الألباني في الصحيحة(٤/١٦١)، باب رقم(١٦٢٣).

ومن الأدلة أيضاً ما أخرجه أحمد، والبزّار، والطبراني، والهيثمي، وغيرهم عن أبي الدرداء - ﷺ- عن النبي ﷺ قال:((**خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى؛ فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى؛ فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة، ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار، ولا أبالي**))[١].

كما أخرج البزار، والطبراني، والآجري، وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري - ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ ((**إن الله جل ذكره يوم خلق آدم قبض من صلبه قبضتين فوقع كل طيب في يمينه، وكل خبيث بيده الأخرى فقال: هؤلاء أصحاب الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء أصحاب النار، ولا أبالي ثم أعادهم في صلب آدم فهم ينسلون على ذلك إلى الآن**))[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٨١/٤٥)، برقم ٢٧٤٨٨، والبزار في البحر الزخار (١٠/ ٧٨)، برقم ٤١٤٣، قال: ((وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وإسناده حسن))، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٦١) برقم (٢٢١٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى باب الإيمان بأن الله ﷻ أخذ ذرية آدم من ظهورهم فجعلهم فريقين فريقاً للجنة، وفريقاً للسعير (٣/ ٣٠٩)، والهيثمي في كشف الأستار، كتاب القدر (٢١/٣)، برقم ٢١٤٤، وحكى قول البزار السابق، وأخرجه في مجمع الزوائد، كتاب القدر، باب فيما سبق من الله سبحانه في عباده، وبيان أهل الجنة، وأهل النار(١٨٥/٧) برقم (١١٧٧٧)، وقال:((رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح))، وأخرجه في غاية المقصد في زوائد المسند (١٩٤/٣) برقم(٣١٥٧)، والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٢/١)، برقم (٤١/١١٩)، والصحيحة (١١٤/١)، برقم(٤٩)، وانظر: الدر المثور (٦٠٦/٣) ، والسنة لعبد الله بن أحمد (٤٦٦/٢)، والعواصم والقواصم لابن الوزير القاسمي (٢٣٧/٦).

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار (٤٦/٨) برقم(٣٠٣٢)، قال: ((وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول ﷺ بهذا اللفظ إلا عن رسول الله ﷺ))، والهيثمي في كشف الأستار (٣/ ٢٨) برقم(٢١٤٣)، وحكى عن البزار قوله:((لا نعلم أحدا رواه بهذا اللفظ إلا أبو موسى))، ومجمع الزوائد (١٨٦/٧)برقم (١١٧٨١)، قال:((ورواه البزار، والطبراني في الكبير، والأوسط، وفيه روح بن المسيب، قال ابن معين:"صويلح، وضعفه غيره"))، وكتاب القدر للفريابي (٤٩/١) برقم(٣٥)، والشريعة للآجري (٧٥١/٢) برقم(٣٣٢)، والمعجم الأوسط للطبراني (١٤٧/٩) برقم(٩٣٧٥)، والإبانة الكبرى لابن بطه (٣١١/٣) برقم(١٣٣٢)، وجزء لوين لأبي جعفر المصيصي المعروف بـ لوين ص(٨٢) برقم (٦٩)، والرد على الجهمية لابن منده ص(٢٨).

ومن الآثار ما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره بسنده عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب – رضي الله عنه – قوله في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال– : ((**أخذهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم...**))[١].

وفي رواية أُخرى عنه – رضي الله عنه –، قال: ((**جمعهم يومئذٍ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق:** ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ **قال: فإني أُشهد عليكم السموات السبع، والأرضيين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وسأرسل إليكم رُسُلاً يذكرونكم عهدي، وميثاقي، وسأنزل عليكم كُتبي، قالوا: شهدنا أنك ربنا، وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك؛ فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم، فرأى منهم الغني، والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: رب لولا ساويت بينهم، قال: فإني أحب أن أشكر، قال: وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السُّرج**))[٢].

وبسنده عن سعيد بن جبير رحمه الله قال في هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾: ((**أخرجهم من ظهر آدم، وجعل لآدم عمر ألف سنة، قال: فعرضوا على آدم، فرأى رجلاً من ذريته له نور فأعجبه، فسأل عنه، فقال: هو داود، قد جعل عمره ستين سنة، فجعل له من عمره أربعين سنة، فلما احتضر آدم، جعل يخاصمهم في الأربعين سنة، فقيل له: إنك أعطيتها داود، قال: فجعل يخاصمهم**))[٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧/٧٠٥).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٥٥٧).

(٣) المصدر نفسه (١٠/٥٥٨).

كما أخرج عن عطاء بن السَّائب رحمه الله، وغيره قوله: ((**أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم في صلبه**))[١].

و بسنده عن السُّدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، قال: ((**وذلك حين يقول تعالى ذكره:** ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢]، **وذلك حين يقول:** ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] **يعني: يوم أخذ منهم الميثاق، ثم عرضهم على آدم عليه السلام طائعين، وطائفة كارهين على، وجه التقية**))[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضَّحاك رحمه الله قال: ((**إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون إلى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر ثم قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ **قالت** الملائكة: ﴿شَهِدْنَآ﴾ ، **ثم قبض قبضة بيمينه فقال: هؤلاء في الجنة ثم قبض قبضة أخرى فقال: هؤلاء في النار، ولا أبالي**))[٥].

وقال الإمام البغوي رحمه الله قال مقاتل[٦]، وغيره من أهل التفسير: ((**إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى**

---

(١) المصدر السابق (٥٥٩/١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٤) المصدر السابق (٥٦٠/١٠-٥٦١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٥)، برقم (٨٥٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٧).

(٦) مقاتل بن سليمان الخراساني مولى الأزد أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، وبها مات بعد خروج الهاشمية، وكان قد دخل بغداد وحدَّث بها، كنيته أبو الحسن، من أعلام المفسرين، روى عن الضحاك بن مزاحم، وعطاء، وأصحاب الحديث يتقون حديثه، وينكرونه، وهو مترك الحديث عندهم، قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله عنه : (صاحب التفسير، والمناكير...)، وقال عنه فيما رواه بإسناده فيما كتب إليه محمود بن آدم المروزي قال: (حضرت وكيعاً، وسُئل عن كتاب التفسير عن مقاتل بن سليمان فقال: لا تنظر فيه، قال ما اصنع به، قال: ادفنه، ثم قال أليس زعموا أنه كان يحفظ ؟ كنا =

فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هذه ذريتك، ثم قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي، ولا أبالي، وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال، وأرحام النساء))[1].

وقال مُقاتل – أيضاً – :((**أخذ الميثاق الأول على العباد حين خلقهم من صلب آدم** عليه السلام **فذلك قوله** عز وجل:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾ **على أنفسنا...))**[2].

ومن جملة أقوال أئمة السلف، والخلف من المفسرين رحمهم الله في ذلك:

قول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية:((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض

=

نأتيه فيحدثنا ثم نأتيه بعد أيام فيقلب الإسناد، والحديث)، وبسنده أن صالح ابن أحمد بن حنبل رحمه الله قال: قال أبي: (مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه شيئاً)، وبسنده أن محمد ابن سعيد المقرئ قال سئل عبد الرحمن – يعني ابن الحكم بن بشير – عن مقاتل بن سليمان فقال: (كان قاصاً، ترك الناس حديثه)، وبسنده أنه قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحي بن معين يقول: (مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشئ)، وبسنده قال نا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول:(هو متروك الحديث)، وقال ابن حبان رحمه الله: (كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان شَبِّيها يُشبه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث)، وقال العجلي رحمه الله: (مُقاتل بن سليمان البلخي متروك الحديث)، من كتبه (التفسير الكبير)، و (نوادر التفسير)، و(الرد على القدرية)، و(متشابه القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(القراآت)، و(الوجوه والنظائر)، انظر: المجروحين لابن حبان (١٤/٣)، برقم (١٠٤٤)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦٣/٧)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٥٥/٨)، ومعرفة الثقات، للعجلي (٢٩٥/٢) برقم (١٧٨١)، والأعلام (٢٨١/٧)، وإنما أطلت الحديث عنه لبيان حاله لكثرة الأقاويل فيه، إما بالحق، وإما بما دون ذلك، وقول السَّلف إذا جاء في بيان حال الرجال، فليس بعد قولهم قول.

(١) معالم التنزيل (٢٩٨/٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤٥٦/١).

شهادتهم بذلك، وإقرارهم به))[١].

وقال في موضع آخر- بعد أن ذكر القولين في المسألة-:((وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما روي عن رسول الله ﷺ إن كان صحيحاً،..وإن لم يكن ذلك عنه صحيحاً، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض؛ لأنه جل ثناؤه قال:﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾، فكأنه قيل: فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا، فقالوا: "بَلَىٰ" شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين))[٢].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:((وقيل المعنى: أن الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه،..والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفاً على غيره من الصحابة، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل))[٣].

وبنحوه قال العلاَّمة محمد صديق خان القِنَّوجي رحمه الله: ((وقيل المعنى: أن الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه، والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفاً على غير واحد من الصحابة، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل،...والحق ما ذكرناه، وإليه ذهب جمهور المفسرين))[٤].

وعلى هذا يكون معنى قوله:﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ ﴾، بلسان المقال حيث

---

(١) جامع البيان (١٣/٢٢٢).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٥٦٢) [باختصار].

(٣) فتح القدير (٢/٢٩٩).

(٤) انظر: فتحُ البيان للقنوجي (٥/٧٠).

أشهد كل أخذوا من ظهور بني آدم – ﷺ– على أنفسهم لا على غيرهم تقريراً لهم بالربوبية التامة لله تبارك، وتعالى، والعمل بموجبها، فأقروا بلسان المقال:﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾، وفي الباب جمعٌ من الأحاديث الصحيحة، والآثار الثابتة في هذا.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: ((قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها وبالله العصمة والتوفيق..))[(١)].

وأقوال أئمة السَّلف، والخلف ناصرة لهذا القول تقود إلى القول بإجماع أهل الحديث، وكبراء أهل العلم.

قال الإمام ابن الأنباري رحمه الله:((مذهب أهل الحديث، وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وصلب أولاده، وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلاً حين خوطب، وكما فعل ذلك للبعير لما سجد، والنَّخلة حتى سمعت وانقادت حين دُعيت))[(٢)]، وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله:((وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم، وأشهدهم))[(٣)].

القول الثاني: ما ذهب إليه جماعة من السَّلف، والخلف، واختاره غير واحد من المحققين المتأخرين أنَّ معنى أخذهم من ظهور بني آدم: هو وجودهم قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، على طريق التناسل وذلك بإخراج الذُّرية، وهم الأولاد من صلب آبائهم، وذلك حال كونهم نُطفاً، فأخرجها الله تعالى فأودعها أرحام الأمهَّات، وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعله بشراً سويّاً، وخلقا كاملاً ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيَّته، وغرائب

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٢/٦).

(٢) انظر: الروح لابن القيم ص(١٦٣)، وفتحُ البيان للقنوجي (٧٤/٥)، ونقله الألباني في الصحيحة (١٦١/٤).

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٨٤/١٨)، والاستذكار له (١٠٧/٣)، ودر تعارض العقل والنقل (٤١٤/٨)، والروح ص (١٦٣– ١٦٤)، والصحيحة للألباني (١٦١/٤).

صنعته، فبالإشهاد صاروا كأنهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾، وإن لم يكن هناك قول باللِّسانِ، بل بلسان الحال، ولذلك نظائر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[(٢)].

والمعنى: أن الله – ﷻ – خلق بني آدم، وخلق من هؤلاء ذرية كما قال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[(٣)]، وعلى هذا القول فالأخذ من ظهورهم: هو استخراج النُّطف من أصلابهم على طريق التناسل قرناً بعد قرن بما ركز فيهم من الفطرة[(٤)].

وقد ذهب إلى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي، وابن عاشور، وابن سعدي، وغيرهم رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((هذه الآية بينه في إقرارهم، وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم، وقال ﷺ:((كل مولود يولد على الفطرة[(٥)]...))[(٦)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وأحسن ما فسرت به الآية قوله ﷺ:((كل مولود يولد على الفطرة: فأبواه يهودانه، وينصرانه))؛ فالميثاق الذي أخذه سبحانه عليهم، والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم، والإقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها؛ لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم، ولا يذكره، بل بما يُشْرَكُونَ في معرفته، والإقرار به))[(٧)].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٥/٤٠٠)، واللباب في علوم الكتاب (٩/ ٣٨١)، والعذب النمير (٤/ ٣١٤-٣١٥).

(٥) تقدم تخريجه ص: (٤٦) .

(٦) جامع الرسائل (١/١١- ١٢).

(٧) أحكام أهل الذمة (٢/ ٩٤٨- ٩٤٩).

ونقل في كتابه شفاء العليل أن حماد بن سلمة رحمه الله سُئل - عن قول النبي ﷺ :((كُلُّ مولود يولد على الفطرة))[١]-؛ فقال:((هذا عندنا حيث أُخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم)) قال ابن قتيبة- رحمه الله -:((يُريد حين مسح ظهر آدم؛ فاستخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾)) ...))[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:((يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم، ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، وجبلهم على قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:**((كل مولود يولد على الفطرة -**، وفي رواية:((**على هذه الملة**[٤])) - **فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء))**[٥]، وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ:**((يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم، عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم))**[٦]...))[٧]، ومن ثَمَّ قال قائلون من السَّلف، والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة، وعياض بن حمَار المجَاشعي رضي الله عنهما...وقد فسَّر الحسن البصري الآية بذلك،...فدلَّ على

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٤٦).

(٢) شفاء العليل، لابن القيم ص(٢٩٤).

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٤/ ٢٠٤٨)، برقم (٢٦٥٨).

(٥) تقدم تخريجه ص: (٤٦) .

(٦) أخرجه مسلم إلا أنه لم يروه بهذا اللفظ، وإنما المروي عن عياض بن حمار المجَاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته:((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**..))، وقد تقدم تخريجه ص: (١٦٦) .

(٧) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٠٠).

أنه الفطرة التي فُطِروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال:﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾[1] أي: لئلا يقولوا يوم القيامة:﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا ﴾أي: عن التوحيد ﴿ غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا ﴾الآية))[2].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: ((فالآثار المروية في ذلك إنما تدل على القدر السَّابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم، وصورهم، وميَّز أهل السَّعادة من أهل الشَّقاوة، وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم، ومن ثم قال قائلون من السَّلف، والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد كما تقدم كلام المفسِّرين على هذه الآية الكريمة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه))[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله:((وهو عبارة عن خلق الله فطرة البشرية معتقدة وجود خالقها، ووحدانيته، ثم حرفتها النزعات الوثنية، والضلالات الشيطانية،...وهو عهد حصل بالخطاب التكويني أي بجعل معناه في جبلة كل نسمة، وفطرتها...فتعين أن يكون المعنى: أخذ ربك كل فرد من أفراد الذرية من كل فرد من أفراد بني آدم، فيحصل من ذلك أن كل فرد من أفراد بني آدم أقر على نفسه بالمربوبية لله تعالى،...والأخذ مجاز في الإخراج، والانتزاع قال الله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾[4]، والإشهاد على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار، أو الحمل عليه، وهو هنا الحمل على الإقرار، واستعير لحالة مغيبة تتضمن هذا الإقرار يعلمها الله لاستقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم، والضمير في أشهدهم عائد

---

(١) في النسخة المطبوعة بتحقيق الأخ سامي السَّلامة أثبت لفظة (أن يقولوا) بحجة أنها قراءة أبي عمرو كما ثبت لديه في مخطوطتين رمز لهما بـ (هـ، ك) مع أنه ثبت ورودها "بالتاء" كما قال تعالى:﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ في مخطوطتين أخريين رمز لهما بـ (م، أ)، وهي قراءة السَّبعة عدا أبو عمر كما ذكر، وقد آثرت إثباتها "بالتاء" لموافقتها رسم المصحف العثماني الذي بين أيدينا، ولكي لا يلتبس على القارئ الكريم فيظنه خطأ من الإمام ابن كثير رحمه الله ، أو المحقق أو، الباحث، والله أعلم.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٠٦/٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٣٩١/١).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

على الذرية باعتبار معناه، لأنه اسم يدل على جمع ،...والقول في﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ مستعار أيضاً لدلالة حالهم على الاعتراف بالربوبية الله تعالى...، وحاصل المعنى: أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها))[(١)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: ((يقول تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون، ويتوالدون قرناً بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم، وأصلاب آبائهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم، وخالقهم، ومليكهم، قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم؛ فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تُغير، وتُبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة))[(٢)].

وعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى:﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾: أشهدهم على أنفسهم بلسان الحال لا بلسان المقال؛ لأن الله نَصَب لهم من الأدلة الواضحة الظاهرة على كمال قدرته، وأنه المعبودُ وحْدَه ما لا يُحْتَاج معه إلى شيء ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ يعني: أَثْبَتَ لهم ربوبيته، واستحقاقه للعبادة بما ركز فيهم من الفِطْرَة، والعقول، وما نصب لهم من الأدِلَّة، وعلى هذا القول فقوله: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ أي: قالوا ذلك بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه، والعرب قد تطلق المقال على مقال لسان الحال، ونظيره من إطلاق الشَّهادة على شهادة لسان الحال قال بعض العلماء: منه قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾[(٣)] أي: بلسان حالهم على القول بذلك، ومنه

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٣٣- ١٦٦- ١٦٧) [باختصار].

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (٣٠٨).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٧.

قولـه: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾[(١)] أي: بلسـان حالـه عنـد مـن يقـول ذلـك[(٢)]، وقـد ذهـب أصحاب هذا القول، إلى أن الله – تعالى– نصب الأدلة، وأن الإشهاد بلسان الحال في الآية لوجوه، ووافقهم في بعضها [(٣)]، أصحاب القول الثالث، وهم (المعتزلة)[(٤)]، وهذه الوجوه كما يلي:

أحدها: أنه قال في الآية: (من بني آدم)، ولم يقل: (من آدم).

الثاني:أنه قال: (من ظهورهم)، ولم يقل: (من ظهره)، وهو بدل بعض أو بدل اشتمال، وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: (ذريتهم)، ولم يقل: (ذريته).

الرابع: أنه قال: (وأشهدهم على أنفسهم)، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو لا يذكر شهادته إلا بعد خروجه إلى هذه الدار لا يذكر شهادته قبل ذلك.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمته بهذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة:

إنا كنا عن هذا غافلين، والحجة إنما قامت عليهم بالرُّسل، والفطرة التي فطروا عليها بدليل قول

---

(١) سورة العاديات، الآية: ٧.

(٢) انظر: أضواء البيان (٤٢/٢)، والعذب النَّمير (٣٠٩/٤-٣١٠) [بتصرف يسير].

(٣) سيأتي قريباً – إن شاء الله تعالى – عرض ما اتفق عليه الفريقين من الحُجج، مع الرد عليها.

(٤) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وسمي اتباعه بعد ذلك بالمعتزلة، وقد أجمعت على نفي صفات الله، وخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعله، وأن مرتكب الكبيرة موحد مخلد في النار، ونفوا الشفاعة، ويرون الخروج على السلطان، وترك طاعته، ولهم أصول خمسة هي: العدل، والتوحيد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ص(١١٤-١١٧)، ووفيات الأعيان (٧١/٢)، والتعريفات ص(٢٣٨)، ولوامع الأنوار البهية (٧٦/١).

الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[(١)].

سادساً: تذكرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة:(إنا كنا عن هذا غافلين)، ولا شك أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم، وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت هذا لا يذكره أحد منهم.

سابعاً: أن هناك حكمتين في هذا الإشهاد لئلا يدعوا الغفلة، أو يدعوا التقليد في قوله: ﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ ﴾[(٢)]؛ إذ الغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل، والفطرة.

الثامن: أن الله تعالى توعدهم بجحودهم، وشركهم في ادعائهم التقليد في قوله:﴿ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[(٣)]، والله سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسلهم، وتكذيبهم بعد الإعذار، والإنذار بإرسال الرسل إذا أخبر أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم، وأهلها غافلون.

التاسع: أنه سبحانه أخبر أنه أشهد كل واحد على نفسه، واحتج عليه بهذا في غير موضع من كتابه كقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾[(٤)]، وإنما ذلك بالفطرة، وهي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله بقولهم: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٣.

(٣) السورة، والآية نفسها.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

العاشر: أنه جعل الإشهاد آية، وهي الدلالة الواضحة المبينة المستلزمة لمدلولها، وإنما يتضح ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وهذا شأن آيات الرب تكون واضحة بينة مستلزمة لمدلولها قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[(١)].

ويؤيد هذا القول أحاديث منها حديث أبي هريرة – ﷺ – في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ:((**كل مولود يولد على الفطرة**))[(٢)]، وفي رواية:((**على هذه الملة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه كما تولد بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء**))[(٣)]، وفي رواية: كان يُحدِّث، قال النبي ﷺ:((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**))، ثم يقول أبو هريرة ﷺ:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[(٤)(٥)]، وفي رواية له أيضاً: ((**إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه**))[(٦)].

ومنها ما تقدم في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي– ﷺ –، أن رسول الله ﷺ ، قال ذات يوم في خطبته:((**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**..))[(٧)].

قالوا: والقول الأول يضعفه أمران إذ هو متضمن لها:

أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذ، وأقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم عليهم الحجة يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) تقدم تخريجه ص(١٨٢).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٤٦) .

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) تقدم تخريجه ص: (٤٦) .

(٦) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة، (٢٠٤٨/٤)، برقم (٢٦٥٨).

(٧) تقدم تخريجه ص: (١٦٦).

الثاني: أن الآية دلت على هذا، والآية لا تدل عليه بالوجوه العشرة السَّابقة.

وأجابوا عن الآثار التي استدل بها أصحاب القول الأول بأجوبة فقالوا:

أنها تدل على أن الله -سبحانه- صور النسمة، وقدر خلقها، وأجلها، وعملها، واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا تدل على أنها خلقت خلقاً مستقراً، واستمرت موجودة ناطقة كلها في موضع واحد، ثم يوصل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة كما قاله ابن حزم؛ فهذا لا تدل الآثار عليه كما أنها لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقاً مستقراً ثابتاً، كما قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بل الرب يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السَّابق كشأنه -سبحانه- في جميع مخلوقاته فإنه قدر لها أقداراً، وآجالاً، وصفات، وهيئات ثم أخرجها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير السابق وبعد هذا فالآثار المروية إنما تدل على هذا المقدار، وبعضها يدل على أن الله استخرج أمثالهم وصورهم، وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة عليهم هناك، وأما الآثار التي في بعضها الأخذ، والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة، وبعضهم إلى النار كما في حديث عمر، وفي بعضها الأخذ، وإبراء آدم إياهم من غير قضاء، ولا إشهاد كما في حديث أبي هريرة السَّابق، والذي فيه الإشهاد على الصفة التي قالها أهل الأول قالوا: إنه موقوف على ابن عباس، وابن عمر، وتكلم فيه أهل الحديث، ولم يخرجه أحد من أهل الصحيح غير الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وهو معروف بتساهله رحمه الله لكن قال المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر: حديث ابن عباس، وعمر صحيحان مرفوعان، وتعليلهما بالوقف على ابن عباس، وعمر غير سديد[١] كما بين ذلك في شرحهما في المسند[٢]، هذا ملخص جوابهم.

القول الثالث: وهو قول المعتزلة بأن الأخذ، والإشهاد المراد في الآية ليس حقيقياً إنما هو من باب التمثيل، والتخييل، والمعنى: أن الله عز وجل أخرج من أصلاب بني آدم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، ونصب لهم الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي

---

(١) انظر: المسند للإمام أحمد(١/١٥٧) برقم (٣١١) بتعليق أحمد شاكر.

(٢) انظر: الهداية الربانية (١/٣٤٢-٣٤٧) [باختصار].

ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الهدى، والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقررهم، وممن قال بهذا الزمخشري، والبيضاوي، والنَّسفي، وغيرهم، وهو قول مشابهٌ لما ذهب إليه أصحاب القول الثاني في القول بالتمثيل لا التخييل.

قال الزَّمخشري:((إخراجهم من أصلابهم نسلاً، وإشهادهم على أنفسهم، وقوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ من باب التمثيل، والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم، وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة، والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقررهم، وقال لهم:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، وكأنهم قالوا:﴿ بَلَىٰ ﴾ أنت ربنا،﴿ شَهِدْنَآ ﴾ على أنفسنا، وأقررنا، بوحدانيتك، ومعلوم أنه لا قول ثم، وإنما هو تمثيل، وتصوير للمعنى:﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾مفعول له، أي: فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ لم ننبه عليه، أو كراهة أن ﴿ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ فاقتدينا بهم؛ لأن نصب الأدلة على التوحيد، وما نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على التقليد، والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك- وأدلة التوحيد منصوبة لهم))[1].

وقال البيضاوي:((أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض،...ونصب لهم دلائل ربوبيته، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ فنزل تمكينهم من العلم بها، وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد، والاعتراف على طريقة التمثيل، ويدل عليه قوله:﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: كراهة أن تقولوا ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ لم ننبه عليه

(١) الكشاف، للزمخشري (٢/ ١٧٦- ١٧٧).

بدليل))[١].

وبنحوه قال النَّسفي:((هذا من باب التمثيل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الهدى، والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقررهم، وقال لهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، وكأنهم ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ أنت ربنا شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بواحدانيتك ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ مفعول له أي: فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشَّهادة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا يَوْمَ القيامة ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ لم تنبه عليه))[٢].

وخلاصة قولهم: أن ليس هنا إشهادٌ حقيقي، وإنما هو من باب التمثيل، والتخييل.

وعند التأمل في القول الثاني من أقوال السَّلف، والمتأخرين منهم، والقول الثالث الذي قالت به المعتزلة نجد توافقاً في بعض حُجج الفريقين، مع اختلاف في الأُخرى، وسأعرض أولاً لأبرز ما تفقا عليه من الحُجج، ومن ثَمَّ أعرضُ لما انفرد به كل فريق عن الآخر مع الرد الموجز عليها.

أولاً: أبرز الحجج المتفق عليها بين أصحاب القول الثاني، والثالث:

الحجة الأولى: أن لفظ الآية لا يدل على استخراج الذرية من ظهر آدم، وإنما على ظهور ذريته، وهو بدل بعض، أو بدل اشتمال.

فمن أقوال أصحاب القول الثاني – من السَّلف، والخلف – :

قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :((...وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم، وأنه أنطقهم، وأشهدهم،...والآية لا تدل عليه...))[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:((فإنه قال:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، ولم يقل "من آدم"، ثم قال: ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾، ولم يقل: "من ظهرهم، ثم قال:

(١) أنوار التنزيل (٣/ ٤١) [باختصار].

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي (١/ ٦١٦– ٦١٧).

(٣) جامع الرسائل (١/١١) [باختصار].

﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، ولم يقل: (ذريته)..))[١].

وقال في موضع آخر: ((وأما مخاطبتهم، واستنطاقهم، وإقرارهم له بالربوبية، وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية – فمن قال من السلف فإنما هو بناء منه على فهم الآية، والآية لم تدل على هذا بل دلت على خلافه))[٢].

وقد أجاب عن هذا الإمام الألباني رحمه الله كما سيأتي في الجواب عن هذه الحجة.

وقالت المعتزلة:((قوله:﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾لا شك أن قوله:﴿ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ بدل من قوله: ﴿ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ فيكون المعنى: (وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم)، وعلى هذا التقدير: فلم يذكر الله تعالى أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً، ولو كان المراد أنه تعالى أخرج من ظهر آدم شيئاً من الذرية لما قال: ﴿ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ بل كان يجب أن يقول: من ظهره، لأن آدم ليس له إلا ظهر واحد، وكذلك قوله:﴿ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ لو كان آدم لقال ذريته))[٣].

قال الزمخشري:((من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل، ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم: إخراجهم من أصلابهم نسلاً، وإشهادهم على أنفسهم))[٤].

والجواب عن هذا: أن ظهر آدم – عليه السلام – لم يُذكر، وإن كان الله – سبحانه، وتعالى – أخرج جميع الذرية من ظهره؛ لأن الله – تعالى– أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب؛ فلذلك قال – سبحانه، وتعالى –:﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ فاستغنى عن ذكر ظهر آدم – عليه السلام – لما عُلم أنهم كلهم بنوه، وأُخرجوا من ظهره فَتَرك ذكر ظهر آدم استغناءً[٥].

(١) أحكام أهل الذمة (٩٤٩/٢).

(٢) الروح ص(١٦١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (٣٩٨/١٥).

(٤) الكشاف (١٧٦/٢).

(٥) انظر: معالم التنزيل (٢٤٧/٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٦٦/٢).

فقوله تعالى:﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ بدل اشتمال من قوله:﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، وألفاظ الآية تقتضي أن الأخذ إنما كان من بني آدم، وليس لآدم في الآية ذكرٌ بحسب اللفظ، ووجه النَّظم على هذا:"وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم"، وقد قرأ الكوفيون، وابن كثير قوله: ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالتوحيد، وفتح التاء، وهي تقع للواحد، والجمع، قال الله تعالى:﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾[١]، فهذا للواحد؛ لأنه إنما سأل هبة ولد كما في قوله:﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[٢]، ولم يقل أولياء، فبُشِّر بيحيى، كما في قوله:﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾[٣]، وقد أجمع القُراء على التوحيد في قوله:﴿ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾[٤]، ولا شي أكثر من ذرية آدم، وقال:﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ فهذا للجمع، وقرأ الباقون "ذرياتهم" بالجمع؛ لأن الذرية لما كانت تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد فجُمع لتخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يشركها فيه شيء، وهو الجمع؛ لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة، أعقاب بعد أعقاب، لا يعلم عددهم إلا الله، فجُمع لهذا المعنى، وعليه فلفظ "الذُّرية"، يُقال للجمع، ويُقال للواحد، والمراد به هنا: الواحد، وإنما لم يذكر ظهر آدم؛ لأن المعلوم أنهم كلهم بنوه كما تقدم، وأنهم أخرجوا يوم الميثاق من ظهره، فاستغنى عن ذكره لقوله:﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، والله أعلم[٥].

كما ردَّ الإمام الألباني رحمه الله على قول الإمام ابن القيم رحمه الله – في معرض رده على الإمام ابن كثير رحمه الله في القول:((بأن إنطاق الله – عز وجل –، وإشهاد ذرية آدم – عليه السلام – على أنفسهم أنه ربهم لم يثبت بخبر صحيح عن النبي ﷺ...))كما في جواب الحجة الثالثة– بقوله : ((وقد أفاض جداً في تفسير الآية، وتأويلها تأويلاً ينافي ظاهرها بل، ويعطل دلالتها أشبه ما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥.

(٣) السورة نفسها، الآية: ٧.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٥٨.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٠٨/١)، وزاد المسير (٢٧٨/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣١٧/٧– ٣١٨).

يكون بصنيع المعطلة لآيات، وأحاديث الصفات حين يتأولونها، وهذا خلاف مذهب ابن القيم رحمه الله الذي تعلمناه منه، ومن شيخه ابن تيمية، فلا أدري لماذا خرج عنه هنا لاسيما، وقد نقل (ص١٦٣) عن ابن الأنباري أنه قال: مذهب أهل الحديث، وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وصلب أولاده، وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلاً حين خوطب، وكما فعل ذلك للبعير لما سجد، والنَّخلة حتى سمعت وانقادت حين دُعيت كما نقل عن إسحاق بن راهويه: وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم، وأشهدهم.

قلت: وفي كلام ابن الأنباري إشارةٌ لطيفةٌ إلى طريقة الجمع بين الآية، والحديث، وهو قوله: ((إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وأصلاب أولاده...))[١]، والله تعالى أعلم.

- الحجة الثانية: (أن الله عز وجل لم يخلق أحدًا من بني آدم ذاكراً الميثاق ليلة الميثاق، وهم كالذَّر، قالوا: وما لا يذكره الإنسان لا يكون حُجة عليه، وهذا كأنَّه جُعل حُجة مستقلة عليهم، كما يدل عليه قوله: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ((وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم، ولا يذكره، بل بما يَشْتَرِكُونَ في معرفته، والإقرار به))[٢].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره، ليكون حجة عليه))[٣].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله: ((وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا به في

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦١/٤).

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ٩٤٨- ٩٤٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٠٦/٣).

ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك، فإن هذا العهد، والميثاق، الذي ذكروا أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين، ولا أثر؟))[١].

وقالت المعتزلة: هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذه الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت، أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، والأول باطل لانعقاد الإجماع على أن بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب، والعقاب، والمدح، والذم، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا لأنهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير ذلك حجة عليهم في التمسك بالإيمان؟ [٢].

والجواب عن هذه الحجة من وجهين بدليل الشرع، والعقل:

- الوجه الأول: بدلالة الشرع:

أن الله تعالى قد أخذ الميثاق عليهم، وأوضح الدلائل على وحدانيته، وصدق رسله -عليهم السلام- فيما أخبروا، فمن أنكره منهم كان معانداً ناقضاً للعهد، ولزمته الحجة، وبنسيانهم، وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

ثم أن الميثاق أخذ عليهم لئلا يقول المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد، وكنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم، فيجعلوا هذا عذراً لأنفسهم، ويقولوا أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

- الوجه الثاني: بدلالة العقل:

أن خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأن هذه العلوم عقلية ضرورية،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٣٠٨) [باختصار].

(٢) انظر مفاتيح الغيب (١٥/٣٩٩).

والعلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى، وإذا كان كذلك صح منه تعالى أن يخلقها، ثم أن أخذ الميثاق إنما حصل في أسرع زمان، وأقل وقت فلم يبعد حصول النِّسيان فيه، وقد علم أن الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساه، أما إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساه، وعليه فالفرق ظاهر[١]، والله تعالى أعلم.

أما ما نفرد به أصحاب القول الثاني من الحجج عن المعتزلة فهو قول جماعة من السَّلف: (أن إنطاق الله ﷻ، وإشهاد ذرية آدم عليه السلام على أنفسهم أنه ربهم لم يثبت بخبر صحيح عن النبي ﷺ، وإنما ورد في حديث ابن عباس، وابن عمرو رضي الله عنهم، وهما حديثان موقوفان لا مرفوعان).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((...وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم، وأنه أنطقهم، وأشهدهم لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي ﷺ...))[٢].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر[٣] عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد بينَّا أنهما موقوفان لا مرفوعان))[٤].

وبنحوه قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ((وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في

---

(١) انظر معالم التنزيل (٣/٣٠٠)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٠١)، [بتصرف].

(٢) جامع الرسائل (١/١١).

(٣) كلثوم بن جبر بن مؤمل الديلي نسبه محمد بن سعيد البصري صاحب النبي ﷺ، والد ربيعة بن كلثوم، روى عن:أنس بن مالك، وختيم بن مروان، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وأبي الغادية الجهني، ومسلم بن يسار البصري، وغيرهم، وروى عنه: عبد الله بن عون، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومرثد بن عامر، وابنه ربيعة بن كلثوم، وغيرهم، وثقه أحمد، وابن معين، وقال النسائي:((ليس بالقوي))، وذكره بن حبان في الثقات، وقال: ((مات سنة ثلاثين، ومائة))، انظر ترجمته في: التاريخ الكبير، للبخاري (٧/٢٢٧)، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٧/١٦٤)، وتهذيب الكمال، للمزي (٢٤/٢٠٠)، وتاريخ الإسلام (٣/٤٨٥)، وميزان الاعتدال، للذهبي (٣/٤١٣)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (٨/٤٤٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٠٦).

حديثين موقوفين على ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم))[١].

وقد أجاب عن هذا الإمام الألباني، والشيخ أحمد شاكر رحمهما الله.

- فأجاب الإمام الألباني متعجباً من قول الإمام ابن كثير هذا، ومن وافقه بقوله: ((قلت: وليس الأمر كما نفى، بل الإشهاد واردٌ في كثير من تلك الأحاديث:

الأول: حديث أنس هذا، ففيه كما رأيت قول الله - تعالى -: ((**قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً**))[٢]، قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (٦/٢٨٤): ((**فيه إشارة إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية)) اهـ.

قلت: ولفظ حديث ابن عمرو الذي أعله ابن كثير بالوقف إنما هو: ((**أخذ من ظهره** ...))[٣]، فأي فرق بينه، وبين لفظ حديث أنس الصحيح؟!

الثاني: حديث عمر بلفظ:((**ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية** ...))[٤].

الثالث: حديث أبي هريرة الصحيح:((... **مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة** ...)) [٥].

الرابع: حديث هشام بن حكيم:((**إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم...**)) [٦].

الخامس: حديث أبي أمامة رضي الله عنه:((**لما خلق الله الخلق وقضى القضية، أخذ أهل اليمين بيمينه، وأهل الشمال بشماله، فقال: ... ألست بربكم، قالوا: بلى...**)) [٧].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه)، (١٩/٣٠٢)، برقم (١٢٢٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/١٣٥٠) برقم (٨١٢٣).

(٣) تقدم تخريجه ص: (١٩١).

(٤) تقدم تخريجه ص: (١٨٨).

(٥) تقدم تخريجه ص: (١٩١).

(٦) تقدم تخريجه ص: (١٩٢).

(٧) تقدم تخريجه ص: (١٩٢)

وفي ذلك رد على **ابن القيم** في قوله – أيضاً في كتاب "الروح" (ص١٦١) بعد أن سرد طائفة من الأحاديث المتقدمة – :((وأما مخاطبتهم واستنطاقهم، وإقرارهم له بالربوبية، وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية – فمن قال من السلف فإنما هو بناء منه على فهم الآية، والآية لم تدل على هذا بل دلت على خلافه))[1]، وقد أفاض جداً في تفسير الآية، وتأويلها تأويلاً ينافي ظاهرها بل، ويعطل دلالتها أشبه ما يكون بصنيع المعطلة لآيات، وأحاديث الصفات حين يتأولونها، وهذا خلاف مذهب ابن القيم رحمه الله الذي تعلمناه منه، ومن شيخه ابن تيمية، فلا أدري لماذا خرج عنه هنا لاسيما، وقد نقل (ص١٦٣) عن ابن الأنباري أنه قال: (مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وصلب أولاده، وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلاً حين خوطب، وكما فعل ذلك للبعير لما سجد، والنَّخلة حتى سمعت وانقادت حين دُعيت)، كما نقل أيضاً عن إسحاق بن راهويه:(وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم، وأشهدهم)[2]، قلت: وفي كلام ابن الأنباري إشارةٌ لطيفةٌ إلى طريقة الجمع بين الآية، والحديث، وذلك في قوله: (إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وأصلاب أولاده).

وإليه ذهب الفخر الرازي في "تفسيره"(٣٢٣/٤)، وأيَّده العلاَّمة مُلاَّ علي القاري في "مرقاة المفاتيح" (١٤٠/١-١٤١)، وقال عقب كلام الفخر:(قال بعض المحققين : إن بني آدم من ظهره، فكل ما أخرج من ظهورهم فيما لا يزال إلى يوم القيامة هم الذين أخرجهم الله تعالى في الأزل من صلب آدم، وأخذ منهم الميثاق الأزلي ليعرف منه أن النَّسل المخرج فيما لا يزال من أصلاب بنيه هو المخرج في الأزل من صلبه، وأخذ منهم الميثاق الأول، وهو المقالي الأزلي، كما أخذ منهم فيما لا يزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثاني، وهو الحالي الإنزالي، والحاصل أن

---

(١) انظر: الروح ص(١٦١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني آدم أحدهما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الحاملة على الاعتراف الحالي، وثانيهما المقالي الذي لا يهتدي إليه العقل، بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الأزل إلى الأبد، كالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ، أراد عليه الصلاة، والسلام أن يعلم الأمة، ويخبرهم أن وراء الميثاق الذي يهتدون إليه بعقولهم ميثاقا آخر أزليا فقال (ما) قال من مسح ظهر آدم في الأزل، وإخراج ذريته، وأخذه الميثاق عليهم، وبهذا يزول كثير من الإشكالات، فتأمل فيها حق التأمل)[١].

وجملة القول أن الحديث صحيح، بل هو متواتر المعنى كما سبق، وأنه لا تعارض بينه، وبين آية أخذ الميثاق، فالواجب ضمه إليها، وأخذ الحقيقة من مجموعها، وقد تجلت لك إن شاء الله مما نقلته لك من كلام العلماء، وبذلك ننجو من مشكلتين بل مفسدتين كبيرتين:

الأولى: رد الحديث بزعم معارضته للآية.

والأخرى: تأويلها تأويلاً يُبطل معناها، أشبه ما يكون بتأويل المبتدعة، والمعتزلة، كيف لا وهم أنفسهم الذين أنكروا حقيقة الأخذ، والإشهاد، والقول المذكور فيها بدعوى أنها خرجت مخرج التمثيل! وقد عَزَّ علي كثيراً أن يتبعهم في ذلك مثل ابن القيم، وابن كثير، خلافاً للمعهود منهم من الرد على المبتدعة ما هو هو دون ذلك من التأويل، والعصمة لله وحده)) [٢].

قلت، وهو كما قال الجُرجاني رحمه الله: ((ليس بين قول النَّبي إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته، وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه - عز وجل - إذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته لأن ذرية آدم لذريته بعضهم من بعض، وقوله تعالى:﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾أي: عن الميثاق المأخوذ عليهم، فإذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهوداً عليهم بأخذ الميثاق)[٣].

وقال أيضاً:((وحاصل الفائدة في هذا الفصل أنه سبحانه قد أثبت الحجة على كل النفوس ممن

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح (١/١٤٠-١٤١).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٦٠-١٦١).

(٣) انظر: الروح ص(١٦٣).

يبلغ، وممن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات، والدلائل التي نصبها في نفسه، وفي العالم، وبالرسل المنفذة إليهم مبشرين، ومنذرين، وبالمواعظ بالمثُلات المنقولة إليهم أخبارها غير أنه ﷻ لا يطالب أحداً منهم من الطاعة إلا بقدر ما لزمه من الحجة، وركب فيهم من القدرة، وآتاهم من الأدلة، وبين سبحانه ما هو عامل في البالغين الذين أدركوا الأمر، والنهي، وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين إلا أنا نعلم أنه عدل لا يجوز في حكمه، وحكيم لا تفاوت في صنعه، وقادر لا يسأل عما يفعل له الخلق، والأمر تبارك الله رب العالمين))[1].

أما جواب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن حديث ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهما فقد تقدم ما نقله الشيخ عبد العزيز الراجحي- حفظه الله - عنه في شرحه على المسند بقوله: ((حديث ابن عباس، وعمر صحيحان مرفوعان، وتعليلهما بالوقف على ابن عباس، وعمر غير سديد...))[2].

- وأما ما اشتهر به المعتزلة، وانفردوا به من الحُجج في هذه المسألة قولهم: (ليس هنا إشهادٌ حقيقي، وإنما هو من باب التمثيل، والتخييل).

فجوابه:

أنه قد عُلم أن رسول الله ﷺ هو المبلغ ما أنزل إليه من ربه، وأهل البدع من أهل الكلام[3]،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: المسند (١/١٥٧) برقم (٣١١) بتعليق أحمد شاكر.

(٣) علم الكلام: هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة، فهو علم يتضمن الحِجاجَ عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، وهو من باب الاعتبار في أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين، والتقبيح، والإحالة، والتصحيح، والإيجاب والتجويز، والاقتدار والتعجيز، والتعديل، والتجوير، والتوحيد، والتكفير، والاعتبارُ فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به، وجليل يُفْزَع إلى كتاب الله - تعالى- فيه، وسيأتي قريباً تعريف أهل الكلام، انظر: رسالة أبي حيان في العلوم ص(٢١)، وتاريخ ابن خلدون ص(٣٥٠)، وانظر رسالة فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ص(٧٦).

وأهل الكلام: هم المتكلمون الذين يقررون مسائل العقيدة أو بعضها عن طريق الأدلة العقلية، ومنهجهم في ذلك هو: تقديم العقل على النقل؛ ويدخل في مفهوم المتكلمين كثير من الطوائف كالجهمية أو المعتزلة أو الأشاعرة أو الماتريدية؛ فكل هؤلاء في أبواب ضلالهم، وانحرافهم عن الحق قدموا العقل على النقل بل كثير منهم لا يعتبر إمكانية الوصول إلى الحق إلا عن طريق =

والفلسفة[١]، ونحوهم لم يثبتوا الحق بل أَصَّلوا أُصولاً تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ، فقدموها على ما جاء به الرسول.

فتارة يقولون: الرَّسول جاء بالتخييل، وتارة يقولون: جاء بالتأويل، وتارة يقولون: جاء بالتجهيل.

وممن ذهب إلى القول بأن الرسول ﷺ جاء بالتخييل: الفلاسفة، ومن وافقهم من أهل الكلام أحياناً، ومعنى ذلك: أنه ﷺ خاطب الجمهور بالتخييل فلم يقصد إخبارهم بالأمر على ما هو عليه بل أخبرهم بخلاف ما الأمر عليه ليتخيلوا ما ينفعهم[٢].

فأهل التخييل: هم المتفلسفة، ومن سلك سبيلهم من متكلمٍ، ومتصوفٍ[٣]، ومتفقه.

=

العقل، فسلموا ببعض أصول الفلسفة، وأصلوا ذلك الأصل الفاسد في حدوث العالم، وأهملوا ما جاء به الرسول - ﷺ- حتى أنهم في مؤلفاتهم عن الأقوال، والفرق لا يكادون يذكرون ما جاء به الرسول - ﷺ- أصلاً، وعلى أيديهم حدثت الفتن الجسام كفتنة القول بخلق القرآن ،وفتنة القول بوجوب التأويل، وغيرها، وقد ذم السلف، والأئمة أهل الكلام المحدث المخالف للكتاب، والسنة إذ كان فيه من الباطل في الأدلة، والأحكام ما أوجب تكذيب بعض ما أخبر به الرسول- ﷺ-، انظر: تاريخ ابن خلدون ص(٤٠٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية ص(٧٢)، وبيان تلبيس الجهمية (١/١٠١)، ودرء تعارض العقل، والنقل لابن تيمية (١/٢٣٢).

(١) الفلسفة: مُشتقة من كلمة يونانية، وتعني : مُحب الحكمة، أصله فيلا: وهو المحب، وسوفا: وهو الحكمة، أو هي فيلاسوفيا، وتفسيرها: محبة الحكمة، ومعنى الفلسفة: علم حقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح، وقيل معرفة الإنسان نفسه، وقيل: علم الأشياء الأبدية.

والفلاسفة: هم أهل الفلسفة الإلهيون، وهؤلاء الفلاسفة الملحدون لايؤمنون بالبعث، ولا بالنشور على ما جاء في الكتاب، والسنة، كما أنهم لايثبتون للرب أسماءه، وصفاته، فمن قدمائهم أرسطوا تلميذ أفلاطون اليونان، ومن متأخريهم أبو نصر الفاربي، وابن سينا، وأشباههم، انظر: مفاتيح العلوم، للخوارزمي ص(١٥٣)، والقاموس المحيط ص(٨٢٢)، باب الفاء، فصل الشين، ومعجم مقاليد العلوم، للسيوطي ص(١٣١/٩٨٠)، والتحفة المهدية، للشيخ فالح المهدي ص(٤٦).

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((هذا قول من يعرف بأنه كان يعرف الحق كابن سينا، وأمثاله، ويقولون: الذي فعله من التخييل غاية ما يمكن، ومنهم من يقول: لم يعرف الحق بل تَخَيَّل، وخَيَّل كما يقوله الفارابي، وأمثاله)) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٤٤٠).

(٣) الصوفية، والمتصوفة: نسبة إلى الصوف الّذي كان أوائلهم يلبسونه تقشفاً، أو إلى صفاء القلب بكف النفس عن الهوى، والاستغراق بالكلية في ذكر الله - على زعمهم -، ويزعمون أنهم يستطيعون الكشف عن الحقائق الخفية، والإلهية بحدس متعال إما بطريق الإلهام، أو بطريق الوحي، ويزعمون بأن الأولياء وصلوا إلى ما لم يصل إليه الأنبياء، وعامتهم يجعل

=

فما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله، واليوم الآخر عندهم إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق، وهم على قسمين[(١)].

ودعوى التخييل على هذا الأصل في إشهاد الله - ﷻ - آدم -عليه السلام-، وذريته على وحدانيته جرأة عظيمة، وجناية كبيرة على كلام الله سبحانه، وتعالى؛ فإن التخييل عند البلغاء نوع من أنواع الغلو في الكلام، ويكون ذلك فيما يستبعد العقل وقوعه، ولا يرى له نظير في الخارج، وإنما هو خيال في الذهن تخيله القائل، ولا يمكن للقائل أو المخاطب تحقيقه، وتطبيقه، والله سبحانه، وتعالى خالق كل شيء، وقادرٌ على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، فلا ينبغي أن يُقال لكلامه جل جلاله، وعزَّ سلطانه أنه خرج مخرج التخييل بل كل ما أخبرنا الله - ﷻ - به، وأخبرنا عنه رسوله ﷺ يجب الإيمان به على ما هو عليه أي: على حقيقته، فليس لنا أن نستبعد وقوعه تبعاً لما عهدناه، وألفناه، وما لم تصل أفهامنا إليه نكله إليه سبحانه، وتعالى.

كما أن حجة التخييل يلزم منها إنكار النصوص الشرعية من الكتاب، والسُّنة الدَّالة على ميثاق الله – ﷻ – الذي أخذه على آدم – عليه السلام –، وذريته من الإقرار بوحدانيته سبحانه، وتعالى[(٢)].

=

الولي مساوياً لله في كل صفاته، ويرزق ويحي...، انظر: المعجم الفلسفي (٧٤٧/١)، والفكر الصوفي ص(٣٨-٣٩)، ومجموع الفتاوى (٥/١١)، وما بعدها.

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((فهم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة، والأولياء من هو أعلم بالله، واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة، والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية.

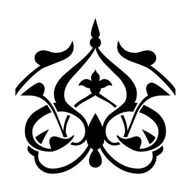
ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق))، انظر: مجموع الفتاوى (٣١/٥- ٣٢).

(٢) انظر: المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام، للشيخ ألطاف الرحمن (١٠١٣/٢-١٠١٤) [بتصرف يسير].

- الراجح هو الجمع بين أقوال السَّلف رحمهم الله:

ومما تقدم بقي أن يُقال هل بين قولي السَّلف، وهم أصحاب القول الأول، والقول الثاني تنافٍ؟ أو هل يمكن الجمع بين أقوالهم؟

قال شيخنا الشيخ عبد العزيز الراجحي- حفظه الله- قال شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز رحمه الله: ((لا تنافي بين القولين فإن الأخذ للذرية من ظهر آدم، والإشهاد عليهم كان تقدمة لبعثة الرسل، والحجة إنما قامت ببعثة الرسل فهم الذين ذكروهم بتلك الشَّهادة فقامت للرسل الحجة على النَّاس كما لو كان عند الإنسان شهادة، ثم نسيها ثم ذكره أحد إياها وقال له: يا فلان اذكر أن عندك شهادة في وقت كذا على كذا، وأيضاً فإن الأخذ من ظهور بني آدم أخذ من ظهر آدم؛ فإن ظهورهم ظهر له، وعلى هذا فلا منافاة بين الأقوال، وظاهر هذه الأحاديث، وهذه الأحاديث ظاهرة في أن الله - تعالى- استخرج ذرية آدم أمثال الذر الأرواح، وأشهدهم ثم أعادهم -سبحانه، وتعالى- وكون الإنسان لا يذكر الشَّهادة لا يستلزم أن يكون ذلك وقع، جاءت الرُّسل بعد ذلك، وذكرتهم بالشَّهادة، والحجة إنما قامت ببعثة الرُّسل، وعلى ذلك فلا منافاة بين القولين))[1]، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: الهداية الربانية (٣٤٧/١).

المبحث الثالث
دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على نفي الشَّريك معه، وما تضمنته، ولوازمها

دلت شهادة الله – ﷻ– لنفسه بإثبات الوحدانية على نفي الشَّريك معه في الألوهية كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، مع تضمنها للنَّفي في الربوبية، والأسماء، والصفات.

وهذا هو النَّوع الثاني من أنواع ما يُنفى عن الله – ﷻ –، وهو النَّفيُ المجمل، والمراد به هنا (المنفصل):

فالنَّفي المجمل: هو أن ينفي عن الله كل ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النَّقص، وأن يثبت له ضد هذه الصفة المنفية؛ لأن النَّفي المحض لا يكون كمالاً.

والمراد به هنا النَّفي المجمل المنفصل: وهو أن ينفي عن الله الشَّريك في خصائصه التي لا تكون لغيره من التوحيد، والتفرد، كالكمال مثل: تنزيه الله عن أن يكون لله صاحبة، أو ولد، أو شريك في الملك.

ومثاله إذا نفى الشريك عن الله فإنه يثبت له التوحيد بالكمال، وإذا نفى الولد، والمكافئ عنه يثبت له الكمال المطلق، وهكذا.

وهو ما يُسمى أيضاً بسلب النَّقائص، والعيوب المنفصلة، وهو تنزيه أوصاف كماله– ﷻ – عن التشبيه، والتعطيل، وضابطه: تنزيه رب العالمين أن يشاركه أحد من الخلق في خصائصه التي لا تكون لغيره، وعن ما يناقض كماله، وذلك كنفي الشريك لله، فإن الله متفرد بالملك، والقدرة، والتدبير، فليس له شريك في الملك، وليس له أيضاً ظهيرٌ: أي عوين يعاونه على خلق شيء من المخلوقات أو تدبيرها، لكمال قدرته، وسعة علمه، ونفوذ مشيئته، وعجز المخلوقين، وعدم حولهم، وقوتهم إلا بالله، وهذا النوع يرجع إلى حفظ كماله، ونعوت جلاله، عن تشبيهها بصفات الخلق، فلا يقال علم الله أو قدرته كعلم الخلق أو قدرتهم، ولا رحمته كرحمة خلقه، ولا شهادته كشهادتهم، ونحو ذلك، فإن هذا كله تشبيه لله بالخلق، ومن كان بهذه الحال فإنه يمثل بفكره صنماً، ووثناً يعبده، كما فعل النَّصارى بالمسيح ابن مريم عليهما السلام، جعلوه إلههم،

ومعبودهم، فالمشبه نسيب، ومشبه للنَّصراني، ورب العالمين فوق ما يظنون، وأعلى مما يتوهمون، فإنه كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين، فصفاته لا تشبهها صفاتهم، كما ينزه تبارك، وتعالى عن تعطيل صفاته، ونفيها، كما فعلته الجهمية المعطلة، ومن تبعهم من المتكلمين، فإن ذلك ردٌ لنصوص الكتاب، والسُّنة، الدَّالة على اتصافه بصفات الكمال[١].

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله ممثلاً على هذا النَّوع من السَّلب-:

سلبُ الشريك مع الظهير مع الشـ	**ـفيع بدون إذن الخالق الدَّيان**
وكذاك سلب الزوج والولد الذي	**نسبوا إليه عابدو الصلبان**
وكذاك نفي الكفء أيضاً والولي	**لنا سوى الرحمن ذي الغفران[٢]**

وقال في تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبيه، والتعطيل:

هذا وثاني نوعي السلب الذي	**هو أول الأنواع في الأوزان**
تنزيه أوصاف الكمال له عن التشـ	**ـبيه والتمثيل والنكران**
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا	**إن المشبه عابد الأوثان**
كلا ولا نخليه من أوصافه	**إن المعطل عابد البهتان**
من مثل الله العظيم بخلقه	**فهو النسيب لمشرك نصراني**
أو عطل الرحمن من أوصافه	**فهو الكفور وليس ذا إيمان[٣]**

فنفي الشَّريك عن الله – تعالى – لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية: وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً آخر – سبحانه، وتعالى – كما هو اعتقاد المجوس القائلين: بأن للشَّر خالقاً غير الله – سبحانه –، وهذا النوع في هذه

(١) انظر: التوضيح المبين ص(٢٣-٢٤) [بتصرف يسير].

(٢) الكافية الشافية ص (٢٠١).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٠٢).

الأمة قليل، والحمد لله وإن كان قريباً منه قول المعتزلة: إن الشَّر إنما هو من خلق الإنسان، وإلى ذلك الإشارة كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:((القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم))[1].

الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية: وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء، والصالحين كالاستغاثة بهم، وندائهم عند الشدائد، ونحو ذلك، وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير، ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل " يسمونها بغير اسمها ".

الثالث: الشرك في الصفات: وذلك بأن يصف بعض خلقه – تعالى – ببعض الصفات الخاصة به كعلم الغيب مثلاً، وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفية، ومن تأثر بهم.

مثل قول البُوصيري[2] في بُردته الشركية – عند مدحه النبي ﷺ –:

---

(١) أخرجه أبوداود في السنن، كتاب السنة، باب القدر، (٤/ ٢٢٢) برقم ٤٦٩١، وأحمد في المسند (٥/ ١٢٥-١٢٦) برقم ٥٥٨٣، وابن أبي عاصم في السنة، باب القدرية مجوس هذه الأمة (١/ ١٤٩) برقم ٣٣٨، والفريابي في القدر، باب ما روي في أولاد المشركين، (١/ ١٧٣) برقم ٢١٦، (١/ ١٩١) برقم ٢٣٩، والآجري في الشريعة، باب ما ذكر في المكذبين في القدر، (٢/ ٨٠١) برقم ٣٨١، (٢/ ٩٠٧) برقم ٤٩٧، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٦٥) برقم ٢٤٩٤، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٩) برقم ٢٨٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٠٧) برقم ١١٥٠، ١١٥١، (٤/ ٨١٩) برقم ١٣٨٣، والبيهقي في الاعتقاد، باب النهي عن مجالسة أهل البدع، ومكالمتهم (١/ ٢٣٦)، والقضاء والقدر، باب التشديد على من كذب بقدر الله تعالى (١/ ٢٨١) برقم ٤٠٧، ومعرفة السنن والآثار، كتاب الشهادات، باب شهادة أهل الأهواء (٣١٩/١٤) برقم ٢٠١٢١، والسنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء، (١٠/ ٣٤٢) برقم ٢٠٨٦٩، (١٠/ ٣٤٩) = = برقم ٢٠٨٩٩، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، كتاب القدر، باب ما روي في المكذبين بالقدر، (٩٧/٤) برقم ١٥١٢، (٤/ ٢٠٧) برقم (١٧٥٢)، وحسنه الألباني في تخريجه على مشكاة المصابيح (٣٠٨/١) برقم (١٠٧)، وصحيح الجامع الصغير (٢/ ٨١٨) برقم (٤٤٤٢).

(٢) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، مغربي الأصل اشتهر بالبوصيري، ولد بدلاص سنة ٦٠٨هـ، ثم انتقل إلى بوصير، ونسب إليها، شاعر برع بالخط، والإنشاء، والنظم، أخذ التصوف على الطريقة الشاذلية، وله (ديوان شعر)، وأشهر شعره البردة، ولعلها سبب شهرته – فقد نظمها في المدائح النبوية – على ما فيها من شرك المتصوفة، وما ذاك إلا لتمكن الجهل في قلوب أكثر الناس خاصة في التوحيد الذي خلق الله الجن، والإنس لأجله، وبه أرسل جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد رد =

فـإن مـن جـودك الـدنيا وضـرتها ... ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم[(١)]

ومن هنا جاء ضلال بعض الدَّجالين يزعمون أنهم يرون رسول الله ﷺ اليوم يقظة، ويسألونه عما خفي عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم، ويريدون تأميرهم في بعض شؤونهم ورسول الله ﷺ ما كان ليعلم مثل ذلك في حال حياته ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[(٢)] فكيف يعلم ذلك بعد وفاته، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؟!

هذه الأنواع الثلاثة من الشِّرك من نفاها عن الله في توحيده إياه فوحده في ذاته، وفي عبادته، وفي صفاته فهو الموحد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين، ومن أخل بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى:﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٣)]، فعلى المسلم حفظ هذا فإنه أهم شيء في العقيدة[(٤)].

وقد تضمنت سورة الإخلاص الشَّهادة لله - ﷻ - بأصول علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه، وصفاته، واشتملت عليه إجمالاً؛ فصح أن يقال: إنها تعدل ثلث القرآن.

فاشتملت على علوم التوحيد كلها، وتضمنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي.

ففي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[(٥)] دلت على نفي الشريك من كل وجه: في الذَّات، وفي

=

عليها كثير من أهل العلم ككتاب (الرد على البردة) للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله، وقد توفي البوصيري سنة ٦٩٥، وقيل ٦٩٦، وقيل ٦٩٧هـ، والله أعلم بالصواب، انظر: الأعلام (١٣٩/٦)، ومعجم أعلام شعراء المدح النبوي، لمحمد أحمد درنيقة، ص(٣٥٣-٣٥٣).

(١) انظر: ديوان البوصيري تحقيق مع الترجمة له، ودراسة شعره، لمحمد سيد كيلاني، ص(١١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٤) انظر: متن العقيدة الطحاوية بتعليق الإمام الألباني ص(٣١) [بتصرف يسير].

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ١.

الصِّفات، وفي الأفعال؛ كما دلت على تفرده سبحانه بالعظمة، والكمال، والمجد، والجلال، والكبرياء، ولهذا لا يطلق لفظ {أحد} في الإثبات إلا على الله - ﷻ - ، وهو أبلغ من واحد[١].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[٢] قد فسَّرها ابن عباس - ﷺ - بقوله: ((السَّيد الذي كَمُلَ في سؤدده، والشَّريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشَّرف والسُّؤدد، وهو الله - ﷻ - ، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء))[٣].

وقد فُسَّر الصَّمد أيضاً بأنه الذي لا جوف له، وبأنه الذي تصمد إليه الخليقة كلها، وتقصده في جميع حاجاتها، ومهماتها [٤].

فإثبات الأحدية لله تضمن نفي المشاركة، والمماثلة.

وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى، والصفات العلى. وهذا هو توحيد الإثبات.

وأما النوع الثاني، وهو توحيد التنزيه؛ فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥]؛ كما يؤخذ إجمالاً من قوله: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾؛ أي: لم يتفرع عنه شيء، ولم يتفرع هو عن شيء، وليس له مكافئ، ولا مماثل، ولا نظير.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص (٨١-٨٢)، [بتصرف].

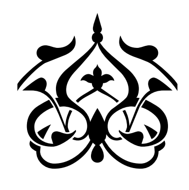
(٢) سورة الإخلاص، الآية: ٢.

(٣) انظر: جامع البيان (٦٩٢/٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٤٧٤/١٠) برقم ١٩٥٣٥، وزاد المسير (٨٤٩٨/١٢)، وتفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٨)، والدر المنثور (٦٨٢/٨).

(٤) انظر: المصادر نفسها.

(٥) سورة الإخلاص ، الآيتان: ٣- ٤.

فانظر كيف تضمنت هذه السُّورة توحيد الاعتقاد، والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأَحدِّية المنافية لمطلق المشاركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد، والوالد الذي هو من لوازم غناه، وصمديته، وأحديته، ثم نفي الكفء المتضمن لنفي التَّشبيه، والتَّمثيل، والنَّظير؟ فهو تنزيه لله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك، والصاحبة، والولد، وجميع الرذائل، وهذا ما دلت عليه صفة (الشَّهادة) لله ﷻ[1]، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص (٨١- ٨٣)، [بتصرف].

المبحث الرابع

دلالة صفة (الشَّهادة) لله ﷻ على إثبات الإلهية له وحده، وما تضمنته، ولوازمها

إن الأصل في دلالة صفة (الشَّهادة) على توحيد الله ﷻ بالإلهية هو ما شهد به - تبارك، وتعالى - لنفسه في قوله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

فدلت شهادة الله - ﷻ - لنفسه بشهادة التوحيد على بإثبات الإلهية له وحده كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وهو الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، والثاني باعتبار أركان الشَّهادة لله - ﷻ - بالتوحيد، فاجتمعت أنواع التوحيد في هذه الآية العظيمة من اتصافه - تعالى- بالشَّهادة، وفعل الشَّهادة القوليِّ بشَّهادته - ﷻ- لنفسه بالإلهية، والشَّهادة بإثباتها له وحده.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

((فدليل الشَّهادة: قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ومعناها لا معبود بحق إلا الله " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله " مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٦ - ٢٨.

نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]))[2].

والآيات الدَّالة على شهادته – ﷻ – بالإلهية كثير جداً، وذلك بإعلامه القولي دون التصريح بلفظ الشَّهادة كقوله ﷻ: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[7]، وغيرها من الآيات.

وفيما تقدم شهادة من الله – جلَّ، وعلا – أنه لا إله إلا هو؛ وعليه فقد أخبر، وبين، وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد، وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة، وهذا يتضمن الأمر بعبادته، والنَّهي عن عبادة ما سواه؛ فإن النَّفي، والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر، والنَّهي، والعابدون إنما مقصودهم أن يعبدوا من هو إله يستحق العبادة؛ فإذا قيل لهم كل ما سوى الله ليس بإله إنما الإله هو الله وحده كان هذا نهياً لهم عن عبادة ما سواه، وأمراً بعبادته؛ و" أيضاً " فلو لم يكن هناك طالب للعبادة، فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة، فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمراً بما يستحقه، فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٦٤.

(٢) ثلاثة الأصول، للإمام محمد بن عبد الوهاب ص(٢١-٢٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٢٥٥، وسورة آل عمران، الآية: ٢.

(٥) سورة التوبة، الآية:٣١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٧) سورة طه، الآية: ٩٨.

حكم، وقضى بأن لا يعبد إلا إياه[١]، وقد تقدم ما قرره أئمة السلف، وغيرهم من المعاني في شهادة الله – ﷻ – لنفسه بالإلهية، بما يغني عن إعادته هنا.

وليس المراد "بالإله" في الآيات من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة؛ ولكن تسميتهم آلهة، والخبر عنهم بذلك، واتخاذهم معبودين أمرٌ باطلٌ كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[٢]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[٣][٤].

إذا تقرر ذلك فالشَّهادة من الله – ﷻ – بالإلهية هي بمنزلة الحُكم، والقضاء بأن لا يعبد إلا إياه – تبارك، وتعالى –، وذلك بعد إخباره، وتبيينه، وإعلامه بأنه وحده الإله المستحق للعبادة كما تقدم في الآيات، وتضمن هذا الإخبار أمر العباد، وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب – تعالى – عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم؛ فإذا شهد – سبحانه – أنه لا إله إلا هو تضمنت شهادته الأمر، والإلزام بتوحيده[٥].

ثم إن الشَّهادة منه – تعالى – لنفسه بالإلهية، والإقرارُ بها من الملائكة الكرام، وأولي العلم الأعلام حجةٌ على كل جاحدٍ، ومعاند فما من شيءٍ في الكون إلاَّ وهو له شاهدٌ بالوحدانية، والتفرد بالعبادة، ولله درُّ أبي العتاهية رحمه الله حين قال، وصدق:

فيَا عَجَبًا كَيفَ يَعصِي الإلهَ ... أمْ كيفَ يجحدهُ الجاحِدُ

ولله فِي كُلِّ تحريكَةٍ ... وفي كلِّ تَسكينَةٍ شاهِدُ

وفِي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ ... تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ[٦]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٧١-١٧٢) [بتصرف].

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٢.

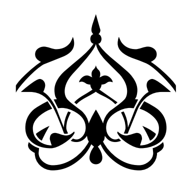
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٧١) [بتصرف].

(٥) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٩) [بتصرف].

(٦) انظر: ديوان أبي العتاهية ص(١٢٢).

ففي هذه الشَّهادة إثبات لحقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الابتداع خاصة من ضلَّ في هـذا البـاب، والشَّـهادة ببطلان أقـوالهم، ومـذاهبهـم، فتضـمنت أجـلَّ شـهادة، وأعظمهـا، وأعدلها، وأصدقها، من أجلِّ شاهد، بأجل مشهود به[1].

وصـفة الشَّـهادة لله- ﷻ- متضـمنة للفـظ الشَّـهادة الـذي شـهد بـه لنفسـه بالإلهيـة في قولـه: ﴿ شَهِـدَ ﴾، فالشَّاهِدُ الله تعالى، والمشْهُودُ به توحيدهُ بالإلهية، والشَّهادةُ صفة له تعالى، والله أعلم.



(١) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٤)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٤٤) [بتصرف].

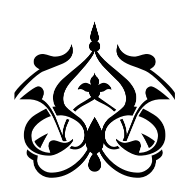
المبحث الخامس
دلالة (صفة الشَّهادة) للّه ﷻ على بقية صفاته الأخرى

تقرر في مطالب سابقة أن لفظ "الشَّهادة" متضمنٌ لمعنى الحضور، والمعاينة، والعلم، وغيرها من الأصول، وهي في حقيقتها معانٍ لاسم الله – ﷻ – الشَّهيد الذي تكاد أقوال السلف – رحمهم الله – بعد الاستقراء، والتتبع – تُجمع على حَدِّهِ بعبارة واحدة هي:((الذي لا يغيبُ عنه شيء))، فتضمنت تلك المعاني السَّابقة للفظ الشَّهادة هذا المعنى الكُلي لاسم الشَّهيد، وقد تقرر أن أسماء الله – تعالى – أوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني؛ فمعنى الصفة هو مطابق لمعنى الاسم المجمع عليه، وهي معانٍ متضمنة لبقية صفاته تعالى الأخرى كالعلم، والإحاطة، والسَّمع، والبصر، وغيرها.

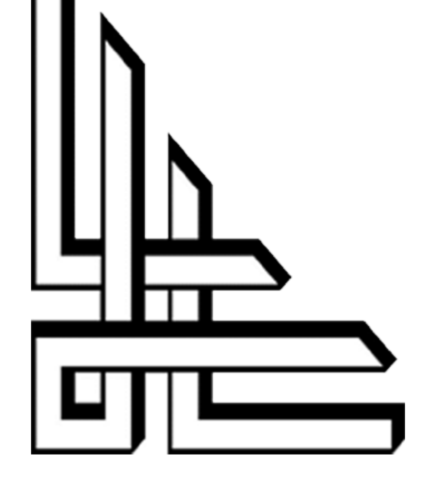
ودلالة معنى اسم الله – ﷻ -الشَّهيد مستلزم لبقية معاني أسمائه الأخرى لدلالتها على الذَّات باللزوم، فصفة الشَّهادة، وبقية صفاته الأخرى دالة على ذات واحدة، وهي (ذات الله – ﷻ – المقدسة).

قال شيخ الإسلام رحمه الله :((كل اسم من أسماء الله فإنه يستلزم معنى الآخر؛ فإنه يدل على الذَّات، والذَّات تستلزم معنى الاسم الآخر لكن هذا باللزوم))[1].

وعليه؛ فصفة الشَّهادة لله – ﷻ – دالةٌ على بقية صفاته تبارك، وتعالى باللُّزوم لدلالتها على الذَّات، والله تعالى أعلم.



(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٤).




المبحث السَّادس

دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على تفرده بالكمال الإلهي،

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفرده بالكمال

المطلب الثاني: تفرده بالجلال

المطلب الثالث: تفرده بالْمَجْد

المطلب الرابع: تفرده بالتعظيم

المبحث السادس

دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على تفرده بالكمال الإلهي

لما كان أهل السُّنة، والجماعة أهل الأثر، والإتباع ساروا على المنهج الوسط الحق، وفق نصوص الكتاب، والسُّنة؛ فمن ذلك ما تفرد به الله - ﷻ - من الكمال الإلهي في باب توحيد الأسماء، والصفات

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وله الكمال المطلق العاري عن ... شبيه والتمثيل بالإنسان

وكمال من أعطى الكمال لنفسه ... أولى وأقدم وهو أعظم شان[١]

ومن ذلك تفرده جلَّ وعلا بالكمال، والجلال، والمجد، والعظمة، وفيما يلي بيان لهذا التفرد:

المطلب الأول: تفرده بالكمال

دلت صفة (الشَّهادة) على تفرد الله - ﷻ- بالكمال الإلهي، وقد تقرر في عقيدة أهل السُّنة، والجماعة أن الله- ﷻ - متفرد بالكمال المطلق من كل وجه، ومنزه عن ما يُضاد ذلك من النقائص من كل وجه فقد وصف نفسه - تبارك، وتعالى- بأن له المثل الأعلى، فقال سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، فجعل سبحانه مثل السوء - المتضمن للعيوب، والنقائص، وسلب الكمال- لأعدائه المشركين، وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى - المتضمن لإثبات الكمال كله - له وحده لا شريك له، فمن سلب صفة الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السَّوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر

---

(١) الكافية الشافية ص(٣٧).

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

في الموصوف، وأكمل كان بها أكمل، وأعلى من غيره، ولما كانت صفات الرب سبحانه، وتعالى أكثر، وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان؛ لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير[(١)]، وعلى ذلك فشهادته- ﷻ-، وهو الخالق أكمل الشَّهادات، وأعدلها، وأصدقها، أما شهادة المخلوق، فهي المتضمنة، للنقص من النِّسيان، والغفلة، والكذب، وغير ذلك مما يعتري المخلوق من النقائص المتصف بها.

المطلب الثاني: تفرده بالجلال

دلت صفة الشَّهادة لله – ﷻ– على تفرده تبارك، وتعالى بجلالها أي عظمتها.

قال ابن فارس رحمه الله:((الجيم، واللام – في (جَلَّ) – أصول ثلاثة، من جَلَّ الشَّيْءَ: إذا عَظُمَ، وَجُلُّ الشَّيْءِ: مُعْظَمُهُ، وَجَلَالُ اللَّه تعالى: عَظَمَتُهُ، وهو ذو الجلال، والإكرام، وَالْجَلَلُ الْأَمْرُ العظيم))[(٢)].

وقال ابن سيده رحمه الله:((جَلَّ الشَّيْء يجِلُّ جَلالاً، وجَلالَةً، وَهُوَ جِلّ، وجليل، وجُلال: عَظُم، وَالْأُنْثَى: جَليلة، وجُلالة، وأجلَّه: عظَّمه، والتَّجِلَّة: الجَلاَلة...))[(٣)]، قُلتُ: وهي العَظَمة.

وفي التَّنزيل قوله تعالى:﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[(٤)].

قال القُرطبي رحمه الله: ((﴿ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ ﴾:أي العظمة...جليل في ذاته، كريم في أفعاله))[(٥)].

وقال الخَطَّابي رحمه الله: ((والمعنى: أن الله جلَّ، وعز مستحق أن يُجَلَّ، ويُكرم فلا يُجحد، ولا يُكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى أنه يكرم أهل ولايته، ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١١٩/١).

(٢) مقاييس اللغة (٤١٧/١)، كتاب الجيم، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق والترخيم، مادة "جل ".

(٣) المحكم والمحيط (٢٠٤/٧)، حرف الجيم، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة الجيم واللام"جَلَّ".

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/١٧).

يحتمل أن يكون أحد الأمرين، وهو الجلال، مضافاً إلى الله – سبحانه – بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله سبحانه:﴿ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾[1]؛ فانصرف أحد الأمرين، وهو المغفرة إلى الله سبحانه، والآخر إلى العباد، وهو التقوى، والله أعلم))[2].

وفي الصحيح أن أبا سفيان يوم أحد:((أخذ يرتجز: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قال النبي ﷺ: ألا تجيبوا له، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: " قولوا: الله أَعلى، وأَجلُّ "، قال: إن لنا العُزَّى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ : ألا تجيبوا له؟، قال: قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم))[3].

قال ابن بطال رحمه الله:((وأمر النبي ﷺ بجوابه؛ لأنه بعث بإعلاء كلمة الله تعالى، وإظهار دينه، فلما كلم هذا الكلام لم يسعه السكوت عنه، حتى تعلو كلمة الله، ثم عرفهم في جوابه

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٥٦.

(٢) انظر: شأن الدعاء (٩٣-٩٢).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع، والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، (٤/ ٦٥)، برقم (٣٠٣٩)، والحديث بتمامه: ((حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، يحدث قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرا وسبعين قتيلا، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء، فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل، قال النبي ﷺ : «ألا تجيبوا له»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: " قولوا: الله أعلى وأجل "، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ : «ألا تجيبوا له؟»، قال: قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم».

أنهم يقرون أن الله أعلى، وأجل لقولهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[(١)] فلم يراجعه أبو سفيان، ولا نقض عليه كلامه، اعترافاً بما قال، ثم ذكر صنمًا آخر فقال:((إن لنا العُزَّى، ولا عزى لكم))؛ فأمر الرسول بمجاوبته، وعُرف في جوابه أن العزى، ومثلها من الأصنام لا موالاة لها، ولا نصر، فقال:((الله مولانا، ولا مولى لكم))، فَعُرِف أن النَّصر من عند الله، وأن الموالاة، والنَّصر لا تكون من الأصنام، فبكته[(٢)] بذلك، ولم يراجعه، وإنما ترك النبيﷺ مجاوبته بنفسه تهاونًا من خصام مثله، وأمر من ينوب عنه تنزهًا عنه))[(٣)]، وفي قول النبي ﷺ: ((الله أَعلى، وأَجلُّ)) دليلٌ قاطع على تفرده - ﷻ - بالعلو، والجلال، فهو الجليل الذي له صفات الجلال، والكبرياء، والعظمة، وهي ثابتة له محققة لا يفوته منها وصف جلال، وكمال[(٤)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو الجليلُ فكلُّ أوصافِ الجَلا ... لِ لهُ مُحقَّقةٌ بلا بُطلان[(٥)]

ومن أوصافه الجلال التي وصف بها نفسه - تبارك، وتعالى - في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ شهادته - ﷻ - لنفسه على وحدانيته الدالة على جلال ذاته إذ هي أحدُ نُعوتِ جَلاَلِهِ، وجَلاَلُهُ - تبارك، وتعالى - متضمنٌ لعظمته.

فهو الموصوف بنعوت الجلال، ونعوت جلاله تبارك، وتعالى هي الشَّهادة، والعزُّ، والملك، والتَّقدس، والعلم، والغنى، والقدرة، وغيرها من الصِّفات فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق، والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما نال من هذه النُّعوت، فالجليل المطلق هو الله ﷻ فقط،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) التَّبْكِيت: استقباله بِما يكره من ذمٍّ وتقريع، وقيل: التَّقْرِيع والتَّوبيخ، انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/ ١٢٥)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/١٤٨).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٩٦- ١٩٧).

(٤) انظر: التوضيح المبين ص(٣٩- ٤٠)، و توضيح الكافية الشافية ص(١٨٢)، [بتصرف].

(٥) الكافية الشافية ص(٢٠٣).

فكأن الكبير يرجع إلى كمال الذَّات، والجليل، والعظيم إلى كمال الصفات[(١)]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: تفرده بالْمَجْد

قال ابن سيده رحمه الله:((الْمَجْدُ: نَيلُ الشَّرف،...وقيل: الْمَجْدُ: الْأَخْذُ من الشَّرف، والسُّؤدد ما يكفي،...ومجد مجادة، فهو مجيد، وتمجده، وأمجده، ومجده كلاهما: عَظَّمَهُ، وأثنى عليه، وتماجد القوم: ذكروا مجدهم))[(٢)].

وقال الجوهري رحمه الله:((الْمَجْدُ: الكرم، والْمَجيدُ: الكريم...))[(٣)]، وقال ابن منظور رحمه الله: ((الْمَجْدُ: الْمُرُوءَةُ، والسَّخاءُ، والْمَجْدُ: الكرمُ، والشَّرفُ، والْمَجْدُ...الشَّرَفُ الْوَاسِعُ))[(٤)].

قلت: وعليه فالْمَجْدُ: نيلُ الشَّرف، وكرم الفِعال، وسعتها.

فهو في كلام العرب: عبارة عن اجتماع أوصافٍ شريفة كريمة مع الاتساع، والكثرة في جميعها[(٥)].

قال الزَّجاج رحمه الله:((أصل المجد في الكلام الكثرة، والسَّعة وهو مأخوذ من قولهم: أمجدت الدَّابَّة إذا أكثرتُ عَلفهَا؛..فالماجد في اللغة: الكثير الشَّرف، والله – تعالى ذكره – أمجد الأمجدين، وأكرم الأكرمين))[(٦)].

وقال الإمام الخطابي رحمه الله:((المجيد هو الواسع الكرم، وأصل المجد في كلامهم: السَّعة، يقال: رَجُل مَاجِدٌ إذا كان سخِيًّاً واسع العطاء،...وقيل: في تفسير قوله – جلَّ وعز –

---

(١) انظر: مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى ص(٣٧١).

(٢) المحكم والمحيط (٣٥١/٧)، حرف الجيم، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة"مجد".

(٣) الصحاح (٥٣٢/٢-٥٣٧)، باب الدال، فصل الميم، مادة "مجد".

(٤) انظر: لسان العرب (٣٩٥/٣)، باب الدال المهملة، فصل الميم، مادة "مجد".

(٥) انظر: الأسنى للقرطبي ص(٢٣٣)، [بتصرف يسير].

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص(٥٣).

:﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ إن معناه: الكريم، وقيل: الشَّريف))[١].

والْمَجيدُ من صفاته – جَلَّ، وَعز –، وفي التَّنْزِيل:﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[٢]،كما وصف كتابه العظيم بالمجيد، وذلك في قوله –تبارك، وتعالى–:﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾[٣] يُريد بالمجد: الرَّفيع العالي[٤].

فهو الْمَجِيد، تَمَجَّدَ بفعاله، ومَجَّدَهُ خَلْقُهُ لعظمته[٥]، وهو المجيد الذي له المجد العظيم، الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي لا نهاية لمجده، وجلاله، وكبريائه، ولا حد لملكه، وسلطانه، الذي مجده على قدر شأنه[٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله، وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره، ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال، ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيداً بأوصافه، وأفعاله فكيف يكون الرب تبارك، وتعالى مجيداً، وهو معطل عن الأوصاف، والأفعال تعالى الله عما يقول المعطلون علواً كبيراً بل هو المجيد الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال الخير،...والمجيد العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال، والإكرام))[٧]، وقال في نونيته:

وهو المجيد صفاته أوصافُ تعـ ظيمٍ فشأنُ الوصفِ أعظمُ شان[٨]

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((الْمَجيد الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات، وسعتها فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم

---

(١) شأن الدعاء ص(٧٤-٧٥).

(٢) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٣) سورة ق، الآية: ١.

(٤) انظر: المحكم والمحيط (٣٥١/٧)، حرف الجيم، باب الثنائي المضعف الصحيح، مادة"مجد"، [بتصرف يسير].

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣٥٩/١٠)، باب الجيم، والدال مع اللام، مادة "مجد"[بتصرف يسير].

(٦) انظر: كتاب التوحيد في ضوء القرآن، والسنة، لمحمد بن إبراهيم التويجري ص(٣٢٩).

(٧) التبيان في أقسام القرآن ص(٩٤)، [باختصار].

(٨) الكافية الشافية ص(٢٠٣).

الكامل في حكمته إلى بقية أسمائه، وصفاته))[١].

وقال في موضع آخر : ((...والمجيد الذي دل على أوصاف العظمة، والجلال...))[٢].

فهو المتفرد بالمجد، والمجد: كما تقدم هو عظمة الصفات، وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه[٣].

ومن ذلك اتصافه – جل، وعلا – بصفة الشَّهادة المتضمنة لكماله، وجلاله، وعظمته، وسعة علمه، وإحاطته، ورحمته، وحلمه بخلقه، والتي أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ، وعَظَّم شأنها بقوله سبحانه:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾[٤].

فهو الشَّهيد المجيد الذي كَبُرَ، وكَمُل، وعَظُم، وشَرُفَ، وكرم، واتسَع- تبارك، وتعالى- في شهادته، الذي تفرد سبحانه بمجدها؛ فلا أكبر، وأكمل، وأشرف، وأكرم، وأوسع شهادة منه.

المطلب الرابع: تفرده بالتعظيم

العظمة، والتعظيم من الألفاظ الدَّالة على الْكِبَر، والقوة مصدرها العِظَم، وهو ضد الصِّغَر.

قال ابن سيده رحمه الله: ((العِظَمُ: خلاف الصغر، عَظُمَ عِظَما، وعَظامَةً، وَهُوَ عَظِيمٌ، وعُظَامٌ، وعَظَّمَ الْأَمر: كبره، وأعْظَمَه، واستعظمه: رَآهُ عظيماً،...والعَظَمَةُ، والعَظَمُوتُ: الْكبر))[٥].

والعظمة صفة ذاتية لله ﷻ ثابتة له بالكتاب، والسُّنة، والعظيم اسم من أسمائه تبارك، وتعالى: قال تعالى:﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[٦].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى لابن سعدي ص(٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: المصدر نفسه ص(١٦٦).

(٣) انظر: المصدر نفسه ص(٢٣٦-٢٣٧)، ومختصر موسوعة أسماء الله الحسنى ص(٤٣١).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٥) المحكم والمحيط (٢/٧٠)، حرف العين، أبواب الثلاثي الصحيح، مادة "عظم".

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

وقال جَلَّ وعلا: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(١)].

وقال سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[(٢)].

وقال جَلَّ وعز: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[(٣)].

فهو العظيم الذي له كل وصف، ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده[(٤)].

قال الأزهري رحمه الله:((ومن صفات الله -عز وجل- العلي العظيم، ويسبح العبد ربه فيقول: سبحان ربي العظيم، وقال النبي ﷺ (أما الركوع فعظموا فيه الرب)[(٥)]، أي: اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة، وعظمة الله لا تُكيف، ولا تُحد، ولا تُمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه، وفوق ذلك بلا كيفية، ولا تحديد))[(٦)].

قال الزَّجَّاج رحمه الله: ((الْعَظِيم: الْمُعظم في صفة الله تعالى يُفِيد عظم الشَّأْن، وَالسُّلْطَان، وليس المراد به وصفه بِعظم الْأَجْزَاء؛ لأن ذلك من صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا))[(٧)].

فالعظيم: الجامع؛ فجميع صفات العظمة، والكبرياء، والمجد، والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم، ثم أنه ينبغي العلم بمعاني التعظيم الثابتة لله تعالى وحده، وهي

(١) سورة الشورى، الآية: ٤.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٤ .

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٣٣.

(٤) انظر: الحق الواضح المبين ص (٢٧- ٢٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع، والسجود، (١/ ٣٤٨) برقم (٤٧٩)، وهو جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله- ﷺ - السِّتارة، والنَّاس صفوف خلف أبي بكر، فقال: ((أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم)).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٨٢/٢)، أبواب العين والظاء، باب العين والظاء مع الميم، مادة "عظم" [بتصرف يسير].

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى ص(٤٦).

نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات، والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس، وغيره، وقال تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١]، وقال:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[٢]، وقال تعالى، وهو العلي العظيم:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾[٣].

وكما صح في السنن من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ:((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار))[٤]؛ فله الكبرياء، والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما، ولا يبلغ كنههما [٥].

قال الإمام الخطابي رحمه الله :((معنى هذا الكلام أن الكبرياء، والعظمة صفتان لله، واختص بهما، لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع، والتذلل، وضرب الرداء، والإزار مثلاً في ذلك يقول - والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد، فكذلك لا يشركني في الكبرياء، والعظمة مخلوق، والله أعلم))[٦].

---

(١) سورة الزمر، الآية:٦٧.

(٢) سورة فاطر، الآية:٤١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٤) أخرجه أبودود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، (١٨٩/٦) برقم (٤٠٩٠)، وابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب البراءة من الكبر، والتواضع (٢٧٣/٥)، برقم (٤١٧٥)، وصححه الإمام الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (١٤١٤/٣) برقم (٥١١٠)، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (٣٦٣/١) برقم (٣٢٨)، و(١٩٧/٨) برقم (٥٦٤٢)، ورقم (٥٦٤٣)، و صحيح الجامع الصغير (٧٩٥/٢) برقم (٤٣١١).

(٥) انظر: الحق الواضح المبين ص (٢٧-٢٨)، [بتصرف يسير].

(٦) معالم السنن، للخطابي (٤/ ١٩٦).

النوع الثاني: من معاني عظمته- تعالى- أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره، وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتقى حق تقاته فيطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشْكَر فلا يُكْفَر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه، وشرعه من زمان، ومكان، وأعمال، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[١]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[٢]، ومن تعظيمه أن لا يُعترض على شيء مما خلقه، أو شرعه بل يخضع لحكمته، وينقاد لحكمه[٣].

قال الإمام ابن القيم في نونيته:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ ... ـعظيم لا يحصيه من إنسان[٤]

وقال قوّام السُّنة الأصبهاني رحمه الله:((ومن أسمائه تعالى العظيم: العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله — تعالى - خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضاً، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى، والله - عز وجل - يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق، عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت))[٥].

فالله عز وجل عظيم متفرد بالتعظيم في كل ما أثبته تبارك، وتعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ومن ذلك شهادته - تعالى- فلا أعظم شهادة منه جلَّ، وعلا.

---

(١) سورة الحج، الآية:٣٢.

(٢) السورة نفسها، الآية:٣٠.

(٣) انظر: الحق الواضح المبين ص (٢٧- ٢٨).

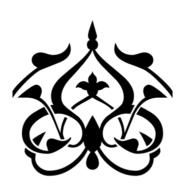
(٤) الكافية الشافية ص (٢٠٣).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١).

وقد تقدم أنه - ﷻ- أعظم شهادة من خلقه كما في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾[١].

قال الإمام الطبري ؒ:((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يُكذِّبون، ويجحدون نبوَّتك من قومك: أيُّ شيء أعظم شهادة، وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة:"الله"، الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السَّهو، والخطأ، والغلط، والكذب))[٢].

وقال الإمام ابن سعدي ؒ: ((...فلا أعظم منه شهادة، ولا أكبر...))[٣]، والله أعلم.



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) جامع البيان (٢٨٩/١١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٥٢).



المبحث السَّابع

من لوازم صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ

(تَنَزهه سبحانه عن النَّقَائِص)،

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تنزهه سبحانه عن الجهل.

المطلب الثاني: تنزهه سبحانه عن السَّهو: (النِّسيان، والغفلة)، والضَّلال.

المطلب الثالث: تنزهه سبحانه عن الصَّمم.

المطلب الرابع: تنزهه سبحانه عن العمى.

المطلب الخامس: تنزهه سبحانه عن الموت.

المطلب السادس: تنزهه سبحانه عن السِّنة، والنَّوم.

المطلب السَّابع: تنزهه سبحانه عن الظُّلم.

المبحث السَّابع

من لوازم صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ (تَنَزهه سبحانه عن النَّقائص)

الله – ﷻ- منزه عن النقائص في شهادته فهو منزه عن كل عيب، ونقص، ومماثلة بخلقه، وذلك أن توحيد رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام نوعان: قولي، وفعلي، وهذا ما أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية الشَّافية عند بيانه لتوحيد الأنبياء، والمرسلين، ومخالفته لتوحيد الملاحدة، والمعطلين بقوله:

تـــوحيدهم نوعــــان قـــولي وفعـــ ـــــلي كــــلا نوعيـــه ذو بــــرهان[1]

فالتوحيد القولي: المشتمل على أقوال القلوب، وهو اعترافها، واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، والثناء على الله به، وهذا النوع هو توحيد الأسماء، والصفات، الذي يدخل فيه توحيد الربوبية، وكل واحد من النوعين له براهين، وأدلة عقلية، ونقلية[2]، وهو على نوعين أيضاً قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فـــالأول القـــولي ذو نـــوعين أيـــ ـضـــاً فـي كتـاب الله موجـودان[3]

أحدهما: سلبٌ للنقائص، والعيوب عن الله تعالى، وهو نوعان، وفيه يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

إحـــداهما ســـلب وذا نوعـــان أيـــ ـــضاً فيـــه حقـــاً فيـــه مذكــــوران

ســـلب النقـــائص والعيـــوب جميعـــ ـــها عنـــه همـــا نوعـــان معقـــولان

ســـلب لمتصـــل ومنفصـــل همـــا نـــوعـــان معروفـــان أمـــا الثـــاني[4]

النوع الأول: سلب للنقائص، والعيوب المتصلة، وضابطه: نفي ما يناقض ما وصف به الله – ﷻ-نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ[5]، وهو كتنزيه الله عن اتصافه بالجهل، والنِّسيان، والغفلة،

---

(١) الكافية الشافية، ص(٢٠١).

(٢) التوضيح المبين، ص(١٤).

(٣) الكافية الشافية، ص(٢٠١).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) التوضيح المبين، ص(١٤).

والصَّمم، والعمى، والموت، والسِّنة، والنَّوم، والظُّلم، والإعياء، والتَّعب، وعزوب الشيء عنه، والعبث، ونحو ذلك، مع إثبات كمال ضد الصفة المنفية عنه- ﷻ-، وهذا ما سنعرض لبعض أمثلته في المطالب القادمة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً هذا النوع، وضارباً عليه الأمثلة:

والأول التنزيه للرحمن عن وصـ	**ـف العيوب وكل ذي نقصان**
كالموت والإعياء والتعب الذي	**ينفي اقتدار الخالق الديان**
والنوم والسنة التي هي أصله	**وعزوب شيء عنه في الأكوان**
وكذلك العبث الذي تنفيه حكمتـ	**ـه وحمد الله ذي الإتقان**
وكذاك ترك الخلق إهمالا سدى	**لا يبعثون إلى معاد ثان**
كلا ولا أمر ولا نهي	**عليهم من إله قادر ديان**
وكذاك ظلم عباده وهو الغني	**فما له والظلم للإنسان**
وكذاك غفلته تعالى وهو علا	**م الغيوب فظاهر البطلان**
وكذاك النسيان جل إلهنا	**لا يعتريه قط من نسيان**
وكذاك حاجته إلى طعم ورز	**ق وهو رزاق بلا حسبان**[1]

والنوع الثاني: سلب للنقائص، والعيوب المنفصلة، وهو تنزيه أوصاف كماله - ﷻ- عن التشبيه، والتعطيل، وضابطه: تنزيه رب العالمين أن يشاركه أحد من الخلق في خصائصه التي لا تكون لغيره، وعن ما يناقض كماله، وذلك كنفي الشريك لله، فإن الله متفرد بالملك، والقدرة، والتدبير، فليس له شريك في الملك، وليس له أيضاً ظهيرٌ: أي عوين يعاونه على خلق شيء من المخلوقات أو تدبيرها، لكمال قدرته، وسعة علمه، ونفوذ مشيئته، وعجز المخلوقين، وعدم

---

(١) الكافية الشافية، ص(٢٠١- ٢٠٢).

حولهم، وقوتهم إلا بالله، وهذا النوع يرجع إلى حفظ كماله، ونعوت جلاله، عن تشبيهها بصفات الخلق، فلا يقال علم الله أو قدرته كعلم الخلق أو قدرهم، ولا رحمته كرحمة خلقه، ونحو ذلك، فإن هذا كله تشبيه لله بالخلق، ومن كان بهذه الحال فإنه يمثل بفكره صنماً، ووثناً يعبده، كما فعل النَّصارى بالمسيح ابن مريم – عليهما السلام –، جعلوه إلههم، ومعبودهم، فالمشبه نسيب، ومشبه للنصراني، ورب العالمين فوق ما يظنون، وأعلى مما يتوهمون، فإنه كما أن ذاته لاتشبهها ذوات المخلوقين، فصفاته لا تشبهها صفاتهم.

كما يُنزه -تبارك، وتعالى- عن تعطيل صفاته، ونفيها، كما فعلته الجهمية المعطلة، ومن تبعهم من المتكلمين، فإن ذلك ردٌ لنصوص الكتاب، والسُّنة، الدَّالة على اتصافه بصفات الكمال[١].

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله ممثلاً على هذا النَّوع من السَّلب:

سلب الشريك مع الظهير معالشـ	**ـفيع بدون إذن الخالق الدَّيان**
وكذاك سلب الزوج والولد الذي	**نسبوا إليه عابدو الصلبان**
وكذاك نفي الكفء أيضاً والولي	**لنا سوى الرحمن ذي الغفران**[٢]

وقال أيضاً في تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبيه، والتعطيل:

هذا وثاني نوعي السلب الذي	**هو أول الأنواع في الأوزان**
تنزيه أوصاف الكمال له عن التشـ	**ـبيه والتمثيل والنكران**
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا	**إن المشبه عابد الأوثان**
كلا ولا نخليه من أوصافه	**إن المعطل عابد البهتان**

---

(١) التوضيح المبين، ص(٢٣-٢٤).

(٢) الكافية الشافية، ص(٢٠١).

مـــن مثـــل الله العظيـــم بخلقـــه **فهـــو النسـيب لمشـرك نصـــراني**
أو عطـــل الـــرحمن مـــن أوصـــافه **فهــو الكفــور ولـيس ذا إيمـــان**[1]

ثانيهما: إثبات صفات الكمال لله تعالى، بإثبات كل صفة للرحمن، وردت في الكتب الإلهية، والنصوص النبوية[2]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً هذا النوع، وضارباً للأمثلة عليه:

هـــذا ومـــن توحيـــدهم إثبـــات أو **صـــاف الكمـــال لربنـــا الـرحمن**
كعلـــوه ســبحانه فـــوق السمـــاوا **ت الـعلى بـــل فوق كـــل مكـــان**
فهـــو العلـــي بـــذاته سبحـــانـــه **إذ يستحيـــل خـــلاف ذا ببيـــان**
وهـو الـذي حقـا علـى العـرش اسـ **ـتوى قـد قـام بالتـدبير للأكـوان**
حـــي مريـــد قـــادر متكـــلـــم **ذو رحمـــــة وإرادة وحنـــــان**
هـو أول هـو آخـر هـو ظـاهر هـو بـ **ـــاطن هـــي أربـــع بـــوزان**
مـا قبـله شـيء كـذا ومـا بـعده **شـــيء تعـــالى الله ذو السلطـــان**
مـا فوقـه شـيء كـذا مـا دونـه **شـــيء وذا تفســير ذي البرهـــان**
فـانظـر إلـى تفسيـــره بتدبـــر **وتبصـــر وتعقـــل لمعـــان**
وانظـر إلـى مـا فيـه مـن أنـواع معـ **ـرفة لخالقنـا العظيـم الشـان**[3]

والتوحيد الفعلي: هو إفراد الله بالمحبة، والذل، وسائر العبادات، والتقربات،..وهو المعبر عنه بتوحيد العبادة، وبتوحيد الألوهية، وسمي فعلياً؛ لأنه يتضمن أفعال القلوب، والجوارح، فهو

(١) المصدر السابق، ص(٢٠٢)
(٢) انظر: التوضيح المبين، ص(٢٥).
(٣) الكافية الشافية، ص(٢٠١-٢٠٢).

توحيد الله بأفعال العبيد، بأن يُعبد وحده لا شريك له[١].

وبناءً على ما تقدم يمكن أن نتعرف على ضوابط ما يُنزه الله تعالى عنه، وينفى من صفات السُّلوب، والنَّقائص، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: كل صفة عيب كالعمى، والصمم، والخرس، والسِّنة والنَّوم، والموت، ونحو ذلك، ومن أدلة انتفائه عنه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٢]؛ فإن ثبوت المثل الأعلى له – وهو الوصف الأعلى – يستلزم انتفاء كل صفة عيب.

ثانياً: كلُّ نقصٍ في كماله كنقص حياته أو علمه أو قدرته أو عزته أو حكمته...أو نحو ذلك،ومن أدلة انتفائه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٣].

ثالثاً: مماثلته للمخلوقين كأن يجعل علمه كعلم المخلوق، أو وجهه كوجه المخلوق، أو استواؤه على عرشه كاستواء المخلوق، ونحوه، ومن أدلة انتفائه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٤][٥].

وعليه فمنهج أهل السنة، والجماعة في الصفات السلبية أن ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب؛ فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك؛ لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك؛ لأن النفي عدم، والعدم

---

(١) التوضيح المبين، ص(١٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٣) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الشورى، الآية:١١.

(٥) انظر: تقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص(٨٦).

ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً؛ ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً[١]، وفي المطالب القادمة أمثلةٌ على سلب العيوب، والنقائص المتصلة التي ينزه الله عنها.

المطلب الأول: تنزهه سبحانه عن الجهل

من المتقرر عند أهل السُّنة، والجماعة أن الله تعالى موصوف بالإثبات، والنفي، إثبات الكمال، ونفي النقائص، والعيوب، والآفات، ومماثلة المخلوقات، فإثبات الكمالات يستلزم نفي أضدادها، فوصفه بالعلم مثلاً يستلزم نفي الجهل عنه، ونفي النسيان، ونفي الغفلة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المقدمة الأولى من قاعدة الكمال:((..الكمال ثابت لله بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك))[٣].

وقد ورد في القرآن العظيم - فيما نحن بصدد تقريره - جمع من الآيات الكريمات تثبت لله عز وجل صفة العلم، وتنزهه عن الاتصاف بالجهل، وللقرآن في هذا التنزيه طريقتان:

الطريق الأول: الإثبات، بإثبات كمال علمه، وشهادته على كل شيء.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾[٦]، والآيات في ذلك كثيرةٌ لا حصر لها.

---

(١) انظر: القواعد المثلى، ص(٢٣) [بتصرف].

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ العلاَّمة عبد الرحمن البرَّاك، ص(٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى، (٦/٧١).

(٤) سورة الرعد، الآية: ٩.

(٥) سورة البروج، الآية: ٩.

(٦) سورة الأعلى، الآية: ٧.

الطريق الثاني:النفي، بنفي خفاء، أو غياب شيء - في الأرض أو في السماء - من الأمور عليه.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

وقوله تعالى:﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[2].

ومن الآيات الجامعة لإثبات علم الله، وشهادته على خلقه، ونفي اتصافه بالجهل، وتنزهه عنه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾[3].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وما تكون يا محمد في عمل من الأعمال، وما تقرأ من كتاب الله من قرآن، ولا تعملون من عمل أيها الناس، من خير أو شر إلا ونحن شهود لأعمالكم، وشئونكم، إذ تعملونها، وتأخذون فيها...لأنه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عباده عملاً إلا كان شاهدَه..إنما هو خبرٌ منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد...وخبرٌ عن أنه لا يعمل أحدٌ من عباده عملاً إلا وهو له شاهد، يحصى عليه، ويعلمه كما قال:﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾، يا محمد، عمل خلقه، ولا يذهب عليه علمُ شيءٍ حيث كان من أرض أو سماء[4].

ومعنى العزوب في اللغة: من عَزَب يَعْزُبُ عُزُوباً: بمعنى غَابَ وَبعد[5]، وقيل في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٤) انظر: جامع البيان (١١٤/١٥- ١١٦) [باختصار].

(٥) انظر: المحكم والمحيط (٥٣١/١)، أبواب الثلاثي الصحيح (أبواب العين مع الزاي)، مادة "عزب".

قوله ﷻ: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ ﴾[(١)] أي: لا يغيب عن علمه شَيْء[(٢)]، وكل شيءٍ يفوتك حتى لا تقدر عليه فقد عزب عنك، ولا يعزب عن الله شيء[(٣)].

وعند المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ قيل معناه: وما يغيب عن ربك[(٤)]. وقيل: ما يغيب عن علمه، وسمعه، وبصره، ومشاهدته[(٥)].

ونفي العزوب عنه جلَّ، وعلا متضمنٌ لإثبات كمال علمه ﷻ، وتنزيه تعالى عن اتصافه بالجهل.

والمعنى: أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء، وإن خف في الوزن كُلَّ الخفة، ومقاديرُ ذلك ومبلغه، ولا أكبرها، وإن عظم، وثقل وزنه، وكم مبلغ ذلك.

يقول تعالى ذكره لخلقه: فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربَّكم عنكم، فإنَّا شهودٌ لأعمالكم، لا يخفى علينا شيء منها، ونحن محصُوها ومجازوكم بها[(٦)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة، وآنٍ، ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه، وبصره مثقال ذرة في حقارتها، وصغرها في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر منها، ولا أكبر إلا في كتاب مبين..))[(٧)].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله أيضاً: ((يخبر تعالى، عن عموم مشاهدته، واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، وفي ضمن هذا، الدعوة لمراقبته على

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/٨٧-٨٨)، باب العين والزاي مع الباء، مادة "عزب".

(٣) انظر: العين، للخليل الفراهيدي (١/٣٦١)، باب الثلاثي الصحيح من حرف العين، باب العين والزاي والباء معهما "عزب".

(٤) انظر: تفسير القرآن، للسَّمعاني (٢/٣٩١).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/٣٦٧).

(٦) انظر: جامع البيان، (١٥/١١٧) [بتصرف يسير].

(٧) تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٧٧).

الدوام؛...فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم، وبواطنكم))[١].

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[٢].

فقد وصف جل ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب إعلامًا منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه، وإن كانت جائية فقال لنبيه محمد ﷺ : قل للذين كفروا بربهم: بلى وربِّكم لتأتينكم الساعة، ولكنه لا يعلم، وقت مجيئها أحدٌ سوى علاَّم الغيوب، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة.

فهو سبحانه علاَّمُ ما يَغيبُ عن أبصار الخلق فلا يراه أحد، إما ما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحدًا غيره[٣].

وفي هذا إثباتٌ لكمال علمه سبحانه، وتعالى – و اختصاصه، وتفرده – بوقت مجيء السَّاعة الذي لا يعلمه نبيٌ مرسل، ولا ملكٌ مقرب، كما أن فيه نفيٌ لاتصافه بالجهل الذي ينزه عنه ﷻ.

ومن الآيات أيضاً قول تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٤]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله:((وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى، وقصد بدعائه، وقيله:﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي

(١) تيسير الكريم الرحمن، (٣٦٧/١).

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٣) انظر: جامع البيان،(٣٤٩/٢٠) [بتصرف].

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٨.

﴿وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾[١]، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفي قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به، وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض، ولا في السماء؛ لأن ذلك كله ظاهرٌ لَكَ مُتجلٍ بادٍ؛ لأنك مدبره، وخالقه، فكيف يخفى عليك))[٢].

قال ابن تيمية رحمه الله:((فإبراهيم دعا إلى الفطرة، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الإسلام العام، والإقرار بصفات الكمال لله، والرد على من عبد من سلبها؛ فلما عابهم بعبادة من لا علم له، ولا يسمع، ولا يبصر قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]،﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٤]..))[٥].

وقال الإمام الحافظ الحكمي رحمه الله:((ومما أثبته الله عز وجل لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم أنه عليم بعلم، وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات، والجزئيات، وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق، وعلم جميع أحوال خلقه، وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم، ولحظاتهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم أين تقع، ومتى تقع، وكيف تقع كل ذلك بعلمه، وبمرأى منه، ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب، والشهادة، والسر، والجهر، والجليل، والحقير لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في السماوات، ولا في الأرض، ولا في الدنيا، ولا في الآخرة))[٦].

---

(١) السورة نفسها، الآية: ٣٥.

(٢) جامع البيان (٢٧/١٧).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٨.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٣٩.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠٥/١٦).

(٦) معارج القبول (٢٣٧/١- ٢٣٨).

فأثبت ﷻ كمال شهادته، وسعة علمه، وإحاطته بخلقه، ونفى عن نفسه الجهل، وذلك بنفي غياب، وخفاء شيءٍ في الأرض أو في السماء من الأمور عليه مهما صغر أو كبر لمنافاته صفات كماله.

المطلب الثاني: تنزهه سبحانه عن السَّهو:(النِّسيان، والغفلة)، والضَّلال.

السَّهْوُ في اللغة: نِسْيَانُ الشَّيءِ، والغَفْلةُ عنه، وذهاب القلب إلى غيره يُقال سَها يَسْهُو سَهْوًا، وسُهُوًّا؛ فهو سَاهٍ، وسَهْوانُ، والسَّهْوُ في الصلاة: الْغَفْلَةُ عن شيءٍ منها [(١)].

وقيل:السين، والهاء، والواو معظم الباب يَدلُّ على الْغَفْلَةِ، وَالسُّكُونِ؛ فَالسَّهْوُ: الْغَفْلَةُ، يُقال سَهَوْتُ في الصلاة أَسْهُو سَهْوًا [(٢)].

وأصل"الغفلة"عن الشيء، تركه على وجه السهو عنه، والنسيان له[(٣)]، وهو معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور[(٤)].

أما الضَّلالُ: فالضَّلالُ، والضَّلاَلَةُ ضد الهُدَى، من ضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالاً ضاعَ، وهلَك..، وضَلَّ الشَّيءُ خَفِيَ، وغابَ، وضَلَلْتُ الشَّيءَ نَسِيته[(٥)]، وتقول: أَضْلَلْتُ الشَّيْء إذا ضاع مثل الناقة، والفرس، وما انفلت منك، وإذا أَخطأتَ الشَّيءَ الثابتَ موضعه مثل الدار، والمكان قُلتَ: ضَلِلْتُه، وضَلَلْتَه، لُغتان، ولا تقل: أَضْلَلْتُ، ولا أَضْلَلْتُه [(٦)].

---

(١) انظر: المحكم والمحيط (٤/٤٠٦)، باب الثلاثي المعتل، مادة" سهو"، [بتصرف].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/١٠٧)، كتاب السين، باب السين، والهاء، وما يثلثهما، مادة" سَهُوَ"، [بتصرف].

(٣) جامع البيان (٢/٢٤٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن (٣/١٢٢)، ومعالم التنزيل (٤/٣٥٨) [بتصرف].

(٥) انظر: المحكم والمحيط، (٨/١٥٤-١٥٦)، باب الثنائي المضعف، مادة"ضلل"،والصحاح، (٥/١٧٤٨) باب اللام، مادة (ضلل).

(٦) انظر: معاني القرآن، (٢/١٨١) [بتصرف].

وعلى ذلك؛ فالسَّهوُ يدل على معنى النِّسْيانِ، والغَفْلةِ، والضَّلال يدل على ضياع الشيءِ، وهلاكه، وخفائه، وغيابه، ونسيانه، والخطأ فيه، وهذه الصفات تعتري الإنسانَ، وتصيبه، وهي مما يُنزهُ الله ﷻ عنها بلا شك كتنزهه عن الجهل، وذلك لمنافاتها كماله المطلق من كل وجه، لكمال أسمائه، وصفاته بوجه عام، وكمال علمه، وشهادته بوجه خاص.

وقد ورد في كتاب الله تعالى جَمعٌ من الآيات الدَّالةِ على تَنزه الله ﷻ عن الضَّلال، والنِّسيان، والغَفْلة من ذلك: قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1]، وللمفسرين في معنى هذه الآية عِدةُ أقوالٍ يرجع بعضها إلى ما تقدم من المعاني، والأكثرون على الفرق بينهما، وقد ذكروا وجوهاً في ذلك: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((لا يُخطئ ربي، ولا ينسى))[2].

وقال قتادة رحمه الله:((﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ الكتاب ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما فيه))[3].

وبنحوه قال مقاتل رحمه الله:((لا يخطئُ ذلك الكتاب ربي، ولا ينسى ما فيه))[4].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((..والعرب تقول: ضلَّ فلان منزله: إذا أَخْطأَه، يضله بغير ألف، وكذلك ذلك في كُلِّ ما كان من شيء ثابت لا يبرح، فأخطأهُ مُريدُه، فإنها تقول: أَضَّله..))[5].

وخلاصة قوله في معنى الآية: لا يُخطئُ ربي في تدبيره، وأفعاله...فالحقُّ ما فَعَلَ هو أَعلمُ بما يَفعلُ ﴿وَلَا يَنسَى﴾ فيتْرُكُ فِعْلَ ما فِعْلهُ حِكمةً، وصواباً[6].

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٢) انظر: جامع البيان، (٣١٩/١٨)، والدر المنثور (٥٨٣/٥).

(٣) الدر المنثور (٥/ ٥٨٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢٩/٣).

(٥) جامع البيان (٣١٨/١٨-٣١٩).

(٦) انظر: المصدر نفسه.

ومن أشهر الأوجه القائلة بالتفريق:

قول أبو عمرو الأوزاعي[(١)] رحمه الله:((أصل الضلاَّل الغيبوبة، والمعنى لا يَغيبُ عن شيءٍ، ولا يَغيبُ عنه شيء))[(٢)].

وقال القَفَّال[(٣)] رحمه الله:((لا يضل عن الأشياء، ومعرفتها، وما علم من ذلك لم ينسه؛ فاللفظ الأول إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات، وقوله:﴿ وَلَا يَنسَى ﴾دليلٌ على بقاء ذلك العلم أبد الآباد، وهو إشارة إلى نفي التغير، وقال ثعلب رحمه الله:((لا يذهبُ عليه موضعه، وقال الحسن رحمه الله: لا يُخطئُ، وقت البعث، ولا ينساه))[(٤)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((لا يَشُذُّ عنه شيء، ولا يفوته صغيرٌ، ولا كبيرٌ، ولا ينسى شيئاً))[(٥)].

قال بعض المفسرين، والتحقيقُ هو الأول[(٦)] أي ما ذهب إليه القَفَّال إلا أننا إذا نظرنا إلى هذه الأوجه مجتمعةً وجدنا أنها متقاربةُ المعنى، وهذا من اختلاف التنوع لا التضاد قطعاً ،

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، قال البخاري:"لم يكن من الأوزاع بل نزل فيهم" ،وقال أبو زرعة:"كانت صنعته الكتابة، والترسل، ورسائله تؤثر"، إمام الديار الشامية في الفقه، والزهد، قال ابن سعد:((ثقة مأمونًا صدوقًا فاضلًا خيرًا كثير الحديث، والعلم، والفقه حجة))، وقال عنه الإمام العجلي:" شامي ثقة من خيار الناس"، له كتاب (السنن) في الفقه، و(المسائل)، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه، إلى زمن الحكم ابن هشام، توفي سنة ١٧٧هـ في آخر خلافة أبي جعفر، انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٣٩/٧)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (١٢٠/٤)، ومعرفة الثقات، للعجلي(٨٣/٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن (٣٣٤/٣)، ومعالم التنزيل (٢٧٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٦٠/٢٢)، واللباب في علوم الكتاب (٢٧٤/١٣).

(٣) محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر المعروف بالقفَّال الشاشي، أصله أصبهاني إماماً، فقيهاً، مُحدثاً، مفسراً، أصولياً، لغوياً، شاعراً، وله مصنفات كثيرة، أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وله كتاب في أصول الفقه، وله شرح الرسالة للشافعي، وتوفي سنة ٣٣٦هـ، وقيل: توفي بالشاش سنة ٣٦٥هـ، انظر ترجمته في: فتح الباب في الكنى والألقاب، لابن منده ص(١١٩)، وتلخيص تاريخ نيسابور، للحاكم المعروف بابن البيع، تلخيص الخليفة النيسابوري ص(١٠٦)، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص(١١٢)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٣٠٨/١٠).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٧٤/١٣)، ومفاتيح الغيب (٦٠/٢٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم، (٢٩٨/٥).

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٧٤/١٣)، ومفاتيح الغيب (٦٠/٢٢).

وحاصل ذلك أن الله ﷻ -كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله - في هذه الآية-:((يَصفُ علمه تعالى بأنهُ بكل شيءٍ محيط، وأنه لا ينسى شيئاً، تبارك، وتعالى، وتقدس؛ فإن علم المخلوق يعتريه نُقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخرُ نسيانه بعد علمه، فنزَّه نفسه عن ذلك))(١).

وعليه؛ فالله ﷻ قد أحصى أعمالهم من خير، وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علماً، وخبراً، فلا يضلُّ عن شيءٍ منها، ولا ينسى ما علمه منها(٢)، وقال مجاهدٌ رحمه الله:((هما شَيْءٌ واحد))(٣)، ومفادهُ عدم التفريق، وأن معنى اللَّفظين واحد، والله أعلم.

مسألة:لِمَ خُصَّ تنزيه الله ﷻ عن "النِّسيان" في الآية مع أنَّهُ داخلٌ في معنى "الضَّلال" المُنزه عنه تبارك، وتعالى؟

تقدم في هذا المطلب أنَّ النِّسيانَ يُعدُّ أحد معاني الضَّلال في اللغة تقول: ضَلَلْتُ الشَّيءَ نَسِيته، وظاهر سياق الآية في قوله تعالى:﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ تخصيصٌ لنفي(النِّسيان) عن الله ﷻ، وتنزيهٌ له عن الاتصاف به، فما وجه هذا التخصيص؟.

وجواب ذلك:

أن هذه الآيةُ أتت جواباً لسؤال فرعونَ نَبيَّ الله موسى- عليه السلام -كما أخبر الله - تعالى - عنه بقوله: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾(٤)، فقال له نَبيُّ الله تعالى:﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾(٥).

قال الإمام الطبري رحمه الله:((فأجابهُ موسى - عليه السلام -، فقال: عِلمُ هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أُمِّ الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٩٨/٥).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٥٠٧) [بتصرف يسير].

(٣) تفسير مجاهد ص(٤٦٣)، وانظر: جامع البيان (٣١٩/١٨)، والدر المنثور (٥٨٢/٥).

(٤) سورة طه، الآية: ٥١.

(٥) السورة نفسها، الآية: ٥٢.

كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله (لا يَضِلُّ رَبِّي) يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذَّب تلك القرون في عاجلٍ، وعجلَ هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحقُّ ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي (ولا يَنْسَى) فيترك فعل ما فعْله حكمة، وصواب))[١].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:((أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق، ورزق، وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللَّوح المحفوظ، وكتاب الأعمال، ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير، ولا كبير، ولا ينسى شيئاً))[٢].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله: ((ومضمون ذلك، أنهم قَدِمُوا إلى ما قَدَّموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازَون عليها، فلا معنى لسؤالك، واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمةٌ قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم..))[٣].

ولعل جواب التخصيص- بناءً على ما تقدَّمَ - أن الآيةَ خرجت مخرجَ الوعيد على من خالف أمر الله تعالى، وعبد غيره، وفي مقدمتهم من خوطب بها فرعون، وجنوده، ومن سأل عن مآلها موسى- عليه السلام - من القرون الأولى بأنهم على أعمالهم محاسبون، وعليها يوم القيامة مجزيون، وأن الله تعالى لا ينسى من ذلك شيئاً لكمال علمه، وشهادته على خلقه، وإحاطته بهم ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[٤]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

(١) جامع البيان (٣١٨/١٨-٣١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٩٨/٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(٥٠٧).

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٢.

نَسِيًّا ﴾[١]؛ فلم يكن ربك ذا نسيان – والخطاب للنبي ﷺ في المقام الأول، ولأمته من بعده إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب– بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء، ولا في الأرض فتبارك، وتعالى، ولكنه أعلم بما يُدبِّر، ويقضي في خلقه جلَّ ثناؤه[٢].

مسألة: فإن قيل: ما وجه نَّفي صفة النِّسيان عن الله ﷻ، في قوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، **وإثباتها له في آيات أُخر كما في قوله:** ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾[٣]، وقوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[٧]؟.

قيل جواب ذلك:

بالنَّظر إلى معنى النِّسيان في اللغة، وكلام المفسرين نَجدُ أن له معنيان:

فالنون، والسِّين، والياء أصلان صحيحان:

أحدهما: يدل على إغْفَالِ الشَّيْءِ، والذهول عنه، وهو خلاف الذِّكر، والحفظ، تقول: نَسيتُ الشَّيءَ، إذا لم تذكره، نِسياناً، ورجل نَسيان بفتح النون: كثيرُ النِّسيان للشيء، والنَّسْي: الشَّيءُ المِنسِيُّ الذي لا يُذكر، وهو بمعنى عجز النَّاسي عن حفظ ما استُحفِظَ، ووكِّلَ به، وضعف عقله عن احتماله[٨]،كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٢) انظر: جامع البيان، (٢٢٥/١٨) [بتصرف يسير].

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٦.

(٦) سورة السجدة، الآية: ١٤.

(٧) سورة الجاثية، الآية: ٣٤.

(٨) جامع البيان، (١٣٣/٦-١٣٤).

أَخْطَأْنَا ﴾[١]، وكقول موسى ﷺ للخضر ﷺ: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾[٢]؛ فإن هذا النِّسيان منه ﷺ وقع بمعنى الغفلة، وعدم الذكر لا التَّرك العمد للعهد أو من معاريض الكلام كما قال به بعض المفسرين.

قال الإمام الطبري رحمه الله:((والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل، وسببه لا بما سأله عنه، وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ ، بأن ذلك معناه من الخبر))[٣].

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه فقال حدثنا أُبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ قال:((﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسياناً))[٤].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((أي: لا تُعَسِّر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك، وقع على وجه النِّسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة؛ فجمع بين الإقرار به، والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشِّدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر))[٥].

والثاني: **يدل على التَرْكِ للشَيْءِ**[٦]، وهو من العبد بمعنى التضييع، والتفريط؛ فهو ترك منه لما أُمر بفعله، وهو النِّسيان الذي عاقب الله ﷻ به آدم صلوات الله عليه؛ فأخرجه من الجنة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٣.

(٣) جامع البيان (٧٤/١٨).

(٤) أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب الأيمان، والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، (١٣٦/٨)، برقم (٦٦٧٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (١٨٤٧/٤)، برقم (٢٣٨٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(٤٨١).

(٦) انظر: مقاييس اللغة (٤٢١/٥)كتاب النون، باب النون، والسين، وما يثلثهما، مادة "نسي"، ومجمل اللغة (٨٦٦/١)، كتاب النون، باب النون، والسين، وما يثلثهما، مادة"نسى"، والعين (٣٠٤/٧)، حرف السين، باب الثلاثي المعتل من السين، والنون، مادة"نسي"، والصحاح (٢٥٠٨/٦)، باب الواو، والياء، فصل النون، مادة"نسى"، [بتصرف].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[(١)] معناه: تَرَكَ لأن النَّاسي لا يؤاخذ بنسيانه، وآدم عليه السلام قد أوخذ بنسيانه فهبط من الجنة[(٢)]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني:((تركوا ما ذُكِّروا به))[(٤)].

وقال الإمام الطبري رحمه الله:((فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا))[(٥)].

وبهذا الترك عاقب الله عز وجل أقواماً منهم فقال: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(٦)] استدراجاً لهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[(٧)] بسبب عدم تضرعهم إذ لم يتضرعوا، وتركوا أمر الله تعالى ذكره، وعاقب الطائفة التي اعتدت في السبت لَمَّا تركوا ما أمرهم به من ترك الاعتداء فيه..فأحل بهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو "الفسق"[(٨)] قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[(٩)].

وبناءً على ذلك: فالنِّسيان المنفي عن الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مغايرٌ لمعنى النِّسيان الْمُثبت له في قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾، وقوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾، وقوله:

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) انظر: المحكم والمحيط (٥٨١/٨)، حرف السين، باب السين، والنون، والياء، مادة"نسي"، وجامع البيان (١٣٤/٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٤، وسورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٤) جامع البيان (٣٥٧/١١).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٧) السورة، والآية نفسها.

(٨) انظر: جامع البيان (٣٥٨/١١- ٣٥٩)، و(١٩٩/١٣) [بتصرف].

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾، وقوله: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾، وقوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ إِذِ **الأَوَّلُ**:(**النِّسيان المنفي عن الله ﷻ**)، هو بمعنى: إغفال الشَّيءِ، على وجه السَّهو عنه، وعدم ذكره، وحفظه، والوقوف على حقيقة الأمور، والله ﷻ منزهٌ عن ذلك لمنافاته كمال علمه، وشهادته، وإحاطته سبحانه، وتعالى، وهذا ما قرره السَّلف رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((والرب تعالى منزه عن الغفلة، والنِّسيان؛ لأن ذلك يناقض حقيقة العلم))[1].

وقد أشار إلى الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته الشافية الكافية إلى هذا التنزه لله – تبارك، وتعالى – عن وصفه – سبحانه – بصفة النِّسيان، وذلك عند ذكره لتنزيه الله ﷻ عن سلب النَّقائص، والعيوب المتصلة؛ ولا شك أن صفة الغفلة مندرجة تحت هذا التنزه فقال رحمه الله –:

وكذلك التنزيه عن نسيانه ... والرب لم ينسب إلى نسيان[2]

وقال:

وكذلك النِّسيان جل إلهنا ... لا يعتريه قط من نسيان[3]

وقال:

وبكل شيءٍ علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان[4]

وأما الثاني: (**النِّسيان الْمُثبت له**)، هو بمعنى: التَّرك الدَّال على كمال صفاته، وقدرته، ومشيئته؛ فقد ثبت بالكتاب، والسُّنة كما قرر سلف الأمة – رحمهم الله – أنه سبحانه خصَّ من ذكره بالذِّكر.

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص(١٩٢)، وانظر: مجموع الفتاوى(١٨١/٩).

(٢) الكافية ص(١٠٠).

(٣) المصدر نفسه ص(٢٠٢).

(٤) المصدر نفسه ص(٢٠٤).

فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[(١)]، وأعرض عن من ترك أمره، وخالفه بارتكاب معصيته كما تقدم فنسيهم كما في قوله: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾، يُريد: تركوه؛ فتركهم قال ثعلب رحمه الله:((لا ينسى الله جلَّ، وعز إنما معناه: تركوا الله فتركهم))[(٢)]، وهذا المعنى من النِّسيان ثابت لله عز وجل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله – بعد أن قرر أصل تخصيص الله عز وجل لمن شاءَ، وقدَّر من خلقه بالنظر، والاستماع بالكتاب، والسنة، والمقتضي لانتفائه عن غيرهم– :((هذا مثل الذكر، والنِّسيان فإن الله تعالى قال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ((**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**))[(٣)]؛ فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر، ومن آمن به، وأطاعه ذكره برحمته، ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[(٤)]، ومثله قوله:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) انظر: المحكم والمحيط (٥٨١/٨)، حرف السين، باب السين، والنون، والياء، مادة"نسي".

(٣) لم أجده في الصحيحين بهذا اللفظ كما ذكر ابن تيمية رحمه الله ، وإنما رواه النسائي في السنن الكبرى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كتاب النعوت، باب قوله تعالى(تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)، (١٥٣/٧)،برقم (٧٦٨٣)، والدعاء للطبراني، باب ما جاء في فضل لزوم الدعاء، والإلحاح فيه، ص٢٧، برقم (١٨)، وباب ما جاء في فضل ذكر الله عز وجل، ص(٥٢٢)، برقم (١٨٦٥)، والأسماء والصفات للبيهقي، باب ما ذكر في النفس، (٥١/٢)، برقم (٦٢٥)، قال: ((أخرجاه في الصحيح من أوجه عن الأعمش))، وشواهده في الصحيحين فقد رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:(ويحذركم الله نفسه)، (١٢١/٩)، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل الذكر، والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى (٢٠٦٧/٤)، برقم (٢٦٧٥).

(٤) سورة طه، الآيات: ١٢٤، ١٢٥ ، ١٢٦.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[(١)]، وقد فسروا هذا النسيان بأنه...[(٢)]، وهذا النسيان ضد ذلك الذكر، وفي الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال: ((**أفظننت أنك ملاقي؟ قال: لا. قال فاليوم أنساك كما نسيتني**))[(٣)]؛ فهذا يقتضي أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته، وقدرته أيضاً، وهو سبحانه قد خلق هذا العبد، وعلم ما سَيعْملُه قبل أن يَعْمله، ولما عَمِل عَلِم ما عَمِل، ورأى عَمَله؛ فهذا النسيان لا يناقض ما علمه سبحانه من حال هذا))[(٤)].

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((وتركه سبحانه للشَّيءِ صفةٌ من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته؛ قال الله تعالى:﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ ﴾[(٥)]،وقال تعالى:﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾[(٦)]، وقال:﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾[(٧)]، والنصوص في ثبوت الترك، وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة معلومة، وهي دالة على كمال قدرته، وسلطانه، وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين، وإن شاركه في أصل المعنى؛ كما هو معلوم عند أهل السنة))[(٨)].

قلت: وذلك دليلٌ على كمال شهادته، وسعة علمه، وإحاطته جلَّ، وعلا، ثم إن هذه الصفة إذا أثبتها الله ﷻ لنفسه فإثباتها من باب المجازاة، والمقابلة لما فعله العبد التارك لأمره،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٢) بياضٌ في الأصل، قال الشيخ ناصر بن حمد الفهد:(لعل موضع البياض هو ترك ذكره)، والله أعلم، انظر: مجموع الفتاوى (١٣/١٣٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، والرقائق، (٤/٢٢٧٩)، برقم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/١٣٤-١٣٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

(٨) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/١٧٣-١٧٤).

وذكره، والمقترف بذلك معصيته بالمخالفة.

ومن المتقرر في عقيدة أهل السُّنة، والجماعة أن الصفة إذا كانت نقصاً في حال، وكمالاً في حال فإن الله ﷻ يوصف بها في حال الكمال لا النقص، مع مراعاة القيد الذي جاءت به، ففي مثل هذه الحالة، يُقال: أن الله ﷻ موصوف بنسيان من ينساه، أي: ترك من تركه، وذلك على سبيل المقابلة، والمجازاة بالمثل[1]، وهذا دليلٌ على كمال غناه، وقدرته، ومشيئته على خلقه تبارك، وتعالى، وبهذا يحصل الجمع بين آيات النفي، والإثبات لصفة النِّسيان، والله تعالى أعلم.

ومن معاني السَّهو – المنزَّه عن الله ﷻ، والمنافي لكمال شهادته تعالى– صفة الغفلة، والتي نزَّه الله تعالى ذاته المقدسة عن الاتصاف بها.

وفي القرآن العظيم جمعٌ من الآيات الواردة في نفي صفة الغفلة المنافية لكماله تعالى المطلق، والتي أتت في معرض الوعيد للمخالفين أمره، والمرتكبين لنهيه من الكافرين، والظالمين، والوعد للمؤمنين بالثواب، والجزاء؛ فمن ذلك خاطبه لبني إسرائيل بقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فنفى تبارك، وتعالى في هذه الآية غفلته عن – معشر المكذبين بآياته، والجاحدين نبوة رسوله محمد ﷺ، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل، وأحبار اليهود–، وأعمالهم الخبيثة، وأفعالهم الرديئة، وأنه محصيها عليهم، فمجازيهم بها في الآخرة، أو معاقبهم بها في الدنيا، فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساه عنها، بل هو لها محص، ولها

---

(١) انظر: رسالة (النفي في باب صفات الله ﷻ)، لأبي محمد أرزقي محمد سُعيدان ص(٢٨٠ –٣٩٩)، [بتصرف يسير].

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

حافظ[١]؛ فلا يخفى عليه شيءٌ مما يعملون[٢].

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال:﴿ **وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ** ﴾ بل هو عالم بها حافظ لصغيرها، وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء، وأوفاه))[٣].

ومن الآيات خطابه سبحانه، وتعالى لنبيه الكريم ﷺ بقوله:﴿ **قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ** ﴾[٤]؛ فعلى قراءة من قرأ بالتاء (تعملون) جعل الخطاب في الآية للمؤمنين قال ابن عباس:(يُريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم، وجزائكم)، وعلى قراءة من قرأ بالياء جعله عن اليهود، فصار المعنى: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا، والآخرة [٥].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((يعني بذلك تبارك، وتعالى: وليس الله بغافل عما تعملون أيها المؤمنون، في إتباعكم أمره، وانتهائكم إلى طاعته، فيما ألزمكم من فرائضه، وإيمانكم به في صلاتكم نحو بيت المقدس، ثم صلاتكم من بعد ذلك شطر المسجد الحرام، ولا هو ساه عنه، ولكنه جل ثناؤه يحصيه لكم، ويدخره لكم عنده، حتى يجازيكم به أحسن جزاء، ويثيبكم عليه أفضل ثواب))[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/٢٤٣-٢٤٤) [بتصرف].

(٢) انظر: تفسير القرآن (١/١٤٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (٥٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٥) انظر: معالم التنزيل (١/١٦٣) [بتصرف].

(٦) جامع البيان (٣/١٨٤).

ومن الآيات في تنزيه الله ﷻ عن الغفلة عدم غفلته عن الظالمين، وظلمهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(١)]؛ فهذا وعيدٌ من الله ﷻ للظالم بعدم الغفلة عن ظلمه، وتعزيةٌ للمظلوم، وتسلية له، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((هذه الآية تعزية للمظلوم، وتسلية له، وتهديدٌ للظالم))[(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أي لا تحسبه إذا أنظرهم، وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم، لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو محصي ذلك عليهم، ويعدُّه عداً أي: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: من شدة الأهوال يوم القيامة))[(٣)].

ومن الآيات في نفي الغفلة عن الله ﷻ قوله تعالى – بعد أخذه الميثاق على بني آدم عليه السلام، وشهادتهم بذلك-: ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[(٤)] على قراءة من قرأ بالتاءِ إذ تقديرُ الكلام: أخاطبكم ألست بربكم؟ لئلاَّ تقولوا يوم القيامة: إنا كُنَّا عن هذا غافلين[(٥)].

ومن الآيات الدَّالة أيضاً على انتفاء صفة الغفلة عن الله ﷻ عموم قوله تبارك، وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾[(٦)].

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله: ((فكما أن خلْقُنا عام لكل مخلوق، فعلمنا أيضاً محيط بما خلقنا، فلا نُغفل مخلوقاً، ولا ننساه، ولا نخلق خلقاً فنضيعه، ولا نغفل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لُجَج البحار، وجوانب الفلوات، ولا دابة إلا سُقنا إليها رزقها: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٢) انظر: جامع البيان (١٧/٢٩)، وتفسير القرآن (٣/ ١٢٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٥١٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٥) انظر: تفسير القرآن (٢/٢٣١).

(٦) سورة المؤمنون: ١٧.

مُّبِينٍ ﴾[١]، وكثيراً ما يقرن تعالى بين خلقه، وعلمه كقوله: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٢]﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٣]؛ لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية، على علم خالقها، وحكمته))[٤].

وفي هذه الآية ردٌ على من يزعم أن الله في الأرض بنفسه كهو في السماء، ولو كان كذلك ما كان في قوله:﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ فائدة؛ لأن من كان مع خلقه بنفسه عُلم أنه لا يغفل عنهم ، ولكنه دلَّ المرتابين على أن الطرائق السبعة لا تحجب خلقه عنه، ولا تنسيه أمرهم، وهو واضح لا إشكال فيه[٥].

ومما تقدم تبين تنزهُ الله ﷻ عن السَّهو:(النِّسيان، والغفلة)، والضَّلال، وثبتَ له كمال الشَّهادة، وسعة العلم، والإحاطة بخلقه، والله أعلم.

المطلب الثالث : تنزهه سبحانه عن الصَّمَم.

ومما يُنفى عن الله ﷻ، وينزه عن الاتصاف به – من صفات سلب النَّقائص، والعيوب المتصلة – صفةُ الصَّمَم، وهي مما ينافي ثبوت كماله، واتصافه – تبارك، وتعالى – بصفة السَّمع – كما هي عقيدة السَّلف–، ودلالتها على كمال شهادته – جلَّ، وعلا –، وعلمه، وإحاطته بخلقه.

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) سورة يس، الآية: ٨١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(٥٤٩).

(٥) انظر: النكت الدالة على البيان، للقصَّاب (٣٤٦/٢) [بتصرف].

والصَّمَمُ: الصَّادُ فيه، والميم أَصْلٌ يَدُلُّ على تَضَامِّ الشَّيءِ، وزوال الْخَرْقِ، وَالسَّمِّ، والصَّمَمُ فِي الْأُذُنِ: انسدادها، وثِقلُ سَّمعها، وقيل: انسدادُ منافذ السَّمع[١]، وقيل: ذَهابُ سَمْعِها[٢].

وقد ثبت في السُّنة النَّبوية ما يدل على نفي هذه الصفة عن الله سبحانه، وتعالى كما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعريﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: ((**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً، ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، أو قال ألا أدلك به**))[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله:((معناه ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم، ولا غائب بل هو سميعٌ قريب، وهو معكم بالعلم، والإحاطة))[٤].

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن العلاَّمة الكرماني قوله رحمه الله: ((لو جاءت الرواية لا تدعون أَصَمَّ، وَلَا أَعْمَى لكان أظهر في المناسبة لكنه لَمَّا كان الغائب كالأعمى في عدم الرؤية نفى ﷺ لازمه ليكون أبلغ، وأشمل، وزاد قريباً لأن البعيد، وإن كان ممن يسمع، ويبصر لكنه لبعده قد لا يسمع، ولا يبصر، وليس المراد قرب المسافة لأنه مُنَزَّهٌ عن الْحُلُولِ كما لا يخفى، ومناسبة الغائب ظَاهِرَةٌ من أجل النهي عن رفع الصوت))[٥].

ومن كلام شُّراح الحديث تبين لنا أن النبي ﷺ أعلم أصحابه رضي الله عنهم أن الله عز وجل يعلم خفي كلامهم بالتكبير كما يسمع عاليه؛ إذ لا آفة تمنعه من ذلك؛ لأنه سميعٌ قريب؛ فنفى الآفة

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٢٧٧)، كتاب الصاد، باب الصاد، وما معها، مادة"صمَّ"، والمحكم والمحيط (٨/٢٧٧-٢٧٨)، باب الثنائي المضاعف، مادة"صمم"، والقاموس المحيط، (١/١١٣٠)، باب الميم، فصل الصاد، كلمة (الصَّمم)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٢/٤٠٣) [بتصرف].

(٢) انظر: تهذيب اللغة، (١٢/٨٨)، كتاب الصاد، باب الصاد، والميم، مادة "صمَّ".

(٣) تقدم تخريجه ص: (١٢٧).

(٤) انظر: المنهاج شرح مسلم (١٧/٢٦).

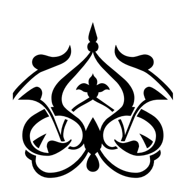
(٥) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٧٤-٣٧٥).

المانعة من السَّمع، ونفى الجهل المانع من العلم، وفى هذا القول منه ﷺ دليلٌ على أنه لم يزل سميعاً بصيراً عالماً، ولا تصح أضداد هذه الصفات عليه[(١)].

قلت: وعلى ذلك فالصَّمَمُ صفةُ نقصٍ لا يجوز إطلاقها على الخالق ﷻ لكماله المطلق من كل وجه، ولمنافاتها ما يجب له من ثبوت اتصافه بضدها من صفة السَّمع.

ثم أن الله ﷻ منزهٌ عن مشابهة خلقه؛ لأن مشابهة الناقص في صفات النقص نقصٌ مطلق، كما أن مماثلة المخلوق في شيء من الصفات تمثيل، وتشبيه، ينزه عنه الرب تبارك، وتعالى، والنقص ضد الكمال[(٢)].

وقد عُلم أن هذه الصفة مما يوصف بها الخلق، وهي في حقهم صفةُ نقصٍ، والمتصفُ بضدها أكمل، والله ﷻ مُعطي الكمال، وهو بالكمال أولى فله المثل الأعلى.



(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٥٢/٥)، (٤١٧/١٠) [بتصرف].

(٢) انظر: التدمرية ص(١٤١).

المطلب الرابع : تنزهه سبحانه عن العَمَى

ومن لوازم صفة الشَّهادة لله ﷻ تنزهه سبحانه، وتعالى أيضاً عن الاتصاف بصفة العمى لدلالتها على النقص، والله ﷻ منزهٌ عن النقائص في ذاته، وأسمائه، وصفاته، بل له الكمال المطلق من كل وجه.

والعَمَى: العينُ، فيه، والميمُ، والحرفُ المعتلُّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على سَتْرٍ، وَتَغْطِيَةٍ، وهو: ذَهابُ البَصرِ عن الْعَيَنَيْنِ كلتيهما معاً، ولا يكونُ في الواحدة، والفعل منه عَمِيَ يَعْمَى عَمىً؛ فهو أعْمَى[١].

ونفي هذه الصفة ظاهرٌ من قوله عليه الصلاة، والسلام :((**فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً**))[٢].

وهو كما قال العَّلامة الكرماني رحمه الله:((لَمَّا كان الغائب كالأعمى في عدم الرؤية نفى ﷺ لازمه ليكون أبلغ، وأشمل، وزاد قريباً لأن البعيد، وإن كان ممن يسمع، ويبصر لكنه لبعده قد لا يسمع، ولا يبصر))[٣].

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن السَّمع، والعقل يثبتان لله ﷻ صفات الكمال، وينفيان عنه ما ضاد صفات كماله.

قال رحمه الله:((كل ما نافى صفات الكمال الثابتة للَّه فهو منزه عنه، فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر))[٤].

ومن ذلك صفة العمى فهو – جلَّ جلاله – منزه عن الاتصاف بها لمنافاتها اتصافه تعالى بصفة البصر.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٣٣/٤)، كتاب العين، باب العين، والميم، وما يثلثهما، مادة"عمي"، والمخصص، لابن سيدة (١٠٢/١)، والمحكم والمحيط (٢٦٣/٢)، باب الثلاثي المعتل، مادة"عمي" [بتصرف].

(٢) تقدم تخريجه ص: (١٢٧).

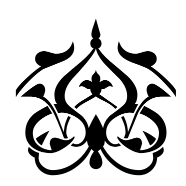
(٣) تقدم ص: (٢٧٠).

(٤) انظر: التدمرية ص(١٣٨)

ومعلومٌ أن ما يُنفى عنه – سبحانه، وتعالى – يُنفى لتضمن النفي الإثبات، إذ مجرد النفي لا مدح فيه، ولا كمال، وما كان صفة كمال فهو — سبحانه، وتعالى – أحق بأن يتصف به من المخلوقات، مع نفي المماثلة، فلو لم يتصف به مع اتصاف المخلوق به لكان المخلوق أكمل منه(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((فإذا خلق العباد، وعملوا، وقالوا؛ فإما أن نقول: إنه يسمع أقوالهم، ويرى أعمالهم؛ وإما لا يرى، ولا يسمع؛ فإن نفي ذلك تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه فمن يسمع، ويبصر أكملُ ممن لا يسمع، ولا يبصر، والمخلوق يتصف بأنه يسمع، ويبصر فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه، وتعالى، وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع، ولا يبصر في غير موضع؛ ولأنه حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع، والبصر اتصف بضد ذلك، وهو العمى، والصمم، وذلك ممتنع))(٢).

وهذا عامٌ في كل ما ينفى عن الله ﷻ من النقائص المضادة لما ثبت له تعالى من صفات الكمال، وصفة العمى داخلةٌ في باب ما ينفى عن الله ﷻ من النقائص المنزه عنها، مع تضمن نفيها عن الله ﷻ ثبوت اتصافه جل جلاله بصفات الكمال، ومنها صفة البصر، ولازم نفيها، وهي صفة الشهادة، وإذا كان المخلوق متصفٌ بها مع تفاوت كمالها، فمجرد اتصافه بها مع نفيها عن الخالق كمال في حقه، والمخلوق بنصوص الكتاب، والسُّنة انقص من خالقه فلا يماثله، ولا يكافئه جلّ، وعلا، والله أعلم.



(١) انظر: المصدر السابق ص(١٣٨-١٤١) [بتصرف].

(٢) انظر: جامع الرسائل (١٥/٢).

المطلب الخامس: تنزهه سبحانه عن الموت.

ومما ينزه عن الله ﷻ صفة الموت، وهي من الصفات السَّلبية التي نفاها عن نفسه تضمناً أو تصريحاً بقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[(٣)].

فوصف نفسه – جلَّ، وعلا – بالبقاء، ونفى الموت – الذي يجوز على من سواه من خلقه – عنها، ونزه نفسه عن صفة النقصان مثنياً عليها بنعوت الكمال فحياته ﷻ لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا توصف بنقص فله الحياة الكاملة المطلقة من كل وجه[(٤)].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله؛ فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة، والألوهية، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه رباً، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهاً، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد، ولا يموت، وأن الإله، هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو))[(٥)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:((يُخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون، ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب –تعالى وتقدس– لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً))[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ – ٢٧.

(٤) انظر: جامع البيان (١٥٦/٦)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢٢٦/٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص(٥٨٥)، وتفسير سورة الفاتحة، والبقرة، لابن عثيمين (٢٥٦/٣) [بتصرف].

(٥) جامع البيان (١٥٧/٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٩٤/٧).

كما ورد في السُّنة النَّبوية أيضاً ما يدلُّ على نفي الموت عن الله ﷻ، ويثبت له كمال الحياة، فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ، كان يقول:((**أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن، والإنس يموتون**))(١).

وأخرجه مسلم بلفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ ، كان يقول:((**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن، والإنس يموتون**))(٢).

وعليه فله جلَّ، وعلا حياةٌ حقيقيةٌ تليق بجلاله، وكماله، ينزه معها عن الموت، وللمخلوق حياةُ نقصٍ مناسبةٌ لحاله نهايتها الموت؛ وبين حياة الخالق، والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق، والمخلوق(٣).

فهو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه منقطع الحياة غير دائمها لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهية له إلا الله تبارك، وتعالى الذي هذه الصفات صفاته(٤).

وهذا الذي عقد عليه السَّلف- رحمهم الله تعالى- منهجهم فيما يجب إثباته لله ﷻ، ونفيه عنه من الصفات ففي إثبات صفة الحياة لله ﷻ، ونفي الموت إشارةٌ إلى ما تقع به التفرقة بينه ﷻ، وبين خلقه، بما يتصف به - تعالى- دون خلقه، وهي: أنه تعالى حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصةٌ به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون.

وفيه إشارةٌ أيضاً إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف، بصفات الكمال، لكمال ذاته.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، (١١٧/٩)، برقم (٧٣٨٣).

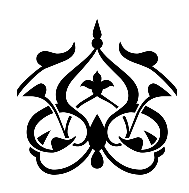
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، (٢٠٨٦/٤)، برقم (٢٧١٧).

(٣) انظر:أضواء البيان (٢١/٢) [بتصرف].

(٤) انظر: جامع البيان (٤١٠/٢١) [بتصرف].

فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة، ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعاً، ولهواً، ولعباً، وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، فالحياة الدنيا كالمنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة، وهي للمخلوق: لأنا نقول: الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللاَّزمة لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدامة الله لها، لا أن الدوام وصفٌ لازم لها لذاتها، بخلاف حياة الرب تعالى، وكذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به[1].

وعلى ذلك فالله سبحانه موصوف بصفات الكمال منزهٌ عن كل نقص، وعيب، فلا مثل له في شيءٍ من صفات كماله منزهٌ تمتنع عليه النقائصُ، والعيوب بأي بوجه من الوجوه هو الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهذا كان مذهب سلف الأمة، وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فيثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء، والصفات، وينزهونه عما نزه عن نفسه من مماثلة المخلوقات إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل[2]، والله تعالى أعلم.



---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، (١/٨٩-٩٠) [بتصرف].

(٢) انظر: جلاء العينين، لنعمان الألوسي ص(٤٤٨) [بتصرف].

المطلب السادس: تنزهه سبحانه عن السِّنة، والنَّوم

والرب تعالى منزهٌ عن السِّنة، والنوم؛ لأن ذلك يناقض كمال اتصافه ﷻ بصفة الشَّهادة المتضمن لكمال الحياة، والقيومية؛ فإن النَّوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنَّة لا ينامون كما لا يموتون، وكانوا يُلهمون التسبيح كما يُلهم أحدنا النَّفَس[١].

والسِّنَةُ، والوَسْنَةُ، والوَسَنُ ثَقَلَةُ النَّوم، وقيل النُّعاس، وهو أول النَّوْم، وَسِنَ، وَسَناً فهو، وَسِنٌ، ووَسْنانٌ ومِيسَانٌ، وقيل:السِّنَةُ: نُعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم[٢].

والأصل في نفي السِّنة، والنَّوم عن الله - ﷻ - ما ثبت بنصوص الكتاب، والسُّنة الصحيحة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٣].

ومن السُّنة ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال:((إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور- وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات، وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[٤].

وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة، وأئمتها من التنزيه لله ﷻ عن الاتصاف بهاتين الصفتين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وهذا يتضمن كمال الحياة، والقيومية، فإن السِّنة، والنَّوم نقصٌ في الحياة، والقيومية، والنَّوم أخو الموت، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور، فهو سبحانه منزهٌ عن السِّنة، والنَّوم تنزيهاً يستلزم كمال حياته،

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية ص(١٩٢) [بتصرف يسير].

(٢) انظر: المحكم والمحيط (٦١٥/٨)، باب الثلاثي المعتل، مادة"وسن"، وتاج العروس، (٢٥٥/٣٦)، فصل الواو مع النون، مادة"وسن".

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) تقدم تخريجه ص: (١١٢).

وقيوميته، والحياة، والقيومية، من الإثبات))[١].

وقال النووي رحمه الله:((أما قوله ﷺ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام فمعناه أنه سبحانه، وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقه النوم؛ فإن النوم انغمارُ، وغلبة على العقل يسقط به الإحساس، والله-تعالى- منزهٌ عن ذلك، وهو مستحيل في حقه جلَّ، وعلا))[٢].

وقال الملَّا علي القاري[٣] رحمه الله في قوله ﷺ:(ولا ينبغي له أن ينام):((نفي للجواز تأكيد لنفي الوقوع على سبيل التتميم أي: لا يكون، ولا يصح، ولا يستقيم، ولا يمكن له النوم؛ لأن النوم أخو الموت؛ ولأن النوم لاستراحة القوى، والله تعالى منزهٌ عن ذلك))[٤].

وقال المناوي رحمه الله:((يستحيل عليه النوم لأنه غلبة على العقل يسقط به الإحساس، وهو منزه عن ذلك، ومن لا يشغله شأن عن شأن (لا ينبغي له) أي: لا يليق بعلي شأنه (أن ينام) لَمَّا دلت الكلمة الأولى على عدم صدور النوم منه أكَّدها بالثانية الدالة على نفي جواز صدوره عنه إذ لا يلزم من عدم الصدور عدم جواز الصدور))[٥].

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله:((السِّنة هي النُّعاس، والنُّعاس هو مقدمة النَّوم، والنُّوم معروف، والله عز وجل لا تأخذه سِنة، ولا نَوم، والإنسان تأخذه السِّنة، ويأخذه النَّوم اختار أم لم يختر أحياناً ينام الإنسان، وهو يصلي ينعس، وهو يكلم النَّاس لكن الله عز وجل لا تأخذه سنة، ولا نوم لكمال حياته، وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن الله

---

(١) الصفدية لابن تيمية (٦٤/٢).

(٢) المنهاج شرح مسلم (١٣/٣).

(٣) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملَّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة، وسكن مكة، وتوفي بها، وقيل: كان يكتب في كل عام مصحفاً، وعليه طُرُرٌ من القرآت، والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام، وصنف كُتباً كثيرة، منها(تفسير القرآن)، و(الفصول المهمة)، و(شرح مشكاة المصابيح)، و(شرح مشكلات الموطأ)، و(شرح الحصن الحصين)،
انظر ترجمته في: الأعلام (١٢/٥).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي(١٦٥/١).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢٦٥/١).

لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام))[١] يعني: مستحيلٌ غاية الاستحالة أن ينام ﷻ لأنه كامل الحياة كامل القيومية من يقوم على الخلق لو نام الخالق لا أحد فهو جلَّ، وعلا لا تأخذه سنة، ولا نوم، والله أعلم))[٢].

وقال في موضع آخر:((وهذه صفة من صفات النَّفي، وقد سبق أن صفات النَّفي لا بد أن تتضمن ثبوتاً، وهو كمال الضد، والكمال في قوله:﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ كمال الحياة، والقيومية؛ لأنه من كمال حياته أن لا يحتاج إلى النوم، ومن كمال قيوميته أن لا ينام، لأن النوم إنما يحتاج إليه المخلوقات الحية لنقصها؛ لأنها تحتاج إلى النوم من أجل الاستراحة من تعب سبق، واستعادة القوة لعمل مستقبل، ولَمَّا كان أهل الجنة كاملي الحياة، كانوا لا ينامون، كما صحت بذلك الآثار))[٣].

وعلى ذلك فالله ﷻ لكمال شهادته على خلقه، وحياته، وقيوميته لا يعتريه نقصٌ، ولا غفلةٌ، ولا ذهولٌ، عن خلقه بل هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت شهيدٌ على كل شيء لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنةٌ، ولا نوم.

كما لا تحله الآفات، ولا تناله العاهات، ولا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال، وتصريف الليالي، والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوباً مقهوراً، لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السموات، والأرض، وما فيهما دكاً، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره، وقدرته، والنَّومُ شاغل المدبر عن التدبير، والنُّعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه[٤]، والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١١٢).

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦٨٦/٤- ٦٨٧).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٣٥/٨-١٣٦).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٩٣/٥)، وتفسير القرآن العظيم (٦٧٨/١) [بتصرف].

المطلب السابع : تنزهه سبحانه عن الظلم

والله ﷻ منزهٌ عن الظلم لكمال عدله، وشهادته على خلقه تبارك، وتعالى.

والمعنى الثابت للظلمِ أصله: وضع الشيءِ في غير موضعه تعدياً[(١)].

وقد دل الكتاب، والسُّنة، والإجماع على تُنزه الرب تعالى عن وصف الظلم.

إذ ورد جمعٌ من الأدلة التي تنفي عن الله ﷻ الظلم، وتثبت له كمال العدل فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾[(٣)]، وقولهﷻ: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[(٤)]، وقوله جلَّ، وعلا: ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[(٥)]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[(٦)]، والآيات في نفي الظلم عن الله تعالى كثيرة.

أما من السُّنة فقد تقدم حديثُ أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك، وتعالى أنه قال: ((**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا..**))[(٧)]، الحديث.

وقد أجمع المسلمون قاطبةً على عدل الله ﷻ، وعلى تنزهه عن الظلم كما نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته الموسومة بـ (قاعدة في معنى كون الرب عادلاً، وفي تنزهه عن الظلم).

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، كتاب الظاء، باب الظاء، واللام، وما يثلثهما، مادة"ظلم"، والصحاح(١٩٧٧/٥)، باب الميم، فصل الظاء، مادة"ظلم".

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الكهف: ٤٩.

(٥) سورة الشعراء: ٢٠٩.

(٦) سورة فصلت: ٤٦.

(٧) تقدم تخريجه ص: (١٥١) .

قال رحمه الله: ((اتفق المسلمون، وسائرُ أهل الملل على أن الله تعالى عدلٌ قائمٌ بالقسط لا يظلمُ شيئاً بل هو منزهٌ عن الظلم))(١).

وقد ضلَّ طوائفُ من الناس في معنى الظلم المنفي عن الله عز وجل ، ومعنى كونه عدلاً في الظلم الذي هو منزه عنه كما قال شيخ الإسلام رحمه الله:((فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعاً صاروا فيه بين طرفين متباعدين، ووسط بينهما، وخيار الأمور أوساطها، وذلك بسبب البحث في القدر، ومجامعته للشَّرع، إذ الخوض في ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم، ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه))(٢).

وقال في موضعٍ آخر:((تنازع طوائف المسلمين في معنى الظلم الذي ينزه الله عنه ثم لما خاضوا في القدر تنازعوا في معنى كونه عدلاً في الظلم الذي هو منزه عنه))(٣).

والمقصود بيان تنزه الله تعالى عن الظلم، وفق عقيدة أهل السُّنة، والجماعة، لا الخوض في هذا التنازع.

وقد أُثر عن السلف – رحمهم الله – نفي الظلم عن الله عز وجل وتنزيهه عن الوصف به، وإثبات كمال عدله جلَّ، وعلا من ذلك ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من عقيدة أهل السُّنة بقوله:((..الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والعدل وضع كل شيء في موضعه، وهو سبحانه حكم عدل يضع الأشياء مواضعها، ولا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه، وتقتضيه الحكمة، والعدل، ولا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين، ولا يعاقب إلا من يتسحق العقوبة؛ فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة، والعدل، وأما أهل البر، والتقوى؛ فلا يعاقبهم ألبتة قال تعالى:﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ

---

(١) انظر: (قاعدة في معنى كون الرب عادلاً، وفي تنزهه عن الظلم)، وهي ضمن جامع الرسائل، لابن تيمية (١٢١/١).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٧٦/١).

(٣) انظر: (قاعدة في معنى كون الرب عادلاً، وفي تنزهه عن الظلم)، وهي ضمن جامع الرسائل(١٢١/١).

(٤) سورة القلم، الآيتان: ٣٥ – ٣٦.

كَٱلْفُجَّارِ ﴾[(١)]، وقـال تعـالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[(٢)]،..وهذا الأصل، وهو (عدل الرب) يتعلق بجميع أنواع العلم، والدين فإن جميع أفعال الرب، ومخلوقاته داخلة في ذلك، وكذلك أقواله، وشرائعه كتبه المنزلة، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ، والمعاد، ومسائل النبوات، وآياتهم، والثواب، والعقاب، ومسائل التعديل، والتجوير، وغير ذلك، وهذه الأمور مما خاض فيه جميع الأمم كما قد بسط في مواضع، وأهل الملل كلهم يقرون بعدله؛ لأن الكتب الإلهية نطقت بعدله، وأنه قائم بالقسط، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة لكن كثير من الناس في نفسه ضغن من ذلك، وقد يقوله بلسانه، ويعرض به في نظمه، ونثره،..وبه يتبين أن كل ما يفعله الرب فهو عدل، وأنه لا يضع الأشياء في غير موضعها؛ فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يجزى أحداً إلا بذنبه، ولا يخاف أحد ظلماً، ولا هضماً لا يهضم من حسناته، ولا يظلم فيزاد عليه في سيئاته لا من سيئات غيره، ولا من غيرها بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي لا يملك ذلك، ولا يستحقه، وإن كان قد يحصل له نفع بفضل الله، ورحمته، وبدعاء غيره، وعمله؛ فذاك قد عرف أن الله يرحم كثيراً من الناس من غير جهة عمله لكنه ليس له إلا ما سعى قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يقتضي أن المنبأ بذلك يجب عليه تصديق ذلك، والإيمان به فكان هذا مما أخبر به محمد ﷺ مصدقاً لإبراهيم، وموسى كما قال في آخر سبح ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[(٤)]))[(٥)].

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٣) سورة النجم، الآيات: ٣٦ – ٤١.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨ – ١٩.

(٥) انظر:(قاعدة في معنى كون الرب عادلاً) ضمن جامع الرسائل (١/١٢١-١٢٦) [باختصار].

فعدل الله ﷻ، وحكمته، وتعليل أفعاله أصلٌ داخل في جميع أبواب الدين؛ أصوله، وفروعه؛ في خلق الربِّ لما يخلقه، ورزقه، وإعطائه، ومنعه، وسائر ما يفعله تبارك، وتعالى، وداخل في أمره، ونهيه، وجميع ما يأمر به، وينهى عنه، وداخل في المعاد[1].

وهذا ما يبين كمال شهادته، وعدله تعالى، وإحسانه، وهو أن الخير بيديه، والشر ليس إليه[2] كما كان عليه السلام يثني على ربه بذلك في مناجاته له في دعاء الاستفتاح، وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين، وهو((أرحم من الوالدة بولدها))[3] كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

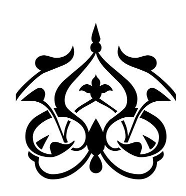
---

(١) انظر: النبوات، لابن تيمية، (٤٦٧/١-٤٦٨) [بتصرف].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٥٣٤/١-٥٣٥، برقم(٧٧١)، ولفظه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال:((وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك))، وإذا ركع، قال:((اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي))، وإذا رفع، قال:((اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد))، وإذا سجد، قال:((اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين))، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد، والتسليم: ((اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت)).

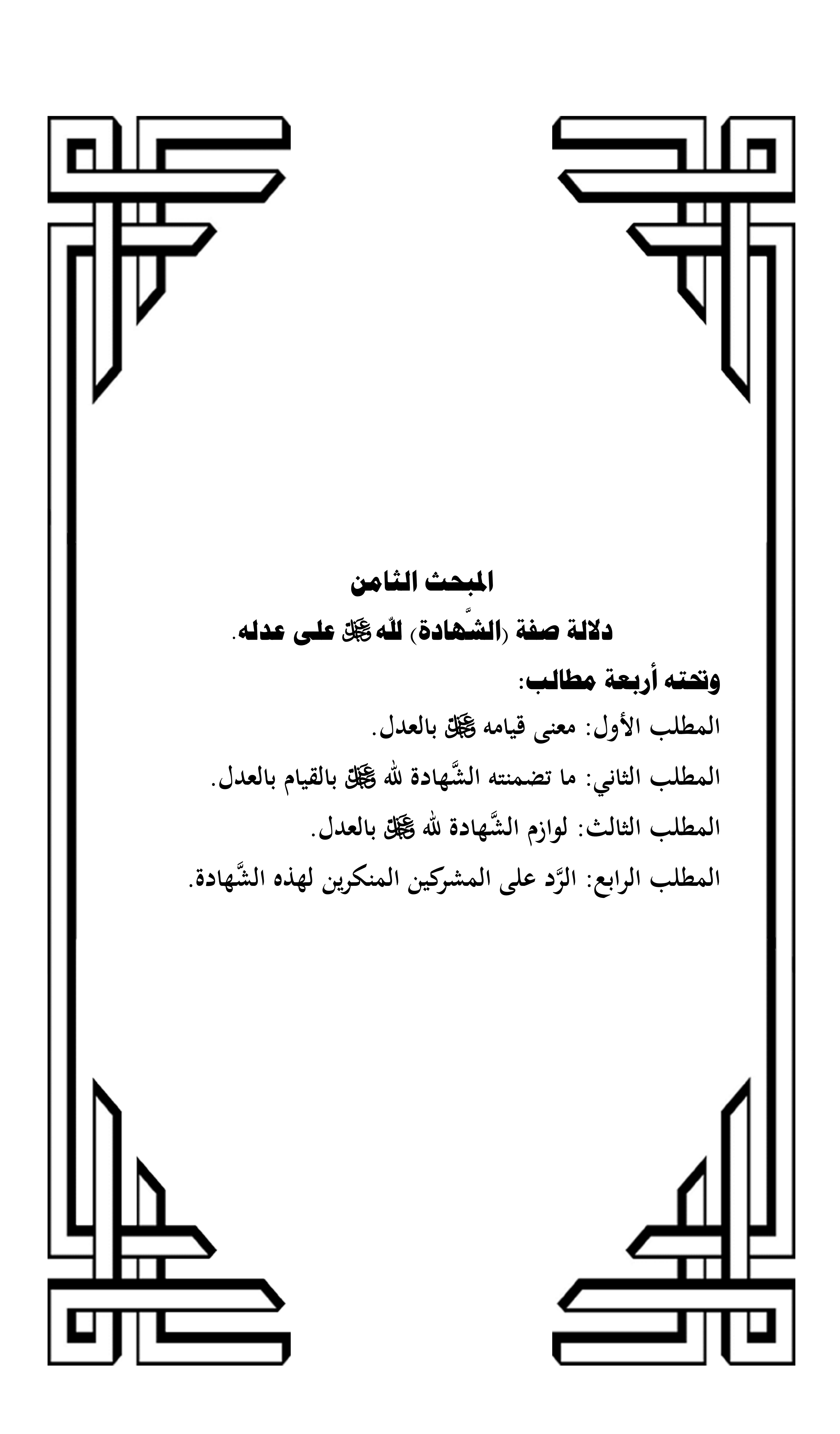
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد، وتقبيله، ومعانقته، (٨/٨)، برقم(٥٩٩٩)، ولفظه: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ:((أترون هذه طارحة ولدها في النار» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال:((لله أرحم بعباده من هذه بولدها))، وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، (٢١٠٩/٤)، برقم (٢٧٥٤)، ولفظه: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي، تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ : ((أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟)) قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: ((لله أرحم بعباده من هذه بولدها)).

ﷺ، وهو سبحانه أحكم الحاكمين كما قال نوح في مناجاته ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[١][٢]، وتنزه الرب جلَّ، وعلا عن الظلم، وإثبات غاية عدله لازمٌ لاتصافه بصفة الشَّهادة، وكمالها على خلقه، تبارك، وتعالى، وسيأتي الكلام على شهادة الله ﷻ على عدله بشيء من التفصيل في المبحث القادم، إن شاء الله تعالى.



(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) انظر: (قاعدة في معنى كون الرب عادلاً)، وهي ضمن جامع الرسائل، (١/ ١٢٦-١٢٧) [بتصرف].



المبحث الثامن

دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على عدله.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى قيامه ﷻ بالعدل.

المطلب الثاني: ما تضمنته الشَّهادة لله ﷻ بالقيام بالعدل.

المطلب الثالث: لوازم الشَّهادة لله ﷻ بالعدل.

المطلب الرابع: الرَّد على المشركين المنكرين لهذه الشَّهادة.

المبحث الثامن
دلالة صفة (الشَّهادة) للّه ﷻ على عدله

سيكون الكلام في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - عن دلالة صفة الشَّهادة لله ﷻ على عدله من حيث معنى قيامه ﷻ بالقسط، وما تضمنته هذه الشَّهادة من الأمور، وما استلزمته من اللوازم مع الرد على المشركين المنكرين لها.

المطلب الأول: معنى قيامه ﷻ بالعدل

من دلائل شَّهادته ﷻ بالتوحيد "العدل"، وهو ما شهد به جلَّ، وعلا لنفسه من القيام بالقسط.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:((وفي الأسماء الحسنى الْمُقسط قال الحليمي: هو المعطي عباده القسط، وهو العدل من نفسه، وقد يكون معناه المعطي لكل منهم قسطاً من خيره))[١].

ولفظ "القيام" يقتضي شيئين: القوةَ، والثبات، والاستقرار، ويقتضي العَدْلَ، والاستقامةَ، فالقائم ضدّ الواقع، كما أنه ضدّ الزائل[٢]، فإن الاستقامة، والاعتدال متلازمان فمن كان قوله، وعمله بالقسط كان مستقيماً، ومن كان قوله، وعمله مستقيماً كان قائماً بالقسط[٣]، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾؛ فشهد الله سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد، والعدل هما جماع صفات الكمال[٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل، وله العزة، والحكمة، وهذه الأربعة إنما يثبتها السَّلف، وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السُّنة، فقد نقص الرب بعض

(١) فتح الباري (١٣/٥٣٩).

(٢) انظر: جامع المسائل (٥/١٦١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٧٩).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٢٣-٤٢٤) [بتصرف].

حقه))[١].

وقبل الشُّروع في بيان معنى قيامه ﷻ بالعدل سأُبين على وجه الإيجاز معنى "القسط"، و"العدل"، ودلالة كل واحد منها على الآخر، ثم أذكر أقوال السَّلف في معنى "القيام بالقسط".

- معنى "القسط": إذا أُطْلق القِسْطُ بالكسر أُريد به: العَدْل[٢]، والْمُقْسِط في كلامهم: العَادِل، يُقال: أَقْسَطَ الرجل يُقْسط فهو مُقسط: إذا عَدل، قال تعالى:﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٣]، أي: العَادلين[٤].

والقُسوطُ: الجَورُ، والعدولُ عن الحقّ، وقد قَسَطَ يَقْسِطُ قُسوطاً[٥]، ويُقال: قَسط الرجل فهو قَاسِطٌ: إذا جَارَ، قال الله ﷻ:﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[٦] أي: الجَائِرون[٧].

والإِقْسَاطُ: العدل في القسمة، والحكم، والقُسُوط: الميل عن الحق، وتقسطوا بينهم الشيء أي: اقتسموه بالتسوية فكل مِقدار قِسْطٌ في كل شيء، والقِسْطاسُ، والقُسْطاسُ: أقوم الموازين[٨].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١١/٨)، (٣١٠/١٤)، والحسنة والسيئة لابن تيمية ص(٧٦).

(٢) انظر: الصحاح (١١٥٢/٣)، باب الطاء، فصل القاف، مادة" قسط".

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لابن الأنباري (٩٨/١).

(٥) انظر: الصحاح (١١٥٢/٣)، باب الطاء، فصل القاف، مادة" قسط".

(٦) سورة الجن، الآية: ١٥.

(٧) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٩٨).

(٨) العين (٧١/٥).

- معنى"العدل": أما العَدْل فيُطلق في لغة العرب على ما قَامَ في النُّفوس أنه مُسْتَقِيم[١]، وهو الأَمرُ المتوسِّطُ بين الإِفراطِ، والتَّفريطِ[٢]، وهو نَقِيضُ الْجَوْرِ[٣]، تَقولُ: عَدَلَ في رعيَّتِه، ويُقال: عَدَلْتُهُ حتى اعْتَدَلَ، أي: أَقَمْتُهُ حتى استقام، واستوى[٤]، والاعْتدالُ: تَوَسُّطُ حالٍ بين حَالينِ في كَمٍّ أو كَيفٍ، وكُلُّ ما تناسب فقد اعْتَدَلَ، وكُلُّ ما أَقمتَه فقد عَدَلْتَهُ، وعَدَّلْتَهُ[٥]، وعَدَل الحاكِمُ في الحُكمِ يَعْدِلُ عَدْلًا، وعَدَلَ عليه في القضيَّة، فهو عادِلٌ، وبَسَطَ الوالي عَدْلَهُ، ومَعْدِلَته، والعَدْلُ: الحُكمُ بالحقِّ، يُقال: هو يقضي بِالْحَقِّ، ويَعْدِلُ، وهو حَكَمٌ عَادِلٌ:ذُو مَعْدَلةٍ في حُكْمِهِ[٦]، والعَدْلُ: المثْلُ، والنَّظير، وعَدَلَ عنه يَعْدِلُ عَدْلاً، وعُدُولاً:حَادَ[٧].

وبناءً على ذلك فالقِسْط إذا أُطلق أريد به العَدْل بما تصرف من المعاني، والعَدْل يُراد به الاستقامة، والتوسط في الأمر، والإقامة حتى الاستواء، والحكم بالحق، والمثل، والنَّظير، والحَيدُ عن الصواب، وهو بجميع هذه المعاني مرادف لمعنى القسط في الجملة، والله تعالى أعلم.

أما ما يتعلق بمعنى قيامه ﷻ بالعدل فقد أورد السلف رحمهم الله تفسير ذلك مع اختلاف النحويين في توجيه النصب على الحال المؤكدة أو ما يُسمى بالنَّصب على القطع[٨] في قوله تعالى:﴿ قَآيِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ هل هو من لفظ الجلالة "الله" في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ؟ أم هو من "هو" في قوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾؟.

وتفصيله كما يلي: قال الإمام الطبري رحمه الله:((ونصب"قائماً" على القطع، وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من "هو" التي في﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وكان بعض نحويي

(١) انظر: المحكم والمحيط (١١/٢)، أبواب الثلاثي الصحيح، باب العين والدال واللام، مادة "عدل".

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٤٧/٤) كتاب العين، باب العين والدال وما يثلثهما، مادة "عدل".

(٣) الجَوْرُ: نقيضُ العَدْل، وقومٌ جارةٌ، وجَورَة، أي: ظَلَمة، والجَورُ: ترك القصد في السَّير، انظر: العين للفراهيدي (١٧٦/٦).

(٤) انظر: تاج العروس للزبيدي (٤٤٣/٢٩)، فصل العين المهملة مع اللام، مادة "عدل".

(٥) انظر: القاموس المحيط ص (١٠٣٠)، باب اللام، فصل العين، كلمة " العدل ".

(٦) انظر: لسان العرب (٤٣٠/١١)، باب اللام، فصل العين المهملة، مادة "عدل".

(٧) انظر: القاموس المحيط ص (١٠٣٠)، باب اللام، فصل العين، كلمة " العدل ".

(٨) "القطع": هو الحال في اصطلاح الكوفيين، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الكوفة يزعم أنه حالٌ من اسم "الله" الذي مع قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾، فكان معناه:(شهد الله القائمُ بالقسط أنه لا إله إلا هو)، وقد ذُكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك: (وَأُولُو الْعِلْمِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ)، ثم حذفت"الألف، واللام" من "القائم"، فصار نكرة، وهو نعت لمعرفة، فَنُصِب...))(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ((قوله: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ هو نصب على الحال، وفيه وجهان:

قيل: هو حال من (شَهِدَ): أي: (شهد قائماً بالقسط).

وقيل: من (هُوَ) أي: (لا إله إلا هو قائماً بالقسط)، كما يقال: لا إله إلا هو وحده...))(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله :((قوله ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ نصب على الحال، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه حال من الفاعل في "شهد الله"، والعامل فيها الفعل، والمعنى على هذا: (شهد الله حال قيامه بالقسط: أنه لا إله إلا هو).

والثاني:أنه حال من قوله "هو"، والعامل فيها معنى النَّفي، أي لا إله إلا هو، حال كونه قائماً بالقسط، وبين التقديرين فرق ظاهر))(٣).

وقد ذهب إلى القول بالنصب على الحال من الفاعل - "الله" في قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾- الكوفيون، وجمهور المفسرين منهم الإمام الطبري حيث قال رحمه الله:((وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي، قولُ من جعله قَطعاً على أنه من نعت "الله" جل ثناؤه، لأن"الملائكة، وأولي العلم"، معطوفون عليه، فكذلك الصحيح أن يكون قوله:"قائمًا"حالاً منه))(٤).

---

(١) جامع البيان (٦/٢٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٥).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٢٥).

(٤) جامع البيان (٦/٢٧٠- ٢٧١).

ولـذلك قـال في بيـان معـنى قيامـه ﷻ بالقسـط:((وأمـا قولـه:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾، فإنـه بمعنى:(أنـه الـذي يلي العدل بين خلقه)، "والقسـط"، هـو: العدل، من قولهم:"هـو مقسط"، و"قد أقسط"، إذا عَدَل)).

وقال الإمام البغوي رحمه الله:((﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: بالعدل، ونظم الآية "شهد الله قائماً بالقسط"، نصب على الحال،...ومعنى قوله:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: (بتدبير الخلق)، كما يُقال: فلان قائمٌ بأمر فلان أي:(يدبره، ويتعاهد أسبابه)، وقائمٌ بحق فلان أي:(مجاز له)؛ فالله جل جلاله مدبر رزاق مجازٍ بالأعمال))[١].

وقال العلاَّمة القرطبي رحمه الله :((﴿ قَآئِمَۢا ﴾نصب على الحال المؤكدة من اسمه تعالى في قوله" شهد الله" أو من قوله "إلا هو"، وقال الفراء: هو نصب على القطع، كأن أصله القائم، فلما قطعت الألف، واللام نصب كقوله:﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ﴾...))[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:((﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك))[٣].

وقال ابن عادل رحمه الله:((معنى ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: قائماً بتدبير الخلْقِ، كما يقال: فلان قائم بأمر فلان، أي مدبِّر له، رزَّاق، مجازٍ بالأعمال، والمراد بالقِسْط: العدل))[٤].

وقال العلاَّمة الشوكاني رحمه الله:((قائما بالقسط: أي العدل، أي: قائماً بالعدل في جميع أموره أو مقيماً له، وانتصاب قائماً: على الحال من الاسم الشريف))[٥].

وقال أبو الليث السَّمرقَنْدي رحمه الله:((يعني الله قائماً بالعَدْل على كل نفس، ويُقال: من أَقَرَّ

---

(١) معالم التنزيل (١٨/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٣/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٤/٢).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٠٠/٥)، [بتصرف].

(٥) فتح القدير (٣٧٣/١).

بهذه الشَّهادة على عقد قلبه، فقد قام بالعدل))[١].

وقال أبو القاسم النَّيْسابوري رحمه الله:((﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾على الحال من اسم"الله"، أي: ثبت تقديره، واستقام تدبيره بالعدل، ونظير هذه الحال مما يُؤَكِّد الأول: هو زيد معروفاً، وهو الحقُّ مصدِّقاً))[٢].

وقال الواحدي رحمه الله:((وقوله: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: بالعدل، كما يقال: فلان قائمٌ بهذا الأمر، أي: يجريه على الاستقامة في جميع الأمور، والله تعالى يجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور))[٣].

وقال في تفسيره لقوله:﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾[٤]: ((ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمور خلقه، والتدبير للأرزاق، والآجال، وإحصاء الأعمال للجزاء، كقوله: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: والياً لذلك، والمعنى هاهنا: (أفمن هو قائمٌ بالتدبير على كل نفس بجزاء ما كسبت)، وتلخيصه: أفمن هو مُجازٍ كل نفس بما كسبت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع، ولا تضر؟ ويدل على هذا المحذوف قوله:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾[٥]))[٦].

وقال الفخر الرازي رحمه الله:((معنى كونه قائماً بالقسط قائماً بالعدل، كما يقال: فلان قائم بالتدبير، أي: يجريه على الاستقامة))[٧].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢٠٠/١).

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (١٨٤/١).

(٣) الوسيط في تفسير الكتاب المجيد للواحدي (٤٢١/١).

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٥) السورة، والآية نفسها.

(٦) الوسيط للواحدي(١٧/٣).

(٧) مفاتيح الغيب (١٧٠/٧).

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله:((وقوله:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: هو تعالى مراعٍ للعدالة بكل حال، وذلك حال مؤكدة))[١].

وقال السَّمعاني رحمه الله:((﴿ قَآئِمَۢا ﴾ نصب على الحال، فهو الله تعالى قائم بتدبير الخلق ﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾: بالعدل، يقال: قسط يقسط إذا جار، وأقسط يقسط؛ إذا عدل...))[٢].

وقال ابن أبي زَمَنين[٣] رحمه الله : ((فيها تقديمٌ، وتأخير؛ يقول: شهد الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط؛ أي: بالعدل،[ويشهد الملائكة، ويشهد أولو العلم، وهم المؤمنون] قال محمد[٤]: نُصب ﴿ قَآئِمَۢا ﴾على الحال؛ وهي حال مؤكدة))[٥].

وقال الثعلبي رحمه الله:((﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾: أي بالعدل، ونظام الآية "شهد الله قائماً بالقسط"، وهو نصب على الحال،...وقال أهل المعاني في قوله: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: مدبر، رازق، مجازي بالأعمال كما يقال: فلان قائمٌ بأمري: أي مدبر له متعهد لأسبابه، وقائمٌ بحق فلان: أي: بحاله))[٦].

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله:((ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ أي: لم يزل متصفاً بالقسط في أفعاله، وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به،

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٢/٤٦٥).

(٢) تفسير القرآن (١/٣٠٢).

(٣) محمد بن عبد الله بن عيسى المري، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين: ولد سنة ٣٢٤هـ فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، من أهل إلبيرة، له كتب كثيرة في الفقه، والمواعظ، منها (أصول السنة)، و(منتخب الأحكام)، و(تفسير القرآن)، و(النصائح المنظومة)، و(آداب الإسلام)، و(المهذب) في اختصار شرح ابن مزين للموطأ، توفي رحمه الله سنة ٣٩٩ هـ، انظر في ترجمته: الأعلام (٦/٢٢٧).

(٤) لم أقف عليه، ولعله من عمل النُّسَّاخ، والمقصود به المصنف، والله أعلم.

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/٢٨٠).

(٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٣/٣٤).

ونهى عنه، وفيما خلقه وقدره))[١].

وتقدير الكلام على ذلك: يتضمن أن المعنى: "شهد الله" متكلماً بالعدل، مخبراً به، آمراً به، فاعلاً له، مجازياً به – أنه لا إله إلا هو؛ فإن العدل يكون في القول، والفعل، والمقسط هو العادل في قوله، وفعله، فشهد الله قائماً بالعدل – قولاً، وفعلاً – أنه لا إله إلا هو، وفي ذلك تحقيق لكون هذه الشهادة شهادة عدل، وقسط، وهي أعدل شهادة، كما أن المشهود به أعدل شيء، وأصحه وأحقه،...وإذا كان القيام بالقسط يكون في القول والفعل كان المعنى: (أنه كان سبحانه يشهد، وهو قائمٌ بالعدل عالمٌ به، لا بالظلم)، فإن هذه الشهادة تضمنت: قولاً، وعملاً[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((فإذا قيل: "شهد قائماً بالقسط" أي: متكلماً بالعدل مخبراً به آمراً به: كان هذا تحقيقاً لكون الشَّهادة شهادة عدل، وقسط، وهي أعدل من كل شهادة كما أن الشِّرك أظلم من كل ظلم، وهذه الشَّهادة أعظم الشَّهادات،...ولفظ "القيام بالقسط" كما يتناول القول يتناول العمل فيكون التقدير: بشهد، وهو قائلٌ بالقسط عامل به لا بالظلم؛ فإن هذه الشَّهادة تضمنت قولاً وعملاً...))[٣].

وذهب إلى القول بالنَّصب على الحال من "هو" في قوله:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، البصريين، منهم سيبويه، وأصحابه، كما تقدم قول الإمام الطبري رحمه الله :((وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من "هو" التي في﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾))، وحجتهم في ذلك: أن لكل عاملٍ معمولاً، ويقولون: حذف معمول أحدهما لدلالة الآخر عليه[٤].

وتقدير الكلام على ذلك: أن يكون قوله: "قائماً" حالاً مما بعد إلا – فالمعنى: (أنه لا إله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص (١٢٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٢٥) [بتصرف يسير].

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٦/١٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٥/١٤).

إلا هو قائماً بالعدل، فهو وحده المستحق الإلهية، مع كونه قائماً بالقسط)[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((وإذا اعتبر القسط في الإلهية كان المعنى: "لا إله إلا هو قائماً بالقسط" أي: (هو وحده الإله قائماً بالقسط)؛ فيكون وحده مستحقاً للعبادة مع كونه قائماً بالقسط كما يُقال: أشهد أن لا إله إلا الله إلهاً واحداً أحداً صمداً))[٢].

ولسائل أن يقول بعد هذا ما المعنى الصحيح، وما الراجح في قوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾؟.

ذهب الإمام الطبري رحمه الله إلى القول بأن قوله:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ حالٌ من اسم "الله" الذي

مع قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾، فكان معناه:(شهد الله القائمُ بالقسط أنه لا إله إلا هو)، ثم حذفت"الألف واللام" من"القائم"، فصار نكرة "قائم"، وهو نعت لمعرفة، فَنُصب "قائماً".

قال رحمه الله:((وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي، قولُ من جعله قَطعاً على أنه من نعت الله جلَّ ثناؤه، لأن"الملائكة وأولي العلم"،معطوفون عليه، فكذلك الصحيح أن يكون قوله:"قائماً"حالاً منه))[٣].

والمراد بالقطع عند الكوفيين الحال، قال الإمام الفراء رحمه الله: ((هو نصب على القطع، كأن أصله القائم، فلما قطعت الألف، واللام نصب كقوله:﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ﴾))[٤].

قلت: وهو موافق لقول الإمام الطبري رحمه الله فيما ذهب إليه.

وقد أوضح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ذلك بقوله: (("القطع" هو الحال،..وقد بينه الفراء

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٤٥٣/٣) [بتصرف يسير].

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٧/١٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٧٠/٦-٢٧١).

(٤) معاني القرآن (٢٠٠/١).

في كلامه في معاني القرآن إذ قال: "منصوب على القطع؛ لأنه نكرة نعت به معرفة"، وبين أن الحال ضرب من النعت، تقول: "جاءني زيدُ الراكب" بالرفع، فيكون نعتًا؛ لأنه معرفة نعت بمعرفة، فإذا نعته بالنكرة لم يجز أن تقول: "جاءني زيد راكب" بالرفع، إلا أن تجعله بدلا من المعرفة، وإنما الوجه أن تقطعه عن إعراب النعت، فتنصبه، فيكون حالاً؛ فذلك تفسير"القطع" على أنه الحال، ولم أجد تفسيره في كتاب مما بين يدي، وهو من اصطلاح أهل الكوفة فيما أرجح، لاستعمال الفراء إياه، ولذكر الطبري له في مقالة الكوفيين كثيرًا، كما سلف))[(١)].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فبعد ذكره لكلا الوجهين في الآية قال بصحة كلا المعنيين، ثم بين طريقة كل فريق مرجحاً طريقة الكوفيين في أن المعمول الواحد يعمل فيه عاملان فقال:((وكِلاَ المعنيين صحيح، وقوله:﴿ قَآيِمًا بِٱلْقِسْطِ ﴾ يجوز أن يعمل فيه كلا العاملين على مذهب الكوفيين في أن المعمول الواحد يعمل فيه عاملان كما قالوا في قوله: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾[(٢)]، ﴿ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[(٣)]، و﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[(٤)]، ونحو ذلك، وسيبويه، وأصحابه يجعلون لكل عامل معمولاً، ويقولون حذف معمول أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقول الكوفيين أرجح كما قد بسطته في غير هذا الموضع.

وعلى المذهبين فقوله:﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ يُخرج على هذا إما كونه يشهد قائماً بالقسط؛ فإن القائم بالقسط هو القائم بالعدل كما في قوله:﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[(٥)]؛ فالقيام

---

(١) انظر: جامع البيان، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على حاشيته (١/٢٣٠- ٢٣٢- ٥٦١)، (٢/٣٩٢)، (٦/٢٧٠-٢٧١).

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

(٤) سورة ق، الآية: ١٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٩.

بالقسط يكون في القول، وهو القول العدل، ويكون في الفعل))[١].

إلا أنه هنا رجح ما ذهب إليه البصريين: من أن "قائماً" حال من قوله " هو " والعامل فيها معنى النفي، أي: (لا إله إلا هو حال كونه قائماً بالقسط)، كما يقال: لا إله إلا هو وحده، وذلك: لما تضمنه من بلاغة المعنى، وشمولية الشَّهادة بتوحيد الله - ﷻ -، وعدله.

قال رحمه الله:((وإذا اعتبر القسط في الإلهية كان المعنى: " لا إله إلا هو قائماً بالقسط " أي: هو وحده الإله قائماً بالقسط فيكون وحده مستحقاً للعبادة مع كونه قائماً بالقسط كما يقال: أشهد أن لا إله إلا الله إلها واحداً أحداً صمداً، وهذا الوجه أرجح؛ فإنه يتضمن: أن الملائكة، وأولي العلم يشهدون له مع أنه لا إله إلا هو، وأنه قائم بالقسط، و"الوجه الأول" لا يدل على هذا؛ لأن كونه قائماً بالقسط كما شهد به أبلغ من كونه حال الشَّاهد))[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً مقصد شيخ الإسلام فيما ذهب إليه:

((مراده أنه إذا كان قوله:﴿ قَآيِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ حالاً من المشهود به، فهو كالصفة له، فإن الحال صفة في المعنى لصاحبها، فإذا وقعت الشهادة على ذي الحال، وصاحبها كان كلاهما مشهوداً به، فيكون الملائكة، وأولو العلم قد شهدوا بأنه قائم بالقسط، كما شهدوا بأنه لا إله إلا هو، والتقدير الأول لا يتضمن ذلك، فإنه إذا كان التقدير: شهد الله - "قائماً بالقسط" - أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم يشهدون أنه لا إله إلا هو: كان القيام بالقسط حالاً من اسم الله وحده، وأيضاً: فكونه قائماً بالقسط فيما شهد به أبلغ من كونه حالاً من مجرد الشَّهادة.

فإن قيل: فإذا كان حالاً من " هو " فهلا اقترن به؟ ولم فُصل بين صاحب الحال، وبينها بالمعطوف، فجاء متوسطاً بين صاحب الحال، وبينها؟

قلت: فائدته ظاهرة، فإنه لو قال: شهد الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط، والملائكة، وأولو العلم؛ لأوهم عطف الملائكة، وأولي العلم على الضمير في قوله:﴿ قَآيِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٧٥-١٧٦).

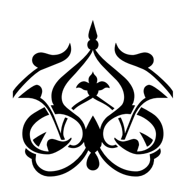
(٢) المصدر السابق (١٤/١٧٧).

يحسن العطف لأجل الفصل، وليس المعنى على ذلك قطعاً، وإنما المعنى على خلافه، وهو:"أن قيامه بالقسط مختص به، كما أنه مختص بالإلهية"، فهو وحده الإله المعبود المستحق العبادة، وهو وحده المجازي المثيب المعاقب بالعدل))[١].

وخلاصة القول أن كلا المعنيين صحيح، إلا أن الوجه المعتبر منهما هو ما ذهب إليه البصريون لبلاغته كما قال شيخ الإسلام، ووافقه عليه تلميذه ابن القيم، وذلك لما يلي:

أولا: تقدير المعنى على هذا الوجه أنه "هو" وحده الإله قائماً بالقسط فيكون وحده مستحقاً للعبادة مع كونه قائماً بالقسط؛ لأن كونه قائماً بالقسط كما شهد به أبلغ من كونه حال الشَّاهد.

ثانياً: تضمنه لشهادة الملائكة، وأولي العلم له أنه قائم بالقسط مع شهادتهم أنه لا إله إلا هو، و"الوجه الأول" لا يدل على هذا؛ وذلك أنه إذا كان حالاً من المشهود به فهو كالصفة له، فإن الحال صفة في المعنى لصاحبها، فإذا وقعت الشَّهادة على ذي الحال، وصاحبها كان كلاهما مشهوداً به، وفي هذا إثباتٌ لصفة قيامه - ﷻ - بالعدل، وتنزهه عن الظلم مع ما تصف به من الشَّهادة، والوحدانية، والله أعلم.



(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٢٦).

المطلب الثاني: ما تضمنته الشَّهادة لله ﷻ بالقيام بالعدل.

تتضمن شهادة الله – ﷻ – على قيامه بالعدل أموراً عديدة من أهمها:

أولاً: أنه – تعالى – قائم بالقسط في هذه الشَّهادة التي هي أعدل شهادة على الإطلاق، وإنكارها، وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من التوحيد، ولا أظلم من الشرك، فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشَّهادة قولاً، وفعلاً، حيث شهد بها، وأخبر، وأعلم عباده، وبين لهم تحقيقها، وصحتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثواب، والعقاب عليها، وجعل الأمر، والنَّهي من حقوقها، وواجباتها، فالدِّين كله من حقوقها، والثواب كله عليها، والعقاب كله على تركها.

وهذا هو العدل الذي قام به الرب – تعالى – في هذه الشَّهادة، فأوامره كلها تكميل لها، وأمر بأداء حقوقها، ونواهيه كلها صيانة لها عما يهضمها، ويضادها، وثوابه كله عليها، وعقابه كله على تركها، وترك حقوقها، وخلقه السَّماوات، والأرض، وما بينهما كان بها، ولأجلها، وهي الحق الذي خلقت به، وضدها هو الباطل، والعبث الذي نزه نفسه عنه.

فالحق الذي خلقت به السَّماوات، والأرض، ولأجله: هو التوحيد، وحقوقه من الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب، فالشَّرع، والقدر، والخلق، والأمر، والثَّواب، والعقاب قائم بالعدل، والتوحيد صادر عنهما، وهذا هو الصِّراط المستقيم الذي عليه الرب – سبحانه، وتعالى –، قال تعالى – حكاية عن نبيه هود – ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]؛ فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله، وفعله، فهو يقول الحق، ويفعل العدل جلَّ، وعلا ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

﴿ٱلسَّبِيلَ﴾[(١)]؛ فالصراط المستقيم - الذي عليه ربنا تبارك، وتعالى -: هو مقتضى التوحيد، والعدل، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٢)]؛ فهذا مثل ضربه الله لنفسه، وللصَّنم، فهو سبحانه الذي يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، والصَّنم مثل العبد الذي هو كَلٌّ على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير.

والمقصود: أن قوله تعالى: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ هو كقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقد تقدم أن قوله: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ نُصِبَ على الحال، ومن الأوجه في نصبه أنه حالٌ من الفاعل في "شهد الله "، والعامل فيها الفعل، والمعنى على هذا: "شهد الله حال قيامه بالقسط: أنه لا إله إلا هو"، ومعناه يتضمن :"شهد الله" متكلماً بالعدل، مخبراً به، آمراً به، فاعلاً له، مجازياً به أنه لا إله إلا هو، فإن العدل يكون في القول، والفعل، والمقسط هو العادل في قوله، وفعله، فشهد الله قائماً بالعدل قولاً، وفعلاً أنه لا إله إلا هو، وفي ذلك تحقيقٌ لكون هذه الشَّهادة شهادةُ عدلٍ، وقسطٍ، وهي أعدلُ شهادة، كما أن المشهودَ به أعدلُ شيء، وأصحه، وأحقه.

وإذا تقرر ذلك فهو سبحانه شهيدٌ على قيامه بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد، والعدل هما جماع صفات الكمال.

فالتوحيدُ يتضمن: تفرده سبحانه بالكمال، والجلال، والمجد، والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه. والعدلُ يتضمن: وقوع أفعاله كلها على السَّداد، والصواب، وموافقة الحكمة.

هذا هو توحيد الرُّسل، وعدلهم: إثباتُ الصِّفات، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإثبات القدر، والحكم، والغايات المطلوبة المحمودة بفعله، وأمره.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٦.

ثانياً: وتضمنت وضعه – جلّ، وعلا – للأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئاً منها إلا بمخصص اقتضى ذلك.

ثالثاً: كما تضمنت أنه سبحانه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يعاقب أَحداً بغير فعله، ولا يعاقبه على فعل غيره، ولا يعاقبه بترك ما لا يُقدر على فعله، ولا على فعل ما لا قدرة له على تركه، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقاً؛ فقد قال – تعالى – في محكم كتابه العظيم: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[١]، أي: لا يعاقب العبد بغير إساءة، ولا يحرمه ثواب إحسانه، ومعلوم أن ذلك مقدور له تعالى.

وهو نظير قوله: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٢]؛ فأخبر أنه ليس على أحد في وزر غيره شيء، وأنه لا يستحق إلا ما سعاه، وأن هذا هو العدل الذي نزه نفسه عن خلافه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[٣]، بين أن هذا العقاب لم يكن ظلماً من الله للعباد بل لذنوبهم، واستحقاقهم، ومعلوم أن المحال الذي لا يمكن، ولا يكون مقدوراً أصلاً لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته، ولا فعله، ولا يحمد على ذلك، وإنما يكون المدح بترك الأفعال لمن هو قادر عليها، وأن يتنزه عنها لكماله، وغناه، وحمده، وعلى هذا يتم قوله:((إني حرمت الظلم على نفسي))[٤]، وما شاكله من النصوص.

فتضمن قيامه – تبارك، وتعالى – بالقسط قيامه بالعدل في هذه الشَّهادة، ووضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئاً منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦.

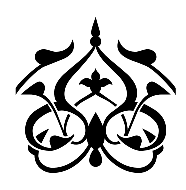
(٢) سورة النجم، الآيات: ٣٦ – ٣٩.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٣٠ – ٣١.

(٤) تقدم تخريجه ص: (١٥١)

من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقاً، وبالجملة تضمنت آية آل عمران، وهذه الشَّهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل، والعيب، ففيها الشَّهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة، والعلم، والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة [1].

هذه هي أبرز الأمور التي تضمنتها شهادته-تعالى- على قيامه بالعدل، كما قررها السَّلف – رحمهم الله- في مصنفاتهم.



(١) انظر: مدارج السالكين (٤٢٣/٣- ٤٢٤-٤٢٥)، ومفتاح دار السعادة (١٠٨/٢)، (وطريق الهجرتين ص (١٢٩) [بتصرف].

المطلب الثالث: لوازم الشهادة لله ﷻ بالعدل

ذكر السَّلف رحمهم الله لوازم عدة تتعلق بهذه الشَّهادة، وهي متفرقة في بطون الكتب تحتاج في الحقيقة إلى السَّبر، والاستقراء الجاد لاستخلاصها، وبيانها، وذلك لدخول عدله تعالى، وحكمته، وتعليل أفعاله في جميع أبواب الدين كما قال شيخ الإسلام رحمه الله:((وهذا الأصل دخل في جميع أبواب الدين؛ أصوله، وفروعه؛ في خلق الربِّ لما يخلقه، ورزقه، وإعطائه، ومنعه، وسائر ما يفعله تبارك، وتعالى، ودخل في أمره، ونهيه، وجميع ما يأمر به، وينهى عنه، ودخل في المعاد))[1].

وقال أيضاً:((العَدْل جِماعُ الدِّين، والحق، والخير كله))[2]، فمن لوازم شهادته – ﷻ – بالعدل إرسال الرُّسل، وإنزال الكُتب، وشرع الشَّرائع، وما تفرد به تبارك، وتعالى من الوحدانية، وكمال الصفات، ومنها كمال عدله، وعلمه، وحكمته، ورحمته، وقدرته، وإرادته، ومشيئته المتعلقة بأفعاله – ﷻ –، وتنزهه عن الظلم، – وقد تقدم –، وغير ذلك من اللَّوازم، وفيما يلي بيان لما استلزمته شهادته – ﷻ – بالعدل:

أولاً: إرسال الرُّسل، وإنزال الكُتب، وشرع الشَّرائع:

تضمنت حكمة الرب – تبارك، وتعالى –، وعدله، وفضله، ورحمته أنه لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه ببعثه لرسله – عليهم الصلاة، والسَّلام –، وإنزال كُتبه، وشَرع شَّرائعه، وأيَّدهم بالمعجزات الدَّالة على صدقهم، وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد، والشَّريعة، فكل ما قالوه صدق، وكل ما فعلوه حق لا ريب فيه[3]، لا حجة للخلق على الخالق – ﷻ – بعد هذه الإقامة الربانية أن يقولوا: ما جاءنا من نذير، ولا كتاب منير.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ

(١) النبوات لابن تيمية (٤٦٧/١-٤٦٨).

(٢) انظر: الاستقامة (٤٣٤/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٢/٢٢).

(٣) انظر: التبصير في الدين، لأبي المظفر طاهر الأسفراييني ص(١٧١)، [بتصرف].

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[(١)]،وقال سبحانه:﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[(٢)]، وقال جلَّ وعلا:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٣)].

وقال تعالى:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[(٤)].

والآيات في هذا كثيرة يطول حصرها، والمقصود أن شهادة الله – ﷻ – على عدله – تبارك، وتعالى– مستلزمة لإرساله الرُّسل، وإنزال الكتب، وشرع الشَّرائع فليس بعد هذا البيان الإلهي من بيان، وليس بعدها للخلق من حُجة.

وقد حكم سبحانه لأعدائه بأربعة أحكام هي غاية العدل، والحكمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[(٥)].

أحدها: إن هدى العباد بالإيمان، والعمل الصالح لنفسه لا لغيره.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

(٣) السورة نفسها، الآية: ٢١٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

الثاني: أن ضلاله بفوات ذلك، وتخلفه عنه على نفسه لا على غيره.

الثالث: أن أحداً لا يؤاخذ بجريرة غيره.

الرابع: أنه لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه برسله.

فتأمل ما في ضمن هذه الأحكام الأربعة من حكمته تعالى، وعدله، وفضله، والرد على أهل الغرور، والأطماع الكاذبة، وعلى أهل الجهل بالله، وأسمائه، وصفاته، ونظيرها قوله ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[(١)]؛ فهاتان آيتان مُحكمتان يقتضيهما عدل الرَّب – تعالى –، وحكمته، وكماله المقدس، والعقل، والفطرة شاهدان بهما:

فالأول: تقتضي أنه لا يعاقب بجرم غيره، **والثانية**: تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، وسعيه. فالأولى: تُؤَمن العبد من أخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا، والثانية: تَقْطع طمعه من نجاته بعمل آبائه، وسلفه، ومشايخه كما عليه أصحاب الطمع الكاذب فتأمل حسن اجتماع هاتين الآيتين[(٢)].

ثانياً: تفرده تبارك، وتعالى بالوحدانية في الربوبية، والألوهية، والأسماء، والصفات.

وهذا الأمر مُسلمٌ به بلا شك، فإنَّ الخالقَ لكُل شيءٍ المالك لكل شيءٍ المدبرُ لكل شيءٍ، هو الفعَّال لما يريد، وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي شهد بوحدانيته، وعدله، فشهد سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد، والعدل هما جماع صفات الكمال؛ فإن التوحيد يتضمن: تفرده سبحانه بالكمال، والجلال، والمجد، والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن: وقوع أفعاله كلها على السَّداد، والصَّواب، وموافقة الحكمة؛ فهذا توحيد الرُّسل، وعدلهم: إثبات الصفات، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإثبات القدر، والحكم، والغايات المطلوبة المحمودة بفعله، وأمره، فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل، وله العزة، والحكمة، وهذه الأربعة كما تقدم من قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٨ – ٣٩.

(٢) انظر: الروح ص(١٢٧) [بتصرف].

إنما يثبتها السَّلف، وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السُّنة، فقد نقص الرَّب بعض حقه[١].

وقال ابن الوزير اليماني[٢] رحمه الله:((فجعل القِسْط الذي هو العدل مما هو لازم لتوحيده في الإلهية، ومما هو قائم به، ومما شهد به لنفسه، وشهد له به خواص خلقه، وأهل معرفته))[٣].

ثالثاً:كمال صفاته عز وجل، ومنها العدل، والحكمة، والرحمة، والإرادة، والمشيئة، والعلم، والقدرة، وتنزهه عن ما يناقضها.

مما هو متقرر في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ، وعقيدة السَّلف أن الرب تبارك، وتعالى لم يخلق الخلق سدى، ولم يتركهم هملاً مهملاً كما في قوله سبحانه:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[٤]،وقوله:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[٥]، وقوله:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٦].

بل خلقهم لغاية عظيمة، وحكمة جليلة هي عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه كما قال جلَّ جلاله:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٧].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٢٣-٤٢٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١١/٨)، و(٣١٠/١٤)، والحسنة والسيئة ص(٧٦).

(٢) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، ابن الوزير اليماني من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن، ولد في هجرة الظهران سنة ٧٧٥، ومات بصنعاء، سنة ٨٤٠ هـ، له كتب نفائس، منها ((إيثار الحق على الخلق))،و ((تنقيح الأنظار في علوم الآثار)) في مصطلح الحديث، و((العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم)) في ثلاثة مجلدات، ومختصره ((الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)) في مجلدين، و((ترجيح أساليب القرآن على قوانين المبتدعة واليونان))، انظر في ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسَّخاوي (٢٧٢/٦)، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة (٢١٠/٨- ٢١١).

(٣) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير اليماني (٣٢٧/١).

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥- ١١٦.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٣.

(٦) السورة نفسها، الآية: ٣٦.

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

فاقتضت حكمته الإقرار، والإيمان به وحده لا شريك له، وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(١)]. تضمنٌ لإثبات صفة الحكمة، والعلم اللذين هما مصدر الخلق، والأمر، فجميع ما خلقه سبحانه صادر عن علمه، وحكمته، وكذلك أمره، وشرعه مصدره عن علمه، وحكمته.

والعلم، والحكمة متضمنان: لجميع صفات الكمال.

فالعلم يتضمن: الحياة، ولوازم كمالها من القيومية، والقدرة، والبقاء، والسَّمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام.

والحكمة تتضمن: كمال الإرادة، والعدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال، وإثبات الثواب، والعقاب.

كل هذا العلم من اسمه الحكيم كما هي طريقة القرآن في الاستدلال على هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة، والإنكار على من يزعم أنه خلق الخلق عبثاً، وسُدى، وباطلاً فحينئذ صفة حكمته تتضمن الشَّرع، والقدر، والثواب، والعقاب، ولهذا كان أصح القولين أن المعاد يُعلم بالعقل، وأن السَّمع ورد بتفصيل ما يدل العقل على إثباته.

ومن تأمل طريقة القرآن، وجدها دالة على ذلك، وأنه سبحانه يضرب لهم الأمثال المعقولة التي تدل على إمكان المعاد تارة، ووقوعه أخرى، فيذكر أدلة القدرة الدالة على إمكان المعاد، وأدلة الحكمة المستلزمة لوقوعه[(٢)].

فلا بد أن يعلم العبد بأن الله – سبحانه، وتعالى – حكيم في جميع أفعاله، وحقيقة الحكمة في أفعاله سبحانه، وتعالى وقوعها موافقة لعلمه، وإرادته، وهو الحكمة في أفعال الحكماء في الشَّاهد؛ لأن من فعل فعلاً لا يقع على موافقة إرادته يُقال: إنه لم يرتبه على حكمة منه فيه فإذا حصل مراده فيه يُقال: إنه حكيم في فعله، ولا يمكن أن يُقال – في شيء من أفعاله –: أنه كان ينبغي أن يوقعه على خلاف ما أوقعه؛ لأنه يتصرف في ملكه، ومن تصرف في ملكه

---

(١) السورة السابقة، الآية: ٣٠.

(٢) انظر: الرسالة التبوكية، لابن القيم ص (٦٩–٧٠) [بتصرف].

لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله، ولهذا قلنا: إن شيئاً من أفعاله لا يكون ظلماً، وأنه سبحانه يستحيل الظلم في وصفه؛ لأنه لا يتصرف في غير ملكه، ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله، ومن تصرف في ملكه فليس بظالم في أفعاله قال الله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[(٢)]

وقال سبحانه، وتعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[(٣)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((والربّ تعالى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وخير الراحمين، والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ومن تدبّر حكمته في مخلوقاته، ومشروعاته رأى ما يُبهر العقول؛ فإنّه مثلاً خلق العين، واللسان، ونحوهما من الأعضاء لمنفعة، وخلق الرِّجل، والظفر، ونحو ذلك لمنفعة، فلا تقتضي الحكمة أن يستعمل العين، واللسان حيث يستعمل اليد، والرجل، والظفر، ولا أن يستعمل الرجل، واليد حيث يستعمل العين، واللسان، وهذا من حكمته موجود في أعضاء الإنسان، وسائر الحيوان، والنبات، وسائر المخلوقات، فكيف يجوز في حكمته، وعدله، ورحمته في مَنْ هو دائماً يفعل ما يُرضيه من الطاعات، والعبادات، والحسنات، وقد نظر نظرة منهيّاً عنها، أن يُعاقبه على هذه النظرة بما يُعاقب به أفجر الفُسّاق، وأن يكون أفجر الفُسّاق في أعلى عليّين، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يُريد.

لكن لا يشاء إلا ما يُناسب حكمته، ورحمته، وعدله، كما لا يشاء، ويُريد إلا ما علم أنّه سيكون))[(٤)].

وقال أيضاً: ((أمَّا علمه: فما علم أنه سيكون، فلا بد أن يكون، وما علم أنه لا يكون، فلا يكون، وهذا مما يعترف به جميع الطوائف، إلا من ينكر العلم السَّابق؛ كغلاة القدرية الذين

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: التبصير في الدين ص(١٦٨-١٦٩) [بتصرف].

(٤) النبوات (١/٤٧٣-٤٧٤).

تبرأ منهم الصحابة))[١].

وقال أيضاً:((والتحقيق: أنَّ الرب يخلق بمشيئته، وقدرته، وهو موجب لكلِّ ما يخلقه بمشيئته، وقدرته، ليس موجباً بمجرّد الذَّات، ولا موجباً بمعنى أنّ موجبه يقارنه؛ فإنَّ هذا ممتنع؛ فهذان معنيان باطلان، وهو قادرٌ يفعل بمشيئته؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فما شاءه وجب كونه، وما لم يشأ امتنع كونه))[٢].

رابعاً: نَصْب الميزان يوم القيامة للحساب:

ومن لوازم شهادته جَلَّ، وعلا بالعدل نصبه للميزان الحقيقي لوزن مقادير الخلائق يوم القيامة بالحق فلا تُظلم نفسٌ شيئاً، وهو ثابت بالكتاب، والسُّنة.

قال تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٣].

ومن السُّنة أحاديث كُثُر منها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة – ﵁ –، قال: قال النبي ﷺ:((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))[٤].

وقد أجمعت الأمة على الإيمان بثبوته، ووقوعه في ذلك اليوم العظيم.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني ﵀ قال أبو إسحاق الزّجاج﵀:((أجمع أهل السُّنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان، وكفّتان، ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب، والسُّنة؛ لأن الله – تعالى – أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة فيكونوا على

---

(١) المصدر السابق (٢/٩١٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/٩١١).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، (٩/١٦٢)، برقم(٧٥٦٣).

أنفسهم شاهدين))[١].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله بعد ذلك-: ((والرَّاجح ما ذهب إليه الجمهور[٢]))[٣].

وقال الإمام السَّفاريني رحمه الله:((والحاصل أن الإيمان بالميزان - كأخذ الصُّحف - ثابت بالكتاب، والسُّنة، والإجماع))[٤].

وقد قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها[٥]، وهذا من كمال العدل.

خامساً: حصول الثواب، والعقاب الأُخروي:

وهما مقتضى حكمة، وملك الرَّب، وحمده؛ فثوابه تعالى لمن أطاعه، وعقابه لمن عصاه، من كمال عدله، وشمول رحمته، فلا يظلم ربك أحداً، ورحمته، وسعت كل شيء، فقد بين الثواب، والعقاب بعد بعثه للرسل - عليهم الصلاة، والسَّلام -، وأنزل معهم الكتب تبياناً لكل شيء.

وقد أخبر الله - تبارك، وتعالى - في كتابه العزيز أنه في ذلك اليوم العظيم:﴿ **تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا** ﴾[٦] فيجد الطائع الثواب، ويجد الفاسق العذاب، ويجد المؤمن لذة الوصال بالنَّظر إلى الكبير المتعال

---

(١) انظر: فتح الباري (٥٣٩/١٣).

(٢) أي: قول أهل السُّنة، والجماعة الموافق للكتاب، والسُّنة هو الحق، فإن الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك، فإنك أنت حين إذن الجماعة فخليل الله إبراهيم- عليه السلام - كان في مقام الأمة وحده على التوحيد قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، [النحل:١٢٠]، كيف، والحالة هذه، وهم الجمهور، والسَّواد الأعظم؟ فلا عبرة بعد قولهم لمن شذ فإن الشَّاذ لا حكم له، كما أن من فارق الجماعة التي على الحق مات ميتة جاهلية، والله تعالى أعلم.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) لوامع الأنوار البهية، للسَّفاريني (١٨٤/٢).

(٥) انظر: المصدر نفسه [بتصرف يسير].

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

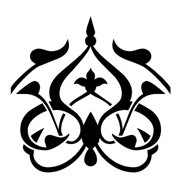
في دار الخُلد، والجلال، ويجد الكافر العذاب، والنَّكال، والسَّلاسل، والأغلال، والجحيم، والخبال، وفظاعة الأهوال يجد المؤمن النَّعيم، والكرامة، والأمن في القيامة، والعافية، والسَّلامة، والحلول في دار المقامة، ويجد الكافر الخزي، والنَّدامة، والعذاب، والملامة يجد المؤمن الدرجات، ويجد الكافر العقوبات، يجد المؤمن السُّرور، ويجد الفاجر الثبور يجد المؤمن النعيم والخلود، ويجد الفاجر عذاباً غير مردود، ويجد المؤمن ما قدم من الإحسان في درجات الجنان في جوار الرحمن مع الخيرات الحسان، ويجد الفاجر ما عمل من العصيان في سموم النيران في جوار الشَّيطان مع الذُّل، والهوان في يوم هائل عظيم يوم تكثر فيه الغُموم، وتعظم فيه الهموم، ويفصل الرب بين عباده، وهو الحي القيوم[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ((وتظهر حكمة الثواب، والعقاب في دار الجزاء، وكلاهما من الحق الذي خلق الله السَّماوات، والأرض به، ومن أجله، وهما مقتضى مُلك الرَّب، وحمده؛ فلا بد أن يظهر ملكه، وحمده فيهما كما ظهر في خلق السَّماوات، والأرض، وما بينهما، وأوجب ذلك في حكمته، ورحمته، وعدله بحكم إيجابه على نفسه أن أرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه ليتم ما اقتضته حكمته في خلقه، وأمره، وأقام سوق الجهاد لما حصل من المعاداة، والمنافرة بين هذه الأخلاق، والأعمال، والإرادات كما حصل بين من قامت به، فلم يكن بُدٌّ من حصول مقتضى الطباع البشرية، وما قارنها من الأسباب من التنافس، والتحاسد والانقياد لدواعي الشَّهوة، والغضب، وتعدي ما حد له، والتقصير عن كثير مما تعبد به، وسَهَّل ذلك عليها اغترارها بموارد المعصية مع الإعراض من مصادرها، وإيثارها ما تتعجله من يسير اللذة في دنياها على ما تتأجله من عظيم اللذة في أخراها، ونزولها على الحاضر المشاهد، وتجافيها عن الغائب الموعود، وذلك موجب ما جبلت عليه من جهلها، وظلمها؛ فاقتضت أسماء الرب الحسنى وصفاته العليا، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، ورحمته الشاملة، وجوده الواسع أن لا يضرب عن عباده الذِّكرَ صفحاً، وأن لا يتركهم سُدى، ولا يخليهم، ودواعي أنفسهم، وطبائعهم، بل ركب في فطرهم، وعقولهم معرفة الخير، والشَّر، والنَّافع، والضَّار، والألم، واللَّذة، ومعرفة أسبابها، ولم يكتف بمجرد ذلك حتى عرفهم به مفصلاً على ألسِنَة رُسله، وقَطَعَ

(١) انظر: بستان الواعظين، لابن الجوزي ص (٩٢)، [بتصرف].

معاذيرهم بأن أقام على صدقهم من الأدلةِ، والبراهين ما لا يبقى معه لهم عليه حُجة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حَيَّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم، وصَرَّفَ لهم طُرق الوعد، والوعيد، والترغيب، والترهيب، وضرب لهم الأمثال، وأزال عنهم كُل إشكال، ومكَّنَهم من القيام بما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه غاية التَّمكين، وأعانهم عليه بِكل سبب، وسَلَّطهم على قهر طباعهم بما يجرهم إلى إيثار العواقب على المبادئ، ورفض اليسير الفاني من اللذة إلى العظيم الباقي منها، وأرشدهم إلى التفكير، والتدبر، وإيثار ما تقضي به عقولهم، وأخلاقهم من هذين الأمرين، وأكمل لهم دينهم، وأتم عليهم نعمته بما أوصله إليهم على أَلسِنة رُسله من أسباب العقوبة، والمثوبة، والبِشَارة، والنِّذَارَة، والرَّغبةِ، والرَّهبة، وتحقيق ذلك بالتَّعجيل لبعضه في دار المحنة ليكون عَلَمَاً، وإمارة لتحقيق ما أَخَّرَهُ عنهم في دار الجزاء، والمثوبة، ويكونَ العاجلُ مُذكِراً بالآجل، والقليلُ المنقطعُ بالكثيرِ المتصل، والحاضرُ الفائتُ مؤذناً بالغائب الدائم، فتبارك الله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، - وسبحانه، وتعالى - عما يظنه به من لم يقدره ممن أنكر أسماءه، وصفاته، وأمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وظنَّ به ظن السُّوء فأرداه ظَنُّه فأصبح من الخاسرين))[1].

وبناء على ما تقدم فشهادة الله - ﷻ - على عدله مستلزمة لحكمته البالغة، ورحمته الشاملة بخلقه، وذلك من تمام عدله، وكماله، والله تعالى أعلم.



(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٢/٧٢-٧٣).

المطلب الرابع: الرد على المشركين المنكرين لهذه الشَّهادة

تقدم معنا أن شهادة الله – ﷻ – في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ متضمنة للدَّلالة على، وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته البالغة المنافية للجهل، والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة، والعلم، والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.

وقد ضل في إثباتها أهل الشرك، وسائر طوائف أهل البدع من المعطلة، ولم يقم بها إلا أهل السُّنة.

فأهل الشِّرك: منكرون لها جملةً، وتفصيلاً، وقد رد الله – تبارك، وتعالى – عليهم في أكثر ما آية من كتابه العزيز من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

قال الإمام البغوي رحمه الله :((قال ابن عباس: لا لثواب، ولا لعقاب ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ يعني: أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما – السَّماء، والأرض – خلقاً لغير شيء، وأنه لا بعث، ولا حساب ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة من الخير ما يعطون، فنزلت هذه الآية))[2].

فرد عليهم – تبارك، وتعالى – في إنكارهم لخلق السَّموات، والأرض بالحق، وحصول البعث بعد الموت، وما في الآخرة من الحساب، والثواب، والعقاب، والجزاء بالجنة، أو النار مما هو من كمال عدله – بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ﴾، وبقوله : ﴿ أَمْ

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٧.

(٢) معالم التنزيل (٧/٨٧).

نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾[(١)]، وبقوله: ﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾[(٢)]، وبقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[(٣)]، وبقوله جلَّ، وعلا: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[(٦)]، وهذا كثيرٌ في القرآن.

والمراد بالحق الذي خُلقت به، السَّماوات، والأرض ولأجله: هو التوحيد، وحقوقه من الأمر، والنهي، والثواب والعقاب، فالشرع، والقدر، والخلق والأمر، والثواب، والعقاب قائم بالعدل، والتوحيد صادر عنهما، وهذا هو الصراط المستقيم الذي عليه الرب سبحانه، وتعالى، قال تعالى – حكاية عن نبيه هود –: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[(٧)]؛ فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله، وفعله،

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ١ – ٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥.

(٤) سورة الروم، الآية: ٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآيات: ١٦ – ١٨.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٣٨.

(٧) سورة هود، الآية: ٥٦.

فهو يقول الحق، ويفعل العدل جلَّ، وعلا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1] ، وقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[2]؛ فالصِّراط المستقيم – الذي عليه ربنا تبارك، وتعالى –: هو مقتضى التوحيد، والعدل، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]؛ فهذا مثل ضربه الله لنفسه، وللصنم، فهو سبحانه الذي يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، والصنم مثل العبد الذي هو كَلٌّ على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، فقوله تعالى: ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ هو كقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

كما أن عدله قد عم خلقه فيما قضاه، وقدره عليهم فلا يتصرف في تلك النواصي إلا بالعدل، والحكمة والمصلحة، والرحمة لا يظلم أصحابها، ولا يعاقبهم بما لم يعلموه، ولا يهضمهم حسنات ما عملوه فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله، وفعله، يقول الحق، ويفعل الخير، والرُّشد، وقد أخبر سبحانه أنه على الصراط المستقيم في سورة هود، وفي سورة النحل؛ فأخبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصي التي هي في قبضته، وتحت يده– كما تقدم –، وأخبر في النَّحل أنه يأمر بالعدل، ويفعله[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٦.

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٢٤) .

(٥) انظر: شفاء العليل ص (٢٧٥–٢٧٦)، وقال رحمه الله:((وقد زعمت الجبرية: أن العدل هو المقدور، وزعمت القدرية: أن العدل إخراج أفعال الملائكة، والجن، والإنس عن قدرته، وخلقه، وأخطأ الطائفتان جميعاً في ذلك، والصواب: أن العدل وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها، وإنزالها منازلها كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقد تسمى سبحانه بالحكم العدل...)) انظر: المصدر نفسه.

والمقصود هو الرَّد على المشركين في إنكارهم لشهادة الله ﷻ على وحدانيته، وعدله.

أما طوائف أهل البدع من المعطلة: فالفلاسفة هم أشد النَّاس إنكاراً، وجحوداً لمضمونها، من أولها إلى آخرها، وكذلك طوائف الاتحادية[١]: هم أبعد خلق الله عنها من كل وجه.

وطائفة الجهمية[٢]: تُنكر حقيقتها، وقد رد عليهم السَّلف - بالكتاب، والسُّنة، والعقل الصحيح - رداً وافياً بما يدحض شبهاتهم، وأصولهم المبتدعة في إنكار شهادة الله - تعالى - على وحدانيته، وعدله.

فهذه الشَّهادة العظيمة لله - ﷻ - بالتوحيد، والعدل: كل هؤلاء هم بها غير قائمين، وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه، ورده، كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون، ورده، وهي مبطلة لقول طائفتي الشرك، والتعطيل، ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً[٣]، والله أعلم.

---

(١) الاتحادية: هم أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود من الصوفية، والاتحاد هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي لكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث أنه له وجوداً خاصاً اتحد به؛ فإنه محال، أي: أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة، هو عين وجود الحقِّ الواجب، ويسمون أهل الوحدة، ومعنى ذلك بزعمهم: أن الله ﷻ حل في شيء من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين ببعضهما، كالماء في الورد، وهذه عقيدة فاسدة باطلة، وكفر بالله، وتكذيب لأدلة الشرع، ومخالفة لأدلة العقل، والفطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته بائنٌ عن خلقه، انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٠- ٣٤)، وبغية المرتاد لابن تيمية ص (١٩٨)، و(٣٩٥- ٤٠٨)، ومعجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني ص (٤٩)، والكليات فصل الألف والتاء، ص(٣٧).

(٢) الجهمية: هم المنتسبون إلى الجهم بن صفوان أبي محرز مولى بني راسب الخراساني تلميذ الجعد بن الدرهم، والجهمية تطلق، ويراد بها المعنى العام؛ أي: نفاة الصفات عن الله تعالى، أو المعنى الخاص؛ أي: أتباع الجهم بن صفوان، ومن آرائهم: نفي الصفات عن الله وتعطيلها، والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة، والنار، وإنكار الرؤية، والكلام، والقول بخلق القرآن، وغير ذلك من معتقداتهم الباطلة انظر: الفصل (٥/٧٣)، والملل والنحل، للشهرستاني(١/٩٧-٩٩)، والفَرق بين الفِرق، لعبد القاهر البغدادي (ص١٥٨- ١٥٩)، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/٣٣٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٨١)، النبوات (١/٣٣٣)، جامع الرسائل (١/١٢٥)، مدارج السالكين (٣/٢٢٧- ٢٢٩) [بتصرف].



الفصل الثالث

شهادة الله ﷻ على القرآن الكريم، والكتب المنزلة، وأعمال العباد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: شهادة الله ﷻ على القرآن الكريم.

المبحث الثاني: شهادة الله ﷻ على الكتب المنزلة.

المبحث الثالث: شهادة الله ﷻ على كل شيء.

المبحث الرابع: شهادة الله ﷻ على أعمال العباد يوم القيامة.

المبحث الأول
شهادة الله ﷻ على القرآن الكريم

شهد الله – تعالى –، وأثنى على كتابه العزيز في آيات كثيرة مما يدل على عظمته فوصفه "بالعظيم" في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[١]، ووصفه "بالكريم" في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[٢]، وبالكتاب المبارك فقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٣]، وبركة هذا الكتاب تمتد، وعطاؤه نامٍ لا ينفذ حتى يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، كما وصفه في أم الكتاب بأنه "عليٌّ حكيم" في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٤].

فهذه شهادة من الله – تعالى – بعلو شأن القرآن، وحكمته، ولا ريب أن من عظمة القرآن أنه "عليٌّ" في محله، وشرفه، وقدره، فهو عال على جميع كتب الله – تعالى –، بسبب كونه مُعجزاً باقياً على وجه الدهر.

ومعنى الحكيم: المنظوم نظماً متقناً لا يعتريه أي خلل في أي وجه من الوجوه، فهو حكيم في ذاته حاكم على غيره.

والقرآن "حكيم" كذلك فيما يشتمل من الأوامر، والنواهي، والأخبار، وليس فيه حكم مخالف للحكمة، والعدل، والميزان[٥].

كما شهد الله – تبارك، وتعالى – على كتابه الكريم بأنه الحق فقال في محكم التزيل :

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٥) انظر: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السّماوية، لعَلي محمد الصَّلاَّبي ص(٧-٨)، [بتصرف].

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله :((أي: إن القرآن حقٌ...فإن الله شهيد في القرآن بما أخبر به؛ فآمن به المؤمن، ثم أراهم في الآفاق، وفي أنفسهم من الآيات ما يدل على مثل ما أخبر به في القرآن فبينت لهم هذه الآيات أن القرآن حق مع ما كان قد حصل لهم قبل ذلك، وقال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[٢]، فالآيات المخلوقة، والمتلوة فيها تبصرة، وفيها تذكرة: تبصرة من العمى، وتذكرة من الغفلة؛ فيُبصِّر من لم يكن عرف حتى يعرف، ويُذكِّر من عرف، ونسي، والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة، ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعاني، ويزداد علمه))[٣].

فأخبر سبحانه – وخبره الصدق، وقوله الحق – في قوله:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أنه لابد أن يُرِىَ العباد من الآيات الأفقية، والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق، فشهد سبحانه لرسوله بقوله: أن ما جاء به حق، ووعده أن يُري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك، وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيء، فقال:﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، فإن من أسمائه الشَّهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السَّماء، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله، وهذا استدلال بأسمائه، وصفاته، والأول استدلال بقوله، وكلماته، والاستدلال بالآيات الأفقية، والنَّفسية استدلال بأفعاله، ومخلوقاته.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة ق، الآيات: ٦– ٨.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٢٣٦)، والإيمان لابن تيمية ص(١٨٦) [باختصار].

وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ ﴾[(١)]، فيه من الخبر عن علم الله الذي لا يعمله غيره: من أعظم الشَّهادة بأنه هو الذي أنزله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(٢)]، وليس المراد مجرد الإخبار بأنه أنزله – وهو معلوم له، كما يعلم سائر الأشياء، فإن كل شيء معلوم له من حق وباطل –، وإنما المعنى: أنزله مشتملاً على علمه، فنزوله مشتملاً على علمه هو آية كونه من عنده، وأنه حق، وصدق، ونظير هذا قوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[(٣)] ذكر ذلك سبحانه تكذيباً، ورداً على من قال: افتراه.

ومن شهادته أيضاً: ما أودعه في قلوب عباده: من التَّصديق الجازم، واليقين الثابت، والطمأنينة بكلامه ووحيه، فإن العادة تحيل حصول ذلك بما هو من أعظم الكذب، والافتراء على رب العالمين، والإخبار عنه بخلاف ما هو عليه من أسمائه، وصفاته، بل ذلك يوقع أعظم الريب، والشك، وتدفعه الفطر، والعقول السليمة، كما تدفع الفطر – التي فطر عليها الحيوان – الأغذية الخبيثة الضارة التي لا تغذي، كالأبوال، والأنتان، فإن الله سبحانه فطر القلوب على قبول الحق، والانقياد له، والطمأنينة به، والسكون إليه، ومحبته، وفطرها على بغض الكذب، والباطل، والنفور عنه، والريبة به، وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه، ولما سكنت إلا إليه، ولا اطمأنت إلا به، ولا أحبت غيره، ولهذا ندب الله – ﷻ – عباده إلى تدبر القرآن، فإن كل من تدبره أوجب له تدبره علما ضرورياً، ويقيناً جازماً: أنه حق، وصدق، بل أحق كل الحق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣– ١٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦.

وأبرهم، وأكملهم علماً وعملاً، ومعرفة، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(٢)]، فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان، وعلمت علما ضرورياً يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية – من الفرح، والألم، والحب، والخوف – أنه من عند الله، تكلم به حقاً، وبلغه رسوله جبريل عنه إلى رسوله محمد، فهذا الشَّاهد في القلب من أعظم الشواهد، وبه احتج هرقل على أبي سفيان حيث قال له: "فهل يرتد أحد منهم سُخطة لدينه، بعد أن يدخل فيه؟ فقال: لا، فقال له: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب لا يسخطه أحد"[(٣)]، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[(٤)] ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٥)]، ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾[(٦)]، وقوله: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٧)]، ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾[(٨)]، يعني: أن الآية التي يقترحونها لا توجب هداية، بل الله هو الذي يهدي ويضل، ثم نبههم على أعظم آية وأجلها، وهي: طمأنينة قلوب

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (٨/١)، برقم (٧)، كما أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، (١٣٩٣/٣)، برقم (١٧٧٣).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الحج، الآية: ٥٤.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٦.

(٧) سورة الرعد، الآية: ١٩.

(٨) السورة نفسها، الآية: ٢٧.

المـؤمنين بـذكره الـذي أنزلـه، فقـال:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[١]، أي: بكتابـه وكلامـه:﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[٢]؛ فطمأنينـة القلـوب الصـحيحة، والفطر السليمة به، وسكونها إليه من أعظم الآيات؛ إذ يستحيل في العادة أن تطمئن القلوب، وتسكن إلى الكذب، والافتراء، والباطل[٣].

وقد أخبر الله – تعالى– عن نفسه الكريمة أنه أرسل رسوله محمداً – ﷺ – بالهدى، ودين الحق إلى جميع أهل الأرض، عربهم، وعجمهم، أميهم، وكتابيهم، وبعثه بالبينات، والفرق بين الحق، والباطل.

وقد وصف – سبحانه –كتابه بأنه قولٌ فاصلٌ بين الحق، والباطل في قوله :﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾[٤]، قال الإمام الطبري رحمه الله :((إن هذا القول، وهذا الخبر لقولٌ فصل: يقول: لقول يفصل بين الحقِّ، والباطل ببيانه،...وما هو باللَّعب، ولا الباطل))[٥].

وقال الإمام البخاري رحمه الله في قوله:((﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾ حقٌ ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ باللعب))[٦].

ومن شهادته – تبارك، وتعالى – على كتابه العظيم شهادته — جلَّ، وعلا – بما أخبر به من هدايته للمتقين إلى الحق القويم، والصراط المستقيم من الضلالة قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[٧]، أي: هداية دلالة، وإرشاد إلى امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه.

---

(١) السورة السابقة، الآية: ٢٨.

(٢) السورة، والآية نفسها.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٣٢-٤٣٨)، [باختصار].

(٤) سورة الطارق، الآيتان: ١٣- ١٤.

(٥) جامع البيان (٢٤/٣٦٢).

(٦) صحيح البخاري (٩/١٤٣).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢.

ومن شهادته – ﷻ – أنه منزلٌ غير مخلوقٍ فيه تبيانٌ لكل شيءٍ، ويهدي للتي هي أقوم، وهدىً، ورحمةً، وبشرى للمؤمنين، والمسلمين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٢)].

وأخبر – تعالى – عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[(٣)]، أي: طرق النَّجاة، والسَّلامة، ومناهج الاستقامة ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٤)]، أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة [(٥)].

فهو الحقُ، والنورُ، والقولُ الفصلُ لا الهزلِ أحسنُ حديثٍ أنزلَ من الكتاب، وأوثقُ ما يُتوصل به إلى النَّجاة من الأسباب.

والقرآن محكم الآيات أي: متقن، فهو متقن من كل وجه؛ أخباره محكمة ليس فيها كذب؛ أحكامه محكمة ليس فيها جور؛ دلالاته أو مدلولاته محكمة ليس فيها تناقض.

وليُعلم أن الله – تعالى –، وصف القرآن كله بأنه محكم، وبأنه حكيم، ووصفه كله بأنه متشابه، ووصفه بأن بعضه متشابه، وبعضه محكم، فهذه ثلاث صفات.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ – ١٦.

(٤) السورة نفسها، الآية:١٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٦٧-٦٨)، [بتصرف يسير].

وصفه بأنه محكم في قوله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾[2]، ووصفه بأنه متشابه في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[3]، وهذه الآية الشَّريفة عرَّفت النَّاظر المراد بالمتشابه فيها بقوله مثاني تكرار الآيات، والقصص، والحسن، والوقع في عدة مواضع فيشبه بعضه بعضاً في قصصه، ومعانيه، وألفاظه، ومبانيه، وحسنه، ووقعه، والصدق، فبعضه يصدق بعضاً، مصونٌ عن النَّسخ جُملةً، والتبديل محفوظٌ عما وقع في التوراة، والإنجيل لقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

ووصفه بأن بعضه محكم، وبعضه متشابه في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[5]، ولكل من هذه الأوصاف وجه.

أما وصف كونه محكماً؛ فلأن القرآن كله متقن، لا يكذب بعضه بعضاً، ولا يناقض بعضه بعضاً، وليس فيه شيء من الباطل ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[6].

وأما وصفه كله بأنه متشابه؛ فلأنه يشبه بعضه بعضاً في الكمال، والجودة، والمنافع العظيمة، وإن كان يتفاوت في هذا الوجه لكنه يشبه بعضه بعضاً، والتفاوت باعتبار المتكلم به ممنوع؛ لأن المتكلم به واحد، وهو الله، وأما باعتبار مدلول الكلام؛ فإن الاختلاف بينه واقع، فأعظم سورة في كتاب الله الفاتحة، وأعظم آية فيه آية الكرسي، و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[7] تعدل

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ١– ٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٧) سورة الإخلاص، الآية: ١.

ثلث القرآن، وليست السورة التي قبلها بمنزلتها في الدلالة العظيمة، فسورة تبت ليست في موضوعها ومدلولها كسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إذا هو متشابه من حيث الكمال، والجودة فكله كامل، وكله على غاية ما يكون من الجودة، وأما وصف بعضه بأنه محكم، وبعضه بأنه متشابه؛ فأرجح الأقوال فيها أن المحكم ما اتضح معناه، والمتشابه ما خفي معناه؛ لأنه يشتبه على بعض الناس دون بعض، ولكن الذين أتاهم الله العلم يردون هذا المتشابه الخفي المعنى إلى المحكم الواضح، فيكون القرآن كله واضحاً بهذا الاعتبار.

ولكن لو قال قائل: كيف نطلق على القرآن كله أنه محكم مع أن الله قال في كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[(١)]، فجعل منه آيات محكمات، وجعل منه أخر متشابهات؟.

والجواب: أن الله قال في المحكمات: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: مرجع الكتاب، فإذا وجدنا متشابهات رددناه إلى الأُم، والأُم محكم، فيكون هذا المتشابه محكماً، وحينئذ يكون التشابه في ابتداء الأمر، أما في النهاية فيكون محكماً، وهذا كثير في القرآن، فتجدُ آيات مجملات فصلت بآيات أُخرى، وتجد آيات ظاهرها التعارض يجمعها دليل آخر، وهكذا، وبهذا يكون القرآن كله محكماً[(٢)].

كما أنه الكتاب المهيمن الحافظ لمقاصد الكتب المنزلة من قبل، وقد أخبر الله – تعالى– عن هيمنته على الكتب السَّابقة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[(٣)]؛ فهو الشَّاهد المؤتمن على ما جاء فيها يُقِرُّ الصحيح فيها، ويُصحِّح الخطأ.

وهو عِلمُ الله تبارك، وتعالى، وكلامه المنزل على رسوله ﷺ غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود.

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق لسليمان بن عبد الوهاب ص(١٩٥)، وشرح العقيد السفارينية، لابن عثيمين ص (٢٠٨ – ٢٠٩)، [بتصرف].

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

وقد بوب البخاري رحمه الله بقوله:((باب قول الله تعالى﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[١]، قال مجاهد:﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾[٢]بين السَّماء السَّابعة، والأرض السَّابعة))[٣].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان- حفظه الله -: ((ومراد البخاري بهذه الترجمة أن يبين أن القرآن من علم الله – تعالى – وصفة له، فليس مخلوقاً، فكأنه يقول: أنزله فيه علمه، أي: هو من علمه، وقد احتج الإمام أحمد رحمه الله على كفر من قال: (القرآن مخلوق، بأن القرآن من عِلْم الله، فمن زعم أن عِلْم الله مخلوق فهو كافر)، واستدل على ذلك بنحو قوله تعالى:﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[٤]، وقوله:﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴾[٥]))[٦].

وقال في قول الإمام مجاهد رحمه الله :((مقصوده أن الله – تعالى – أخبر بأنه خلق السَّماوات السَّبع، ومن الأرض مثلهن، ثم ذكر أن الأمر يتنزل بينهن، أي: بين السَّماوات، وبين الأرضين، فالأمر غير الخلق، ثم قال تعالى:﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾، فأمره تعالى الذي يتنزل بين السَّماوات، والأرض بعلمه، وأمره، وعلمه من صفاته؛ فأمر الله – تعالى –، وعلمه، وحكمه، وتصرفه، ينفذ في السَّماوات السَّبع، والأرضين السَّبع، لا يمتنع عليه شيء، ولا يخفى عليه فيهن شيء؛ فالكل في قبضته، وتحت تصرفه، وفي علمه، واطلاعه جلَّ، وعز، وما يذكره كثير من المفسرين عند هذه الآية من أن الأرضين سبع طبقات منفصل بعضها عن بعض، وبين كل أرض، والتي تليها مسيرة خمسمِئَة عام، وبعضهم يذكر أن في كل أرض أنبياء مثل الذين ذُكِروا في القرآن، وعلى أسمائهم، إلى آخر ما ذكروه مما

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) صحيح البخاري (١٤٢/٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٦) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٣٣٨/٢) [بتصرف يسير].

يشبه هذيان المجانين، كل ذلك خرافات مصدره زنادقة اليهود، وإخوانهم من كُل شيطان رجيم))[١].

والحديث عما شهد الله- سبحانه، وتعالى- به على كتابه العظيم لا يبلغه إحصاء طالب، والمقصود هو بيان جملة مما شهد الله تعالى به على كتابه العظيم.

وإذا تحقق ذلك فعقيدة أهل السُّنة، والجماعة التي قررها علماء السَّلف - رحمهم الله تعالى- في مؤلفاتهم عن القرآن العظيم لا تكاد تخرج عما ذكرناه مما شهد الله - تعالى - به إلا ما كان فيه ردٌ على المخالف فيها كالمعتزلة، والأشاعرة[٢]، وغيرهم، ففيه نوع تفصيل.

فالقرآن العظيم عند سلف الأمة من الصحابة - ﷺ -، والتابعين لهم كما قال الإمام الموفق بن قدامة رحمه الله:((القرآن كلام الله، وكتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف، وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول، وآخر، وأجزاءٌ، وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكمٌ، ومتشابه، وناسخٌ، ومنسوخ، وخاصٌ وعام، وأمرٌ، ونهي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٣]،...واتفق المسلمون على عد سور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافرٌ، وفي هذا حجةٌ قاطعةٌ على أنه حروف))[٤]، والله تعالى أعلم.

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٣٨-٣٣٩).

(٢) الأشاعرة، أو الأشعرية: هم المنتسبون لأبي الحسن الأشعري في مذهبه الذي اتخذه بعد تركه الاعتزال، وقبل تصريحه بانتسابه إلى مذهب الإمام أحمد، وبقي بعض أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني يثبتون سبع صفات فقط، وينكرون علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق؛ فهم مرجئة في الإيمان، مؤولة في الصفات، ويوافقون الجبرية في القدر، وليس هذا منهج أهل السنة كما يزعمون، انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية (٦/٥٢)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٤)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص(٩٨)،

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٤) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي ص(١٨-٢١) [باختصار].

المبحث الثاني

شهادة الله ﷻ على الكتب المنزلة

الكُتب: جمع "كتاب" بمعنى "مكتوب".

والمراد بها هنا: الكتب التي شهد الله – تعالى – بإنزالها على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا، والآخرة(١).

وقد تقدم بيان ما شهد – سبحانه، وتعالى – به على كتابه العزيز، ونظيره ما شهد به على كتبه المنزلة الأُخرى كصحف إبراهيم – عليه السلام –، وكالتوراة التي أنزلها على موسى ابن عمران– عليه السلام –، والزَّبُور على داود – عليه السلام – والإنجيل المنزل على عيسى ابن مريم– عليهما السلام –، وغيرها من الكُتب السَّماوية التي هي من وحيه – تبارك، وتعالى – إلى أنبيائه، ورسله – عليهم الصلاة، والسلام – ، لئلا يكون للنَّاس على الله – جلَّ، وعلا – حُجة بعد الرُّسل، والآيات في تقرير ذلك كثيرة على اختلاف سياقاتها فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾(٢).

فأخبر الله – تعالى – في هذه الآيات أنه أوحى إلى عبده، ورسوله محمد ﷺ بالنُّبوة، كما أوحى إلى عبيده، ورسله، وأنبيائه – ممن قصهم – كنوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وداود، وممن لم

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين ص (٩٤) [بتصرف يسير].

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٦٣– ١٦٥.

يقصصهم عليهم الصَّلاة، والسَّلام.

قلت: والوحي قد يُراد به في المعنى[١] غير الرِّسالة أو النُّبوة، كالكتاب، والإشارة، والإيماء، والإلهام، وفي مطلع هذه الآيات أُريد به الرِّسالة، والنُّبوة – والله تعالى أعلم –، والكُتاب متضمن لهما لقوله – تبارك، وتعالى-:﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾، وهي شهادة منه بما أنزله على نبيه داود الطَّيْلاً.

قال الإمام ابن سعدي رحمه الله :((لما ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه آتى داود الزَّبور، وهو الكتابُ المعروف المزْبُور الذي خَص الله به داود – الطَّيْلاً– لفضله، وشرفه، وأنه كلم موسى تكليماً مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال"موسى كليم الرحمن"))[٢].

وقال الإمام ابن حزم الأندلسيرحمه الله:((إن الله – تعالى – أنزل التوراة على موسى – الطَّيْلاً– حقاً، وأنزل الزَّبُورَ على داود – الطَّيْلاً– حقاً، وأنزل الإنجيل على عيسى – الطَّيْلاً– حقاً،

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ((أصلُ " الإيحاءِ "، إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه، وذلك قد يكون بكتاب، وإشارة، وإيماء، وبإلهام، وبرسالة، كما قال جل ثناؤه:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾، بمعنى: ألقى ذلك إليها فألهمها، وكما قال:﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾، بمعنى: ألقيت إليهم علمَ ذلك إلهاماً، وكما قال الراجز (العجاج):

بِإذْنِـــهِ الأَرْضُ ومـــا تَعَتَّـــتِ ...أَوْحَـــى لَهَـــا القَـــرَارَ فاسْـــتَقَرَّتِ

بمعنى: ألقى إليها ذلك أمرًا، وكما قال جل ثناؤه:﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾، بمعنى: فألقى ذلك إليهم إيماء، والأصل فيه ما وصفتُ، من إلقاء ذلك إليهم، وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً، ويكون بكتاب، ومن ذلك قوله:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾، يلقون إليهم ذلك، وسوسةً، وقوله:﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾، ألقى إلي بمجيء جبريل – الطَّيْلاً – به إليّ من عند الله – عز وجل – ،وأما "الوحْي"، فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَى إليه، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب"وحيًا"، لأنه واقع فيما كُتِب ثابتٌ فيه، كما قال كعب بن زهير:

أَتَـــى العُجْـــمَ والآفَـــاقَ مِنْـــهُ قَصَـــائِدٌ ... بَقِينَ بَقَاءَ الوَحْيِ فِي الحَجَرِ الأصَم

يعني به: الكتابَ الثابت في الحجر، وقد يقال في الكتاب خاصةً، إذا كتبه الكاتب:"وحَى" بغير ألف، ومنه قول رؤبة:

كَأَنَّـــــهُ بَعْـــــدَ رِيَـــــاح تَدْهَمُـــــهْ وَمُرْثَعِنَّـــــاتِ الـــــدُّجُونِ تَثِمُـــــهْ

...إنْجِيلُ أَحْبَارٍ وَحَى مُنَمْنِمُهْ

انظر: جامع البيان (٦/٤٠٥-٤٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (٢١٤– ٢١٥).

وأنزل الصُّحف على إبراهيم، وموسى حقاً، وأنزل كُتباً لم يُسم لنا على أنبياء لم يُسَمَّوا لنا حقاً نؤمن بكل ذلك قال تعالى:﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[١]، وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٢]))[٣].

وقد شهد الله – سبحانه، وتعالى – في القرآن العظيم على الكتب التي أنزلها على عباده المرسلين إبراهيم، وموسى– عليهما الصلاة، والسلام – وشهد بما فيها من الهدى، والنور، والموعظة، فأنزل على خليله إبراهيم– عليه السلام – صُحفاً، وأنزل على كليمه موسى – عليه السلام – التوراة[٤].

قال – تعالى –:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[٥].

ففي هذه الآيات شهادة من الله – عز وجل – على إثبات كتبه التي أنزلها على أنبيائه، ورسله – عليهم الصلاة والسلام –، وتتابعها أن الآخرة خير، وأبقى من الدنيا، مع ما تضمنته من الثناء بالفوز، والفلاح، لمن عمل للآخرة بذكر الله – تعالى، – وإقامة الصلاة كما أمر الله – تبارك، وتعالى، – وهذا صريح السِّياق القرآني، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:((واختار ابن جرير (الطبري) أن المراد بقوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾:إشارة إلى قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ١٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي (١٥٧/١).

(٤) انظر: تفسير القرآن (٢١١/٦) [بتصرف يسير].

(٥) سورة الأعلى، الآيات: ١٤– ١٩.

﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾، وهذا اختيار حسن قوي،...والله أعلم))[1].

ومن الأدلة – أيضاً – ما شهد به – ﷻ – على إنزال التوراة، والإنجيل من قبلِ إنزال الكتاب العزيز هداية للنَّاس، مع ما تضمنته من الفرقان بين الحق، والباطل كما في مطلع سورة آل عمران، وذلك في قوله:﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[2].

ومنه شهادته – ﷻ – بما أخبر به أنه أنزل التوراة على موسى بن عمران – عليه السلام– فيها هُدىً يهدي إلى الإيمان، والحق، ويعصم من الضلالة، ونور يستضاء به في ظلم الجهل، والحيرة، والشكوك، والشُّبهات، والشَّهوات يحكم بها – بين اليهود في القضايا، والفتاوى – النبيون الذين أسلموا لله، وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد[3].

قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[4]، وهو كقوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[5]، فهو الكتاب المفرق بين الحق، والباطل، والضياء لغاية

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/٣٨٣).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣ – ٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٢٣٢).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٨.

وضوحه، وهو مما يتوصل به إلى طرق الهدى في معرفة الشرائع، وذكرى للمتقين أي: فيه الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم، ومصالحهم.

وقيل: الفرقان النَّصر على الأعداء كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾[(١)] يعني: يوم بدر حين فرق بين الحق، والباطل، وهو مروي عن ابن عباس ﷺ، والمعنى: آتينا موسى النَّصر، والضياء، والذكرى[(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:((وجامع القول في ذلك: أن الكُتب السَّماوية تشتمل على التفرقة بين الحق، والباطل، والهدى، والضلال، والغي، والرشاد، والحلال، والحرام، وعلى ما يحصل نوراً في القلوب، وهداية، وخوفاً، وإنابةً، وخشيةً؛ ولهذا قال:﴿ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: تذكيراً لهم، وعظة))[(٣)].

ونظير ذلك ما شهد به -سبحانه، وتعالى- من الهُدى، والنُّور، والموعظة، للإنجيل، وتصديقها لما جاءت به التَّوراة من قبل قال تعالى:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)]، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[(٥)]، وذلك أن الله – تعالى – أتبعنا هؤلاء الأنبياءَ، والمرسلين، الذين يحكمون بالتوراة، بعبده، ورسوله عيسى ابن مريم، روح الله، وكلمتِه التي ألقاها إلى مريم.

بعثه الله مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى، ولما جاء به من التوراة بالحق،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٥١٥/١٣) [بتصرف].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٤٧/٥).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٥) سورة الصف، الآية: ٦.

والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية.

وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه أنه قال لبني إسرائيل- : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ ﴾[(١)].

فشهد الله – عز وجل – أنه آتى عبده، ونبيه عيسى ابن مريم – عليه السلام – الإنجيل، وهو الكتاب العظيم المتمم للتوراة فيه هدىً، ونور يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة بتثبيتها، والشَّهادة لها، والموافقة، وهدىً، وموعظةً للمتقين؛ فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق[(٢)].

وقد تقرر في اعتقاد سلف الأمة – رحمهم الله – بأدلة الكتاب، والسُّنة أن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة، والزَّبُور؛ فزادوا، ونقصوا، وأبقى الله – تعالى – بعضها حُجة عليهم كما شاء ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ وبدل كفَّار النَّصارى الإنجيل كذلك؛ فزادوا، ونقصوا، وأبقى الله – تعالى – بعضها حُجة عليهم كما شاء؛ فَدُرِسَ ما بدلوا من الكُتب المذكورة، ورفعه الله – تعالى – كما دُرِست الصُّحف، وكتب سائر الأنبياء جملة[(٣)].

ومذهب أهل السُّنة، والجماعة في الإيمان بالكُتب السَّماوية يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنها كلامه، ووحيه الذي أنزله حقاً على أنبيائه، ورسله عليهم الصلاة، والسلام.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى- عليه السلام -، والإنجيل الذي أنزل على عيسى – عليه السلام -، والزَّبور الذي أوتيه داود – عليه السلام -، وأما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٣٣- ٢٣٤).

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٥٧- ١٥٨).

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السَّابقة.

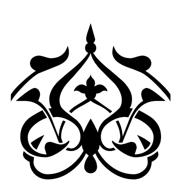
الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به سواء.

والإيمان بالكُتب يثُمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله – تعالى – بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله – تعالى – في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله – تعالى –: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[(١)][(٢)].

إذا تقرر ذلك فعقيدة أهل السُّنة، والجماعة في الكتب السَّماوية: أنها كلام الله – تعالى– حروفاً، ومعاني شهد بها، وأقام بها الحجة على العباد، وضمنها شرائعه، وأنزلها معجزة لأنبيائه، هذه العقيدة الراسخة التي يعتقدها أهل السُّنة، ولا عبرة بمن أنكر كلام الله، أو أنكر صفة من صفاته الثابتة، سواءٌ أكانت صفة فعليةً أم صفة ذاتية، وذلك لما قام عندهم من الشُّبهات التي شككوا بها على من انتحل تلك النِّحل، واعتقد تلك العقائد الزائغة؛ حيث إن عقيدة أهل السُّنة مبنية على الأصل الذي هو النَّقل الصحيح، والفطرة السَّليمة[(٣)]، والله تعالى أعلم.



---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص(٩٤- ٩٥) [بتصرف].

(٣) انظر: الرياض النَّدية على شرح العقيدة الطحاوية (١٩١-٢٠١) [بتصرف].

المبحث الثالث
شهادة الله ﷻ على كل شيء

الله ﷻ شهيدٌ على كل شيءٍ، اسمه الشَّهيد، وهو الشَّاهد، والمشَاهد الذي لا يغيب عنه شيءٌ المطلع عليه الحاضر المعاين له العليم بتفاصيله؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السَّماء حاضرٌ مطلعٌ يُشاهد جميع الأشياء، ويراها، سمع جميع الأصوات خفيها، وجليلها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها، وجليلها صغيرها، وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لنفسه بما هو له أهل، وشهد لملائكته، ورسله، وكتبه بحقيقة ما هم عليه، وشهد لجميع الخليقة بما لها، وعليها من الأعمال، والأحوال شهادةَ مشاهدةٍ، وحضور؛ يرى، ويسمع، ويعلم لا يغادر باطناً، ولا ظاهراً من المشهود إلا شاهده، وشهد له جميع الخلائق بما هو أهله، وشهدت على أنفسها ما ألزمها، وما هي عليه؛ فكل شيءٍ له شاهد، وهو - تبارك، وتعالى- على كل شيءٍ شهيد[1].

وقد أثبت الله ﷻ شهادته على كل شيءٍ في آيات كثيرة من كتابه العظيم من ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾[2]، وقال عن المسيح عليه السلام قوله: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[3]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[5]، وقال ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ بقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[6]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[7].

---

(١) انظر: الأسنى ص(٤١٦)، [بتصرف].

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣، وسورة الأحزاب، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٧) سورة المجادلة، الآية: ٦، وسورة البروج، الآية: ٩.

قال العلماء :شهد الله – سبحانه – على سبعة أشياء: على التوحيد فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وشهد على القرآن بقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1]، وعلى نبوة النبي ﷺ فقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]،وقال: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[3]،وقال: ﴿ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[4]، وعلى أعمال العباد فقال: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[5]، وقال: ﴿ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[6]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾[7]، وعلى جميع الأشياء فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[8]، وعلى كذب المنافقين فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[9]، وعلى شريعة المصطفى ﷺ فقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[10][11]، ومعتقد أهل السُّنة، والجماعة فيما يجب لله – تبارك، وتعالى -: الإقرار بالله إلهاً واحداً لا إله إلا هو، فردٌ صمد، لم يتخذ صاحبةً، ولا ولداً، وأنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٢٨- ٢٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣، والإسراء، الآية: ٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٦) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٩٨.

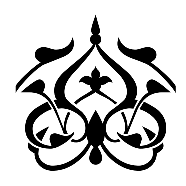
(٨) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٩) سورة المنافقون، الآية: ١.

(١٠) سورة الأنعام، الآية:١٩.

(١١) انظر: الأسنى ص(٤١٧).

وبالمعنى الذي أراده كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] لا يحمله العرش، بل العرش، وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء، إلى تخوم الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد[2] هذه هي عقيدة السَّلف - رحمهم الله -، وقولهم في الإيمان بالله - تعالى-، وشهادته على كل شيء، والله تعالى أعلم.



(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص(٢١) [بتصرف].

المبحث الرابع
شهادة الله ﷻ على أعمال العباد يوم القيامة

إن من شهادة الله – ﷻ – الشَّهيدُ على كل شيء – شهادته على أعمال عباده يحصيها لهم، ثم يجازيهم عليها يوم القيامة، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(١)]، وقد جاء عن بعض السَّلف – رحمهم الله – من قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي: أن اسم الله – ﷻ – المهيمن هو الشَّهيد على عباده بأعمالهم[(٢)]، كما ورد في القرآن العظيم عددٌ من الآيات الكريمات التي بين الله – تبارك، وتعالى– فيها شهادته على أعمال عباده، فمن ذلك:

ذمُّهُ، وتوبيخه لأهل الكتاب الذين كفروا بآياته بقوله تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[(٣)]؛ فهم يشهدون بها، ويقرون أنها الحق من عنده تعالى، وصدقٌ على لسان رسوله ﷺ، وألسنة أنبيائهم من قبل– عليهم السلام– ولكنهم كما قال تعالى عنهم، وعن المشركين، ومن سلك سبيلهم:﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[(٤)]؛ فقال – ﷻ – مخاطباً نبيه الكريم ﷺ، ومبيناً

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٨٧/٨)، وقال رحمه الله:((الْمُهَيْمِنُ: الشَّهِيْدُ على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي، ومقاتل، يُقال: هَيْمَنَ يُهَيْمِنُ فَهُوَ مُهَيْمِنٌ إذا كان رقيباً على الشيء، وقيل: هو في الأصل مُؤَيْمِنٌ قلبت الهمزة هاء، كقولهم: أَرَقْتُ وَهَرَقْتُ، ومعناهُ الْمُؤْمِنُ، وقال الحسن: الْأَمِينُ، وقال الخليل: هو الرَّقِيبُ الْحَافِظُ، وقال ابن زيد: الْمُصَدِّقُ، وقال سعيد بن المسيب، والضحاك: الْقَاضِي، وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب، والله أعلم بتأويله))، انظر: المصدر نفسه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

شـــهادته علـــى صـــنيعهم:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾[١]؛ فهو الشَّهيد – ﷻ – الذي لا يعزب عنه شيءٌ في الأرض، ولا في السَّماء فكيف بأعمال من خلق، وهو أعلم بهم، وقد قال سبحانه:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢]؟.

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية -:((يا معشر يهود بني إسرائيل، وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله – ﷻ – من كتبه، ممن كفر بمحمد ﷺ ، وجحد نبوته: ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ﴾، يقول: لم تجحدون حجج الله التي آتاها محمداً في كتبكم، وغيرها، التي قد ثبتت عليكم بصدقه، ونبوته وحجته، وأنتم تعلمون: يقول: لم تجحدون ذلك من أمره، وأنتم تعلمون صدقه؟؛ فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله، وبرسوله على علم منهم، ومعرفة من كفرهم))[٣].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:((هذا تعنيف من الله تعالى لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدهم عن سبيله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم، وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسَّادة المرسلين، صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا، من ذكر النبي ﷺ الأمي الهاشمي العربي المكي، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله تعالى على ذلك بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومقاتلتهم الرسول المبشر بالتكذيب، والجحود، والعناد، وأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أي: وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مالٌ، ولا بنون))[٤]؛ فبين سبحانه اختيارهم الضَّلال، والكفر عمداً على علم !!

---

(١) السورة السابقة، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) جامع البيان (٥٢/٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨٥/٢).

هذا، وكم من قاصدٍ أمراً يظن أنه رشد، وهو ضلال، وغي[١]، ثم أنه توعدهم على ذلك بشهادته على أعمالهم، ومن شهد الله – ﷻ – على كفره وعناده من بعد ما تبين له الحق فلا يلومنَّ إلا نفسه فأي نجاة بعد ذلك يرجوها إن لم يتب إلى مولاه، ويقصد الحق، ويؤمن به، ويعمل.

ومن شهادته – تعالى – على أعمال عباده قوله لنبيه ﷺ – أيضاً – : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

قال الإمام البغوي رحمه الله:((وإما نرينك بعض الذي نعدهم، يا محمد في حياتك من العذاب، أو نتوفينك، قبل تعذيبهم، فإلينا مرجعهم في الآخرة، ثم الله شهيد على ما يفعلون، فيجزيهم به، ثم بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد))[٣].

وقال ابن عادل في اللُّباب:((ذُكِرَتِ الشَّهادةُ، والمراد: مقتضاها، ونتيجتها، وهو العقاب؛ كأنَّه قيل: ثم الله معاقبٌ على ما يفعلون))[٤].

فخاطب تعالى نبيه ﷺ أنه إما أن يريه في حياته بعض ما يعد الكفار من النَّكال، والانتقام، أو يتوفاه قبل ذلك، فمرجعهم، ومصيرهم، ومنقلبهم بكل حال إليه جلَّ، وعلا[٥]؛ ثم هو الشَّهيد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وهو العالم بها لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيهم بها – عند مصيرهم إليه، ومرجعهم – جزاءهم الذي يستحقونه[٦]؛ فلا يفوته شيء مما يريد أن يفعله بهم لكمال قدرته عليهم، ونفوذ مشيئته جلَّ، وعلا فيهم[٧].

ومما يدخل في شهادته – تعالى – على أعمال عباده ما ورد من النُّصوص المثبتة لشهادته

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص (١٤٩).

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٦.

(٣) معالم التنزيل (١٣٦/٤).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٣٤٥/١٠).

(٥) انظر: أضواء البيان (١٥٩/٢) [بتصرف].

(٦) انظر: جامع البيان (٩٨/١٥) [بتصرف].

(٧) انظر: أضواء البيان (١٥٩/٢) [بتصرف].

تعالى على كل شيءٍ فيما سيقت له كقوله سبحانه: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾[١].

فهو الشَّهيد – ﷻ – على كل شيء، ومن ذلك شهادته على أعمال الذين عُقِدَت أيمانهم على المحالفة، وهم "الحُلفاء"، وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب، وأخبارها أن عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان، والعهود، والمواثيق، فأمر تعالى بقوله: ﴿ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ من النُّصرة، والمعونة، والنَّصيحة، والرأي، أي: إيتاءُ أهل الحلف الذي كان في الجاهلية دون الإسلام، بعضهم بعضاً أنصباءهم من النُّصرة، والنَّصيحة، والرأي، دون الميراث[٢]، كما في الحديث الصحيح عن جبير بن مطعم ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ :((لا حِلْفَ في الإسلام، وأيُّما حِلْفٍ كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))[٣]، ثم أثبت شهادته ﷻ على ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ أي: إن الله شاهدٌ ذو شهادةٍ على ما تفعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم، مُراعٍ لكل ذلك، حافظٌ حتى يُجازي جميعكم على جميع ذلك جَزاءه، أما المحسن منكم المتبع أمري، وطاعتي فبالحسنى، وأما المسيءُ منكم المخالفُ أمري، ونهيي فبالسُّوءَ[٤].

ومن الآيات التي أثبت تعالى من خلالها وحدانيته، وشهادته على أعمال عباده قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٥].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٣.

(٢) وهذا الذي رجحه الإمام الطبري ﵀ من الأقوال في الآية، وأجاب عنها، انظر: جامع البيان (٨/ ٢٧٤– ٢٨٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ﵃، (١٩٦١/٤)، برقم(٢٥٣٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/ ٢٧٤-٢٨٩) [بتصرف].

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

قال العلاَّمة القاسمي رحمه الله:((اعلم أنا بينا أن الغرض من قوله تعالى للرُّسل- عليهم السَّلام-:﴿ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ ﴾ توبيخ من تمرد من أممهم، وأشد الأمم افتقار إلى التوبيخ، والملامة النَّصارى، الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى- عليه السلام -؛ لأن طعن سائر الأمم كان مقصوراً على الأنبياء، وطعن هؤلاء الملحدة تعدى إلى جلال الله وكبريائه، حيث وصفوه بما لا يليق أن يوصف مقامه به، وهو اتخاذ الزوجة والولد؛ فلا جرم، ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرُّسل واحدة، فواحدة؛ إشعارا بعبوديته، فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة عليه، تدل على أنه عبد، وليس بإله، ثم أتبع ذلك باستفهامه لينطق بإقراره، عليه السلام، على رؤوس الأشهاد، بالعبودية، وأمره لهم بعبادة الله عز وجل إكذاباً لهم في افترائهم عليه، وتثبيتاً للحُجة على قومه فهذا سِرُّ سؤاله تعالى له، مع علمه بأنه لم يقل ذلك، وكل ذلك لتنبيه النَّصارى الذين كانوا في وقت نزول الآية، ومن تأثرهم، على قبح مقالتهم، وركاكة مذهبهم، واعتقادهم))[1].

ثم أخبر – عز وجل- عن عبده، ورسوله المسيح بن مريم – عليهما السلام- أنه يقول يوم الحشر الأكبر مقولة صدق تنفي تلك الأكاذيب، والتُّرهات التي وصفه، وأمه بها النَّصارى فقال:﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[2].

وذلك أنه –عليه السلام- لما كان بين أظهرهم كان شهيداً عليهم، كما في قوله:﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ ﴾؛ فلما غاب عنهم، ورفعه الله تعالى إليه في قوله:﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي ﴾ كان الشَّهيد، والرقيب عليهم من قبل، ومن بعد هو الله– عز وجل-، وحده لا شريك له الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض؛ فقال:﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ فكيف يُنَزَّل الغائب منزلة من لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السَّماء؟

---

(١) محاسن التأويل (٤/٢٩٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

وفي هذا ردٌ على من زعم ذلك[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عن المسيح -عليه السلام-:((..نفى أن يكون قال لهم غير ما أمره ربه به – وهو محض التوحيد – فقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾؛ ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد، وفاته لا اطلاع له عليهم، وأن الله- عز وجل-، وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم؛ فقال:﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾؛ ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة، وأعم؛ فقال:﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾..))[٢].

قال الإمام العلاَّمة عبد العزيز ابن باز رحمه الله :((فانظر كيف بين هذه الصفات العظيمة لله – عز وجل- الداعية إلى عبادته وحده، دون كل ما سواه، وأنه علاَّم الغيوب، وأنه العزيز الحكيم، وأنه الرَّقيب على عباده، والشَّهيد عليهم، وأنه يعلم ما في نفس نبيه عيسى، وعيسى لا يعلم ما في نفسه سبحانه، وتعالى))[٣].

وقد أخبرنا – تبارك، وتعالى – عن سعة علمه، وشهادته في أكثر من آية بقوله:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴾[٤]، وأنه كما قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٥]، وهو القائل له أيضاً:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى

---

(١) انظر:كشف ما ألقاه إبليس، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص(١٦٤)، والرسل والرسالات للأشقر ص(٧٧) [بتصرف].

(٢) مدارج السالكين (٣٥٨/٢).

(٣) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل، لابن باز ص(٦٩).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة النمل، الآية: ٦٥.

مَلَكٌۖ ﴾(١)، وهو المخبر عن الملائكة – عليهم السلام– الذين خَلَصوا من الكدورات، وخُلقوا من النُّور، قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢)، وهو القائل جل ذكره: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٣)، فسبحان الله – تعالى – ما أجهل من زعم علم الغيب لغيره تعالى من حي أو ميت، والآيات الربانية، والأحاديث النبوية تدل على أن المخلوق الحي لا يعلم جميع الغيب، وأن علمه، وإن عَظُم قدره بالنِّسبة إلى علم الله كنِسْبة ما يأخذه العصفور في منقاره من البحر، وإذا كانت هذه حاله في الحياة فكيف بحاله بعد الممات، وإطلاعه على بعض الجزئيات لا يدل على علمه بجميع المغيبات(٤).

ومن الآيات الدَّالة على عموم شهادته– تبارك، وتعالى – شهادته على أصحاب الديانات المختلفة، وأعمالهم، وحكمه بينهم يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٥)، فهو الشَّهيد عليهم، وعلى أعمالهم، وعلى جميع الأشياء؛ فلا يخفى عليه شيءٌ في الأرض، ولا في السماء، وكفى بشهادته ﷻ شهادة فهي شهادة حضور، وصدق، وعدل، وحق، أعظم شهادة، وأتمها، وأكملها علماً، وسمعاً، وبصراً، وإحاطة، لا نقص فيها فلا يعتريها الجهل، أو الظلم، أو النسيان، أو الغفلة، أو غيرها من

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

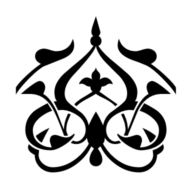
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٤) انظر: البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص(٨٤– ٨٥) [بتصرف].

(٥) سورة الحج، الآية: ١٧.

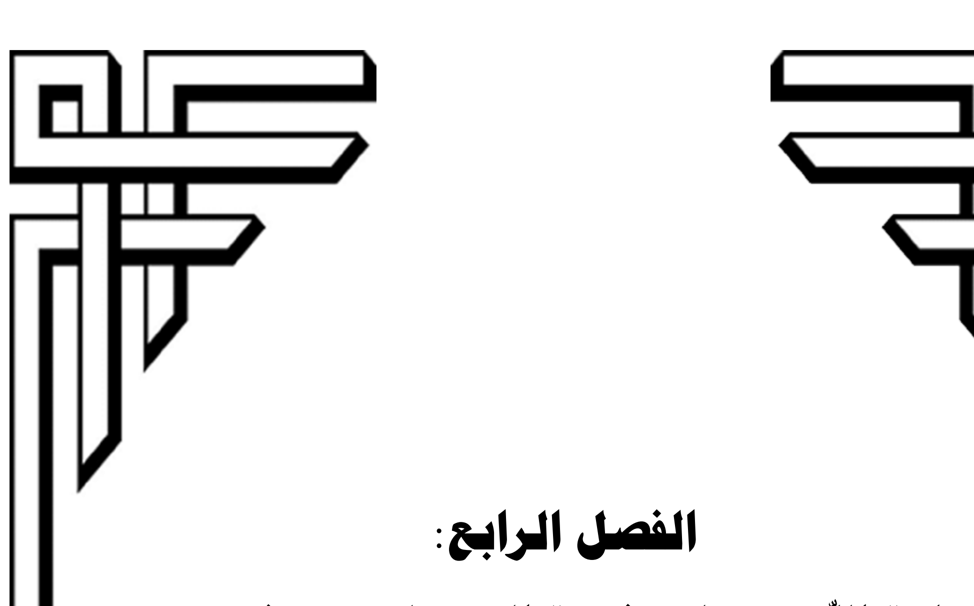
النَّقائص، قال تعالى – مخاطباً نبيه الكريم ﷺ بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]؛ فهي شهادته منه سبحانه بأنه على كُل شيءٍ شهيد؛ وهو -كما تقدم- من أسمائه الشَّهيد: الذي لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يعزب عنه، بل هو مطلعٌ على كل شيءٍ مشاهد له، عليمٌ بتفاصيله، وهذا استدلال بأسمائه، وصفاته[2]، والله أعلم.



---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(٥١/١) [بتصرف].



الفصل الرابع:

شهادة اللّه ﷻ على نبوة الرسول ﷺ، وشريعته، وعلى كذب المنافقين

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بالرِّسالة، والنُّبوة.

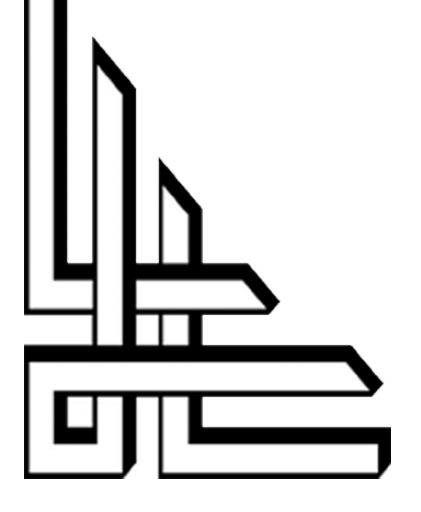
المبحث الثاني: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بتأييده بالمعجزات الباهرة.

المبحث الثالث: شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بتأييده بالحُجج الظَّاهرة.

المبحث الرابع: شهادة الله ﷻ للرَّسول ﷺ بنُصره، وخذلان أعدائه.

المبحث الخامس: شهادة الله ﷻعلى شريعة النَّبي ﷺ.

المبحث السادس: شهادة الله ﷻعلى كذب المنافقين في شهادتهم بالنُّبوة، والرِّسالة.





المبحث الأول
شهادة الله ﷻ للرَّسول ﷺ بالرِّسالة، والنُّبوة

أثبت الله – جَلَّ وعز – شهادته للرَّسول ﷺ بالرِّسالة، والنُّبوة في مُحكم كتابه المجيد، وذلك بآيات كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1].

وقال تبارك، وتعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

فشهد الله – ﷻ – وكفى به شهيداً بما أنزل إلى النبي ﷺ من القرآن العظيم الدَّال على رسالته، ونبوته – عليه الصلاة، والسلام – وإن جحده، وكذبه الكافرون؛ فإن إنزال هذا القرآن البالغ في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون، والآخرون عن معارضته، وإتيان ما يدانيه شهادة له ﷺ بنبوته، وصدقه في دعوى الرِّسالة من الله – تعالى – فمعنى شهادة الله – تعالى – بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات، وكفى بالله شهيداً على صحة نبوته حيث نصب لها معجزات باهرة، وحججاً ظاهرة، مع ما صاحبها من قرائن الحال الدَّالة على صدقه – عليه الصلاة والسلام – في دعوى النبوة مما يغني عن الاستشهاد بغيرها.

قال القرطبي رحمه الله: ((كأن الكفار قالوا: ما نشهد لك يا محمد فيما تقول فمن يشهد لك؟ فنزل: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ ،...وهو يعلم أنك أهل لإنزاله عليك...))[3].

ومن الأدلة على شهادته – سبحانه، وتعالى – بالرِّسالة، وختم النُّبوة به ﷺ قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٩).

﴿ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[(١)]، وقولـه ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾[(٢)]، وقولـه سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[(٥)].

قال القاضي عياض رحمه الله:((جمع الله – تعالى– له في هذه الآية ضُروباً من رُتَبِ الْأُثْرَةِ[(٦)]، وجُملةُ أوصافٍ من الْمِدْحَةِ فجعله «شاهداً» على أمته لنفسه بإبلاغهم الرِّسالة، وهي من خصائصه ﷺ، «ومبشراً» لأهل طاعته، «ونذيراً» لأهل معصيته، «وداعياً» إلى توحيده، وعبادته، «وسراجاً منيراً» يُهتدى به للحق))[(٧)].

كما ثبتت رسالته، ونبوته ﷺ في الصِّحاح، والمسانيد، والسُّنن بطرق كثيرة على شهادته ﷺ بالرِّسالة، والنُّبوة، وذلك في أحاديث صحيحة، منها:

ما جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري رحمه الله:((عن أبي إسحاق قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إن هوازن كانوا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ – ٤٦.

(٦) الأُثْرَةُ، والمَأْثَرَةُ، والمأْثُرَةُ: المَكْرُمَةُ المتَوارثَةُ، وأَثَرَه أَكْرَمَه، ورَجُلٌ أَثِيرٌ مَكِينٌ مُكْرَمٌ، والجمعُ أُثَراء، والأُنْثَى أَثِيرَةٌ، وآثَرَه عليه فَضَّلَه، وفي التنزيل ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [سورة يوسف: ٩١]، وهذا مراد القاضي من سياق الكلام.
والأَثَرَةُ، والأُثْرَةُ، والإِثْرَةُ: اسمٌ من الاستبداد بالشيء، والانفراد به على الغير يُقال: اسْتَأْثَرَ بالشَّيءِ على غيره خَصَّ به نفسه، ورَجُلٌ أَثُرٌ، وأَثِرٌ يَسْتَأْثِرُ على أصحابه في القَسْمِ، وفي الأَثَرَةُ، انظر: المحكم والمحيط (١٠/١٧٥) باب الثلاثي المعتل، مادة " أثر"،[بتصرف].

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض (١/٢٣-٢٤).

قوماً رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسِّهام، فأما رسول الله ﷺ، فلم يفر، فلقد رأيته، وإنه لعَلىَ بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول:((**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**))[١].

وعن سلمة – رضي الله عنه –، قال: خفت أزواد النَّاس وأملقوا [٢]، فأتوا النبي ﷺ ، في نحر إبلهم فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟ فدخل عمر على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ قال رسول الله ﷺ : ((**ناد في الناس يأتون بفضل أزوادهم، فدعا، وبرك عليه، ثم دعاهم بأوعيتهم، فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله** ﷺ : ((**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**))[٣]، وزاد مسلم:((**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة**))، وفي رواية له:((**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة**))[٤].

ولسائل أن يقول: إذا ثبت هذا فما الفرق بين النَّبي، والرَّسول؟

والجواب: أن الفرق بين النَّبي، والرسول هو ما ذهب إليه الجمهور؛ أن النَّبي: من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، ولهذا يُسمى نبياً، ولا يُسمى رسولاً؛ لأنه لم يؤمر، لكنه لم يُنه عن إبلاغه، وأما الرَّسول: فهو من أوحى إليه بشرعٍ، وأمر بتبليغه، وهناك فرق بين أن نقول في النَّبي لم يؤمر بتبليغه، وبين أن نقول: نهي عن تبليغه[٥].

وقد قرر علماء السَّلف في مصنفاتهم اعتقاد أهل السَّنة، والجماعة في الإيمان بنبوة، ورسالة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب من قاد دابة غيره في الحرب، (١٥٦/١٤) برقم (٤٦٨٢)، واللفظ له، وفي كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ ، (١٥٣/٥) برقم (٤٣١٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، (١٤٠٠/٣)، برقم(١٧٧٦).

(٢) أَصْلُ الإِمْلَاقِ: الإِنْفَاقُ، يُقال: أَمْلَقَ ما معه إِمْلَاقاً، ومَلَقَهُ مَلْقاً، إذا أخرجه من يده، ولم يحبسه، والفقر تابع لذلك، فاستعملوا لفظ السَّبَب في موضع الْمُسَبَّب، حتى صار به أشهر، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٥٧/٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، (٥٥/٤)، برقم (٢٩٨٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، وهو غير شاك فيه دخل الجنة، وحرم على النار، (٥٥/١-٥٦)، برقم (٤٤)، (٤٥).

(٥) انظر: شرح العقيدة السَّفارينية، لابن عثيمين، ص(٥٢٧).

محمد ﷺ، والذي هو جزء من الشَّهادة لله - تبارك، وتعالى - بالتوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فمن ذلك:

قول الإمام الموفق بن قدامة المقدسي رحمه الله :((...ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النَّبيين، وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين النَّاس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنَّة أمة إلا بعد دخول أمته صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام النَّبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السَّلام))[1]، وكل ذلك ثابت بآيات كريمة، وأحاديث صحيحة فوجب على كل مسلم، ومسلمة أن يؤمن به ﷺ، ويشهد أنه رسول الله، وخاتم النبيين لا نبي بعده أرسله الله إلى الناس عامة، فهدى به من الضلالة، وفتح به آذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، فبلغ الرَّسالة، وأدَّى الأمانة، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلوات ربي، وسلامه عليه[2].

ومما قرره علماء السَّلف - أيضاً - في هذا قول الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته: ((نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله إن الله واحدٌ لا شريك له...وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة، الورى بالحق، والهدى، وبالنُّور، والضياء))[3].

قال الشَّيخ صالح الفوزان - حفظه الله -:((لما بين الشيخ رحمه الله في أول كلامه ما يجب من معرفة الله سبحانه، واعتقاد أنه الرب المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنه متصف بصفات الكمال، ونعوت الجلال التي هو متصف بها أزلاً، وأبداً، لما بين هذا، ووضحه، انتقل إلى ما يجب اعتقاده في الرسول - عليه الصلاة، والسلام، وقوله: "وإن محمداً عبده المصطفى.." هذا عطف على أول الكلام: "نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة مع شرح ابن عثيمين ص(١٣٥).

(٢) انظر: التعليق الوقَّاد على متن كتاب لمعة الاعتقاد، لحنان علي اليماني، ص(٢١٩) [بتصرف].

(٣) انظر: العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي ص(٤- ٨) [باختصار].

له...." إلى آخره، ثم قال: "وإن محمداً...." إلى آخره، فلابد من اعتقاد هذا، كما نشهد لله بالألوهية، كذلك نشهد للرّسول ﷺ بالرسالة، ولذلك فالشّهادتان دائماً متلازمتان))[١].

وقال الشّيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله –: ((هذه الجملة من كلامه من التوحيد، وذلك أنَّهُ قال في أول الكلام – يعني في أول هذه العقيدة– (نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ لَهُ)، ثم مضى في ذلك، وأتى إلى مقام الرّسالة، والكلام على النُّبوة فقال:(وإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى)، فهي معطوفة على قوله (إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ)،...وبحث الرِّسالة، والنُّبوة هو من توحيد الله – ﷻ–، ووجه ذلك:

١ – **الوجه الأول**:أنَّ توحيد الله – ﷻ – يُطْلَقْ، ويُعْنَى به العقيدة بعامة، فكل العقيدة بأركان الإيمان تدخل في توحيد الله، فتوحيد الله – ﷻ – هو الإيمان، وهو المشتمل على أركان الإيمان الستة، والكلام على نبوة محمد ﷺ من ضمن ذلك.

٢ – **الوجه الثاني**:أنّ نبوة محمد ﷺ هي طريق التوحيد؛ لأنَّ توحيد الله – ﷻ – لم يُعْلَمْ إلا عن طريق الرُّسل، وفي ذلك تقريرُ أنَّ العقول لا تستقل في معرفة توحيد الله – ﷻ – وما يتضمنه ذلك، وما يستلزمه ذلك؛ بل إنّه لا بد من بِعثة رُسلٍ، وأنبياءٍ للبيان ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[٢]، وبَعْثَةُ الرسل بها عُلِمَ حق الله – ﷻ – وتوحيده؛ توحيد الإلهية، وبها عُلِمَ نعت الله – ﷻ – وأسماؤه، وصفاته الكاملة الجليلة.

فإذاً بعثة محمد ﷺ، وبعثة الرسل جميعاً هي طريق توحيد الله – ﷻ – ولهذا قال هنا:(نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ) واستمر، ومرَّ حتى قال:(وإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى) يعني:(ونقُولُ في تَوحيدِ الله: إِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المرْتَضَى)، وهذه الجملة من كلامه رحمه الله فيها تقرير عقيدة عظيمة، وهي أنَّه ﷺ جُمِعَتْ له أوصاف، ونعوت، ومراتب:

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح الفوزان ص(٥٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

- فمنها أنه عبد.

- ومنها أنه نبي.

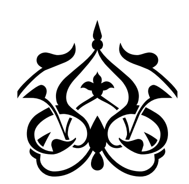
- ومنها أنه رسول.

- ومنها أنه خاتَم الأنبياء، والمرسلين.

- ومنها أنه حبيب رب العالمين، وخليله.

- ومنها أنَّ بعثته عامة للجنِّ، والإنس، وكافة الورى[١].

ومما تقدم يتبين ثبوت شهادة الله - ﷻ - على نبوة، ورسالة عبده، ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ، وشهادته بها لنفسه عليه الصلاة، والسلام، كما ثبتت بالأدلة الصريحة الصحيحة في الكتاب، والسُّنة، وتقريرات عقيدة السَّلف في مباحث الإيمان بالنبُّوة، والرِّسالة، والله أعلم.



(١) انظر: جامع شروح العقيدة الطحاوية، شرح الشيخ صالح آل الشيخ (١/٢١٧- ٢١٩).

المبحث الثاني

شهادة الله ﷻ للرَّسول ﷺ بتأييده بالمعجزات الباهرة

يدخل هذا المبحث فيما يُسمى بدلائل النُّبوة، وهي الأدلةُ التي تُعرف بها نبوة النَّبي الصَّادق، ويُعرف بها كذب المدَّعي للنُّبوة من المتنبئين الكذبة، ودلائل النُّبوة كثيرة، ومتنوعة، وغير محصورة، والجامعُ لها لفظُ "البينات" في القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾[2]، وقال جلَّ، وعز: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[3].

فالآيات البينات هي التي أظهَرها الله - ﷻ - على أيدي، وألسنة أنبيائه - عليهم الصَّلاةُ، والسَّلام - من المعجزات الباهرة، والحُجج، والدلالات الظاهرة[4] الدَّالة على صدقهم، وصحة نبوتهم، والتي أبانت منزلتهم، من الله تبارك، وتعالى.

وإنما سماها الله "بينات" لتبَيُنِها للنَّاظرين إليها أنها معجزةٌ لا يقدر على أن يأتي بها بشرٌ، إلا بتسخير الله ذلك له، وإنما هي جمع"بينةٍ"، مثلُ"طيبةٍ، وطيبات"[5].

والمقصود هنا: ذِكرُ دلالة المعجزة التي شهد الله - ﷻ - بها على صدق الرسول ﷺ، وصحةُ نبوته، ورسالته.

والمعجزة: هي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٣) السورة نفسها، الآية: ١٨٤.

(٤) سيكونُ الكلامُ على شهادة الله - ﷻ - للرسول - ﷺ - بتأييده بالحجج الظاهرة في المبحث القادم إن شاء الله.

(٥) انظر: جامع البيان (٣١٨/٢-٣٥٥).

ومعجزةُ النَّبي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة[١]، وهي أمرٌ خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه، وصحة رسالته.

ومعجزات الرُّسل عليهم – الصلاة، والسلام – كثيرة؛ منها النَّاقة التي أوتيها نبي الله – تعالى – صالح – عليه السلام – حجة على قومه، والعصا التي تحولت ثعباناً مبيناً، وإخراج اليد بيضاء للنَّاظرين، وفلق البحر، ومصير الأرض طريقاً يبساً، والجراد، والقُمَّل، والضَّفادع آيات بينات لموسى عليه السلام[٢].

وتسخير الجبال، والطير يسبحن مع نبي الله داود – عليه السلام –، وذلك أن الله – تعالى – قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحد بحيثُ إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه – الزَّبور – يقفُ الطير في الهواء يرجع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه، وتسبح معه كلما سبح بُكرةً، وعشياً، صلوات الله، وسلامه عليه[٣].

وتسخير الرِّيح لسُليمان – عليه السلام – تجري بأمره إلى الشَّام، غدوها إلى انتصاف النَّهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النَّهار إلى الليل مسيرة شهر، وذلك أنها كانت تجري بسليمان – عليه السلام –، وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشَّام، ومن الجن من يطيعه، ويأتمر بأمره، وينتهي لنهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه[٤].

وإبراءُ الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى، وخلقٌ كهيئة الطير من الطين، ثم يُنْفخُ فيه فيكون طائراً بإذن الله، والإخبار بكثير من الغيوب، ومما يدخر بنو إسرائيل في بيوتهم، آيات لعيسى عليه السلام[٥].

ولقد أرسل الله – تبارك، وتعالى – نبينه محمداً ﷺ بالهدى، ودين الحق ليظهره على جميع الأديان، وأيَّده شهادة منه بالآيات الظاهرة، والمعجزات الباهرة، وهي كثيرة من أبرزها:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين (٤١٦/١).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٥٤/٢–٣٥٥)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ الدكتور صالح الفوزان ص(١٨١).

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (٢٦٧/٢–٢٦٨)، [بتصرف يسير].

(٤) انظر: جامع البيان (٤٨١/١٨).

(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص(١٨١).

القرآن الكريم، والإسراءُ، والمعراج، وانشقاقُ القمر، وإخباره ﷺ عن بعض حوادث الغيب في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وغيرها من المعجزات.

وتفصيلها على النَّحو التالي:

أولاً: القرآن الكريم:

لما كانت العرب أرباب الفصاحة، والبلاغة، وفرسان الكلام، والخطابة؛ جعل الله – سبحانه – معجزة نبينا محمد ﷺ هي القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، وهو المعجزة الباقية الخالدة على مر العصور؛ فقد اختار الله هذه المعجزة الباهرة لخاتمةالرِّسالات السَّماوية العامة للنَّاس أجمعين.

فالقرآن معجزةٌ يطلع عليها الأجيال في كل زمان، ويتلونه، فيعلمون أنه كلام الله حقاً، وليس كلام البشر، وقد تحدى الله الإنس، والجنَّ أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه، أو بسورةٍ منه؛ فما استطاع أحد منهم منذ بعثة محمد ﷺ إلى عصرنا هذا؛ وإلى الأبد، أن يأتي أحد بكتاب مثله، أو بمثل سورة منه، على الرغم من وجود أعداء كثيرين للرسول ﷺ، ولدين الإسلام في عصور التاريخ.

فمن تحديه تبارك، وتعالى لعموم الثقلين قوله جلَّ، وعز: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

ومن تحديه الخاص للمنكرين المشركين، والمرتابين المنافقين قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾[(١)]؛ فالتحدي لا يزال قائماً إلى قيام السَّاعة[(٢)] في قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وهذا التحدي كان بمكة؛ فإن سورة يونس، وهود، والطور من المكي، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة؛ فقال في سورة البقرة، وهي – مدنية – : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾؛ فذكر أمرين:

أحدهما: قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ ؛ يقول: إذا لم تفعلوا؛ فقد علمتم أنه حق؛ فخافوا أن تكذبون فيحيق بكم العذاب الذي وعدته للمكذبين.

والثاني: قوله: ﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾، و(لن) لنفي المستقبل، فثبت أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله، كما أخبر بذلك.

وأمر الله تعالى: نبيه ﷺ أن يقول في سورة (سبحان) ، وهي مكية، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة بنص القرآن، والخبر المتواتر: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾؛ أمره أن يخبر بالخبر جميع الخلق؛ معجزاً لهم، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن لو تظاهروا عليه، وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه؛ الخاص، والعام، وعلم من ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة من مثله، ومن حين بعث ﷺ إلى اليوم، والأمر على ذلك، مع ما علم من أن الخلق كانوا كلهم كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل، وكان الكفار من أحرص النَّاس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣– ٢٤.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص(١٨٥).

ممكن؛ تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها؛ كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، ويجتمعون في مجمع بعد مجمع؛ ليتفقوا على ما يقولونه فيه، وصاروا يضربون له الأمثال؛ فيشبهونه بمن ليس بمثله، مع ظهور الفرق؛ فتارة يقولون: مجنون، وتارة: ساحر، وكاهن، وشاعر ... إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون هم، وغيرهم من كل عاقل يسمعها أنها افتراء عليه، فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة، وهي تبطل دعواهم؛ فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها؛ لفعلوها؛ فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد، إذا كانت القدرة حاصلة؛ وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض؛ فهذا يوجب علماً مبيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلةٍ، وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي تكرر جنسها؛ كإحياء الموتى؛ فإن هذا لم يأت أحد بنظيره؛ فإقدامه ﷺ في أول الأمر على هذا التحدي، وهو بمكة، وأتباعه قليل؛ على أن يقول خبراً يقطع به أنه لو اجتمع الإنسُ، والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله في ذلك العصر، وفي سائر الأعصار المتأخرة؛ لا يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقنه له، وإلا؛ فمع الشَّك، والظنِّ لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فينفضح فيرجع النَّاس عن تصديقه، وإذا كان جازماً بذلك متيقنا له؛ لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله – تعالى – له بذلك، وليس في المعلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه؛ إلا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر، والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً،...والقرآن الكريم معجزة من وجوه متعددة؛ من جهة اللفظ، ومن جهة النَّظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانية التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله – تعالى، وأسمائه – وصفاته، وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب المستقبل، وعن الغيب الماضي، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيَّن فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[(١)]، وقال

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٩.

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[(١)]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[(٢)]، وكل ما ذكره النَّاس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له))[(٣)].

ثانياً: الإسراءُ، والمعراج:

كانت معجزة الإسراء، والمعراج من أَجلِّ المعجزات، وأعظم الآيات التي تفضل بها المولى – سبحانه – على عبده، ورسوله نبينا محمد بن عبد الله ﷺ .

والإِسراءُ لغةً: السَّيرُ ليلاً.

وشرعاً: الإِسراءُ بالنَّبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلاً على البُراق[(٤)] يَصحبهُ جبريل عليه السلام، والمعراج: مِفْعالٌ، وهي الآلة التي يصعد عليها، وهي بمنزلة السلم، وهي التي صعد عليها ﷺ من بيت المقدس إلى السَّماء، ولا يعلم كيف هو إلا – سبحانه، وتعالى–، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته[(٥)].

ومما يدل على أهمية هذه المعجزة شهادةُ الله – تعالى– بها في كتابه الكريم، وذلك في موضعين:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢٧ – ٢٨.

(٣) الجواب الصحيح (٥/٤٢٥– ٤٢٩).

(٤) البُراق: اسم الدابة التي ركبها رسول الله – ﷺ – ليلة الإسراء قال الزبيدي – في مختصر العين، وصاحب التحرير – : هي دابة كان الأنبياء صلوات الله، وسلامه عليهم يركبونها، وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح، قال بن دريد: اشتقاق البُراق من البَرق إن شاء – الله تعالى – يعني لسرعته، وقيل: سُمي بذلك لشدة صفائه، وتلألئه، وبريقه، وقيل: لكونه أبيض، وقال القاضي: يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين، يقال: شاةٌ برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سُود قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء، وهي معدودة في البِيض، والله أعلم، انظر: المنهاج شرح مسلم للنووي (٢/٢١٠–٢١١).

(٥) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز(١/٢٧٠)، وتوضيح مقاصد المصطلحات العلمية، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ص(١٦٠).

الأول: في سورةٍ سُميت باسم هذه المعجزة، وهي سورة " الإسراء "، والتي بدأها سبحانه بقولـــــه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

والثاني: في سورة النَّجم قال تعالى:﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾[2].

لقد أُسرِيَ بالنبي ﷺ ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش، والقبائل كلها ، فأَسْرَى به — سبحانه، وتعالى -كيف شاءَ ليُريه من آياته ما أراد، ومن قدرته التي يصنع بها ما يريد.

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:((أُتِيتُ بالبُراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: « فركبته حتى أتيت بيت المقدس »، قال: « فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال " ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناءٍ من خمر، وإناءٍ من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ : اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل - عليه السلام -، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة النجم، الآيات: ١ – ١٨.

محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء، صلوات الله عليهما، فرحبا، ودعوا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أُعطي شُطر الحسن، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب، ودعا لي بخير، قال الله - عز وجل -: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1]، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السِّدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال[2] "، قال: "فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم، وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل، وخبرتهم "، قال: " فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً، قال:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٢) القِلال: بكسر القاف جمع قُلَّة، والقُلَّةُ جرةٌ عظيمة تسع قربتين أو أكثر، وسُميت قُلَّة لأنها تُقَلُّ: أي تُرفَعُ، وتُحمل، انظر: المنهاج شرح مسلم للنووي (٢/٢١٤)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/١٠٤)، مادة "قَلَلَ".

إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، قال: " فلم أزل أرجع بين ربي – تبارك، وتعالى–، وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم، وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة "، قال: " فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ ، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه))[١].

وعليه فقد قرر علماء السَّلف عقيدة أهل السُّنة، والجماعة في الإيمان بمعجزة الإسراء، والمعراج، يقظة لرسول الله ﷺ ، وأنها حقٌ، وصدقٌ دلت عليها نصوص الشريعة؛ فمن ذلك:

قول الإمام الطحاوي رحمه الله: ((والمعراجُ حقٌ، وقد أُسري بالنبي ﷺ ، وعُرج بشخصه في اليقظة، إلى السَّماء؛ ثم إلى حيث شاء الله من العُلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾، فصلى الله عليه، وسلم في الآخرة، والأولى)) [٢].

ثالثاً: انشقاقُ القمر:

يُقال: انشقاقُ القمر، وانفلاقُ القمر، وهي معجزةٌ شهد الله ﷻ بها لنبيه ﷺ في كتابه العزيز كما في مطلع سورة "القمر"، ولا عبرة لقول من أنكرها قال تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[٣].

كما أشهد النَّبي ﷺ المشركين عليها حين وقعت، وشهد بها صحابته ﷺ من بعده، وأجمع عليها السَّلف رحمهم الله.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١/١٤٥-١٤٦)، برقم (١٦٢).

(٢) العقيدة الطحاوية ص(١٤).

(٣) سورة القمر، الآيات: ١ – ٥.

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النَّبي ﷺ : «**اشهدوا**» ، وفي رواية: فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، وذكر الحديث بتمامه، وفي رواية قال: انشق القمر، ونحن مع النَّبي ﷺ بمنى، فقال: «**اشهدوا**»، وذهبت فرقة نحو الجبل[١].

أي: اشهدوا على نبوتي أو معجزتي من الشَّهادة، وقيل معناه: احضروا، وانظروا من الشُّهود[٢].

وفي رواية لمسلم عنه ﵁ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فستر الجبل فلقة، وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اشهد**».
وفي رواية عن أنس ﵁، قال: «انشق القمر فرقتين»[٣].

والمراد: أن الفرقتين تباينتا، فإحداهما إلى جهة العلو، والأُخرى إلى السُّفل[٤].

وحَدَّث ﵁ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم انشقاق القمر مرَّتين؛ فهذه المعجزة وقعت كما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ ، وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فآراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوَّته؛ فلمَّا أراهم أعرضوا، وكذبوا، وقالوا: هذا سحرٌ مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾، وهذا مما يدل على أن انشقاق القمر كان واضحاً للعيان في ذلك اليوم [٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي– ﷺ – آية، فأراهم انشقاق القمر، (٤/ ٢٠٦) برقم (٣٦٣٦)، وفي كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وإن يرو آية يعرضوا﴾، (١٤٢/٦)، برقم (٤٨٦٤)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، (٤٩/٥)، برقم (٣٨٦٩).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٣٧٤٤/٩)، برقم (٥٨٥٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة، والنار، باب انشقاق القمر، (٢١٥٨/٤) برقم (٢٨٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود ﵁، و(٢١٥٩/٤) برقم (٢٨٠٢) من حديث أنس بن مالك ﵁.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح (٣٧٤٤/٩)، برقم (٥٨٥٥).

(٥) جامع البيان (٥٦٥/٢٢).

وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن الإمام الخطابي قوله: ((انشقاق القمر آيةٌ عظيمةٌ لا يكاد يعدلها شيءٌ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السَّماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يُطَمع في الوصول إليه بحيلة؛ فلذلك صار البرهان به أظهر.

وقد أنكر ذلك بعضهم فقال: لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام النَّاس؛ لأنه أمر صدر عن حسٍ، ومشاهدةٍ فالنَّاس فيه شركاء، والدواعي متوفرة على رؤية كل غريبٍ، ونقل ما لم يعهد فلو كان لذلك أصلٌ لخُلِّدَ في كتب أهل التسيير(١)، والتنجيم(٢) إذ لا يجوز إطباقهم على تركه، وإغفاله مع جلالة شأنه، ووضوح أمره.

---

(١) التسيير: هو ما يسمى بـ (علم التسيير): وهو ما يستدل به على الجهات، والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجباً أحياناً، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر، قال تعالى:﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، [سورة النحل، الآية: ١٥]؛ فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية؛ فقال تعالى:﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾، [النحل، الآية: ١٦]؛ فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل، ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب، وأهل التسيير نسبة إليه فهم الذين ينهجون هذا العلم، ويعملون به، انظر: معالم السنن للخطابي (٢٢٩/٤-٢٣٠)، والقول المفيد لابن عثيمين (٥١٩/١-٥٢٠) [بتصرف يسير].

(٢) التنجيم: هو ما يُسمى بـ (علم التأثير) : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ وأهل التنجيم هم الذين يتزعمونه، وينتهجونه – زوراً، وبهتاناً – فهذا محرم باطل لقول النبي ﷺ :((من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد))، [صحيح أخرجه أحمد في المسند من حديث ابن عباس (٢٢٧/١,٣١١)، وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٢٠/٢) برقم (٧٩٣)]؛ فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها، وبين الحوادث الأرضية، وذلك؛ لأن النجوم لا يمكن أن تقتبس، وتتعلم، والمراد به هنا علم النجوم الذي يستدل به على الحوادث الأرضية؛ فيستدل مثلا باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا، وكذا، ويستدل بولادة إنسان في هذا النجم على أنه سيكون سعيداً، وفي النجم الآخر على أنه سيكون شقياً؛ كما هي حال أهل الأبراج نسأل الله العافية؛ فيستدلون باختلاف أحوال النجوم على اختلاف الحوادث الأرضية، والحوادث الأرضية من عند الله، قد تكون أسبابها معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، لكن ليس للنجوم بها علاقة؛ فالنجوم لا تأتي بالمطر، ولا تأتي بالرياح أيضاً، ومنه نأخذ خطأ العوام الذين يقولون: إذا هبت الريح طلع النجم الفلاني؛ لأن النجوم لا تأثير لها بالرياح، صحيح أن بعض الأوقات، والفصول يكون فيها ريح ومطر؛ فهي ظرف لهما، وليست سببا للريح أو المطر، انظر: المصادر نفسها، [بتصرف يسير].

والجواب عن ذلك: أن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها؛ لأنه شيءٌ طلبه خاص من النَّاس فوقع ليلاً؛ لأن القمر لا سلطان له بالنَّهار، ومن شأن الليل أن يكونَ أكثرُ النَّاس فيه نياماً ومستكنين بالأبنية، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يلهيه من سمرٍ، وغيره، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه فقد يجوز أنه وقع، ولم يشعر به أكثرُ النَّاس، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح، وقوعه، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر، ثم أبدى حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله إن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامةً أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحسِ، والنَّبي ﷺ بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام، ولو كان إدراكها عاماً لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم)) [(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((وذكر أبو نُعيم في الدلائل نحو ما ذكره الخَّطابي، وزاد: ولا سيما إذا وقعت الآية في بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر، ويجتهدون في إطفاء نور الله قلت: وهو جيد بالنِّسبة إلى من سأل عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة، وأما من سأل عن السبب في كون أهل التنجيم لم يذكروه؟

فجوابه: أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه، وهذا كافٍ فإن الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد عنه صريح النَّفي حتى إن من وجد عنه صريح النفي يقدم عليه من وجد منه صريح الإثبات)) [(٢)].

ونقل عن الإمام ابن عبد البر رحمه الله قوله: قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصَّحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجَمُّ الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة؛ فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر،- قال الحافظ ابن حجر -: ثم أجابَ بنحو جواب الخطابي، وقال: وقد يطلع على قوم قبل طلوعه على آخرين، وأيضاً؛ فإن

---

(١) فتح الباري (١٨٥/٧).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ١٨٥- ١٨٦).

زمن الانشقاق لم يطل، ولم تتوفر الدواعي على الاعتناء بالنَّظر إليه، ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون عن ذلك، فجاءت السُّفار، وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك، وذلك لأن المسافرين في الليل غالباً يكونون سائرين في ضوء القمر، ولا يخفى عليهم ذلك[(١)].

إذا تقرر ذلك فمعجزة انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ ثابتة بالكتاب، والسُّنة، وكلام سلف الأمة، وعليها أجمع أهل العلم، مما لا يدع مجالاً للمشككين، في القول بإنكارها، والله أعلم.

رابعاً: إخبار الرسول ﷺ عن بعض حوادث الغيب في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

إن في إخبار الرسول ﷺ عن الأمور الغائبة ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها عِلمٌ خارقٌ للعادة، وهو في حقيقته لا يخرج عن علم الله الشامل، والمحيط بكل شيء.

وذلك أن عِلْمُ الغيب المطلق حقٌ لله - تعالى - وحده؛ فهو العالم لما غاب عن أبصار خلقه، وليس لأحد من البشر، أن يَطَّلع على شيءٍ من غيبه - فيَعْلمه أو يُريه إياه - إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء، بخلاف غيره فإن إخباره عن الغيب إنما هو على سبيل التَّخرص لا القطع.

قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾[(٢)].

وقد شهد الله - تبارك، وتعالى - بإنباء رسوله ﷺ ببعضَ الغيبِ في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)].

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) سورة الجن، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٩.

والقرآن الكريم هو علم الله الإلهي، ومن خصائص هذا العلم أنه يحمل أخباراً غيبية، ويقطع بوقوعها، ثم تقع كما أخبر، وليس لكتاب آخر أن يأتي بالحق مثله.

كما أن السُّنة، والسِّيرة النَّبوية دلتا على صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به من الغيب الذي أوحاه الله – تعالى– إليه، وهو، وإن كان من العلم الإلهي؛ فإن ما ينطق به الرسول هو وحي الله قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

ويمكن تقسيم أخبار الغيب التي أنبأ الله – تعالى – بها رسوله ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: أخبار غيب الماضي.

ثانياً: أخبار غيب الحاضر.

ثالثاً: أخبار غيب المستقبل، وجميعها أخبار كثيرة جداً نذكر أمثلةً منها على النحو التالي:

أولاً: أخبار غيب الماضي:

ومن الأخبار الغيبية الماضيةِ الإخبارُ عن خلق السَّماوات، والأرض، وآدم – عليه السلام –، وقصة إبليس لعنه الله...، ثم بعد ذلك قصص الأنبياء السَّابقين، والأمم الماضية.

ووجه الغيب فيها: أن الرسول ﷺ كان أُمياً لا يعرف القراءة، فلم يعهد عنه أنه قرأ في كُتب أهل الكتاب، أو تلقى الدَّرس عن أحد منهم، أو خالطهم، أو مازجهم، ولم يكن أحد من قومه يعلم شيئاً منها.

ونصوص القرآن تشهد على ذلك، فقد خاطب الله نبيه محمداً ﷺ في سياق قصة نوح – عليه السلام –، فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، وفي قصة موسى – عليه السلام – كما في قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّآ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ – ٤.

أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

وفي قصة مريم – عليها السلام – في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [2].

ثانياً: أخبار غيب الحاضر:

لقد كشفت آيات كثيرة أحداثاً، وقضايا في حينها لم يحضرها الرسول ﷺ ، ولم يخبره بها أحد من أصحابه ﷺ، وفي سورة التوبة من هذا النوع الكثير، فقد وردت آيات تكشف حال المنافقين، وما يخفونه بينهم أو في صدورهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [3]، وقال سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ ﴾ [4].

ولاشتهار هذا بين المنافقين، والكفار فإنهم يتنادون فيما بينهم أن اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم إله محمد، ووصف الله – تعالى – حال المنافقين في ذلك بقوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا

(١) سورة القصص، الآيات: ٤٤ – ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

﴿ تَحۡذَرُونَ ﴾[(١)]، يقولون ذلك لما شاهدوا من أخبار الغيب التي يجيء بها القرآن الكريم.

وقد فضح الله – تبارك، وتعالى – أمرهم، وأعلم رسوله ﷺ بأشخاصهم حتى أسر – عليه الصَّلاة، والسَّلام – إلى حذيفة بن اليمان ﵁ بأسماء المنافقين، فكان صاحب سر رسول الله ﷺ في أمرهم، وفي أخبار الفتن، من ذلك: ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن قيس بن عباد، قال: قُلنا لعمار: أرأيت قتالكم، أَرَأياً رأيتموه؟ فإن الرأي يُخطئ، ويصيب، أو عهداً عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى النَّاس كافة، وقال: إن رسول الله ﷺ ، قال: ((إن في أمتي)) قال شعبة: وأحسبه قال: حدثني حذيفة، وقال غندر: أراه قال:((في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنَّة، ولا يجدون ريحها، حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبَيْلَةُ[(٢)]، سِراجٌ من النار يَظْهر في أكتافهم، حتى يَنْجُمَ من صدورهم))[(٣)].

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، والخلال في السُّنة، واللفظ له عن زيد بن وهب ﵀ قال: مات رجل من المنافقين، فلم يُصلِّ عليه حذيفة ﵁، فقال له عمر﵁:((أَمِنَ القومِ هو؟، فقال: نعم، قال: فقال: بالله، فمنهم أنا ؟ قال: لا، ولن أخبر أحداً بعدك))، وفي رواية عند البوصيري، والحافظ ابن حجر ((فبكى)) ﵁[(٤)].

---

(١) السورة نفسها، الآية: ٦٤.

(٢) الدُّبَيْلة: فسرها – ﷺ – في الحديث بقوله:(سِراجٌ من نار...)، وقيل: هي ذاتُ الجَنْب، وهي قَرْحَةٌ قبيحة تثقبُ الْبَطن، وَرُبَمَا كَنَوْا عنها فقالوا: ذاتُ الجَنْب، قالَهُ ابن شُمَيل، ويقال لها: الأَلِيلة، وقيل:هي خُرَاجٌ، ودُمَّلٌ كَبِيرٌ تَظْهَرُ في الجَوفِ فتَقْتل صاحبها غالباً، وهي تَصْغيرُ دُبْلَة، وكُلُّ شيءٍ جُمِعَ فقد دُبِلَ، وذات الجنب: هي الدُّبَيْلَة، والدُّمَّل الكبيرةُ التي تَظهرُ في باطن الجنب، وتَنْفَجر إلى داخل، وقَلَّمَا يَسْلمُ صاحبها، وذو الجَنْب الذي يَشتكي جَنبه بسبب الدُّبَيْلَة، إلا أن ذو للمذكر، وذات للمؤنث، وصارت ذات الجنب علماً لها، وإن كانت في الأصل صفة مضافة، انظر: تهذيب اللغة، أبواب الجيم، والنون، مادة "جنب" (٨٤/١١)، وباب اللام والميم، (٣١٣/١٥)، والنهاية في غريب الحديث (٩٩/٢)، مادة "دبل"، و(٣٠٣/١–٣٠٤)، مادة "جنب".

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين، وأحكامهم (٢١٤٣/٤) برقم (٢٧٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨١/٧)، برقم(٣٧٣٩٠)، والطبري في جامع البيان (٤٤٣/١٤)، برقم (١٧١٣٠)، والخلال في السنة (١١١/٤) برقم (١٢٨٨)، و(٦٧/٥) برقم(١٦٣٠)، وابن زنجويه في الأموال (٦٠١/٢) برقم (٩٩٢)، والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣/ ٣٤٤) برقم (٣٦٩٦٢)، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة =

وقال قتادة رحمه الله:((...ذُكِرَ لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا مات رجلٌ يرى أنه منهم، نظر إلى حذيفة، فإن صلى عليه، وإلا تركه...))[١].

قلت: وهذا يدل على أن النبي ﷺ قد أسر لحذيفة رضي الله عنه بخبر غيبي في الحاضر عن حقيقة هؤلاء المنافقين، وما سيصيبهم من عذاب الله تعالى في الدنيا، وحرمانهم دخول الجنة في الآخرة، وأنه قد خفي على الصحابة رضي الله عنهم من أمرهم ما قد خفي على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي ذلك من معجزاته ﷺ، التي أشار الله تعالى إليها في كتابه، وأخبر عنها بقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٢]، والله أعلم.

=

(٤٧٤/٢) برقم (١٩١٦)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٧٠٢/١٤) برقم (٣٦٢٣)، قال:((وقد استنكره يعقوب بن سفيان من حديث زيد بن وهب)) يعني: الفسوي، قلت: وقد رد هذا الاستنكار الإمام الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال (١٠٧/٢) مبيناً توثيق زيد بن وهب، وقبول روايته بقوله:((زيد بن وهب من أجلة التابعين، وثقاتهم، ومتفق على الاحتجاج به إلا ما كان من يعقوب الفسوي فإنه قال- في تاريخه: "في حديثه خلل كثير"، ولم يصب الفسوي، ثم إنه ساق من روايته قول عمر: يا حذيفة، بالله أنا من المنافقين؟ قال: "وهذا محال، أخاف أن يكون كذباً، قال: ومما يستدل به على ضعف حديثه روايته عن حذيفة: إن خرج الدجال تبعه من كان يحب عثمان، ومن خلل روايته قوله: حدثنا والله أبو ذر بالربذة، قال: كنت مع النبي ﷺ فاستقبلنا أحد...الحديث".

فهذا الذي استنكره الفسوي من حديثه ما سبق إليه، ولو فتحنا هذه الوساوس علينا لرددنا كثير من السنن الثابتة بالوهم الفاسد، ولا نفتح علينا في زيد بن وهب خاصة باب الاعتزال، فردوا حديثه الثابت عن ابن مسعود، حديث الصادق المصدوق، وزيد سيد جليل القدر، هاجر إلى النبي ﷺ ، فقبض، وزيد في الطريق، وروى عن عمر، وعثمان، وعلي، والسابقين، وحدث عنه خلق، ووثقه ان معين، وغيره حتى أن الأعمش قال: إذا حدثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدثك عنه، قلت: مات قبل سنة تسعين أو بعدها))،وعلى ذلك فالأثر صحيح، لما تقدم من تصحيح إسناده، وجلالة علم، وقدر من صححه، وتوثيق أهل العلم لزيد بن وهب، وقبول روايته، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٤٣/١٤) برقم (١٧١٣٠)، والبيهقي بنحوه في السُّنن الكبرى، كتاب المرتد، باب ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقاً كان أو غيره، (٣٤٨/٨) برقم (١٦٨٤٥)، من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه، ولم أقف على تصحيح ثابت له.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

ثالثاً: أخبار الغيب في المستقبل، وهذا القسم آياته كثيرة، وهو على نوعين:

النوع الأول:ما تحقق، وانقطع، **والنوع الثاني**: ما تحقق، وما زال في كل يوم يتحقق.

فمن النوع الأول: إخباره عن انتصار الروم على الفرس كما في قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[١]، وكذلك إخباره عن مملكة أمته، وزوال مملكة فارس، وقتال الترك، والأحاديث، والقصص في ذلك مشهورة معلومةٌ، وتفصيلاتها في صحاح الأحاديث والمسانيد، والسُّنن، وكُتب التفاسير، والسِّير منثورة.

ومنه – أيضاً – وعد الله – سبحانه – للرسول ﷺ ، وأصحابه –رضي الله عنهم– بدخول مكة قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾[٢]، ثم وقع هذا الحادث كما أخبر الله تعالى.

ومن ذلك قوله – تعالى – مخاطباً نبيه محمد ﷺ :﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٣]، فلم يستطع أحد أن يصل إلى الرسول ﷺ بقتلٍ مع كثرة المتربصين له، بل، وكثرةِ المحاولات لذلك، فتبوء كلها بالفشل أمام منعة الله – تعالى – له من أن يُنال بسوء؛ فإن الله – تعالى ذكره – كافيه كُلَّ أحدٍ من خلقه، ودافعٌ عنه مكروهَ كل من يبغي مكروهه.

والشَّواهد على ذلك كثيرة أوردها المؤرخون، والرُّواة، وسردوا منها ما يُثبت أن هذا التَّحدي لم يكن في مجتمع يُخلص الود، والحب، بل كان يَكْمنُ فيه أعداءٌ متربصون، ماكرون، يكيدون من اليهود، والمشركين.

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١-٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

من ذلك ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: ((غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد[١]، فلما أدركته القائلة، وهو في واد كثير العضاه[٢]، فنزل تحت شجرة، واستظل بها، وعلق سيفه، فتفرق النَّاس في الشَّجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا، فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال:"إن هذا أتاني، وأنا نائم، فاخترط[٣] سيفي، فاستيقظت، وهو قائم على رأسي، مخترط صلتا[٤]، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشَامَه[٥]، ثم قعد، فهو هذا" قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ))[٦].

---

(١) غزوة نجد: يُقال لها غزوة ذي أَمَرَّ، وغزوة غطفان، وقعت في السنة الثالثة من الهجرة بعد رجوع رسول الله – ﷺ – من غزوة السَّويق، ومقامه بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها قاصداً بغزوه بلاد نجد يُريد غطفان، وقد خرج في أربعمائة، وخمسون رجلاً، ثم رجع، ولم يلق كيداً بعد أن هربت منه الأعراب في رؤوس الجبال، واختلف في مدة مقامه بِنَجْدٍ فقيل: أحد عشر يوماً، وقيل: اثنتي عشرة ليلة، وقيل: صَفرَ كله أو قريباً من ذلك، انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٤)، ومغازي الواقدي (١/١٩٥)، وسيرة ابن هشام (٢/٤٦).

(٢) العَضاة: كُلُّ شجرٍ له شوكٌ صغر أو كبر، والواحدة منه: عَضَاهة، وهو أنواع كثيرة كالسَمُر، والأَسْلام، والسَّيَال، والشَّبرم، والطَلْح، وهو شجرُ أُمِّ غيلان له شوك مِعوجٌّ، وهو من أعظم العضاه شوكاً، وأصلبه عوداً، وأجوده صمغاً، انظر: معجم البلدان (١/١٨٩)، (٣/٢٤٦)، (٣/٢٩٢)، (٣/٣٢١)، (٤/٣٨)، والمعجم الوسيط، لمجموعة مؤلفين: (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، (٢/٦٠٧)، باب العين، مادة "عضه".

(٣) اخْتَرَطَ السَّيفَ: سَلَّهُ من غِمْدِه، والسَّيفُ مُخْتَرَط معناه سله أيضاً، انظر: كتاب الأفعال، لابن القَّطاع الصقلي (١/٢٧٩)، حرف الخاء، مادة"خَرط"، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (١/٢٣٢)، حرف الخاء، مادة"خَرط"، والمغرب في ترتيب المعرب، للمُطَرِّزِي، (١/١٤٢)، باب الخاء المعجمة (الخاء مع الراء المهملة)، مادة"خَرط".

(٤) الصَّلْت: يدل على بُروزِ الشيءِ، ووضوحه، يُقَال: أَصْلَتَ السَّيفَ إذا جَرَّدَه من غِمْدِه، وضَرَبَهُ بالسَّيف صَلْتا، وصُلْتا أَي: مُجَرَّداً، انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٠٢)، كتاب الصاد، باب الصاد، واللام وما يثلثهما، مادة "صلت"، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٥)، حرف الصاد، باب الصاد مع اللام، مادة"صلت".

(٥) شَامَ السَّيْف: غَمَدَه، وشامه، جَرّدَه أي: سَلَّهُ، يُقال: شَامَ سَيْفَه شَيْماً: إذا أَغْمَد، وسَلَّه، وهو من الأضْداد، وصَابَاه إذا أَدْخله مَقْلوباً، انظر: تهذيب اللغة (١١/٢٩٧– ٢٩٨)، باب الشين، والميم، مادة "شيم"، والمخصص لابن سيده (٢/٢٠)، في انتضاء السَّيف، وإغماده.

(٦) أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، (٥/١١٦)، برقم (٤١٣٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس، (٤/١٧٨٦)، برقم (٨٤٣).

ومن النوع الثاني: الذي تحقق، ومازال يتحقق الإخبار بعد أن وقع التحدي بالقرآن أنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأنهم لن يفعلوا – وقد تقدم – فقال سبحانه:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾، وقال سبحانه:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾،

إنه ليس تحدياً، وحسب، بل تحدٍ مع إخبار مُسبق بأنهم لن يفعلوا!!، ومازال التحدي جارياً، وما زال الخبر الغيبي متحققاً[(١)].

ومنه قوله تعالى:﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾[(٢)]؛ فتضمنت هذه الآية الكريمة: إخبار الجليل بعلمه السَّابق المحيط بكُل شيءٍ عما سيكون عليه حال أفراد مؤمني هذه الأمة، وهو إعذارٌ منه – سبحانه – لهم في قراءة ما تيسر من كتابه العزيز تيسيراً منه، ومنة عليهم، ففيه بيانٌ عن غيب مستقبلي لكيفية تعامل هذه الأمة مع نافلة قيام الليل.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:((وقوله:﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذارٍ في ترك قيام الليل، من مرضى لا يستطيعون ذلك،

---

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، للدكتور فهد عبد الرحمن الرومي ص(٨٧) [بتصرف].

(٢) سورة المزمل، الآية : ٢٠.

ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب، والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية - بل السُّورة كلها- مكية، ولم يكن القتالُ شُرع بعد، فهي من أكبر دلائل النُّبوة؛ لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة، ولهذا قال: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾، أي: قوموا بما تيسر عليكم منه))[١].

ومنه ما جاء في بيان أن الله قد كتب للإسلام البقاء، والخلود، وحفظ القرآن قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٣]، ويظهر ذلك، ويستبين إذا علمت أن هذه الآيات نزلت في مكة في وقتٍ كان المشركون متكالبين على الرسول ﷺ، وأصحابه - رضي الله عنهم -، وكان المسلمون في اضطهاد، وتعذيب، ومع هذا جاءت هذه البشرى ترسل أشعتها، ولو كانت تحمل خبراً بظهورهم على قومهم فحسب لكان فيها إعجاز، وأي إعجاز، فكيف، وهي تحمل خبر (مُكثِ الإسلام في الأرض)، و(إيتاء أكله في كل حين)، و(حفظ الله له) [٤].

وقد بشر النبي ﷺ بما بشر به وليه، ونصيره - جلَّ، وعز -، من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت- رضي الله عنه-، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال:((قد كان من قبلكم، يُؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه، وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٥٨/٨).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

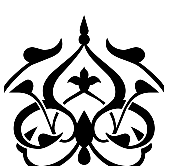
(٤) انظر: خصائص القرآن الكريم، ص(٨٧) [بتصرف].

ولكنكم تستعجلون))[(١)].

فهذا إعلام، وإخبار منه - عليه الصلاة، والسلام - بما أخبره به الله - ﷻ- وأوحاه إليه من الغيب.

ويدخل في معجزاته ﷺ المتعلقة بأُمور الغيب إخباره عن أركان الإيمان خاصة كالإيمان بالله - تعالى - من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، والملائكة، والكتب المنزلة، والجنَّة، والنَّار ، وبما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلمه منهم، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة، ونحو ذلك من النَّقل المتواتر، وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم كحبر اليهود عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -، وغيره ممن أسلم.

ومن معجزاته ﷺ المتفرقة كثرةُ الرَّمي بالنُّجوم عند ظهوره، وتكثيرُ الماءِ في عين تبوك، وعين الحديبية، ونبع الماء من بين أصابعه، والطعام كُثِّر ببركته عدة مرات يوم الأحزاب، ويوم تبوك، ويوم عمرة القضاء، وتكثير اللبنِ، وتكثيرُ التَّمرِ القليل، وتكثيرُ الشَّعير القليل، وانقيادُ الشجرِ له، وحنينُ الجذع - لفراقه - شوقاً إليه، والشَّاة العجوز التي لا تلد حُلبت حين مَسَّ ضرعها بيده الشَّريفة، وتسليمُ الحجر عليه، وسجودُ البعيرِ، وانقيادهِ له، وشكوى صاحبه إلى النبي ﷺ ، وإجابة دعواته في الحال مما يدل على صدقه، وتَعُينِ الحق معه، ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بدعاء يُشاهد المسلمون، وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوته، وآيات صدقه - عليه الصَّلاة، والسَّلام - ومن معجزاته ﷺ ، نطق الجمادات بين يديه، وشهدتها له بالرِّسالة، ، وبرأُ المرضى بدعائه أو بلمسة يده أو بنفثة من فمه، وغيرها كثير، ولو أردت استقصاء ما بقي من معجزاته ﷺ في هذه الرِّسالة المتواضعة لطال المقام بذكرها، ولكن حسبي ما ذُكرَ، وقد أَفرد جماعة من السّلفُ - رحمهم الله - لمعجزاته ﷺ مؤلفات نفيسة سارت بها الركبان، ونهل من معينها طلاب العلم إلى يومنا هذا، والمقصود إثبات شهادة الله - ﷻ - لرسوله ﷺ بتأييده بالمعجزات الباهرة، والتي تُعدُّ من دلائل صدق نبوته، وبالله التوفيق.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب، والقتل، والهوان على الكفر، (٩/٢٠)، برقم (٦٩٤٣)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي- ﷺ -، وأصحابه - رضي الله عنهم - من المشركين بمكه، (٥/٤٥)، برقم (٣٨٥٢).

المبحث الثالث

شهادة الله ﷻ للرَّسول ﷺ بتأييده بالحُجج الظَّاهرة

تقدم الكلام في المبحث السَّابق عن آيات الله – تعالى – البينات التي أيد بها أنبيائه، ورسله – عليهم الصلاة، والسَّلام –، ومنها شهادته – ﷻ – لرسوله – ﷺ – بتأييده بالمعجزات الباهرة، وفي هذا المبحث – إن شاء الله – تعالى – سيكونُ الحديثُ عن شهادته – ﷻ – لرسوله – ﷺ – بتأييده بالحجج، والبراهين الظاهرة الدَّالة على صدق رسالته ﷺ، وعمومها للعالمين، وختمها لميراث الأنبياء، والمرسلين.

فمن المتقررُ في اعتقاد السَّلف الصالح أهل السُّنة، والجماعة، والثابت بدلالة الكتاب، والسُّنة –كما تقدم – أن الله – سبحانه – لم يبعث نبياً، ولا رسولاً إلاَّ ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به، وذلك لكمال عدله، ورحمته، وإحسانه، وحكمته، ومحبته للعذر، وإقامة الحجة، قال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، وقال تعالى:﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾(٣)، وقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾(٤).

ومن هذه الآيات البينات، والدَّلائل العظيمة ما تقدم ذكره من المعجزات الباهرات، ومن

(١) سورة النحل، الآيتان: ٤٣ – ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٣) السورة نفسها، الآية: ١٨٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٧.

الآيات - أيضاً - ما أيَّد به - جَلَّ، وعلا - أنبيائه، ورسله - عليهم السلام - من الحجج الظاهرة المتضمنة للمُحاجة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهي طريقة الأنبياء، وأتباعهم.

فالمجادلة، أو الجدل، والْمُحاجة هي الأصل، وهي الطريق في الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار، وتبادل في الأدلة، ومناقشتها؛ لأن من النَّاس من لا تقنعه الموعظة، ولا التوجيه، والإرشاد، فيحتاج إلى مجادلة، ومناظرة لإقناعه، وتوجيهه، فقد تكون عند البَعض شبهة، أو يقع في تأويل ما فهذا الجنس من النَّاس يحتاج إلى مجادلة، ومناظرة، بما يراه المجادل، والمناظر مناسباً من حاله، مع الأخذ بالاعتبار طبيعة الزمان، والمكان، وأيضاً عقيدة المناظر، ومذهبه، فإن هذا من الحكمة.

وقد أخبر الله - تبارك، وتعالى - في كتابه العزيز عن قيام أولي العزم من الرُّسل - عليهم السَّلام - بمجادلة الكُفار من ذلك قوله - تعالى - حكاية عن قوم نوح - عليه السلام -: ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1].

فنقض حجتهم باستعجال العذاب بما دحض به دعواهم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[2]، فما أعجزوا الله - عز وجل -، ووقع ما استعجلوه من أمره حين شاء، وكيف شاء جزاءَ كفرهم، وعصيانهم؛ فكانت آية بينة على صدق نبوة، ورسالة نوح عليه السلام.

كما أبان الله - تعالى - في كتابه العظيم مُجادلات، خليله إبراهيم- عليه السلام- مع الملك الظالم، وقومه، والملائكة، وما أيده سبحانه، وتعالى به من الحُجج الدَّامغة، والتي كانت آية بينة، ودلالة ظاهرة على صدق نبوته، ورسالته عليه السلام.

فقال عن مجادلته خليله، ومحاجته مع الملك الظالم (النَّمرود بن كنعان): ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠

(١) سورة هود، الآية: ٣٢.

(٢) السورة نفسها، الآية: ٣٣.

أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

وقال عن مجادلته، ومحاجته لقومه: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

ومن أخفى آيات الرُّسل، ومجادلاتهم، ومحاجتهم آيات نبي الله هود - عليه السلام -، إذ قال له قومه: ﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾[٣]، ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبرها، وقد أشار إليها بقوله: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤]؛ فهذا من أعظم الآيات: أن رجلاً واحداً يخاطب أمة عظيمةً بهذا الخطاب، غير جزعٍ، ولا فزعٍ، ولا خوار، بل هو واثق بما قاله، جازم به، فأشهد الله أولاً على براءته من دينهم، وما هم عليه، إشهادَ واثقٍ به معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره، وغير مسلط لهم عليه، ثم أشهدهم إشهاد مجاهرٍ لهم بالمخالفةِ أنهُ بريءٌ من دينهم، وآلهتهم التي يوالون عليها، ويبذلون دماءهم، وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أَكَّد ذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٨٠-٨٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٤) سورة هود، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

عليهم بالاستهانة لهم واحتقارهم، وازدرائهم، ولو يجتمعون كلهم على كيده، وشفاءِ غيظهم منه، ثم يعاجلونه، ولا يمهلونه، لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه، وفي ضمن ذلك: أنهم أضعفُ، وأعجزُ، وأقل من ذلك، وأنكم لو رمتموه لانقلبتم بغيظكم مكبوتين مخذولين؛ ثم قرر دعوته أحسن تقرير، وبين أن ربه – تعالى –، وربهم الذي نواصيهم بيده هو وليه، ووكيله القائم بنصره، وتأييده، وأنه على صراط مستقيم، فلا يخذلُ من توكل عليه، وآمن به، ولا يشمت به أعداءه، ولا يكون معهم عليه، فإن صراطه المستقيم الذي هو عليه – في قوله وفعله – يمنع ذلك، ويأباه.

وتحت هذا الخطاب أن من صراطه المستقيم أن ينتقم ممن خرج عنه، وعمل بخلافه، وينزل به بأسه، فإن الصراط المستقيم هو العدل الذي عليه الرب – تعالى –، ومنه انتقامه من أهل الشرك، والإجرام، ونصره أولياءه، ورسله على أعدائهم، وأنه يذهب بهم، ويستخلف قوماً غيرهم، ولا يضره ذلك شيئاً، وأنه القائم – سبحانه – على كُلِ شيءٍ حِفْظاً، ورعايةً، وتدبيراً، وإحصاءً.

فأي آية، وبرهان أحسنُ من آيات الأنبياء، وبراهينهم، وأدلتهم؟ وهي شهادة من الله – سبحانه – بينها لعباده غاية البيان، وأظهرها لهم غاية الإظهار بقوله، وفعله[1]، وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))[2].

وفي مقابل طريقة أنبياء الله – تعالى – ورسله – عليهم السَّلام – ذم الله – سبحانه – من جادل بغير علم، أو في الحق بعد ما تبين، ومن جادل بالباطل قال – ﷻ –: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٣٢)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٥٠ – ٥١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد – ﷺ – إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، (١/١٣٤)، برقم (١٥٢).

﴿تَعۡلَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٣]، وهذا هو الجدال المذكور في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[٤][٥].

قلت: وما أكثر هؤلاء في زماننا لا كثرهم الله- ﷻ -؛ فالمحاجُّون فيما ليس لهم به علمٌ جهلةٌ مجترئونَ مغرورونَ متعالمون، وأما المجادلون من بعد ما تبين لهم الحق؛ فمنهم المعاندون، والحاسدون، والمنتصرون لأنفسهم، وأما المجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق؛ فما أجرأهم على الله – تعالى –، ولذا فهم متوعدون بعقابه- جلَّ، وعلا- جزاء كفرهم بالحق من بعد ما تبين لهم، والاعتراض عليه بالباطل لإحقاقه فوق حق الله – ﷻ –، وحق رسوله ﷺ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فذم الله – تعالى – في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة: ذم المحاجة فيما لا يعلم المحاج، وذم المجادلة في الحق بعد ما تبين، وذم أصحاب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق،...والذي ذمه السَّلف، والأئمة من المجادلة، والكلام هو من هذا الباب، فإن أصل ذمهم الكلام المخالف للكتاب والسنة، وهذا لا يكون في نفس الأمر إلا باطلاً، فمن جادل به جادل بالباطل، وإن كان ذلك الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل لما فيه من الشُّبهة، فإن الباطل المحض الذي يظهر بطلانه لكل أحد لا يكون قولاً، ومذهباً لطائفة تذب عنه، وإنما يكون باطلاً مشوباً بحق، كما قال تعالى: ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٦]، أو تكون فيه شبهة لأهل الباطل، وإن كانت باطلة، وبطلانها يتبين عند النَّظر الصحيح،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٤.

(٥) انظر: الجواب الصحيح (١/٢٤٠).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

كالذين قالوا: إن محمداً ﷺ شاعر، وكاهن، ومجنون، قالوا: إنه شاعر؛ لأن الشعر كلام موزون مقفى فشبهوا القرآن به من هذا الوجه، والكاهن يخبر أحياناً بواحدة تصدق فشبهوا الرسول به من هذا الوجه، والمجنون يقول، ويفعل خلاف ما في عقول ذوي العقول؛ فلما زعموا أن ما يأتي به الرسول ﷺ يخالف ما يأتي به العُقلاء نسبوه إلى ذلك[١].

وقد شهد الله – ﷻ – لرسوله ﷺ بتأييده بالحُجج، والبراهين الظاهرة الدَّالة على صدق نبوته، ورسالته، وذلك في مجادلة المخالفين من أهل الكتاب، والمشركين، والمنافقين، وقبل الشُّروع في ذكر الأمثلة على هذه الحُجج ينبغي لنا أن نعلم أمر الله – تعالى – لنبيه الكريم ﷺ بالمجادلة لقومه، ولكن بالتي هي أحسن كما في قوله:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٢]؛ فأمره في هذه الآية بالجدال، وعلَّمه فيها جميع آدابه، من الرفق، والبيان، والتزام الحقِّ، والرجوع إلى ما أوجبته الحُجَّة[٣].

فالجدال هنا يُراد منه أن يكون بالطريق التي هي أحسن طُرق المجادلة، وإنما أمر – سبحانه – بالمجادلة الحسنة لكون الداعي مُحقاً، وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مُبطِلاً، وغَرضه فاسداً[٤].

كما نهى المؤمنين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وذلك في آية مُحكمة على الرَّاجح من أقوال أهل العلم قال تعالى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[٥].

فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله – ﷻ –، والتنبيه على حُججه، وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ، والمخاشنة[٦].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/١٧٠-١٧١)،[بتصرف يسير].

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) انظر: مشارق الأنوار الوهَّاجة ومطالع الأسرار البهَّاجة، لمحمد بن علي الإتيوبي الولَّوي، (٢/١١٢)، [بتصرف يسير].

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤٢)، [بتصرف يسير].

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٦) انظر: جامع البيان(٢٠/٤٦)، والجامع لأحكام القرآن(١٣/٣٥٠)، [بتصرف].

قلت: وفي ذلك إحقاقٌ للحق، وبيانٌ له، ودعوةٌ لهم إليه، وإزهاقٌ للباطل، وتنفيرٌ لهم منه، وإغاظة للمعاندين منهم بنقض أقوالهم، ودحض حُججهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((...ما ذكره الله - تعالى - من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا، مُحكم لم ينسخه شيءٌ، وكذلك ما ذكره - تعالى- من مُجادلة الخلق مطلقاً بقوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]؛ فإن من النَّاس من يقول: آيات المجادلة، والمحاجة للكفار منسوخات بآية السَّيف؛ لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط، فإن النَّسخ إنما يكون إذا كان الحُكم النَّاسخ مُناقضاً للحُكم المنسوخ، كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشَّام؛ ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمقيم للتخيير بين الصيام، وبين إطعام كل يوم مسكيناً، ومناقضة نهيه عن تعدي الحدود التي فرضها للورثة للأمر بالوصية للوالدين، والأقربين، ومناقضة قوله لهم كفوا أيديكم عن القتال لقوله: قاتلوهم كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ ﴾[2]؛ فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم، فأما قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾، وقوله: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾؛ فهذا لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يُناقض النَّهي عنه، والاقتصار على المجادلة ...))[3].

وقال الإمام النَّحاس رحمه الله: ((...فمن قال هو منسوخ احتج بأن الآية مكية فنسخ هذا

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح (١/٢١٧-٢١٨- ٢١٩)،[باختصار].

بالأمر بالقتال، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية، ولا غير ذلك))[١].

كما اختار القول بجواز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن الإمام الطبري رحمه الله، وصوبه، وعلل ذلك بقوله:((...لأن الله – تعالى – ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب، بغير الذي هو أحسن بقوله:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾؛ فمعلوم إذ كان قد أَذِنَ لهم في جدالهم، أن الذين لم يُؤْذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، غير الذين أُذنَ لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن؛ لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق؛ لأنه إذا جاء بغير الحق، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحق، فإذ كان ذلك كذلك، تبين أن ألا معنى لقول من قال: عنى بقوله:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أهل الإيمان منهم، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أنه لا يجوز أن يُحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل))[٢].

وقد فسر الإمام ابن سعدي رحمه الله معنى الآية على وجه يحسن ذكره هنا مع بيان منهج أهل الإيمان في مجادلة أهل الكتاب فقال:((ينهى – تعالى – عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق، ولطف، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه، ورد عن الباطل، وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة، والمغالبة، وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده، وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة، والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع))[٣].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص(٦١١).

(٢) جامع البيان (٤٨/٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(٦٣٢).

قلت: فمن جادل بعد – الجدال معه بالتي هي أحسن – على وجه المعاندة، والمشاغبة بالباطل ليبطل الحق؛ فقد شرع الله – تعالى – لنبيه – ﷺ –، وللمؤمنين جدالهم باللِّسان، والإغلاظ عليهم في ذلك.

وهو داخل فيما أمر الله – ﷻ – به النبي ﷺ من مجاهدة الكفار، والمنافقين، والإغلاظ عليهم كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[١]، فمع جهادهم بالسَّيف، والسِّنان، يكون جهاد الحُجة، والبيان، والإغلاظ على من افترى منهم على الله – تعالى –، وعلى رسوله ﷺ، وشريعته بالكذب، والبهتان.

أخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والنَّسائي، والحاكم، وصححه عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : ((جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم))[٢].

قال الإمام ابن علاَّن[٣] رحمه الله: ((قوله: (جاهدوا المشركين بأموالكم) بأن تنفقوها في عدد الحرب، وآلاته من خيل، وكُراع، وسلاح (وأنفسكم) بأن تقاتلوهم (وألسنتكم) بأن تُقَرِّعوهم

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٧٢/١٩)، برقم (١٢٢٤٦)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد (١٠/٣)، برقم (٢٥٠٤)، والنسائي، كتب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، (٧/٦)، برقم (٣٠٩٦)، والحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد، (٩١/٢)، برقم (٢٤٢٧)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الجهاد، باب جهاد المشركين باللسان، واليد، (١٥٧٧/٣)، برقم (٢٤٥٧)، وابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب فرض الجهاد، وذكر الأمر بالحث على الجهاد، وقتال أعداء الله الكفرة، (٦/١١)، برقم (٤٧٠٨)، والبيهقي في السنن الصغير، كتاب السير، (٣٥٩/٣)، برقم (٢٧٥٣)، وصححه الألباني في تخريجه على مشكاة المصابيح (١١٢٤/٢)، برقم (٣٥/٣٨٢١)، وصحيح أبي داود (٢٦٥/٧)، برقم (٢٢٦٢)، وقال: قلت: (إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذلك قال الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان)، كما صححه في صحيح الجامع الصغير (٥٩٣/١)، برقم (٣٠٩٠).

(٣) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي: مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة، له مصنفات، ورسائل كثيرة، منها (ضياء السبيل) في التفسير، و(الفتح المستجاد لبغداد)، و(بناء الكعبة)، و(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)، و(التلطف في الوصول إلى التعرف)، و(مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام)، و(إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل)، ولد سنة ٩٩٦، وتوفي ١٠٥٧هـ، انظر في ترجمته: الأعلام (٢٩٣/٦).

بكفرهم، وتُوَبِّخوهم بشركهم، أو بإقامة الحُجة على ضلالهم، وبُطلان أعمالهم))[(١)].

وقال الأمير الصنعاني رحمه الله:((الحديث دليلٌ على وجوب الجهاد بالنَّفس، وهو بالخروج، والمباشرة للكفار، والمال، وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد، والسِّلاح، ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾[(٢)]، والجهاد باللِّسان بإقامة الحُجة عليهم، ودعائهم إلى الله – تعالى–، وبالأصوات عند اللقاء، والزَّجر، ونحوه من كل ما فيه نِكاية للعدو ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[(٣)]...))[(٤)].

وقال الإمام الطيبي[(٥)] رحمه الله: ((قوله: (وألسنتكم): أي جاهدوهم بها بأن تذموهم، وتصيبوهم وتسبوا أصنامهم، ودينهم الباطل، وبأن تخوفوهم بالقتل، والأخذ، وما أشبه ذلك.

فإن قلت: هذا يخالف قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[(٦)]، **قلت**: كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا؛ لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى، والنهي مُنصَبٌ علي الفعل الْمُعَلَّلْ، فإذا لم يؤد السَّب إلي سب الله تعالى يجوز))[(٧)].

---

(١) دليل الفالحين لابن علان (١٤٢/٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٣) السورة نفسها، الآية:١٢٠.

(٤) سبل السلام، للصنعاني (٤٦٠/٢).

(٥) قيل: اسمه حسن، وقيل الحسن، وقيل الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطِّيبِيّ بكسر الطاء، إمام من علماء الحديث، والتفسير، والبيان، فهَّام في المعقولات، من عراق العجم، كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة ، والمبتدعة مظهراً فضائحهم ، ملازماً لإشغال الطلبة في العلوم الإسلامية مقبلاً على نشرها، وآية في استخراج الدقائق من القرآن، والسُّنن، كان ذا ثروة من إرث، وتجارة لم يزل ينفق في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً ضعيف البصر، من كتبه:(التبيان)، و(شرح الكشاف)، و(شرح مشكاة المصابيح)، توفي رحمه الله سنة ٧٤٣هـ في بيت من بيوت الله تعالى، وهو مُنتظرٌ لإقامة الفريضة، انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (١٨٥/٢–١٨٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (١٤٦/١)، وطبقات المفسرين لأدنه وي ص(٢٧٧).

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (٢٦٤٤/٨).

وقال الملا علي القاري رحمه الله:(((وألسنتكم) : أي: بدعوتهم إلى الله تعالى))[(١)].

ومن هنا تتضح طريقة المنهج القرآني، والسُّنة النبوية، وسلف الأمة الصالح في جدال المخالفين لأهل الإسلام على مر العصور، والأزمان، وفيما يلي ذكرٌ لبعض الأمثلة على شهادة الله – عز وجل – للنبي ﷺ في محاجة، ومجادلة أهل الكتاب، وأهل الشِّرك، والنِّفاق، والزيغ، والعناد.

أولاً: شهادة الله – تعالى – لرسوله ﷺ بالحُجج الظاهرة في مجادلة أهل الكتاب:

إن المستقرئ لنصوص الكتاب، والسُّنة يجد لمواقف أهل الكتاب مع رسول الله،– وبخاصة اليهود – نصيب كبير من المجادلة، والمحاجة، وذلك في مواضع كثيرة، منها:

مقالة اليهود للنَّبي ﷺ : أن أجسامنا لن تلاقي النار، ولن ندخلها،"إلا أياما معدودة"[(٢)]، وهو أصل منشأ القول بأن أهل النَّار يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قومٌ آخرون[(٣)].

قال تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[(٤)].

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود، فهم شيوخ أربابه، والقائلين به، وقد دل القرآن، والسُّنة، وإجماع الصحابة، والتابعين، وأئمة الإسلام على فساده[(٥)].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/٢٤٧٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/٢٧٤)، [بتصرف يسير].

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٦٢٥)، [بتصرف يسير].

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٨٠ – ٨٢.

(٥) انظر: حادي الأرواح ص(٣٥٣)، ولوامع الأنوار (٢/٢٣٤-٢٣٥).

وقد أكذبهم الله- عَجَلَّ- في القرآن، وأرشد النَّبي ﷺ إلى إكذابهم بحُجةٍ دحض بها زعمهم الباطل كما في الآيات السابقة عند قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، والمعنى: قل يا محمد، لمعشر اليهود: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: أأخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقاً، فالله لا ينقض ميثاقه، ولا يبدل وعده، وعقده، أم تقولون على الله الباطل جهلاً، وجراءةً عليه؟[(١)].

فهذا مطالبته لهم بتصحيح دعواهم، وترديدٌ لهذه المطالبة بين أمرين لا بد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾خبرٌ عن غيب لا يعلم إلا بالوحي فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كاذباً، وإما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله، وعهد عهده إلى الْمُخْبِر، وهذا مُنتفٍ قطعاً فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائله كاذب على الله تعالى[(٢)].

وقد جاء تفسير العَهْدِ في الآية بعدةِ ألفاظٍ مختلفة المباني، ولكنها في حقيقتها عند التأمل متقاربة المعاني مفادها العهد الذي تكون به النَّجاةُ من النَّار يوم القيامة.

فجاء تفسيره، بالميثاق، والعقد، والحُجة، والبُرهان، وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وذلك في قول الصَّحابة، والتَّابعين، كابن عباس، ومجاهد، وقتادة فيما أخرجه الإمام الطبري بسنده.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: موثقاً من الله بذلك أنه كما تقولون"[(٣)]، وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قالت اليهود: لن ندخل النَّار إلا تحلةَ القسم، عدة الأيام التي عبدنا فيها العجل، فقال الله:﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾، بهذا الذي تقولونه؟ ألكم

---

(١) جامع البيان (٢/٢٧٨-٢٧٩).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٤/٢٧٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٢/٢٧٩).

بهذا حجة، وبرهان؟ فلن يخلف الله عهده، فهاتوا حُجتكم، وبُرهانكم، أم تقولون على الله ما لا تعلمون"؟.

كما فَسَّرَهُ ابن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة، وترجمانها بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فقال – رضي الله عنه –: ((يقول: أقلتم لا إله إلا الله لم تشركوا، ولم تكفروا به؟ فإن كنتم قلتموها فارجوا بها، وإن كنتم لم تقولوها، فَلِمَ تقولون على الله ما لا تعلمون؟ يقول: لو كنتم قلتم لا إله إلا الله، ولم تشركوا به شيئاً، ثم متم على ذلك، لكان لكم ذُخراً عندي، ولم أخلف وعدي لكم: أني أجازيكم بها ".

وجميع هذه الأقوال واحدة؛ لأن مما أعطاه الله عباده من ميثاقه: أن من آمن به، وأطاع أمره، نجاه من ناره يوم القيامة، ومن الإيمان به، الإقرار بأن (لا إله إلا الله)؛ وكذلك من ميثاقه الذي واثقهم به: أن من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاة من النار، فينجيه منها، وكل ذلك، وإن اختلفت ألفاظ قائليه، فمتفق المعاني، والله تعالى أعلم[١].

وقد أُسقط في أيدي اليهود، وحاروا جواباً عن حُجة رسول الله ﷺ التي أيده الله – تعالى – بها؛ فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال:((لما فُتحت خيبر أُهديت للنَّبي ﷺ شاة فيها سُم، فقال النبي ﷺ : « اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود» فجمعوا له، فقال: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟»، فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ : «من أبوكم؟»، قالوا: فلان، فقال: «كذبتم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: «من أهل النار؟»، قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال ﷺ : « اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا »، ثم قال: « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ »، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: « هل جعلتم في هذه الشَّاة سُماً؟ »، قالوا: نعم، قال:« ما حملكم على ذلك؟»، قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح،

(١) انظر: المصدر السابق، [بتصرف يسير].

وإن كنت نبياً لم يضرك))[١].

وشاهد الحديث قوله ﷺ :«من أهل النَّار؟»، قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال ﷺ : « اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا »؛ ففيه نقض لدعواهم الكاذبة، وافترائهم على الله – تعالى– بعدم تخليد من كفر به، وبرسوله في النار، واستخلاف أمة محمد ﷺ عوضاً عنهم !!

وقد قَرَّر– سبحانه– إكذابهم في مقام كلامهم الذي أَوَلُه الجَحْدُ في قولهم:﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾، وذلك بإخباره لهم بقوله:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾؛ فهو– ﷻ– مُعذبُ من أشرك، ومن كفر به، وبرسله، وأحاطت به ذنوبه، ومخلده في النار؛ فإن الجنة لا يسكنها إلا أهل الإيمان به، وبرسوله، وأهل الطاعة له، والقائمون بحدوده[٢].

والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى:﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣]، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾[٤]، وقال:﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يعفى عنهم، (٤/٩٩)، برقم (٣١٦٩)، وفي كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ، (٧/١٣٩)، برقم (٥٧٧٧)، وقد أخرج الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره هذا الحديث بسنده، وبطرق متعددة منها الحسان، ومنها المرسلة التي يقوي بعضها بعضاً، كما ذهب إليه الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح، انظر: جامع البيان (٢/٢٧٤-٢٧٨)، وفتح الباري (١٠/٢٤٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/٢٨٠)، [بتصرف يسير].

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الحج، الآية: ٢٢.

كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[(٣)]، وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة، وهو نظير قول - تعالى-: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[(٤)].

ومن شهادته لرسوله ﷺ في مجادلة اليهود بالحُجج الظاهرة - أيضاً - قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[(٥)].

فهذه حكاية من الله - تعالى - للمناظرة بين الرّسول ﷺ، وبين اليهود لما قال لهم آمنوا بما أنزل الله تعالى فأجابوه بأن قالوا: ﴿ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾، ومرادهم بهذا التخصيص أن نؤمن بالمنزل علينا دون غيره فظهرت عليهم الحجة بقولهم هذا من وجهين دل عليهما قوله تعالى: ﴿ وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ إلى آخر الآية، وبيانهما على النحو التالي:

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ٢٣ - ٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٩١ - ٩٢.

الوجه الأول: قال: إن كنتم قد آمنتم بما أنزل عليكم؛ لأنه حق فقد وجب عليكم أن تؤمنوا بما جاء به محمد؛ لأنه حق مصدق لما معكم، وحكم الحق الإيمان به أين كان، ومع من كان فلزمكم الإيمان بالحقين جميعاً أو الكفر الصُّراح.

وفي قوله:﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ نُكتةٌ بديعة جداً، وهي أنهم لما كفروا به، وهو حق لم يكن إيمانهم بما أنزل عليهم؛ لأجل أنه حق فإذا لم يتبعوا الحق فيما أُنزل عليهم، ولا فيما جاء به محمد؛ لأنهم لو آمنوا بالمنزل عليهم أنه حق لآمنوا بالحق الثاني، وأعطوا الحق حقه من الإيمان ففي ضمن هذه الشَّهادة عليهم بأنهم لم يؤمنوا بالحق الأول، ولا بالثاني، وهكذا الحكم في كُل من فرق الحق فآمن ببعضه، وكفر ببعضه كمن آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض، وكمن آمن ببعض الأنبياء، وكفر ببعض لم ينفعه إيمانه بما كفر به حتى يؤمن بالجميع، ونظير هذا التفريق من يرد آيات الصفات، وأخبارها، ويقبل آيات الأوامر، والنَّواهي؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه آمن ببعض الرِّسالة، وكفر ببعض فإن كانت الشُّبهة التي عرضت لمن كفر ببعض الأنبياء غير نافعة له فالشبهة التي عرضت لمن رد بعض ما جاء به النبي ﷺ أولى أن لا تكون نافعة، وإن كانت هذه عُذراً له فشُبهة من كذَّب بعض الأنبياء مثلها، وكما أنه لا يكون مؤمناً حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بعضه، ورد بجميعهم، فكذلك لا يكون مؤمناً حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول؛ فإذا آمن ببعضه، فهو كمن كفر به كله؛ فتأمل هذا الموضع، واعتبر بالنَّاس على اختلاف طوائفهم يتبين لك أن أكثر من يدعى الإيمان بريءٌ من الإيمان، ولا حول، ولا قوة إلا بالله.

الوجه الثاني: من النَّقض قوله: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، ووجه النقض: أنكم إن زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم، وبالأنبياء الذين بعثوا فيكم فلم قتلتموهم من قبل وفيم أنزل إليكم الإيمان بهم، وتصديقهم فلا آمنتم بما أنزل إليكم، ولا بما أنزل على محمد، ثم كأنه توقع منهم الجواب بأنا لم نقتل من ثبتت نبوته، ولم نكذب به فأُجيبوا على تقدير هذا الجواب الباطل منهم بأن موسى قد جاءكم بالبينات، وما لا ريب في صحة نبوته، ثم عبدتم بعد غيبته عنكم، وأشركتم بالله، وكفرتم به، وقد علمتم نبوة موسى – عليه السلام –، وقيام البراهين على صدقة فقال:﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾؛ فهكذا تكون الحُجج، والبراهين، ومناظرات الأنبياء لخصومهم[١].

ومن شهادته – تعالى – لرسوله ﷺ قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أحباء الله، ولنا الدار الآخرة خالصة من دون النَّاس، وإنما يعذب منَّا من عبد العجل مدة، ثم يخرج من النَّار، وذلك مدة عبادتهم له؛ فأجابهم – تبارك، وتعالى – عن قولهم إن النَّار لن تمسهم إلا أياماً معدودة بالمطالبة، وتقسيم الأمر بين أن يكون لهم عند الله – تعالى – عهد عهده إليهم، وبين أن يكونوا قد قالوه عليه ما لا يعلمون، ولا سبيل لهم إلى ادعاء العهد فتعين الثاني، وقد تقدم، ثم أجابهم عن دعواهم خلوص الآخرة لهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبة، والابن لا يكره لقاء أبيه لا سيَّما إذا علم أن كرامته، ومثوبته مختصة به بل أَحبُّ شيءٍ إليه لقاء حبيبه، وأبيه فحيث لم يحب ذلك، ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مُبطل في دعواه، ونظير هذا قوله – ﷻ – في سورة المائدة رداً عليهم في قولهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٤/١٤٨-١٤٩).

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٩١ – ٩٥.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

والمعنى: أن الأبُ لا يعذب ابنه، والحبيبُ لا يعذبُ حبيبه، وهاهنا نكتةٌ لطيفة جداً قل من ينتبه لها، وتقريرها بسؤال، وجواب، فيقال: لو قيل: معلومٌ أن الأب قد يؤدب ولده إذا أذنب، والحبيب قد يهجر حبيبه إذا رأى منه بعض ما يكره قيل: لو تأملت أيها السّائل قوله:﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ لعلمت الفرق بين هذا التعذيب، وبين الهجران، والتأديب.

فإن التعذيب بالذنب ثمرة الغضب المنافي للمحبة فلو كانت المحبة قائمةٌ كما زعموا لم يكن هناك ذنوب يستوجبون عليها العذاب من المسخ قردة، وخنازير، وتسلط أعدائهم عليهم يستبيحونهم يستعبدونهم، ويخربون متعبداتهم، ويسبون ذراريهم؛ فالمحب لا يفعل هذا بحبيبه، ولا الأب بابنه، ومعلوم أن الرحمن الرحيم لا يفعل هذا بأُمةٍ إلا بعد فَرطِ إجرامها، وعتوها على الله، واستكبارها عن طاعته، وعبادته، وذلك ينافى كونهم أحبابه فلو أحبوه لما ارتكبوا من غضبه، وسخطه ما أوجب لهم ذلك، ولو أحبهم لأدبهم، ولم يعذبهم؛ فالتَّأديب شيءٌ، والتعذيب شيء، والتأديب يُراد به التَّهذيب، والرحمة، والإصلاح، والتَّعذيب للعقوبة، والجزاء على القبائح فهذا لون، وهذا لون، وفي ضمن هذه المناظرة معجزة باهرة للنَّبي ﷺ ، وهي أنه في مقام المناظرة مع الخصوم الذين هم أحرص النَّاس على عداوته، وتكذيبه، وهو يخبرهم خبراً جزماً أنهم لن يتمنوا الموت أبداً، ولو علموا من نفوسهم أنهم يتمونه لوجدوا طريقاً إلى الرد عليه بل ذلوا، وغلبوا، وعلموا صحة قوله، وإنما منعهم من تمنى الموت معرفته بما لهم عند الله – تعالى – من الخزي، والعذاب الأليم بكفرهم بالأنبياء، وقتلهم لهم وعداوتهم لرسول الله.

فإن قيل: فهلا أظهروا التَّمني، وإن كانوا كاذبين فقالوا: فنحن نتمناه؟

قيل: وهذا أيضاً مُعجزةٌ أُخرى، وهي أن الله – تعالى– حبس عن تمنيه قلوبهم، وألسنتهم فلم ترده قلوبهم، ولم تنطق به ألسنتهم تصديقاً لقوله:﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

﴿ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[(١)].

وهذه دعوى من كل واحد من الطائفتين أنه لن يدخل الجنة إلا من كان منهما فقالت اليهود لا يدخلها إلا من كان هوداً، وقالت النَّصارى لا يدخلها إلا من كان نصرانياً، فاختصر الكلام أبلغ اختصار، وأوجزه مع أمن اللبس، ووضوح المعنى؛ فطالبهم الله – تعالى – بالبرهان على صحة الدعوى فقال للنبي ﷺ : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾، وهذا هو المسمى سؤال المطالبة بالدَّليل فمن ادعى دعوى بلا دليل يُقال له: هاتِ بُرهانك إن كنت صادقاً فيما ادعيت[(٢)].

ومن شهادته – تعالى – ما شهد به من سؤال اليهود للنبي ﷺ عن الروح، وجوابه لهم كما في قوله سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٣)].

فخاطب سبحانه النبي ﷺ عن سؤال الكفار من أهل الكتاب له عن الروح[(٤)] ما هي ؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٤/١٤٩-١٥١)،[بتصرف يسير].

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) اِخْتَلَف أهل العلم في الروح الذي وقع سؤال اليهود عنه، وعن حقيقته ؟.

قال أبو حيّان الأندلسي رحمه الله: ((واختلاف الناس في الروح بلغ إلى سبعين قولاً)) انظر: البحر المحيط في التفسير (٧/١٠٧)، وقد ذهبوا فيه إلى أقوال متعددة منها: أن المراد بالروح روح الحياة، وقال آخرون: إنه مَلكٌ من الملائكة يقوم صفاً، وتقوم الملائكةُ صفاً، وقيل: إنه جبريل– عليه السلام –، وقيل: خلق من خلق الله، وقيل: عيسى– عليه السلام –، وقيل: القرآن، وقيل: بإبهام المراد بها، وقيل غير ذلك، وفي حقيقته قيل: هو الدم، وقيل: هو نفس الحيوان، وقيل: هو عرض، وقيل: هو جسم لطيف، وقيل: الروح معنى اجتمع فيه النُّور، والطيب، والعلو، والبقاء، والأصح أن المراد بالروح هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان، قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله:((لو كان الأمر على النَّظر، والقياس، والاستنباط في معنى الروح من حديث الموطأ لقلنا أن النَّظر يشهد للقول الأول، وهو الذي تدل عليه الآثار، والله أعلم))، انظر: التمهيد (٥/٢٤٧)، وقال الإمام البغوي رحمه الله:((وهو الأصح))، انظر: معالم التنزيل (٥/١٢٦)، وقال الإمام بد الدين العيني رحمه الله:((اختلفوا في الروح المسؤول عنها، فقيل: =

ثم أرشده إلى أن يقول لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم، وجميع النَّاس من العلم إلا قليلاً من كثير مما يعلم الله تعالى.

فخرج الكلام خطاباً لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق؛ لأنَّ عِلْمَ كُلَّ أحدٍ سوى الله، وإن كَثُر في علم الله قليل.

وقد ثبت في صحيح السُّنة أن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح، كانوا قوماً من اليهود، فنزلت هذه الآية بمسألتهم إياه عنها [١].

جاء في الصحيحين، عن ابن مسعود – رضي الله عنه –، قال:((كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة، وهو يتوكأُ على عسيب [٢]، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي، ثم قال:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾)) [٣]، وزاد في رواية:((فقال

=

هي الروح التي تقوم بها الحياة، وقيل: الروح المذكورة في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ ﴾، والأول هو الظاهر))، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٤٣/٢٥).

وأما حقيقته: فالصحيح أن يوكل علمه إلى الله – عز وجل –، وهو قول أهل السُّنة، قال: عبد الله بن بريدة: "إن الله لم يُطْلع على الروح ملكاً مُقرباً، ولا نبياً، مُرسلاً "، انظر: معالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٥) [بتصرف]، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: عمدة القاري (١٤٠/٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١٥)، وجامع البيان (٥٤١/١٧) (٥٤٥/١٧)، [بتصرف].

(٢) عَسِيب: جريدةٌ من النَّخل، وهي السَّعفة مما لا يَنْبتُ عليه الخُوص، وتَصغيرهُ عُسَيِّبُ، وجمعه عُسُب بضمتين، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٣٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، باب مايكره من كثرة السؤال، وتكلف ما لا يعنيه، (٩٦/٩)، برقم (٧٢٩٧)، ومسلم، كتاب صفة القيامة، والجنة، والنار، باب سؤال اليهود النبي– ﷺ – عن الروح، (٢١٥٢/٤) برقم (٢٧٩٤).

بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه))[١]، وزاد الإمام الطبري بسنده:((فقالوا: أتزعم إنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة، وهي الحكمة، ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[٢] قال: فنزلت:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ ﴾[٣] قال: ما أوتيتم من علم، فنجاكم الله به من النار، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل))[٤].

وفيما تقدم تأييدٌ رباني، وشهادة منه – ﷻ – لرسوله الكريم ﷺ بالحُجة القاطعة الدَّامغة على أعداء الله من اليهود أن الروح من خلقه – تعالى – فلا يعلم حقيقته إلا الله إذ سبق في علمه – سبحانه – أن لا يعلم أحد ما هو، وأن منتهى علمه إليه – تبارك، وتعالى.

ومن الحُجج في شأن النَّصارى، وبُطلان قولهم، ومعتقدهم الفاسد في المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥].

لقد أعلم الله – ﷻ – رسوله ﷺ عقيدة النَّصارى في الألوهية، وأيَّده بالحُجج الظاهرة المبطلة لها فذكر قول النَّصارى، وهو القول الذي ما قاله أحدٌ غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم: أنه ولد من غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نَظِيْرَه، خُلِقَت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب، ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، (٩/١٣٥)، برقم (٧٤٥٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٤) جامع البيان (١٧/٥٤٢).

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧.

ادعوها في المسيح؟.

فدَلَّ على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان، ولا شبهة.

وقد رد الله – تعالى – عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال للنَّبي ﷺ: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يُهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك – دَلَّ على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك.

ومن الأدلة أن الله وحده ملك السَّماوات، والأرض يتصرف فيهم بِحُكْمِه الكوني، والشَّرعي، والجزائي، وهم مملوكون مدبَّرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلهاً معبوداً غنياً من كل وجه؟

هذا من أعظم المحال.

ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – من غير أب، فإن الله يخلق ما يشاء إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء، وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى، وإن شاء من غير أب، ولا أم كآدم[١].

فأخبر – تعالى – عن كُفر النَّصارى بقولهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أن المسيح عيسى ابن مريم – عليه الصَّلاة، والسَّلام– قد كذبهم في هذه الدعوى، في آية أُخرى، وقال لهم: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[٢]، فأثبت لنفسه العبودية التَّامة، ولربه الرُّبوبية الشَّاملة لكل مخلوق.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٢٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين، سواءً كان عيسى – عليه السلام – أو غيره، فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النَّار، وذلك؛ لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له – وهو العبادة الخالصة – لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار؛ فليس للظالمين من أنصارٍ ينقذونهم، أو يدفعون عنهم العذاب كما حكم – تعالى– عليهم بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[(١)]، وهذا من أقوال النَّصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وهذا أكبر دليل على قلة عقول النَّصارى.

كيف قبلوا هذه المقالة الشَّنعاء، والعقيدة القبيحة؟!

كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟!

كيف خفي عليهم رب العالمين؟![(٢)].

قال الإمام ابن حزم رحمه الله:((ولولا أن الله – تعالى – وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾، وإذ يقول – تعالى–حاكياً عنهم﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾، وإذ يقول تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] لما انطلقَ لسانُ مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السَّمج السَّخيف، وتا الله لولا أننا شاهدنا النَّصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يَسَعُ هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخُذلان))[(٤)].

وقد رد الله تعالى عليهم، وعلى أشباههم مقالتهم هذه، بقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ

---

(١) السورة السابقة، الآية: ٧٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٣٩) [بتصرف].

(٣) السورة السابقة، الآية: ١١٦.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٨/١).

﴿وَاحِدٌ﴾(١)، فهو المتصف بكل صفة كمال، المنزه عن كل نقص، المنفرد بالخلق، والتدبير، فما بالخلق من نعمة إلا منه جلَّ جلاله؛ فكيف يُجعل معه إله غيره؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومن ثَمَّ توعدهم - ﷻ - أنهم إن لم ينتهوا عن قولهم هذا فسيصيبهم العذاب الأليم، وفتح لهم باب التوبة، ودعاهم إليه، وذلك عما صدر منهم؛ فيرجعوا إلى ما يحبه، ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى -عليه السلام- عبد الله، ورسوله قال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)؛ فصدَّر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف، واللِّين في قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾.

وقد بين الله - جلَّ، وعز - حقيقة المسيح عيسى -عليه السلام-، وذلك في مواضع من كتابه العزيز من ذلك: بيان حاله، وحال أمه مريم - عليها السلام - فهو رسول من عند الله - تعالى -، وأمه صديقة، وهي درجة تتلو النبوة في الترتيب، والمنزلة من الصَّلاح، قال تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٣).

فهذا غايته، ومنتهى أمره، أنه من عباد الله - تعالى - المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر، ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله - ﷻ -، وهو من جنس الرُّسل قبله، لا مزية له عليهم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٢) السورة نفسها، الآيتان: ٧٣ - ٧٤.

(٣) السورة نفسها، الآيتان: ٧٥ - ٧٦.

تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.

وغاية أمه مريم - أيضاً -، أنها كانت من الصدِّيقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء؛ والصِّديقية: هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح؛ وهذا دليلٌ على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصِّدِّيقية، وكفى بذلك فضلاً، وشرفاً، وكذلك سائر النِّساء لم يكن منهن نبية؛ لأن الله- تعالى - جعل النُّبوة في أكمل الصِّنفين، في الرجال كما قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾[(١)]؛ فإذا كان عيسى - عليه السلام - من جنس الأنبياء، والرُّسل من قبله، وأمه صديقة، فلأيِّ شيءٍ اتخذهما النَّصارى إلهين مع الله؟!.

وهما مع ذلك يأكلان الطعام، لحاجتهما إليه كحاجة بني آدم إلى الطَّعام، والشَّراب؛ فلو كانا إلهين حقاً -كما زعمت النَّصارى - لما أكلاه، ولستغنيا عنه، ولم يحتاجا إلى شيءٍ منه، وذلك أن الإله هو الغني الحميد، ومن الكمال أن الآلهة لا تأكل الطعام[(٢)].

قال الإمام الطبري رحمه الله:((وقوله:﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ خبرٌ من الله - تعالى - ذكره عن المسيح، وأمّه: أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَغْذُوهما، وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإنّ من كان كذلك، فغيرُ كائنٍ إلهًا، لأن المحتاج إلى الغذاء قِوَامه بغيره، وفي قوامه بغيره، وحاجته إلى ما يقيمه، دليلٌ واضحٌ على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا ربًّا))[(٣)].

قلت: فهذا دليلٌ ظاهرٌ على أنهما عبدان فقيران لا يصدق عليهما شيءٌ من خصائص الربوبية، ولا الألوهية، وهذا ما حذر النبي ﷺ أمته من الوقوع فيه حماية لجناب التوحيد من الشرك، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس- رضي الله عنه -، سمع عمر - رضي الله عنه -، يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول:((لا تطروني، كما أطرت النَّصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٢٣٩) [بتصرف].

(٣) جامع البيان (٤٨٥/١٠).

فقولوا عبد الله، ورسوله))[١].

قال الإمام شرف الدين الطِّيبي رحمه الله:

((وذلك أن النَّصارى أفرطوا في مدح عيسى – عليه السلام –، وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولداً لله– تعالى –، فمنعهم النبي ﷺ أن يطروه بالباطل))[٢].

كما احتج عليهم – تعالى – بقوله "قل" يا محمد، لهؤلاء الكفرة من النَّصارى، الزَّاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة، أتعبدون سوى الله – عز وجل – الذي يملك ضركم، ونفعكم، وهو الذي خلقكم، ورزقكم، وهو يحييكم، ويُميتكم شيئاً لا يملك لكم ضرًّاً، ولا نفعاً؟![٣]، قال تعالى:﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:((فقد بين أن من دعا المسيح، وغيره فقد دعا ما لا يملك له ضرًّا، ولا نفعًا))[٤].

وقال في موضع آخر – أيضاً –: ((فلا المسيح، ولا غيره من البشر، ولا أحد من الخلق يملك لأحد من الخلق لا ضرًّاً، ولا نفعاً بل، ولا لنفسه، وإن كان أفضل الخلائق))[٥].

فالمسيح –عليه السلام– الذي زعم من زعم من النَّصارى أنه إله، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابنٌ، لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم، ولا نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم.

فكيف يكون ربًّا، وإلهًا من كانت هذه صفته؟!

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾، (١٦٧/٤)، برقم (٣٤٤٥).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣١٤٦/١٠).

(٣) انظر: جامع البيان (١٠/ ٤٨٦) [بتصرف].

(٤) الإخنائية أو (الرد على الإخنائي) ص(١٠٠).

(٥) المصدر نفسه ص(١٤٧).

بل الربُّ المعبودُ: هو الذي بيده كل شيء، والقادر على كل شيء؛ فإياه فاعبدوا، وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم، ولا يضرون.

ومن بيان حقيقة المسيح -عليه السلام- - أيضاً - أن مثله كمثل آدم -عليه السلام- - في الخلق، والعبودية لله -تبارك، وتعالى-، ومن غير أب وجد كما في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وسبب نزولها ما أخرجه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم من طريق العوفي[2]، ورواه السُّيوطي في الدُّر المنثور عن ابن عباس - رضي الله عنه -: ((أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد ﷺ ، وكان فيهم السَّيد، والعاقب؛ فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله! فقال محمد: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾أجل، إنه عبد الله، قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل - عليه السلام- بأمر ربنا السَّميع العليم فقال: قل لهم إذا أتوك:"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم"، إلى آخر الآية))[3].

فأنزل الله هذه الآية حُجة لنبيه ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى - عليه السلام- ، فيما ذكر أهل التأويل من المفسرين، وأجمعوا عليه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة، العوفي، أبو جعفر البغدادي توفي يوم الأحد، غرة جمادى الأولى، سنة ٢٧٦هـ، من الحادية عشرة، ليِّن، قال الخطيب البغدادي: ذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيع أنه سمع الدارقطني ذكره فقال: لا بأس به، وقال أيضاً: "كان لينا في الحديث"، انظر في ترجمته : تاريخ بغداد (٥/٣٢٢/٢٨٤٥)، ومعجم شيوخ الطبري، لأكرم زيادة (١/٤٩١-٤٩٦)، ورجال الحاكم في المستدرك لمقبل بن هادي الوادعي (٢/٢٠٨).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق محمد بن سعد العوفي بما حدثه عن أبيه، عن عمه الحسين، عن أبيه عن جده، عن ابن عباس، انظر: جامع البيان (٦/٤٦٨-٤٦٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن سعد العوفي فيما كتب له بنحوه، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٦٥)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي(٢/٢٢٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وقد ثبت في الصِّحاح حديث وفد نجران..)) انظر: الجواب الصحيح (١/١٩٢-١٩٨)، وقال الشوكاني رحمه الله :((وقد رويت هذه القصة على وجوه عن جماعة من التابعين))، انظر: فتح القدير (١/٣٩٨).

وهي تفيد إبطال عقيدة النَّصارى في تأليهِهم عيسى-عليه السلام-، وردِّ مطاعنهم على الإسلام، وتفيد هذا بطريق الإلزام؛ لأنهم قالوا بألوهية عيسى-عليه السلام- من أجل أنه خُلق بكلمة من الله، وليس له أب، فقالوا: "هو ابن الله"، فأراهم الله أن آدم-عليه السلام- أولى بأن يُدَّعَى له ذلك، فإذا لم يكن آدم إلهاً مع أنه خُلق بدون أبوين، فعيسى- عليه السلام- أولى بالخلق من آدم - عليه السلام-، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

وقد تكلم أهل العلم في بيان معنى المثل أي:(الشَبه) في الآية بين آدم، وعيسى عليهما السلام.

فقال الإمام الطبري رحمه الله: ((والمعنى: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل، فأخبر به، يا محمد، الوفد من نصارى نجران عندي، كشبه آدم الذي خلقته من تراب ثم قلت له:"كن"، فكان من غير فحل، ولا ذكر، ولا أنثى، يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر، ولا أنثى، وأمري إذ أمرته أن يكون فكان لحماً، يقول: فكذلك خلقي عيسى: أمرته أن يكون فكان))[1].

وقال:((فإن قال قائل: فكيف قال:﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ ﴾،"وآدم" معرفة، والمعارف لا توصل؟.

قيل: إن قوله:﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه، وكيف كان.

وأما قوله:﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، فإنما قال:﴿ فَيَكُونُ ﴾، وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر قد تقضى، وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى فقال جل ثناؤه:﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيه أن تكوينه الأشياء بقوله:﴿ كُن ﴾، ثم قال:﴿ فَيَكُونُ ﴾، خبراً مبتدأ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله:"كن".

---

(١) جامع البيان (٦/٤٦٧-٤٦٨).

فتأويل الكلام إذاً: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، واعلم، يا محمد، أن ما قال له ربك ﴿ كُن ﴾، فهو كائن؛ فلما كان في قوله: ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن ﴾، دلالةٌ على أن الكلام يُراد به إعلام نبي الله ﷺ ، وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداءً من غير أصلٍ، ولا أولٍ، ولا عنصرٍ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: ﴿ فَيَكُونُ ﴾، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى، وقد قال بعض أهل العربية: ﴿ فَيَكُونُ ﴾، رُفعَ على الابتداء، ومعناه: كُن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كَائِنْ))[١].

قلت: وعلى هذا فالمثل بينهما – عليهما السَّلام- هو من باب الأمر الإلهي التكويني بالخلق، والذي يدل على أنهما خلقٌ من خلق الله –تعالى–، وعبدان مفتقران إليه، خُلقا من غير أب فلا فرق بينهما.

ثم إن أزمان المخلوقات مترتبة شيء بعد شيء، وقد أخبر الله – سبحانه – أنه يقول لكل شيء إرادة منه (كن) فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، فأخبر أنه قال لعيسى بعد خلقه لآدم (كن) فمن قال: إنه لم يقل لكل واحد منهما عند خلقه (كن) فقد رد على الله خبره[٢].

وقال شيخ الإسلام – مبيناً معنى المثل في الآية –:((فإن آدم – عليه السلام – خلق من تراب، وماءٍ، فصار طيناً، ثم أيبس الطين، ثم قال له: كن فكان، وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً، لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح، فإن الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه، فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر، ثم يخرج طفلاً يرتضع، ثم يكبر شيئاً بعد شيء، وآدم – عليه السلام– حين خُلق جسده قيل له: كن فكان بشراً تاماً بنفخ الروح فيه، ولكن لم يسم كلمة الله؛ لأن جسده خلق من التراب، والماء، وبقي مدة طويلة

---

(١) المصدر السابق (٤٧١/٦-٤٧٢).

(٢) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للشيخ يحي بن أبي الخير العمراني (٥٨٤/٦) [بتصرف].

يُقال: أربعين سنة، فلم يكن خلق جسده إبداعياً في وقت واحد، بل خلق شيئاً فشيئاً، وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة.

وأما المسيح – عليه السلام – فخلق جسده خلقاً إبداعياً بنفس نفخ روح القدس في أمه، قيل له: كن فكان، فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله ما لم يكن لغيره من البشر، ومن الأمر المعتاد في لغة العرب، وغيرهم أن الاسم العام إذا كان له نوعان خصت أحد النوعين باسم، وأبقت الاسم العام مختصاً بالنوع، كلفظ الدابة، والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان، ثم لما كان للآدمي اسم يخصه بقي لفظ الحيوان يختص به البهيم، ولفظ الدابة يختص به الخيل، أو هي، والبغال، والحمير، ونحو ذلك، وكذلك لفظ الجائز، والممكن، وذوي الأرحام، وأمثال ذلك، فلما كان لغير المسيح ما يختص به أبقي اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح))[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: ((قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ دليلٌ على صحة القياس، والتشبيهُ واقعٌ على أن عيسى خُلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب، والشيء قد يُشَبَّهُ بالشيءِ، وإن كان بينهما فرقٌ كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب؛ ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً ثم جعله صلصالاً، ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشراً من غير أب))[2].

وهذا تقريرٌ لمعنى المثل بين آدم، وعيسى – عليهما السلام –، وهو أنهما خُلقا من غير أب.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:((تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم، ولا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة، وهو كونه لا أم له: كما أنه لا أب له، فذلك

---

(١) الجواب الصحيح (٣١٧/٣-٣١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣١٧/٣-٣١٨).

أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه، وأعظم عجباً، وأغرب أسلوباً، وقوله: خلقه من تراب جملة مُفسرة لما أُبهم في المثل، أي: أن آدم لم يكن له أبٌ، ولا أم، بل خلقه الله من تراب، وفي ذلك دفع لإنكار من أنكر خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب، وأم، قوله: ثم قال له كُنْ فَيكُون أي: كُنْ بَشراً فَكانَ بَشراً))[1].

قلت: وفي هذا ردٌ من الإمام الشَّوكاني رحمه الله على نصارى نجران، ومن وافقهم من النَّصارى فيما ذهبوا إليه من الإقرار، والاعتراف بأن آدم – عليه السلام – خلق من غير أب، وأم مع إنكارهم لخلق عيسى – عليه السلام – من غير أب، وهذا غاية التناقض، والاضطراب منهم في الاعتقاد.

وقال الإمام ابن سعدي رحمه الله: ((يخبر تعالى محتجاً على النَّصارى الزاعمين بعيسى – عليه السلام – ما ليس له بحق، بغير برهان، ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة؛ لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق، والتدبير، وأن جميع الأسباب طوع مشيئته، وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم – عليه السلام – خلقه الله من تراب لا من أب، ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النَّصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى، وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة، والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى، وأحرى، فلهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[2]، أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح – عليه السلام – هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك، ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام، ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: الشَّاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية، وما بعدها دليل على قاعدة شريفة،

---

(١) فتح القدير (١/٣٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٩ – ٦٠.

وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق، وجزم به العبد من مسائل العقائد، وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه؛ لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[١]، وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون، ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته، ويدعو إليه))[٢].

وعلى ذلك فعيسى- عليه السلام - عبد الله، ورسوله خلافاً لما يعتقده النَّصارى من أنه الله أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾[٣]؛ فلا بد على العبد أن يشهد أن عيسى- عليه السلام - عبد الله، ورسوله على علم، ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾؛ فليس رباً، ولا إلهاً سبحان الله عما يشركون قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٤]، وقال: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (١٣٣).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٢٩ – ٣٦.

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[١]، ويشهد المؤمن – أيضاً – ببطلان قول أعدائه اليهود: إنه ولد بغي، لعنهم الله – تعالى –؛ فلا يصح إسلام أحد علم ما كانوا يقولونه حتى يبرأ من قول الطائفتين جميعاً في عيسى – عليه السلام –، ويعتقد ما قاله الله – تعالى – فيه: أنه عبد الله، ورسوله[٢].

وعلى ذلك يتضح أن الله – تعالى– قد أبان لنبيه ﷺ الآيات، وهي الأدلَّةُ، والأعلام، والحُجج على بطلان ما يقول الكفرة من اليهود، والنَّصارى من الفرية على الله – تعالى – وادِّعائهم له، ولدًا، وشهادتهم لبعض خلقه بأنه لهم ربٌّ، وإله، ولكنهم مع ذلك لا يرتدعون عن كذبهم، وباطل قِيلهم، ولا ينزجرون عن فِريتهم على ربِّهم، وعظيم جهلهم، مع ورود الحُجج القاطعة لعُذرهم عليهم[٣].

والآيات في الحُجج الظاهرة التي أيد الله – عز وجل – بها رسوله ﷺ في مُحاجَّات أهل الكتاب من اليهود، والنَّصارى غير ما ذُكر كثيرةٌ منها:

قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

(٢) انظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ص (٧٢).

(٣) انظر: جامع البيان (٤٨٦/١٠–٤٨٧) [بتصرف].

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقوله جلَّ وعز: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٣٥ – ١٤٠.

(٢) السورة نفسها، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٦٤– ٧٤.

بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الثابتة في مُجادلة، ومُحاجة أهل الكتاب.

ثانياً: شهادة الله – تعالى – لرسوله ﷺ بالحُجج الظاهرة في مجادلة المشركين:

وهذا ثابت بالكتاب، والسُّنة، وسيرتُه ﷺ تشهد بمجادلة المشركين له، ومحاجاته لهم كما أن السَّلف – رحمهم الله – حققوا ذلك في مصنفاتهم فمن ذلك ما عقده الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية، والنهاية، وبوب له بـ((بابٍ في مجادلة المشركين رسول الله ﷺ ، وإقامته الحجة الدامغة عليهم، واعترافهم في أنفسهم بالحق، وإن أظهروا المخالفة؛ عناداً، وحسداً، وبغياً، وجحوداً))[3].

ومعلومٌ أن مجادلة المشركين للنبي ﷺ لن تكون إلا في أصول اعتقاد الإسلام التي دعا إليها – عليه الصلاة، والسَّلام – من الإيمان بالله – تعالى –، وما هو داخل فيه من الإقرار بتفرده بالألوهية، وعدم الإشراك به شيئاً، وإثبات نبوته، ورسالته ﷺ إلى النَّاس كافة، والإيمان بالبعث بعد الموت، وهو ما يسمى باليوم الآخر إلى غير ذلك.

وسأذكر فيما يلي أَهمَّ، وأبرزَ المسائل العقدية التي جادل فيه المشركون رسول الله ﷺ ، وأقام الحُجة بدوره عليهم بما قطع دابرهم.

أ- مجادلتهم في إثبات الألوهية لله – تعالى – وحده:

لقد دلت الأدلة على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية،

---

(١) السورة السابقة، الآيات: ٩٣ – ٩٥.

(٢) السورة نفسها، الآيات: ٩٨ – ٩٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٥٢/٤).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[(١)].

وقوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) سورة المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات، والحُجج التي من أقر بها لزمه الإقرار بلازمها، وهو الإقرار بألوهية الله تعالى.

فالمشركون مقرون بتوحيد الربوبية، إلا أنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، وهو توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة، والذي جحدوه بشركهم، من دعاء الملائكة لأجل صلاحهم، وقربهم من الله ليشفعوا لهم أو دعاء رجل صالحٍ كاللاَّت، أو نبياً كعيسى ابن مريم -عليه السلام-، وغير ذلك، فقاتلهم رسول الله ﷺ على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[2][3]، بعد أن أقام عليهم الحُجج الظاهرة ببطلان ما هم عليه من الشرك في عبادة الله - عز وجل - كما تقدم.

إلا أنهم أظهروا تعجبهم باصطفائه ﷺ من بينهم بالنُّبوة، والرِّسالة، فأنكروها، واتهموه بأشنع الأوصاف، وأنكروا ما جاء به، ودعاهم إليه من توحيد الألوهية، بعبادة الله - تعالى - وحده، وترك الشِّرك، ونبذه، وقاتلوه على ذلك.

قال سبحانه: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٥٩ - ٦٤.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) انظر: كشف الشبهات، للإمام محمد بن عبد الوهاب، ص(٥-٦) [بتصرف يسير].

مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾[١].

وقد أمر الله – ﷻ – نبيه ﷺ أن يقول لهم، ولأضرابهم: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴾[٢].

ب – مجادلتهم في إثبات نبوته، ورسالته ﷺ إلى النَّاس كافة.

لقد دأب المشركون من قريش بتسفيه النبي ﷺ، وإنكار نبوته، ورسالته، وجداله على ذلك فلما عجزوا دأبوا في إلصاق التهم به من الجنون، والسِّحر، والشِّعر، والكهانة، كما هي عادةُ أرباب الباطل في التنفير من أهل الحق، والصَّد عن سبيل المؤمنين، وما ذاك منهم إلا كبراً، وحسداً على ضلالهم.

بل، وتعدى الأَمرُ إلى أشد من ذلك بالتنكيل، والتعذيب، والقتل، لأصحابه الذين آمنوا به، وهو بمكة إلى أن عقدوا المؤتمرات، وحاكوا المؤامرات في دار بني الأرقم لقتله، والخلاص منه، وحاربوه في معارك عدة، وتحزبوا لاستئصاله، ومن آمن معه – من المهاجرين، والأنصار–، والقضاء عليهم، ولكن الله – ﷻ – يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

فهذا نبيه، ومصطفاه، وخيرته من خلقه – عليه الصَّلاة، والسَّلام– الذي اختاره لحمل هذه الرسالة العظيمة، وتبليغها إلى كافة المعمورة، وهؤلاء أوليائه المؤمنين، وحزبه المفلحين.

أيُسلمهم لأعدائه من أولياء الشَّيطان؟!

كلاَّ، وحاشا بل هو الله العزيز الرحيم.

وقد تقدم أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ ، وهو بمكة أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم انشقاق

---

(١) سورة ص، الآيات: ٤ – ٨.

(٢) سورة الجن، الآيات: ٢٠–٢٤.

القمر مرَّتين؛ آية، وحجة على صدق قوله، وحقيقة نبوَّته؛ فلمَّا أراهم أعرضوا، وكذبوا، وقالوا: هذا سحرٌ مستمرٌّ، سحرنا محمد، فقال الله جلَّ ثناؤه:﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾، ومما ورد من الأحاديث، والآثار في ذلك:

ما أخرجه الحاكم في المستدرك، وابن كثير في البداية، والنِّهاية عن ابن عباس رضي الله عنهما:((أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول:« فوالله ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مني، ولا أَعلمُ برجز، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو، وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: " هذا سحر يُؤثَر يأثره من غيره فنزلت:﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[(١)]))[(٢)].

(١) سورة المدثر، الآية: ١١.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/٢٤)، بسنده عن ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر عن عباد بن منصور، عن عكرمة به مُرسلاً، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٥٢/٢)، برقم (٣٨٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأخرجه الحافظ ابن كثير في البداية، والنهاية (١٥٢/٤-١٥٣) من طريق إسحاق بن راهويه عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس به، وقال: ((هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة، عن إسحاق به، وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً، وفيه أنه قرأ عليه:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، [سورة النحل، الآية: ٩٠]))، وصححه الإمام الألباني في صحيح السيرة النبوية ص(١٥٨-١٥٩).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:((وفي ذلك قال الله – تعالى – إخباراً عن جهلهم، وقلة عقلهم؟ ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1].

فحاروا ماذا يقولون فيه؟ فكل شيء يقولونه باطل؛ لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ قال الله تعالى:﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[2]))[3].

وأخرج الإمام أبي بكر ابن أبي شيبة في (مصنفه)، وعبد بن حميد في (مسنده) بسنده عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه؟.

فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ ، ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سَخْلة[4] قطُ أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعِبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٨.

(٣) البداية والنهاية (١٥٥/٤).

(٤) سَخْلة: السَّخْلُ: أولاد الشَّاة، والسَّخْلَةُ: الواحد، والوحدة، ذكراً كان أو أنثى، والجميع: السِّخَالُ، والسَّخْلُ، ويُقَال للأوغاد من الرجال: سُخَّلٌ، وسُخَّالٌ، ولا يعرف منه واحد، وأهل المدينة يسمونه السُّخَّلَ، وقد سَخَّلَتِ النَّخلةُ، وقال الأصمعي: رجالٌ سُخَّلٌ، وهم الضُّعَفَاء، وسَخَّلَتِ النخلةُ إذا ضعف نواها، ويُقال لولد الغَنَمِ ساعةَ تَضَعُه أُمُّه من الضَّأْن، والمعز جميعاً، ذكراً كان أو أنثى: سَخْلَةٌ، وجمعُها سِخَالٌ، ثم هي البَهْمَةُ للذكر، والأنثى، وجمعها بهم، انظر: تهذيب اللغة (٨/٧) أبواب الخاء، والسين، مادة "سخل"، وغريب الحديث، للخطابي (١٦٤/١-١٦٥).

أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسُّيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً وإن كان إنما بك الباءةَ فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ : (فرغت)؟، قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ : (بسم الله الرحمن الرحيم)، ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، إلى أن بلغ:﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[2]، فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا ؟

قال: (لا)، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟

قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته قالوا: فهل أجابك؟

فقال: نعم، ثم قال: لا والذي نصبها بيِّنة ما فهمتُ شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عادٍ، وثمود قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟

قال: لا والله ما فهمت شيأً مما قال غير ذكر الصَّاعقة))[3].

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ١- ٣.

(٢) السورة نفسها، الآية: ١٣.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب المغازي، في أذى قريش للنبي ﷺ، وما لقي منهم (٣٣٠/٧)، برقم (٣٦٥٦٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، من كتاب قراءات النبي ﷺ مما لم يخرجاه وقد صح سنده (٢/ ٢٧٨)، برقم (٣٠٠٢)، وقال «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، (١٨٧/٢)، برقم (١١٢١)، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، كتاب التفسير، سورة فصلت، (٢٦٣/٦- ٢٦٤)، برقم (٥٨٠٨)، وقال: "رواه عبد بن حميد، وأبو يعلى الموصلي: قالا: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ... فذكره، ورواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاكر، ثنا جعفر بن عون، ثنا الأجلح بن عبد الله ... فذكره بتمامه، وقال: حديث صحيح الإسناد،= = ولم يخرجاه"، وابن حجر في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة، (١٢٢/٣)، برقم (٢٦٤٤)، والمطالب العالية، كتاب السيرة، والمغازي، باب اعتراف القدماء بأعلام النبوة، (٢٦٩/١٧)، برقم (٤٣٣٣)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٢٣٠/١)، برقم (١٨٢)، وقوام السنة الأصبهاني في دلائل النبوة (١٩٤/١)، برقم (٢٥٨)، والمقريزي في إمتاع الأسماع (٣٤١/٤-٣٤٢)، والحافظ ابن كثير في البداية، والنهاية (١٥٥/٤-١٥٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩١٢/٧)، وصححه في صحيح السيرة ص(١٥٩-١٦٠).

وروى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا، وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: (يا أبا الحكم هَلُمَّ إلى الله، وإلى رسوله أدعوك إلى الله)، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت، فو الله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك، فانصرف رسول الله ﷺ ، وأقبل عَلَيَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعُني شيءٌ إن بني قصي قالوا: فينا الحِجَابة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِّقاية، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، ثم أطعموا، وأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكب قالوا: منَّا نبي، والله لا أفعل))[1].

قال الإمام الألباني رحمه الله: ((وهذا القول منه – لعنه الله – كما قال – تعالى – مُخبراً عنه، وعن أضرابه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[2]))[3].

وعليه فقد أُقيمت الحُجة الدَّامغة عليهم، مع اعترافهم في أنفسهم بالحق، إلا أنهم أظهروا المخالفة عناداً، وحسداً، وبغياً، وجحوداً.

فهذه الآيات، والأحاديث، والآثار، ونحوها دليلٌ على شهادة الله – تعالى – بتأييد رسوله ﷺ بالحجة الظاهرة على إثبات نبوته، ورسالته – عليه الصَّلاة، والسَّلام –، وقطع حُجج الكافرين، وإبطالها.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، جماع أبواب المبعث، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله – تعالى – من الإعجاز (٢/٢٠٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل، ومن فعله (٧/٢٥٥)، برقم (٣٥٨٢٩) وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص(١٦٢).

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٤١ – ٤٢.

(٣) صحيح السيرة النبوية ص(١٦٢).

ج – مجادلتهم في إثبات البعث بعد الموت، واستبعادهم لوقوعه، وإنكارهم له.

إن الإيمان باليوم الآخر، وأوله البعث بعد الموت يُعدُّ الركن الخامس من أركان الإيمان السِّتة كما في حديث جبريل – ﷺ – الطويل الثابت في الصحيح[(١)]، والذي من كذب به كفر، لتكذيبه الله، ورسوله، وإجماع المسلمين[(٢)].

والبعث: هو إعادة الإنسان روحاً، وجسداً، كما كان فى الدنيا، وهذه الإعادة تكون بعد العدم التام، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النَّشأة الأخرى، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النَّشأة الأولى[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[(٤)].

وقد جادل المشركون في هذا الأصل العقدي العظيم، وأنكروا وقوعه، كما استبعد طوائف من النَّاس هذه الحقيقة، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السُّنن المألوفة، وذلك لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها، وتحللها[(٥)].

وهذه الشُّبهة قديمة، ولا تزال تتردد فى صدر الكثير، كما أن هذه المجادلة مُلئَت بها آيات الكتاب العزيز، وأحاديث السُّنَّة النَّبوية، مع النَّقض المبطل لها بالحُجة القاطعة السَّاطعة البُرهان، وهي مما أيد الله – تعالى– به نبيه صلوات ربي، وسلامه عليه؛ فمن هذا الزَّعم، وهذه المجادلات، والحُجج المبطلة لها قوله تعالى عن المشركين المنكرين للبعث ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة (٣٦/١)، برقم (٨).

(٢) انظر: حاشية الأصول الثلاثة، لابن قاسم ص(١٥٧).

(٣) انظر: العقائد الإسلامية لسيد سابق ص(٢٦٩).

(٤) سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ – ٦٢.

(٥) انظر: العقائد الإسلامية ص (٢٧١)، [بتصرف].

أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(١).

وقوله تبارك، وتعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٢).

فرد الله – ﷻ – قولهم بقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)؛ فهؤلاء الذين استنكروا البعث، ردّ الله – تعالى – عليهم بأن استبعادهم لا معنى له، لأنهم يجهلون عظمة الله– تعالى –، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وخلقه، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم، فهم أنفسهم أدلُّ الدّلائل، وأقوى الحُجج على نفى ما ينكرونه من البعث، فالله أحياهم أولاً، وأماتهم ثانياً، وهو القادر على إحيائهم، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة، فأيُّ استبعادٍ في هذا ؟!(٤).

قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، فلا أهون على الله – ﷻ – من ذلك؛ فالإعادة عقلاً في عُرف بني آدم بعد الوجود أهونُ بلا شك من إيجادِ الشيءِ من العدم.

ومن الحُجج الظاهرة في إثبات البعث، وإبطال إنكار المنكرين:

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) السورة نفسها، الآيتان: ٢٥ – ٢٦.

(٤) انظر: العقائد الإسلامية ص(٢٧٢).

جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾[(١)].

فهذه حُجة، وشبهة الإنسان الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت يقول منكراً، ومستبعداً أَأُخرجُ حياً، فَأُبعثُ بعد الممات، وبعد البلاء، والفناء؟!

وهذا القول منه إنكارٌ لليوم الآخر، وما فيه من البعث، وما يتبعه من الحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

وقد رد الله – تعالى – عليه، وعلى أضرابه بقوله- ﷻ-:﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي: أفلا يتذكر، ويتفكر المتعجب من ذلك الْمُنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه[(٢)]، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشراً سوياً من غير شيء، ولم يكن من قبل إنشائه إياه شيئاً فيعتبر بذلك، ويعلم أن من أنشأه من غير شيءٍ لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه.

ثم قال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :فوربك يا محمد لنَحشرنَّ هؤلاء المنكرين – القائلين: أئِذا مِتنا لسوف نخرج أحياءً ؟!- يوم القيامة من قبورهم، مقرنين بأوليائهم من الشياطين ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾، والجِثِي: جمع الجاثي[(٣)]، أي: على الرُّكب، لا يستطيعون القيام مما هم فيه، واحدهم جاثٍ[(٤)].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٦٧ – ٧٠.

(٢) انظر: جامع البيان (٢٢٧/١٨).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٢٢٧/١٨)، [بتصرف].

(٤) انظر: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، لأبي بكر السجستاني ص(١١٤).

ونظير ذلك من الحُجَجِ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

وقد اختلف في الإنسان القائل: فقيل: هو أُبي بن خلف، وقيل: هو العاص بن وائل السَّهمي، وقيل: عبد الله بن أبي بن سلول، على خلاف بين أهل التفسير، ولِكُلٍ – فيما ذهب إليه من القول – ما يؤيده من الرِّوايات المأثورة عن السَّلف؛ فمن هذه الآثار:

قول قتادة رحمه الله نزلت في أُبَيِّ بن خلف، جاءَ بعظمٍ نَخِرٍ فجعل يَذْرُوهُ في الرِّيح ، فقال: أيحيي الله هذا يا محمد؟ قال النَّبي ﷺ : «نعم يحيي الله هذا، ويميتك، ويدخلك النَّار»[2].

وفي رواية عنه قال: ذُكر لنا أن أُبيَّ بن خلف، أتى رسول ﷺ بعظم حائل، ففتَّه، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا، وهو رميم؟ قال: "والله يحييه، ثم يميته، ثم يُدخلك النَّار؛ قال: فقتله رسول الله ﷺ يوم أُحد.

وعن مجاهد رحمه الله قال: "أُبي بن خَلَف أتى رسول الله ﷺ بعَظْم".

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: "جاء العاص بن وائل السَّهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعد ما أَرَمَ؟ قال: نعم يبعث الله هذا،ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنَّم" قال: ونزلت الآيات..".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء عبد الله بن أُبي (بن سلول) إلى النبي ﷺ بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا، وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ : يبعث الله هذا، ويميتك ثم يدخلك جهنم، فقال الله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[3][4]، وفيه نكاره.

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٧-٧٩.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/٨٧)، برقم (٢٤٩٨)، وتفسير ابن أبي حاتم، وصحيح السيرة ص(٢٠١).

(٣) سورة يس، آية: ٧٩.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٠/٥٥٤)، وقال الإمام جمال الدين الزيلعي رحمه الله: ((روى الطبري، وابن مردويه ثنا محمد بن سعد ثني أبي ثنا عمي ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس من حديث العوفي عن ابن عباس أن عبد الله ابن أُبي جاء بعظم يفتته فذكر نحوه، **وهذا فيه نكارة** فإن السُّورة مكية، وعبد الله بن أُبي بن =

وأخرج الحاكم في المستدرك، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حَائلٍ ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أَرَمَ؟ قال:((نعم، يبعث الله هذا يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم)) قال: فنزلت الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[1] إلى آخر السُّورة))[2].

وفي هذا ردٌ على هؤلاء المشركين المنكرين للبعث فهذا السَّائل المكذب ألم ير أن الله – تعالى – خلقه من نطفة فسواه خلقاً سوياً فإذا هو ذو خصومة لربه؟!

يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار لله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام، وهي رميم؟.

إنكاراً منه لقدرة الله على إحيائها يبين لمن سمع خصومته، وقيله ذلك أنه مخاصمٌ ربه الذي خلقه.

وقد شبه الله – تعالى – بخلقه في قوله:﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾إذ أنه لا يقدر على إحياء ذلك أحد، فجعله كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق، ونسي خلقه إياه كيف خلقه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعله خلقاً سوياً ناطقاً، فلم يفكر في خلق الله له، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياءً، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء.

=

سلول إنما كان في المدينة، وعلى كل تقدير فسواء كانت في أُبي بن خلف أو في العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث، وقد تقدم في أول النَّحل شيء من هذا، وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس في قوله:﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل جاء بعظم حائل بال إلى النبي ﷺ فذراه فقال: من يحيي العظام، وهي رميم فقال: الله يا محمد ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ انتهى))، انظر: تخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي(١٦٧/٣-١٦٨)، والله أعلم بالصواب.

(١) سورة يس، الآية: ٧٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال:((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، (٤٦٦/٢)، برقم (٣٦٠٦)، وأخرجه الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة (١٧٧/٧) برقم(٧٥٧٢).

ثم قال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿ قُلۡ ﴾ لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام، وهي رميم ﴿ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ ﴾ يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرةٍ، ولم تكن شيئاً ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدىء، وكيف يعيد، لا يخفي عليه شيء من أمر خلقه[(١)].

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: ((فهذا الكافر يجحد البعث، ويكفر به، ويستبعد أن يعيد الله العظام بعدما تفتتت، وضاعت في الأرض، وصارت تراباً، يستبعد قدرة الله على إعادتها مرة ثانية، وهذا من جهله، والدليل على قدرة الله – تعالى – مرتكز فيه هو؛ في هذا الإنسان لو تأمل، فإن الذي قدر على خلقه أول مرة من نطفة، وهو من ماء مهين، أي الماء الضعيف، الذي قدر على أن يخلق من هذا الماء الضعيف إنساناً قويًّا، قادر على إعادته من باب أولى، فإن من قدر على البداءَةِ، فهو قادر على الإعادة من باب أولى، فهو يجحد آية فيه، وينكر قدرة الله – سبحانه، وتعالى – على إعادة العظام، وهي رميم وإحيائها مرة ثانية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ ﴾، فإذا كان أنشأها أول مرة، بعد أن لم تكن، فهو قادر على إعادتها من باب أولى)) [(٢)].

ويمكن تقرير ما أيَّد الله به رسوله من خلال طريقة القرآن في بيان إمكان المعَاد، وذلك بما يلي:

أ– إخبار الله – تعالى – عمن أماتهم، ثم أحياهم كما أخبر عن قوم موسى عليه السلام.

بقوله: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[(٣)]، وكما أخبر عن المضروب بالبقرة بقوله: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[(٤)]، وكما أخبر عن ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٠/٥٥٤).

(٢) مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان (١/١٦٩–١٧٠).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٥٥ – ٥٦.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٧٣.

﴿خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾(١)، وكما أخبر عن: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، وعن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣)، وكما أخبر عن المسيح - عليه السلام - أنه كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى.

وكما أخبر عن أصحاب الكهف أنهم لبثوا نياماً في كهفهم ثلاث مائة سنين، وازدادوا تسعاً، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ﴾(٤)، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الناس كانوا قد تنازعوا في زمانهم هل يبعث الله الأرواح فقط أو يبعث الأرواح، والأجساد فأعثر الله هؤلاء على أهل الكهف، وعلموا أنهم بقوا نياماً لا يأكلون، ولا يشربون ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة، وتسع هلالية فأعلمهم الله بذلك إمكان إعادة الأبدان، فهذه إحدى الطرق التي يبين الله بها إمكان المعاد.

---

(١) السورة نفسها، الآية: ٢٤٣.

(٢) السورة السابقة، الآية: ٢٥٩.

(٣) السورة نفسها، الآية: ٢٦٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢١.

ب- الاستدلال على المعاد بالنَّشأة الأولى، وأن الإعادة أهون من الابتداء.

كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾[١]، وكما في قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾، وكما قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾[٢]، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾[٣].

ج- الاستدلال على إمكان ذلك بخلق السموات، والأرض فان خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴾[٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٦].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٩ - ٥١.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٤) السورة السابقة، الآيتان: ٩٨ - ٩٩.

(٥) سورة يس، الآية: ٨١.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.

د- الاستدلال على إمكانه بخلق النبات.

كما في قوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وكما في قوله:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[2][3].

فهذه طريقة القرآن الكريم في إثبات البعث، وحصوله يوم القيامة، وعند التأمل لها، والوقوف على حقيقتها نجد أنها تخاطب العقل الصحيح، وتحاوره بطريق الإقناع مع قوة الحُجة، وظهورها ساطعة كسطوع الشمس في رابعة النَّهار.

ثالثاً: شهادة الله – تعالى – لرسوله ﷺ بالحُجج الظاهرة في مجادلة المنافقين:

ومما جاء في جدالهم، وإقامة الحجة عليهم قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[4]، وقوله:﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين ص (٣١٨-٣٢١) [بتصرف يسير].

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) السورة نفسها، الآية: ١٦٨.

وقوله:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[1]، وغيرها كثير.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:((وإذا تأملت القرآن، وتدبرته، وأعرته فِكراً وافياً اطلعت فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحُجج الصحيحة، وإبطال الشُّبه الفاسدة، وذكر النقض، والفرق، والمعارضة، والمنع على ما يشفي، ويكفي لمن بصره الله، وأنعم عليه بفهم كتابه؛ فمن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾[2]؛ فهذه مناظرة جرت بين المؤمنين، والمنافقين فقال لهم المؤمنون:﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾؛ فأجابهم المنافقون بقولهم:﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾؛ فكأن المناظرة انقطعت بين الفريقين، ومنع المنافقون ما ادعى عليهم أهل الإيمان من كونهم مفسدين، وأن ما نسبوهم إليه إنما هو صلاح لا فساد فحكم العزيز الحكيم بين الفريقين بأن سَجَّلَ على المنافقين أربع إسجالات:

أحدها: تكذيبهم.

والثاني: الإخبار بأنهم مفسدون.

والثالث: حصر الفساد فيهم بقوله:﴿ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾[3].

والرابع: وصفهم بغاية الجهل، وهو أنه لا شعور لهم البتة بكونهم بسفههم، وشعورهم بفسادهم، وهذا أبلغ ما يكون من الذم، والتَّجهيل أن يكون الرجل مفسداً، ولا شعور له بفساده البتة مع أن أثر فساده مشهور في الخارج مرئي لعباد الله، وهو لا يشعر به، وهذا يدل على استحكام الفساد في مداركه، وطرق علمه، وكذلك كونه سفيهاً، والسَّفه غاية الجهل، وهو مركب من عدم العلم بما يصلح معاشه، ومعاده وإرادته بخلافه؛ فإذا كان بهذه المنزلة، وهو لا يعلم بحاله كان من أشقى النوع الإنساني فنفي العلم عنه بالسفه الذي هو فيه متضمن لإثبات جهله، ونفى الشعور عنه بالفساد الواقع منه متضمن لفساد آلات إدراكه؛ فتضمنت

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ – ٦٦.

(٢) سورة البقرة، الآية:١١.

(٣) السورة نفسها، الآية:١٢.

الآيتان الإسجال عليهم بالجهل، وفساد آلات الإدراك بحيث يعتقدون الفساد صلاحاً والشر خيراً.

وكذلك المناظرة الثانية معهم أيضاً؛ فإن المؤمنين قالوا لهم: ﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾[(١)]؛ فأجابهم المنافقون بقولهم: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[(٢)]، وتقرير المناظرة من الجانبين أن المؤمنين دعوهم إلى الإيمان الصادر من العقلاء بالله، ورسوله، وأن العاقل يتعين عليه الدخول فيما دخل فيه العقلاء الناصحون لأنفسهم، ولا سيما إذا قامت أدلته، وصحت شواهده؛ فأجابهم المنافقون بما مضمونه أنا إنما يجب علينا موافقة العقلاء، وأما السُّفهاء الذي لا عقل لهم يميزون به بين النافع، والضار فلا يجب علينا موافقتهم فرد الله تعالى عليهم، وحكم للمؤمنين، وأسجل على المنافقين بأربعة أنواع:

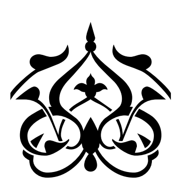
أحدها: تسفيههم.

الثاني: حصر السَّفه فيهم.

الثالث: نفي العلم عنهم.

الرابع: تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من دعواهم التنزيه من السَّفه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٣)] إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾[(٤)]،فهذا استدلال في غاية الظهور، ونهاية البيان على جميع مطالب أصول الدين[(٥)].

وفيما تقدم بيانٌ لما أيد الله– تعالى –، وشهد به لرسوله ﷺ من الحُجج الظاهرة بالكتاب، والسنة.



(١) السورة نفسها، الآية: ١٣.

(٢) السورة، والآية نفسها.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٢٤.

(٥) بدائع الفوائد (٤/١٣٠-١٣٢).

المبحث الرابع

شهادة الله ﷻ للرسول ﷺ بنصره، وخذلان أعدائه

ومن شهادة الله - ﷻ - لعبده، ورسوله - عليه الصلاة، والسلام-، شهادته بنصره له، وخذلان أعدائه قال تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾[(١)]؛ فينصره على سائر أعدائه، ومن ناوأه نصراً، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، بالبأس الذي يؤيده الله به، وبالظفر الذي يمدُّه به[(٢)].

وقد أمده - تبارك، وتعالى - بجنود السَّماوات، والأرض أنصاراً ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه قال جلَّ، وعز: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[(٣)].

فمما شهد به - تعالى - شهادته بنصره، وإمداده لنبيه الكريم ﷺ في غزواته بملائكة السَّماء تُقاتل بين يديه مُقاتلة الفُرسان في بدر، والأحزاب، وغيرها قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[(٤)]، وقال جلَّ، وعلا: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٣.

(٢) انظر: جامع البيان (٢٢/٢٠٤).[بتصرف يسير].

(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣- ١٢٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٩.

ومن شهادته – أيضاً – نصره لرسوله ﷺ بريح الصَّبا تُحارب عنه أهل الزَّيغ، والعدوان قال تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1].

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس– رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ أنه قال:((نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبُور))[2].

والصَّبا، والدَّبور أسماءٌ لجند الله – عز وجل – من الرِّيح يُهلك بها الكافرين نُصرةً لأنبيائه عليهم الصَّلاة، والسَّلام، وأوليائه من المؤمنين الصادقين.

قال يحيى بن يوسف بن محمد الصَّرصري[3] رحمه الله:

وإنْ كانَـتِ الرِّيـحُ الرُّخَـاءُ مُطِيْعَـةً ... سُلَيـمانَ لا تَـأْلُوْ تَـرُوْحُ وتَسْـرَحُ

فـإِنَّ الصَّـبَا كَـانَتْ لِنَصْـرِ نَبِيِّنَـا ... بِرُعْبٍ عَلَى شَهْرٍ بِهِ الخَصْمُ يَكْلَحُ[4]

كما شهد – تبارك، وتعالى – بنَصره لرسوله ﷺ بالرُّعب، وقذفه في قلوب أعدائه، قال تعـالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الاستسقاء، باب في ريح الصَّبا، والدَّبور (٦١٧/٢)، برقم(٩٠٠).

(٣) يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، أبو زكريا، جمال الدين الصرصري: شاعر، من أهل صرصر (على مقربة من بغداد) سكن بغداد، وكان أعمى البصر، قال عنه الذهبي في السِّير(٣٢٣/٢٣):((...سيد الشعراء جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري))، له ديوان شعر صغير، ومنظومات في الفقه، وغيره، منها (الدرة اليتيمة، والمحجة المستقيمة) قصيدة في الفقه الحنبلي، و(المنتقى من مدائح الرسول)، ولعله المسمى:(المختار من مدائح المختار)، و(الوصية الصرصرية)، قتله التتار يوم دخلوا بغداد، قيل: قتل أحدهم بعكازه، ثم استشهد، وحُمل إلى صرصر فدفن فيها، انظر في ترجمته: الأعلام (١٧٧/٨).

(٤) انظر: من معجزات النبي– ﷺ– للشيخ عبد العزيز محمد السَّلمان، ص(٩٨) [مخطوط].

(٥) سورة آل عمران: ١٥١.

وقال سبحانه:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[(١)].

فهو أعظم جُند الله- ﷻ- للمؤمنين، فإن الله -جلَّ، وعزَّ- إذا ثَبَّتَ المؤمنين، وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم، ومنحهم الله أكتافهم[(٢)]، وسامهم بأيدي المؤمنين، والملائكة الْمُنْزَلين سُوءَ العذاب؛ وهي شهادة منه ﷻ بنصره، لأتباع رسوله ﷺ، وخذلان أعدائهم.

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ، قال:((بُعثت بِجوامع الكلم، ونُصرت بالرُّعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي))[(٣)].

بل إن جند الرُّعبَ ليُقذفُ في قلوب أعدائه، وبينه ﷺ، وبينهم مسيرةُ شهر من الزَّمان.

أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ((أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرضُ مسجداً، وطهوراً، فأيما رجلٌ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشَّفاعة، وكان النَّبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة))[(٤)].

كما شهد – ﷻ – بأن أقام لنبيه ﷺ جنوداً من المهاجرين، والأنصار تُقاتل معه بالسَّيف، والسَّهم، والسِّنان، قال تبارك، وتعالى:﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص(٣١٦) [بتصرف يسير].

(٣) أخرجه البخاري، واللفظ له في كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماءً، ولا تراباً، (٧٤/١)، برقم(٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي – ﷺ–، (٣٧٢/١)، برقم (٥٢٣/٧).

(٤) أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي – ﷺ–:((نصرت بالرعب مسيرة شهر)) (٥٤/٤)، برقم (٢٩٧٧)، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، ومواضع الصلاة،(٣٧٢/١)، باب جعلت لي الأرض مسجداً، وطهوراً، برقم(٥٢١/٣).

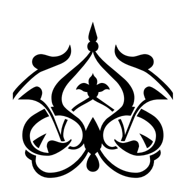
﴿أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(١)].

فهو – جلَّ جلاله – وحده الشَّهيد على كل شيء قوىَّ نبيه ﷺ بثلاثة أشياء:

أحدهما: نصره الذي نصره إياه على أعدائه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[(٢)].

والثاني: بالمؤمنين الذين أتى بهم في حياته، وهم الصحابة ﷺ من المهاجرين، والأوس، والخزرج، فجمع بين قلوبهم، بعد التفرق، والتشتت، على دينه الحق، وصيَّرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، وإخواناً بعد أن كانوا أعداءً[(٣)].

الثالث: قواه بمدد آخر من جنود السَّماوات، والأرض، ولايعلمه إلا هو – جلَّ، وعلا –كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[(٤)].



(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢ – ٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٣) انظر: جامع البيان (١٤/٤٤-٤٥)، ومنهاج السنة النبوية (٢/٣٣)، و (٧/٢٠٥) [بتصرف].

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٢ – ٦٣.

المبحث الخامس
شهادة الله ﷻ على شريعة النبي ﷺ

إن الإنسانَ مُضطرٌ إلى شرع في حياته الدنيا، وذلك لأنه لا بُدَّ له من حركةٍ يجلب بها منفعته، وحركة يدفع بها مضرته، والشَّرع هو الذي يميِّز بين الأفعال التي تنفعه، والأفعال التي تضره، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن الآدميين أن يعيشوا بلا شرع يميّزون به بين ما يفعلونه، ويتركونه.

وليسَ المرادُ بالشَّرع مُجردُ العدلِ بين النَّاس في معاملاتهم، بل الإنسان المنفردُ لا بدَّ له من فعل، وترك، فإن الإنسان همَّامٌ حارثٌ، دليل ذلك ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وغيره عن أبي وهب – وكانت له صُحبةٌ – عن النبي ﷺ قال: ((تَسَمَّوْا بأَسماءِ الأَنبياءِ، وأَحبُّ الأَسماءِ إلى الله – ﷻ –: عبد الله، وعبد الرحمن، وأَصدَقُها: حَارثٌ، وهَمَّامٌ ، وأَقبَحُها: حَرْبٌ، وَمُرَّةُ))[(١)]،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب أحب الأسماء إلى الله – ﷻ –، ص(٢٨٤)، برقم(٨١٤)، وأبي داود في سننه كتاب الآداب، باب تغيير الأسماء، (٢٨٧/٤)، برقم(٤٩٥٠)، وأحمد في المسند من حديث أبي وهب الجشمي، (٣٧٧/٣١)، برقم (١٩٠٣٢)، والنسائي في سننه، كتاب الخيل، باب ما يستحب من شية الخيل، (٢١٨/٦)، برقم(٣٥٦٥)، دون لفظ: (وأصدقها حارث، وهمام)، والحديث ضعفه الإمام الألباني ﷫ ثم تراجع إلى تصحيحه دون جملة: ((تسموا بأسماء الأنبياء))، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: ضعفه في تخريجه على مشكاة المصابيح من رواية أبي دواد عن أبي وهب (١٣٤٩/٣) برقم (٤٧٨٢)، وفي ضعيف الجامع الصغير ص(٣٥٩) برقم(٢٤٣٥)، وصحيح وضعيف سنن النسائي (١٣٧/٨) برقم (٣٥٦٥)، وفي إرواء الغليل (٤٠٨/٤) برقم (١١٧٨) من حديث أبي وهب الجشمي مرفوعاً، وقال ﷫: ((أخرجه أحمد (٤٣٥/٤) وكذا أبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي (١١٩/٢)، والبيهقي من طريق عقيل بن شبيب عن أبى وهب الجشمي، وكانت له صحبة قال: قال رسول الله – ﷺ–: فذكره، وتمامه: "وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة "، قلت: وهذا إسناد ضعيف من أجل عقيل بن شبيب، قال الذهبي: " لا يعرف هو، ولا الصحابي إلا بهذا الحديث ".

وقال الحافظ: " مجهول "، ولتمام الحديث شاهد مرسل صحيح ، خرجته في " الصحيحة " (١٠٤٠)، (تنبيه) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في " مجموعة الفتاوى " (٣٧٩/١) : " وقد ثبت في " صحيح مسلم " عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي – ﷺ– قال: أحب الأسماء إلى الله عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة "، وهذا من أوهامه ﷫، فإنه كان يكتب من حفظه ، قلما يراجع كتاباً عندما يكتب ، فإن

=

=

حديث ابن عمر في " صحيح مسلم " كما قال ، لكن دون قوله: " وأصدقها ... " الخ، وإنما هذه الزيادة في الحديث أبي وهب الجشمي هذا ، ولا تصح كما علمت ، فاقتضى التنبيه)) اهـ.

ثانياً: صححه دون جملة: ((**تسموا بأسماء الأنبياء**))، في صحيح الأدب المفرد ص(٣٠٣) برقم (٣٥٦/٣١٧)،(٦٢٩/٨١٤)، وفي تخريجه على الكلم الطيب ص(١٦٣)، برقم (٢١٨)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٤٣١/٢)، برقم (١٩٧٦)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود، برقم (٤٩٥٠)، وصححه في السلسلة الصحيحة (٥٧٢/٢) برقم (٩٠٤)، وقال عن حديث: " أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن والحارث"، :((أخرجه ابن عدي في الكامل (ق ٢/٨) من طريق أبي يعلى، وهذا في " مسنده = = "(٧٣٩/٢) عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أنس مرفوعا به، قلت: وهذا إسناد ضعيف "الحسن" هو البصري، وقد عنعنه، وإسماعيل بن مسلم هو وأبو إسحاق المكي ضعيف الحديث كما في " التقريب، وبه أعله الهيثمي في " المجمع" (٤٩/٨)، ولكن للحديث شاهد قوي يرويه به الحجاج بن أرطاة عن عمير بن سعيد عن سبرة بن أبي سبرة عن أبيه: " أنه أتى النبي – ﷺ–، قال: ما ولدك؟ قال: فلان، وفلان، وعبد العزى فقال رسول الله – ﷺ– هو عبد الرحمن، إن أحق أسمائكم أو من خير أسمائكم إن سميتم عبد الله، وعبد الرحمن، والحارث "، ومن هذا الوجه أخرجه ابن منده كما في "الإصابة " (٣٩٢/٢)، قلت: وهذا سند ضعيف، من أجل الحجاج، فإنه مدلس، وقد عنعنه. وسبرة بن أبي سبرة، أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢٩٦/١/٢) ، ولم يذكر فيه جرحاً، ولا تعديلاً، لكن أوردوه في " الصحابة "، وذكره ابن حجر في " القسم الأول " من " الإصابة "، وساق له هذا الحديث من رواية أبي أحمد الحاكم عن الحجاج به، وقد تابعه أخوه عبد الرحمن نحوه، رواه أبو إسحاق عن خيثمة بن عبد الرحمن بن (أبي) سبرة: " أن أباه عبد الرحمن ذهب مع جده إلى رسول الله – ﷺ– فقال له: ما اسم ابنك؟ قال: عزيز، فقال النبي – ﷺ–: لا تسمه عزيزاً، ولكن سمه عبد الرحمن، ثم قال: " فذكره. أخرجه أحمد (١٧٨/٤)، وابن حبان (١٩٤٥) مختصراً، وكذا الحاكم (٢٧٦/٤)، وقال: " صحيح الإسناد ". ووافقه الذهبي، قلت: لكن ظاهره الإرسال، وقد وصله أحمد في رواية له من هذا الوجه عن خيثمة بن عبد الرحمن عن أبيه به نحوه، قلت: فهذا موصول، وكذلك رواه الطبراني، قال الهيثمي (٥٠/٨) : "ورجاله رجال الصحيح "،وللحديث شاهد مرسل قوي بلفظ: " خير الأسماء عبد الله، وعبد الرحمن، ونحو هذا، وأصدق الأسماء الحارث وهمام، حارث لدنياه ولدينه، وهمام بهما، وشر الأسماء حرب ومرة "، رواه ابن وهب في " الجامع" (ص٧) : أخبرني ابن لهيعة عن جعفر ابن ربيعة عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر اليحصبي مرفوعاً، قلت: وهذا سند مرسل صحيح، رجاله كلهم ثقات، واليحصبي كنيته أبو عمران الدمشقي المقري، وقد تابعه عبد الوهاب بن بخت، فقال ابن وهب: أخبرني داود بن قيس عنه به دون قوله " ونحو هذا ". وإسناده مرسل صحيح أيضا، لكن ابن بخت كان قد سكن الشام، فمن الجائز أن يكون تلقاه عن اليحصبي، فلا يتقوى أحدهما بالآخر، كما هو ظاهر)) اهـ.

كما صححه في الصحيحة (٣٣/٣) برقم (١٠٤٠)، من رواية ابن وهب عن عبد الوهاب ابن بخت مرفوعاً، وروايته – أيضاً – عن عبد الله بن عامر اليحصبي عن النبي – ﷺ– قال:((خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وأصدق الأسماء همام وحارث وشر الأسماء حرب ومرة))، وقال: ((رواه ابن وهب في " الجامع "(ص٧) : أخبرني داود بن قيس عن عبد الوهاب ابن بخت مرفوعاً، قلت: وهذا إسناد مُرسل صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم، وقد أخرجه ابن وهب أيضاً من

=

وشاهِدُه قوله:((وأَصدَقُها: حَارثٌ، وهَمَّامٌ))، وهو معنى قولهم: متحركٌ بالإرادة، فإذا كان له إرادة هو متحرك بها، فلا بد أن يعرف ما يريده هل هو نافع له أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده؟

وهذا قد يَعرِفُ بعضه النَّاس بفطرتهم، كما يعرفون انتفاعهم بالأكل، والشُّرب، وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم، وبعضه يعرفونه بالاستدلال الذي يهتدون به بعقولهم، وبعضه لا يعرفونه إلا بتعريف الرُّسل، وبيانهم لهم، وهدايتهم إياهم، ولا بدَّ من الإيمان بالشَّرع، وهو الإيمان بالأمر، والنَّهي، والوعد، والوعيد، كما بعث الله بذلك رسله، وأنزل كتبه[١].

فالْمُشَرِّعُ هو الله - تبارك، وتعالى - وحده، والتشريع حقٌ له، وفي نصوص الكتاب، والسُّنة إسنادُ التشريع إليه جلَّ وعلا، قال سبحانه:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[٢].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: ((من سَرَّه أن يلقى الله غداً مُسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيثُ ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى[٣]، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سُنة نبيكم، ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط

=

رواية عبد الله بن عامر اليحصبي عن النبي - ﷺ- مرسلاً، وإسناده صحيح أيضاً، وللحديث شاهدٌ موصول من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي)) اهـ، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: التدمرية ص (٢١٣- ٢١٤) [بتصرف يسير].

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) سُنَنَ الهدى: روي بضم السِّين، وفتحها، وهما بمعنى متقارب أي: طَرائق الهُدى، والصَّواب، وهي ما علمهُ رسول الله - ﷺ- لصحابته الكرام ﷺ، انظر: المنهاج شرح مسلم للنووي (١٥٦/٥)، وفي الحديث -كما في مسلم - قال عبد الله بن مسعود ﷺ:((إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه)) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، (٤٥٣/١) برقم (٦٥٤).

عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف))[١].

وشاهدُ الأثر قوله:((فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سَنَنَ الهُدى)).

وعلى ذلك؛ فالتَّشْرِيعُ صِفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله – ﷻ – بالكتاب، والسُّنة، وهي من خصائص ربوبِيَّتِه، من نازعه فيها فقد كفر، والله هو "الشَّارع"، وهو "المشَرِّع"، وليسا هما من أسمائه سبحانه[٢].

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ؒ :((لهذا فإن قصر إسناد ذلك إلى الله – سبحانه، وتعالى – أَخَذَ في كُتب عُلماءِ الشَّريعة على اختلاف فنونهم صِفَةَ التَّقعيد فلا نرى إطلاقه على بشر حسب التتبع، ولا يلزم من الجواز اللغوي الجواز الاصطلاحي.

وإنه بناءً على تنبيه من شيخنا عبد العزيز بن باز – على أن إطلاق لفظ (المشَّرع) على من قام بوضع نظام...غُير لائقٍ – صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٣٢٨ في١/٣/١٣٩٦هـ بعدم استعمال كلمة (الْمُشَرِّع) في الأنظمة، ونحوها، والله أعلم))[٣].

وقد شهد الله – تعالى – لنبيه بتحقيق الشَّريعة الإسلامية من إتباعه لما أُوحى إليه، وأُمر به، وتبليغه.

قال الإمام الشَّافعي ؒ : ((قال – الله جل ثناؤه – لنبيه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٤]، وقال:﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥]، وقال:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، (٤٥٣/١) برقم (٦٥٤).

(٢) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السَّقاف، ص(١٠٠-١٠١).

(٣) معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد ص(٤٩٣).

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ١- ٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٦.

﴿ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(١)؛ فأَعْلَمَ الله رسوله مِنَّة عليه بما سبق في علمه، من عصمته إياه من خلقه، فقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾(٢)، وشهد له – جل ثناؤه – باستمساكه بما أمره به، والهدى في نفسه، وهداية من اتبعه، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(٣)، وقال: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾(٤).

فأبان الله أن قد فرض على نبيه اتباع أمره، وشهد له بالبلاغ عنه، وشهد به لنفسه، ونحن نشهد له به، تقرباً إلى الله بالإيمان به، وتوسلاً إليه بتصديق كلماته، وما أعلمنا الله مما سبق في علمه، وحتَّم قضائه الذي لا يرد، من فضله عليه، ونعمته: أنه منعه من أن يهموا به أن يضلوه، وأعلمه أنهم لا يضرونه من شيء، وفي شهادته له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله، والشَّهادة بتأدية رسالته، وإتباع أمره، وفيما وصفت من فرضه طاعته، وتأكيده إياها في الآي ذكرت: ما أقام الله به الحجة على خلقه، بالتَّسليم لحكم رسول الله، وإتباع أمره))(٥).

وعلى ذلك؛ فشهادة الله – ﷻ – على شريعة النبي ﷺ ثابتةٌ بنص الكتاب، والسُّنة، وأقوال سلف الأمة – رحمهم الله –، وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده إيماناً لا مريةَ فيه، وقبولاً لا تردد فيه، مع التسليم له، والرضا به، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٥) الرسالة، للإمام الشافعي ص(٨٥ –٨٨).

المبحث السادس
شهادة الله ﷻ على كذب المنافقين
في شهادتهم بالنُّبوة، والرِّسالة

لقد شهد الله – ﷻ – على كذب المنافقين، ووصفهم به لقبيح أفعالهم، وذميم أخلاقهم، وذلك في آيات كثيرة من كتابه العزيز.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((...وأما المنافقون فوصفهم بالكذب في آيات متعددة كقوله البقرة ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾، وقوله:أول المنافقون ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1]، وقال التوبة:﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[2]، ونحو ذلك من القرآن كثير...))[3].

وقال – أيضاً –:((فالمنافقون يصفهم في القرآن بالكذب؛ وأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وبأن في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون عليه))[4]، كما قال تعالى:﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾[5].

ومما يدل على ذلك – أيضاً – أيمانهم الكاذبة التي يعقدونها في سبيل إرضاء رسول الله ﷺ، وإرضاء المؤمنين كما في قوله تعالى:﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٧

(٣) التحفة العراقية، لابن تيمية ص (٤١).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٢٤٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

﴿ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(٢)] إلى قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[(٣)]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾[(٤)]، وقوله سبحانه: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(٦)] إلى قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٧)] إلى قوله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[(٨)].

ومما ذكره الله - تعالى - عنهم من الإدعاءات الكاذبة ما في مطلع سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[(٩)]؛ فادَّعوا الإيمان،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٥.

(٣) السورة نفسها، الآية: ٩٦.

(٤) السورة نفسها، الآية: ٧٤.

(٥) سورة المنافقون، الآيتان: ١- ٢.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ١٤.

(٧) السورة نفسها، الآية: ١٦.

(٨) السورة نفسها، الآية: ١٨.

(٩) سورة البقرة: ٨.

وأبطنوا الكفر؛ فأكذبهم الله – تعالى– في دعواهم، ونفى عنهم الإيمان بقوله:﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾؛ لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب، واللِّسان، وإنما هذا مخادعة لله، ولعباده المؤمنين، وهذا هو النِّفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، والذي يكون بإظهار الخير، وإبطان الشَّر، وهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السُّورة، وغيرها[١].

ومما شهد به على كذبهم – مما تقدمت الإشارة إليه – قوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[٢]، والمراد بمرض قلوبهم: مرض الشَّك، والشُّبهات، والنِّفاق، وفي الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع، بسبب كذبهم، وكفرهم، وفجورهم[٣].

ومنه قوله – ﷻ –:﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[٤].

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله:((ومن المنافقين من أعطى الله عهده، وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين؛ فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله ﷻ يوم القيامة، عياذا بالله من ذلك))[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٤٢) [بتصرف].

(٢) سورة البقرة، الآية:١٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٤٢)[بتصرف].

(٤) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ – ٧٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم (١٨٣/٤).

وقال في قوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾: ((أي: أعقبهم النِّفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد، وكذبهم))[١].

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))[٢].

وقد أخبر – تعالى – أنه يعلم السِّر، وأخفى، وأنه أعلم بضمائرهم، وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها، وشكروا عليها، فإنه أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علاَّم الغيوب، أي: (يعلم كل غيب، وشهادة، وكل سرٍّ، ونجوى، ويعلم ما ظهر، وما بطن)[٣].

فقال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[٤].

وقد شهد الله – عز وجل – على كذب المنافقين في شهادتهم بالنُّبوة، والرِّسالة لنبي الله، وعبده، ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

فأثبت الله – تعالى – في هذه الآية لرسوله الرِّسالة بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وشهد بكذب المنافقين بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، أي: هم كاذبون في قولهم: ﴿ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ ﴾.

---

(١) المصدر السابق (٤/١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/١٦)، برقم(٣٣)، وكتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، وما ينهى عن الكذب، (٨/٢٥)، برقم(٦٠٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/٧٨)، برقم(٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/١٨٤)، [بتصرف يسير].

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٨.

جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن زيد بن أرقم – ﷺ –، قال: ((كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أُبي، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعُمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي، وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يُصبني مثلهُ قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: "إن الله قد صدقك يا زيد")) ، وفي رواية: ((قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أُبي ابن سلول يقول:﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾[1]، وقال أيضاً:﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[2]، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي، وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ ، وكذبني، فأصابني همٌّ لم يُصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله ﷻ:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ إلى قوله:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله:﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ فأرسل إلي رسول الله ﷺ ، فقرأها عَلَيَّ، ثم قال: «إن الله قد صدقك»)).

وفي رواية:((قال: لما قال عبد الله بن أُبي:﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾، وقال أيضاً:﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾، أخبرت به النبي ﷺ ، فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أُبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت، فدعاني رسول الله ﷺ ، فأتيته، فقال: " إن الله قد صدقك"، ونزل:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ ﴾" الآية.

---

(١) السورة السابقة، الآية: ٧.

(٢) السورة نفسها، الآية: ٨.

وفي رواية:((قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أُبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال:﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾، فأتيت النبي ﷺ ، فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ ، فوقع في نفسي مما قالوا شِدة، حتى " أنزل الله ﷻ تصديقي في:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ فدعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم، فلَوَّوا رءوسهم "، وقوله:﴿ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[(١)] قال: كانوا رجالاً أَجملَ شيءٍ)).

وفي رواية:((قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أُبي ابن سلول، يقول:﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾، و﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ ، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي للنبي ﷺ ، فدعاني فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبي، وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، وكذبني النبي ﷺ ، وصدقهم، فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، وقال عمي: ما أردت إلى أن كذبك النبي ﷺ ، ومَقَتَكْ؟ فأنزل الله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾، وأرسل إليَّ النبي ﷺ ، فقرأها، وقال:«إن الله قد صدقك»))[(٢)]، هذا ما أورده الإمام البخاري رحمه الله من الروايات في هذه الحادثة.

وفي رواية عند مسلم:((« قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ، في سفر أصاب الناس فيه شدة» فقال عبد الله بن أُبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حَوْلِهِ، قال

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾، (٦/ ١٥٢)، برقم(٤٩٠٠)، وباب قوله:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾، برقم(٤٩٠١)، وباب قوله:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، برقم(٤٩٠٢)، باب قوله:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾، (١٥٣/٦)، برقم(٤٩٠٣)، وباب قوله:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ ﴾، برقم(٤٩٠٤).

زهير: وهي قراءة من خَفَضَ حَوْلَهُ، وقال:﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ قال: فأتيت النبي ﷺ ، فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أُبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل، فقال: كذب زيد رسول الله ﷺ ، قال: فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾قال: ثم «دعاهم النبي ﷺ ، ليستغفر لهم»، قال: فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، وقوله:﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾، وقال: كانوا رجالاً أجمل شيءٍ))[1].

وذكر أهل التفسير، وأصحاب السِّير أن هذه القصة كانت في غزوة بني المصطلق: اختصم رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار حتى غضب عبد الله بن أُبي، وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حديثُ السِّن، وقال عبد الله بن أُبي: أفعلوها؟ قد نافرونا، وكابرونا في بلادنا، والله ما مثلنا، ومثلهم إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم أما والله لئن أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم، ويلحقوا بعشائرهم، ومواليهم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ابن أرقم: أنت والله الذَّليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عِزٍّ من الرحمن، ومودة من المسلمين والله لا أُحبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله: أُسكت فإنما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم بها إلى النبي ﷺ ، وذلك بعد فراغه من الغزوة، وعنده عمر بن الخطاب فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال: "إذاً تُرعد له أُنفٌ كثيرة بيثرب" فقال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : "فكيف يا عمر؟ إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا، ولكن اذنٌ بالرحيل" وذلك في ساعة لم يكن ﷺ يرتحل فيها، وأرسل النبي ﷺ إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال: أنت صاحب هذا الكلام؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب بالحق ما قلت من هذا شيئاً، وإن زيداً لكاذب، فقال: من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين، وأحكامهم، (٤/٢١٤٠)، برقم(٢٧٧٢).

وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال فعذره رسول الله ﷺ ، وفشت الملامة في الأنصار لزيد، وكذبوه قالوا: وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبي، وكان من فضلاء الصحابة ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فُمرني فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أَبرَّ بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في النَّاس، فأقتله، فأقتلَ مؤمناً بكافر فأدخل النَّار فقال له النبي ﷺ : "بل نَرفُقُ به، ونُحسِنُ صُحبته ما بقي معنا" وقال النبي ﷺ :"لا يتحدث النَّاس أنه يقتل أصحابه، ولكن بر أباك، وأَحْسن صُحبته"، وذكروا القِصَّة قالوا: وفي ذلك نزلت سورة المنافقين[1].

ومما تقدم من الآيات، والأحاديث في شأن المنافقين تبين أنهم كانوا يرضون المؤمنين بالأيمان الكاذبة وينكرون أنهم كفروا، ويحلفون أنهم لم يتكلموا بكلمة الكفر، وذلك دليلٌ على أنهم يُقتلون إذا ثبت ذلك عليهم بالبيِّنة، وأن قتل المنافق جائزٌ من غير استتابة، وإن أظهر إنكار ذلك القول، وتبرأ منه، وأظهر الإسلام، وإنما منع النبي ﷺ من قتله ما ذكره من تحدث النَّاس أنه يقتل أصحابه؛ لأن النفاق لم يثبت عليه بالبينة، وقد حلف أنه ما قال، وإنما عُلم بالوحي، وخبر زيد ابن أرقم، وأيضاً لما خافه من ظهور فتنة بقتله، وغضب أقوامٍ يخاف افتتانهم بقتله، ولولا كان غير جائز لأنكر النبي ﷺ على من استأذنه في قتل المنافق، ولأنكر على عمر إذ قتل من قتل من المنافقين، ولأخبر النبي ﷺ أن الدم معصومٌ بالإسلام، ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم، وأن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وأن يقول القائل: لما ظفر بأصحابه أَقبل يقتُلهم، لأن الدَّم إذا كان معصوماً كان هذا الوصف عديم التأثير في

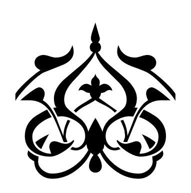
---

(١) انظر: جامع البيان (٣٩٧/٢٣- ٣٩٩)، و(٤٠٤/٢٣-٤٠٧)، ومعالم التنزيل (٩٩/٥-١٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٠/١٨-١٢٢)، وتاريخ الرُّسل والملوك، للطبري (٦٠٤/٢-٦٠٨)، وأسد الغابة لابن الأثير (٥٧٤/١)، و(٣٤٢/٢)، و(٣٦٠/٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٦٥/٢)، و(٣٤٩/٤)، والمغازي للواقدي (٤١٦/٢-٤٢١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥٢/٤-٥٨)، وسيرة ابن هشام (٢٩٠/٢-٢٩٢)، والروض الأنف، للسهيلي (١٩/٧-٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٦/١-٤٤٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٦٤/٢-٢٦٧)، والبداية والنهاية (١٨٤/٦-١٨٨)، والصارم المسلول لابن تيمية ص(٣٥٤-٣٥٥)، [بتصرف يسير].

عصمة دم المعصوم، ولا يجوز تعليل الحُكم بوصفٍ لا أثر له، ونُزِّل تعليله بالوصف الذي هو مناط الحُكم، وكما أنه دليل على القتل، فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لا يخفى.

هذا وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة وجواً نفيسة في كتابه الموسوم بـ (الصَّارم المسلول على شاتم الرسول)[1]؛ فمن أراد الرجوع لها فله ذلك، ولن يُعدَم الخير أبداً.

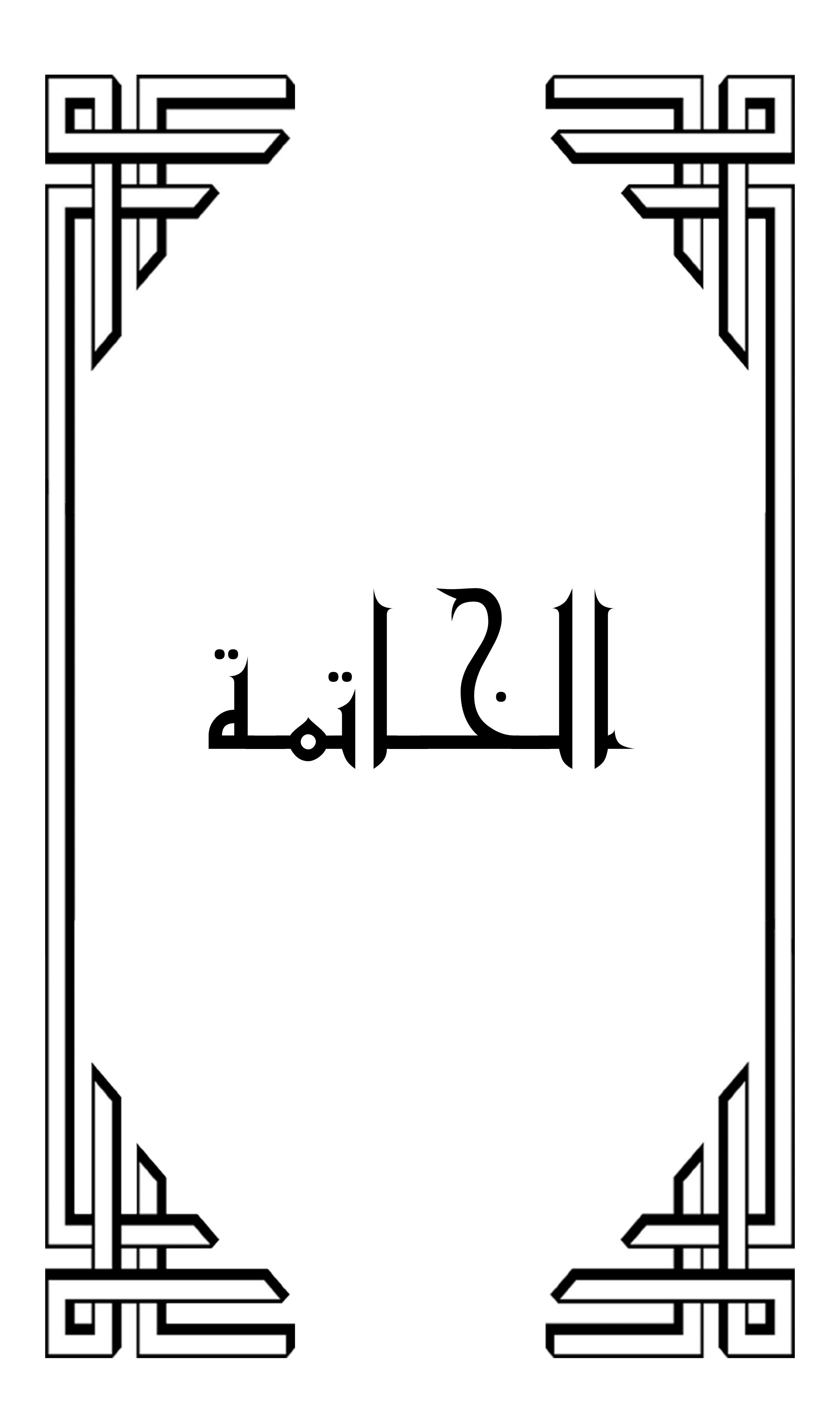
والمقصود: أن الله - عز وجل - شهد على هؤلاء المنافقين بصفات كثيرة من الكذب في ادعاء الإيمان، والشَّهادة بالرِّسالة للنَّبي ﷺ، والإصلاح، وغيرها، ففضح ضمائرهم، بزلاَّتهم، وهتك أستارهم، وأذلهم، وأخزاهم، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، ودانت لهم العرب، والعجم، وهي راغمة، وصدق الله - عز وجل - إذ يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فـ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، هذا ما انتهى إليه تحرير الرسالة، والله تعالى أعلم، وأحكم.



(١) الصارم المسلول ص(٣٤٦-٣٦٢).

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٠.



الخاتمة

((الخاتمة))

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وهو أهل الحمد، والثناء، والمجد على توفيقه لاختيار هذا الموضوع، وتيسيره المضيَّ فيه، وعونه على إتمامه، فله الحمد أولاً، وآخراً، وظاهراً، وباطناً، فلك الحمد ربي "لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، ونحن على ذلك مسبحين بحمدك، وقدسك.

ثم إني في هذه الخاتمة أحاول – مستعيناً بالله وحده – أن أعرض جُملةَ ما يمكن استخلاصه من نتائج هذا البحث، وهي كما يلي:

١– أن معانيَ لفظِ الشَّهادة على اختلافِ استعمالات أهل اللغة، لا تخرج عما يلي:

أولاً: الحُضُور، والمعاينة.

ثانياً: الخَبَرُ، والإِخبَار.

ثالثاً: العلم، والإعلام، والبَيان.

٢– أن بين الحضور، والشَّهادة علاقةُ تضمن، فالحضور أصل من أصول معانيها، والشَّهادة متضمنة له كما أن المعاينة من لوازمها الحضور.

٣– الشهادةُ إخبارٌ، وخبر، وهو التكلم عن أمر بما يُقطع به.

٤– الله ﷻ قد دل على توحيده بجميع ما خلق، فبَيَّنَ أنه لا يقدر أحد أن يُنشئَ شيئاً واحداً مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم، وتبَيَّنَ من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره.

٥– المعاني اللغوية للشَّهادة توفرت في اسم الله ﷻ الشَّهيد، وكذا اسم الشَّهيد للقتيل في سبيل الله ﷻ؛ فالشَّهِيدُ من أسماء الله ﷻ الدَّال على صفة الشهادة على ما يليق بجلاله، وعظمته.

٦– أن لفظ الشَّهادة لفظ عام شمل عدة معان لكثرة استعمالاته المتداخلة، والمتباينة؛ فيدخل فيه معنى الحضور، والمعاينة، والخبر، والإخبار، والعلم، والإعلام، والبيان، واسم الله الشهيد، والقتيل في سبيل الله.

٧- اختلف السَّلف - رحمهم الله - في بيان معنى الشَّهادة في الاصطلاح، وتنوعت عباراتهم كتنوعها عند أهل اللغة؛ وهذا من باب اختلاف التنوع لا التضاد، وذلك لتعدد استعمالها فيما وضعت له، وهو ما يدل على مدى الصِّلة الوثيقة بين المعاني اللغوية، والشَّرعية.

٨- أن الشَّهادةَ: تتضمن كلام الشَّاهد، وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره، وبيانه.

٩- أن الشَّرع لم يقيد لفظ (شَهِدَ)، ولما كان محتملاً لأكثر من معنى حمل عليها، من هنا يمكن لنا القول بأن معنى الشَّهادة في الاصطلاح الشرعي– من عبارات السَّلف – متوافقٌ في الجملة مع ما ورد من كلام أهل اللغة لا يخرج عند التأمل والنظر عن معنى العلم، والبيان، والتكلم، والخبر، والإعلام، والإخبار، والأمر، والإلزام (الحكم، والقضاء)، والإقرار.

١٠- أن للشَّهادة في الإسلام أهمية كبرى، دل عليها صريح الكتاب، والسنة، وما أُثر عن سلف الأمة، وذلك في إثبات الحقوق، وحفظها ابتداءً من حق الله – ﷻ–، على عباده بالإقرار بألوهيته، وعبادته، وحده لاشريك له، والإقرار بالرَّسالة للنَّبي ﷺ، وانتهاءً بحقوق الآدميين فيما بينهم.

١١- أن منزلة الشَّهادة في الإسلام عظيمة، وهي تظهر جلية في كونها أول أركان الإسلام، ومبانيه العظام، كما في حديث جبريل–عليه السلام– الطويل، وأنه لا يصح إسلام عبد إلا بالنُّطق بها، والعمل بمقتضاها، وأنها الفارقة بين الإيمان، والكفر، كما أن الشَّهادة منزلة عالية في جنات الفردوس لمن نالها بالقتل في سبيل الله تعالى.

١٢- مما يبين أهمية، ومنزلة، وشرف هذه الشَّهادة، تشريف الله تبارك، وتعالى لها، وذلك بأن أستشهد بها، ونسبها إلى نفسه، وهو أجل شاهد، ثم شرف بها خيار خلقه، وهم الملائكة الكرام، والعلماء من عباده، واستشهد بهم على أجل مشهود، وأعظمه، وأكبره– شهادة أنْ لا إله إلا هو–، وكفى بذلك فضلاً، وشرفاً، وهي أول دعوة الرُّسل، وأول منازل الطريق، وأول مقامٍ يقوم فيه السَّالك إلى الله ﷻ.

١٣- أن الراجح في أوجه ما قُرِأت به ألف "أن" من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

ما قرأ به أهل الإسلام، وهم الجمهور بفتح الألف من (أَنَّه) في الآية الأولى، وكسر الألف من (إِنَّ) الثانية، وابتدائها، وهذه القراءة مما أُجمع عليه، ومما نقله أئمة التفسير كالطبري، وابن كثير، والبغوي، وابن الجوزي، والزجاج، والشوكاني، وغيرهم من تواتر القراءة بها، وهو مذهب الجمهور.

والمعنى على ذلك: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم؛ فالملائكة معطوف بهم على اسم الله، و"أَنَّه"مفتوحة بشَهِدَ.

١٤- أن في شهادته ﷻ لنفسه بالوحدانية إخبار منه، وبيان، وإعلام مشتمل على الحكم والقضاء بأن لا يعبد إلا إياه؛ فقد اشتمل على النهي عن عبادة ما سواه، وهذا هو النفي في قوله (لا إله)كما اشتمل على الأمر بعبادته وحده، وهذا هو الإثبات في قوله (إلا الله)، والملائكة الكرام، وألو العلم شاهدون مقرون بذلك له وحده لا شريك له.

١٥- أن في الشَّهادة لله ﷻ بالتوحيد رَدٌّ على كل من زعم لله ﷻ الولد من اليهود في عزير-عليه السلام-، والنَّصارى في عيسى بن مريم-عليه السلام-، والمشركون في الملائكة الكرام تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، كما يُرَدُّ بها على كل مُشركٍ اتخذ من دون الله ﷻ رباً يذل له، ويعظمه، ويتوجه إليه بالعبادة من دون الله تعالى، فالله ﷻ قد تفرد بالربوبية، والإلهية على جميع الخلائق، وهم عبيده مقهورون مربوبون مفتقرون إليه تبارك، وتعالى؛ فلا غناً لهم عنه ﷻ طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

١٦ - أن ما قرره أئمة السَّلف، وغيرهم من المعاني في شهادة الله ﷻ، وهي وإن اختلفت بعض الشيء في مباني الألفاظ إلا أنها متوافقة المعاني فيما قرره أهل السُّنة، والجماعة من الاعتقاد.

١٧- أنه يُراد بمرتبة العلم على وجه الخصوص (كشرط من شروط لا إله إلا الله): العلم بمعناها نفياً، وإثباتاً؛ وذلك أن معنى كلمة التوحيد : لا معبود بحق إلا الله، وهي مشتملة على ركنين عظيمين هما النفي، والإثبات؛ فـ (لاإله) نفيٌ معناه: نفي جميع ما يعبد من دون الله، و(إلا الله) إثباتٌ معناه: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه، ويُراد بها في باب الاعتقاد على وجه العموم: العلم، والمعرفة، والاعتقاد لصحة

المشهود به، وثبوته.

١٨- أن الشَّهادة متضمنةٌ لكلام الشاهد، وقوله، وخبره عما شهد به، وإن لم يكن الشاهدُ مُعلماً به غيره أو مخبراً.

١٩- عدم اشتراط لفظ الشَّهادة عند التكلم بشيء، والإخبار به، وأن ذلك يُعدُّ شهادة وإن لم يُتلفظ بها؛ فمن أخبر غيره بشيء فقد شهد به سواءً كان بلفظ الشَّهادة أو لم يكن، بمعنى أن من تكلم بشيء، وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة.

٢٠- انعقد إجماع السَّلف- رحمهم الله- على عدم اشتراط شهادة المرء على نفسه بلفظ الشَّهادة.

٢١- أجمع أهل العلم على عدم اشتراط نطق الكافر بلفظ "أشهد" حتى يصح إسلامه؛ فإنه إذا قال: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق.

وذلك؛ لأن اشتراط لفظ "الشَّهادة" لا أصل له في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا قول أحد من الصحابة، ولا يتوقف إطلاق لفظ"الشَّهادة" لغة على ذلك.

٢٢- مرتبة الإعلام، والإخبار، نوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله كذلك شهادة الرب - جلَّ جلاله -، وبيانه، وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله تارة أخرى.

فإعلام الله ﷻ لخلقه بالقول: هو ما تضمنه كلامه الذي أوحاه إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام-، فإنه أرسل الرسل، وأوحى إلى كُلٍ منهم بهذا التوحيد.

وأما إعلامه ﷻ بالفعل: فهو ما نصبه من الآيات، والدلالات التي من تأملها عرف حقيقة التوحيد، وعرف الدين الحق، وعرف أن الله هو الواحد الأحد.

٢٣- الحكم، والقضاء هو إلزام، وأمر؛ ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد، وأمرهم به، وقضى به، وحكم، ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو؛ فقد أخبر، وبين، وأعلم، وحكم، وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم؛ فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر

باتخاذه وحده إلهاً، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي، والإثبات.

٢٤- من أسماء الله ﷻ الشهيد، وهو متصف بصفة الشَّهادة على ما يليق بجلاله، وعظمته، ويُسمى القتيل في سبيل الله ﷻ باسم الشَّهيد كما هو ثابت بالنصوص الشرعية من الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة رحمهم الله.

٢٥- اتفاق السَّلف - رحمهم الله تعالى- في بيانهم لمعنى اسم الله - ﷻ- الشهيد على لفظ واحدٍ، متشابه، وهو أن الشَّهيد - سبحانه، وتعالى - هو:(الذي لا يغيب عنه شيء)، وهذا اللفظ على وجازته تضمن سعة علمه - تبارك، وتعالى-، وإحاطته بجميع خلقه على ما يليق بجلاله، وعظمته؛ فالله - ﷻ- شَهيدٌ حاضرٌ مع كل مخلوق في كل زمان، ومكان، لا يغيب عنه شيء داخل ملكه، مطلع مشاهدٌ له، عالم بتفاصيله، بلغ الغاية في علمه بالأمور الظاهرة المشَاهدة، وهو سبحانه شَهيدٌ يَشْهد على الخلق يوم القيامة بما علم، وشاهد من أفعالهم.

٢٦- أن اسم الشَّهيد ورد في النُّصوص الشَّرعية، وأُريد به المخلوق، وهذا دليلٌ قاطعٌ على جواز إطلاقه عليه مع اعتقاد عدم المماثلة للخالق ﷻ في الاسم، والصفة، كما هو معتقد أهل السُّنة، والجماعة في باب أسماء الله تعالى، وصفاته.

٢٧- تسمية المخلوق باسم (الشَّهيد) على قسمين:

الأول: الشَّهيد بالمعنى العام: بتسمية الله ﷻ الإنسان عموماً بالشَّهيد.

الثاني: الشَّهيد بالمعنى الخاص، وهو على ثلاثة معاني:

المعنى الأول: النبي المبلغ لأمته.

المعنى الثاني: أمة النبي ﷺ.

المعنى الثالث: القتيل (الشَّهيد) في سبيل الله تعالى.

٢٨- أن اسم الله ﷻ (الشَّهيد) دل على ذاته وحدها، وصفة (الشَّهادة) وحدها بالتضمن.

والمراد: أن الذَّات وحدها، والصفة وحدها كلٌ منهما جزءٌ لمعنى الاسم داخلٌ في ضمنه.

٢٩- أن اسم الله ﷻ (الشَّهيد) دل على ذاته، وعلى صفة (الشَّهادة) بالمطابقة بمجموعهما.

فدلالة اللفظ بالوضع على جميع أجزائه في أسماء الله الحسنى يكون في الذات، والصفة؛ فما من اسم منها إلا هو دال على رب العالمين كعلمٍ من أعلامه، وعلى صفة خاصة كمعنى من معاني كماله، وجماله.

٣٠- يمكن أن يُقال: أن اسم (الشَّهيد) لله ﷻ دل على ذاته وحدها، وصفة الشَّهادة وحدها بالتضمن، كما دل على ذاته، وعلى صفة الشَّهادة بالمطابقة بمجموعهما.

٣١- دلالة معنى اسم الله الشَّهيد مستلزمة لبقية معاني أسمائه الأخرى لدلالتها على الذَّات.

٣٢- الرَّقيب، والشَّهيد من أسماء الله الحسنى، وهما مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة، والخفية.

٣٣- الله ﷻ شهيد رقيب قد أحاط تعالى سمعه، وبصره، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة، والخفية لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السَّماء؛ فالشهيد يدل على إحاطته، وعلمه بالأعمال الظاهرة، والرقيب يدل على ذلك للأعمال الباطنة، ولذا كان الترادف من حيث اشتمالهما على علم الله تعالى الظاهر، والباطن.

٣٤- دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على اسمه العليم، وذلك من حيثُ أنَّ الشَّهيد عليمٌ بمن يراقبهم، ويحفظ أعمالهم، فلا يكون بشهادته نقصٌ، أو عيبٌ، وهذا ما يتفق مع كونه تعالى منزهاً عن النقائصِ، والعيوبِ، فعلمهُ ﷻ محيطٌ بكل شيءٍ لا يقتصر على ما ظهر من أعمال، وأقوال بل يتعداه لما تخفيه الصدور، فبعلمه، وخبرته يشهد على عباده فهو الذي لا يعزب، ولا يغيب عنه أي شيءٍ في الأرض أو في السماء، وكما أن علمه لا يتحدد بزمنٍ أو وقتٍ فهو يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فالعلم متضمنٌ

لشهادته -تعالى- إذ هو كما تقدم مرتبة من مراتبها، وشرطٌ من شروطها كما قرر ذلك السَّلف رحمهم الله.

٣٥- دل اسم الله ﷻ الشهيد على اسمه الوكيل بدلالة اللزوم؛ فالوكيل متضمنٌ لشهادته تبارك، وتعالى، وذلك لما تقتضيه شهادته سبحانه من الحضور، والمعاينة للمتوكل عليه، وكفايته له ما أهمه من أمر الدنيا، والآخرة.

٣٦- دل اسم الله ﷻ الشهيد على اسمه الحفيظ، والحافظ، فلا يوجد حافظ لكل شيء غيره جل جلاله فهو الحافظ المطلق الذي يحفظ بعلمه المطلق، وشهادته المطلقة ما يشاء، وهو الحفيظ ﷻ لخلقه بحفظ أعمالهم ليجازيهم بها، وحفظهم مما يكرهون، وهو على ذلك شهيد يحفظ بعلمه المطلق، وشهادته المطلقة ما يشاء.

٣٧- دل اسم الله الشَّهيد على اسمه الكريم، فهو الشَّهيد الكريم على خلقه، وعلى كل عمل يعملون، كرمه واسع، وجوده لا ينقطع الذي عم بجوده جميع المخلوقات قد عمها، وملأها من فضله، وإحسانه ، ونعمه الظاهرة، والباطنة، وشمل بها أهل السماء، والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسَّهم الضرُّ فإليه يرجعون، وبه يتضرعون؛ فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما من الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها: تكميل عبودية الله الظاهرة، والباطنة، العلمية،والعملية، القولية، والفعلية، والمالية، وتتحقيقها باتباع محمد ﷺ في الحركات، والسَّكنات.

٣٨- دل اسم الله - ﷻ- الشَّهيد على اسمه الحليم، وذلك من حيث أنه - سبحانه - شهيد على عباده، ويعلم العاصي، والجاحد منهم إلا أنه لا يسارع في عقابهم لحلمه بهم، فلو عاجل الله - تعالى- العاصي، والمذنب لما وجدنا تائباً أو مستغفراً، ولكن الله -تعالى- العليم بعباده، وضعفهم يمنحهم الفرصة تلو الأخرى كي يرجعوا للحق، وهو شهيد عليهم فالله شهيد على المؤمن، والكافر، وهو أيضاً حليم بهم، ومحيط بهم جميعاً عليم بما في صدورهم لا يعاجلهم بالعقوبة إذا عصوه لعظيم حلمه بهم تبارك، وتعالى.

٣٩- دل اسم الله ﷻ (الشَّهيد) على صفات الكمال لاستلزام كل اسم من أسمائه تعالى معنى الآخر لدلالتها جميعاً على الذات كما أن الذات تستلزم الصفات.

٤٠- دل اسم الله ﷻ الشّهيد على صفة الحياة، وذلك لاستلزام صفة الشَّهادة لصفة الحياة إذ هي متعلقة بالذَّات، فالحياةُ لازمةٌ لحصول الشَّهادة، كما أنها تدل على صفة القيومية لله ﷻ مما يجعل من الحي المطلق شهيداً مطلقاً منزهاً عن النقائص.

٤١- دل اسم الله ﷻ الشَّهيد على صفة القيومية، وذلك لاستلزامها معنى اسم الشهيد؛ فالشَّهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهذا لا يكون إلا لله جلَّ، وعلا المتصف بصفات الكمال؛ فالله سبحانه، وتعالى شَهيدٌ قائم على مخلوقاته يُراقبهم، ويرعاهم، ويكلؤهم، وهم نائمون.

٤٢- دل اسم الله ﷻ الشهيد على صفة السمع فالشَّهيد سبحانه، وتعالى يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانيةٌ، والبعيد عنده قريبٌ.

٤٣- أن الأصل في معنى اسم الله ﷻ البصير أن يُفسَّر بما يدل على إثبات الصفة له تعالى على ما يليق بجلاله، وعظمته، وأن له سبحانه بصراً حقيقةً يبصر به جميع الخلائق لا يماثل ما وهبه لعباده، ومخلوقاته من نعمة البصر، والعلم متضمن لهذه الصفة، وهو دالٌ على شهادته التي وسعت كل شيء؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء.

٤٤- أن اقتران اسمي الله ﷻ (السَّميع، والبصير) في نصوص الكتاب، والسُّنة يورثان العبد استشعاراً لعظمة الله - تعالى-، وأنه شهيد على كل شيء.

٤٥- الله ﷻ هو المحيط، والشهيد على كل شيء، لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيءٍ، لا يحويه شيءٌ، ولا يحيط به شيءٌ، كما يكون لغيره من المخلوقات، وهو المحيط بكل شيءٍ، العالي على كل شيء.

٤٦- من آثار الإيمان باسم الله ﷻ (الشَّهيد) اليقين بأن شهادة- تعالى- هي أعظم شهادة.

فقد شهد لنفسه بالتوحيد، وشهد له به ملائكته الكرام، وأنبياؤه، ورسلهُ – عليهم الصلاة، والسلام – كما في قوله سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

٤٧- أن الإيمان بشهادة الله ﷻ على عباده يورثه دوام المراقبة له، والخوف منه، ويثمر في القلب يقظةً، وحذراً بحيث لا يصدر من العبد إلا ما يحبه الله ﷻ، ويرضاه من الأقوال، والأعمال؛ لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية في ليل أو نهار، وفي سر أو علانية.

٤٨- أن الإيمان باسم الله ﷻ (الشَّهيد) يبعث على تحري الإخلاص، والتقوى في جميع الأقوال، والأعمال؛ لأن الله ﷻ شاهد رقيب على ما في القلوب من النوايا، والمقاصد، ولا يقبل سبحانه من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً.

٤٩- أن الإيمان بأنه سبحانه شهيد على الخلق في الدنيا كما أنه شهيد عليهم يوم القيامة بما عملوا يجعل العبد على حذر من ظلم العباد مطلقاً سواءً كان ذلك بالتعدي عليهم أو على حقوقهم بغصبها أو سرقتها؛ فعلى المسلم أن يلين مع إخوانه، ويتسامح معهم، ويؤدي إليهم حقوقهم، ويحذر من ظلمهم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

٥٠- أن الإيمان بشهادة الله ﷻ على الخلائق يحمل العبد على التحلي بالصبر، والتخلق بأخلاق الصابرين، مع الاحتساب على ذلك، لاستشعار معية الله ﷻ له قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، وإيمانه باقتراب فضله، وفرجه، ونصره.

٥١- أسماؤه ﷻ أعلام، وأوصاف لإجماع أهل اللغة، والعُرف على أنه لا يُقال: شَهيدٌ إلا لمن شَهِد، ولا عليمٌ إلا لمن علم، ولا سميعٌ إلا لمن سمع، ولا بصيرٌ إلا لمن له بَصُرَ، وهذا أمرٌ أبينُ من أن يحتاجَ إلى دليل فصفةُ الشَّهادة لله ﷻ صفةٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ له بالكتاب، والسُّنة، وكلام سلف الأمة، وحالها كحال جميع صفات الكمال الثابتة له جلَّ جلاله، والمتضمنةِ للمدحِ، والجمال، وهي بمعنى اسم الله الشَّهيد الدَّال باعتبار العَلَمِية على الذَّات، والدَّال على الصِّفةِ بما دلت عليه من المعاني كالحضور، والمعاينة، والعلم، وغيرها من معاني الجلال التي تقصر عن إدراكها العقول، والمتباينة في معنى الصفة مع الصفات الأخرى لدلالة كل واحد

منها على معناه الخاص.

٥٢- أن صفة الشَّهادة لله -تعالى- من الصفات الثبوتية الملازمة لذاته تعالى المقدسة، والمتضمنة، لبقية صفاته الذاتية الأُخرى، واللاَّزمة لها كالعلم، والسَّمع، والبصر، والعدل، والإحاطة، والعزَّة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغيرها من الصفات الذاتية.

٥٣- من أدلة الكتاب على إثبات صفة (الشَّهادة):

أولاً- إخباره ﷻ بمصادرها، ووصفه لنفسه بها: والمصدر هو الوصف الذي اشتقت منه الصفة كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾، وغيرها من الآيات الدَّالة على إثبات هذه الصفة لله تعالى.

ثانياً- إخباره - تبارك، وتعالى - عن الأسماء بأفعالها ((أي: حُكمُ تلك الصفة))

فقد أخبر ﷻ في أكثر ما آية من كتابه الكريم عن اسمه الشَّهيد بصيغة الفعل بذكر الفعل الدَّال على الصفة؛ فإن الفعل حُكم قيام الصفة بالموصوف كـ "شهد"، و"يشهد"، وهو ما يُسمى: بحكم الصفة، وذلك :كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وقوله جلَّ جلاله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ ﴾، وغيرها من الآيات الدَّالة على أفعال اسمه ﷻ الشَّهيد.

ثالثاً- استدلاله ﷻ بأسمائه، وأفعاله على توحيده، فالله - تبارك، وتعالى - يستدل على توحيده، ونفي الشريك عنه بأسمائه، وأفعالها الدَّالة عليها من باب إضافة الصفة إلى الموصوف إضافة فعلية، وذلك بنسبة الفعل إلى الاسم، أو بإضافة الصفة إلى الموصوف إضافة اسمية، وذلك بنسبة الاسم إلى الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم.

ففي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إضافة للصفة إلى الموصوف إضافة فعلية، وذلك بنسبة الفعل إلى الاسم، وفي قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ إضافة للصفة إلى الموصوف إضافة اسمية، وذلك بنسبة الاسم إلى

الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم.

رابعاً- تعليق المعمولات من الظروف، والجار، والمجرور، وغيرهما، بأسمائه، وذلك من باب إضافة الصفة إلى الموصوف إضافة اسمية إما بنسبة الاسم إلى الاسم، أو الخبر بالجملة الاسمية عن الاسم كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴾، وقوله عز من قائل: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾.

٥٤- أن الصِّفات إذا أُضيفت إليه تبارك، وتعالى-كالعلم، والقدرة، والكلام، والسَّمع، والبصر، والشَّهادة، والإحاطة، والحياة، والرضا، والغضب، وغيرها من الصفات الثابتة له بدلالة الكتاب، والسُّنة- دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها بل لابد لها من موصوف تقوم به فإذا أضيفت إليه عُلم أنها صفة له.

٥٥- إثبات صفة العلو لله -تبارك، وتعالى- متضمنٌ لإثبات صفة الشَّهادة إذ يستحيل إثباتها مع نفي شهادته على خلقه فالله -جل جلاله- بدلالةِ الفِطَرِ عليٌ شهيدٌ على خلقه متصفٌ بصفة الشَّهادة على ما يليق بجلاله، وعظمته.

٥٧- دلت صفة الشَّهادة لله ﷻ على توحيد الربوبية بدلالة أفعاله تعالى من الخلق، والملك، والتسخير، والتدبير، وغيرها على وحدانيته إذ هي بيانه، وإعلامه بفعله الذي يستعمل فيه لفظ الشَّهادة،كما يستعمل فيه لفظ الدَّلالة، والإرشاد، والبيان، وهو بمنزلة المخبر الشَّاهد به فمن الأدلة على فعله الشَّاهد بربوبيته - تبارك، وتعالى- ما شهد به من دلالة ملكه، وعلمه، وتدبيره للسَّماوات، والأرض، وما فيهما، وما بينهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾، وغيرها من الأدلة، وقد دلت شهادته -تعالى- بفعله على وحدانيته؛ فهو المتفرد بالخلق، والإبداع، والبعث، والإتقان، والتقدير، والتسخير، والتدبير، والإنعام، والإفضال، والإحسان، وغيرها من الأفعال، فكل شيءٍ ناطق بربوبيته تعالى مستلزم للإقرار بإلهيته- ﷻ -، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له.

٥٨- أن الراجح من أقوال أهل العلم في مسألة: معنى أخذ الذرية من ظهور بني آدم -

عليه السلام-، والإشهاد عليه:أنه لا تنافي بين القولين فإن الأخذ للذرية من ظهر آدم، والإشهاد عليهم كان تقدمة لبعثة الرسل، والحجة إنما قامت ببعثة الرسل فهم الذين ذكروهم بتلك الشَّهادة فقامت للرسل الحجة على النَّاس كما لو كان عند الإنسان شهادة، ثم نسيها ثم ذكره أحد إياها، وقال له: يا فلان اذكر أن عندك شهادة في وقت كذا على كذا، وأيضاً فإن الأخذ من ظهور بني آدم أخذ من ظهر آدم؛ فإن ظهورهم ظهر له، وعلى هذا فلا منافاة بين الأقوال، وظاهر هذه الأحاديث، وهذه الأحاديث ظاهرة في أن الله - تعالى- استخرج ذرية آدم أمثال الذر الأرواح، وأشهدهم ثم أعادهم - سبحانه، وتعالى- وكون الإنسان لا يذكر الشَّهادة لا يستلزم أن يكون ذلك وقع، جاءت الرُّسل بعد ذلك، وذكرتهم بالشَّهادة، والحجة إنما قامت ببعثة الرُّسل، وعلى ذلك فلا منافاة بين القولين.

٥٩- دلت شهادة الله - عز وجل- لنفسه بإثبات الوحدانية على نفي الشَّريك معه في الألوهية كما في قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، مع تضمنها للنَّفي في الربوبية، والأسماء، والصفات.

٦٠- دلت شهادة الله - عز وجل - لنفسه بشهادة التوحيد على بإثبات الإلهية له وحده كما في قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وهو الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، والثاني باعتبار أركان الشَّهادة لله - عز وجل- بالتوحيد، فاجتمعت أنواع التوحيد في هذه الآية العظيمة من اتصافه - تعالى- بالشَّهادة، وفعل الشَّهادة القوليّ بشَّهادته - عز وجل- لنفسه بالإلهية، والشَّهادة بإثباتها له وحده.

٦١- دلت صفة الشَّهادة لله - عز وجل - على بقية صفاته - تبارك، وتعالى - باللُّزوم لدلالتها على الذَّات.

٦٢- دلت صفة (الشَّهادة) لله عز وجل على تفرده بالكمال الإلهي من حيث تفرده بالكمال، والجلال، والمجد، والعظمة.

٦٣- دلت صفة (الشَّهادة) على تفرد الله - عز وجل- بالكمال الإلهي، وقد تقرر في عقيدة أهل السُّنة، والجماعة أن الله- عز وجل - متفرد بالكمال المطلق من كل وجه، ومنزه عن ما يُضاد ذلك من النقائص من كل وجه فقد وصف نفسه - تعالى - بأن له المثل الأعلى، فقال

سبحانه: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

٦٤- دلت صفة الشَّهادة لله - ﷻ- على تفرده - تبارك، وتعالى- بالجلال، وهو موصوف بنعوت الجلال، ونعوت جلاله - جلَّ، وعز- هي الشَّهادة، والعزُّ، والملك، والتَّقدس، والعلم، والغنى، والقدرة، وغيرها من الصِّفات فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق، والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما نال من هذه النُّعوت، فالجليل المطلق هو الله - ﷻ- فقط، فكأن الكبير يرجع إلى كمال الذَّات، والجليل، والعظيم إلى كمال الصفات.

٦٥- الله - ﷻ - المتفرد بالمجد، والمجد: هو عظمة الصفات، وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، ومن ذلك اتصافه - جل، وعلا- بصفة الشَّهادة المتضمنة لكماله، وجلاله، وعظمته، وسعة علمه، وإحاطته، ورحمته، وحلمه بخلقه، والتي أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وعَظَّم شأنها بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾، فهو الشَّهيد المجيد الذي كَبُرَ، وكَمُل، وعَظُم، وشَرُفَ، وكرم، واتسَع- تبارك، وتعالى - في شهادته، الذي تفرد سبحانه بمجدها؛ فلا أكبر، وأكمل، وأشرف، وأكرم، وأوسع شهادة منه تبارك، وتعالى.

٦٦- الله - ﷻ- عظيم متفرد بالتعظيم في كل ما أثبته -تبارك وتعالى- لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ومن ذلك شهادته - تعالى- فلا أعظم شهادة منه جلَّ، وعلا، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾.

٦٧- الله - ﷻ- منزه عن النقائص في شهادته فهو منزه عن كل عيب، ونقص، ومماثلة بخلقه.

٦٨- الله - تعالى- منزه عن الاتصاف بالجهل، وللقرآن في هذا التنزيه طريقتان:

الطريق الأول: الإثبات، بإثبات كمال علمه، وشهادته على كل شيء.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾، والآيات في ذلك كثيرةٌ لا حصر لها.

الطريق الثاني: النفي، بنفي خفاء، أو غياب شيء – في الأرض أو في السماء – من الأمور عليه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾.

وقوله: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

ومن الآيات الجامعة لإثبات علم الله ﷻ، وشهادته على خلقه، ونفي اتصافه بالجهل، وتنزهه عنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

٦٩- أثبت ﷻ كمال شهادته، وسعة علمه، وإحاطته بخلقه، ونفى عن نفسه الجهل، وذلك بنفي غياب، وخفاء شيءٍ في الأرض أو في السماء من الأمور عليه مهما صغر أو كبر لمنافاته صفات كماله.

٧٠- تنزه الله ﷻ عن السَّهو: (النِّسيان، والغفلة)، والضَّلال، وإثبات كمال شهادته، وسعة علمه، وإحاطته بخلقه.

٧١- وجه نَّفي صفة النِّسيان عن الله ﷻ، في قوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، وإثباتها له في آيات أُخر كقوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾، وغيرها أن النسيان له معنيان في اللغة، وفي كلام المفسرين:

أحدهما: يدل على إِغْفَالِ الشَّيْءِ، والذهول عنه، وهو خلاف الذِّكر، والحفظ.

والثاني: يدل على التَرْكِ للشَيْءِ.

فالنِّسيان المنفي عن الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مغايرٌ لمعنى النِّسيان الْمُثبت له في قوله: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾؛ فالأوَّلُ: (النِّسيان المنفي عن الله ﷻ)، وهو بمعنى إغفال الشَّيءِ، على وجه السَّهو عنه، وعدم ذكره، وحفظه، والوقوف على حقيقة الأمور، والله ﷻ منزهٌ عن ذلك لمنافاته كمال علمه،

وشهادته، وإحاطته سبحانه، وتعالى، وهذا ما قرره السَّلف، والثاني:(النِّسيان الْمُثبت له)، وهو بمعنى التَّرك الدَّال على كمال صفاته، وقدرته، ومشيئته؛ فقد ثبت بالكتاب، والسُّنة كما قرر سلف الأمة (رحمهم الله) أنه سبحانه خصَّ من ذكره بالذِّكر.

ومن المتقرر في عقيدة أهل السُّنة، والجماعة أن الصفة إذا كانت نقصاً في حال، وكمالاً في حال فإن الله ﷻ يوصف بها في حال الكمال لا النقص، مع مراعاة القيد الذي جاءت به، ففي مثل هذه الحالة التي نحن بصددها، يقال: أن الله ﷻ موصوف بنسيان من ينساه، أي: ترك من تركه، وذلك على سبيل المقابلة، والمجازاة بالمثل، وهذا دليلٌ على كمال غناه، وقدرته، ومشيئته على خلقه تبارك، وتعالى، وبهذا يحصل الجمع بين آيات النفي، والإثبات لصفة النسيان.

٧٢- تنزه الله ﷻ عن الاتصاف بصفةُ الصَّمَم، وهي مما ينافي ثبوت كمال صفاته، واتصافه بصفة السَّمع -كما هي عقيدة السَّلف-، ودلالتها على كمال شهادته - جلَّ، وعلا -، وعلمه، وإحاطته بخلقه.

٧٣- أن الله ﷻ منزهٌ عن مشابهة خلقه؛ لأن مشابهة الناقص في صفات النقص نقصٌ مطلق، كما أن مماثلة المخلوق في شيء من الصفات تمثيل، وتشبيه، ينزه عنه الرب تبارك، وتعالى، والنقص ضد الكمال.

وقد عُلم أن هذه الصفة مما يوصف بها الخلق، وهي في حقهم صفةُ نقصٍ، والمتصفُ بضدها أكمل، والله ﷻ مُعطي الكمال، وهو بالكمال أولى فله المثل الأعلى.

٧٤- من لوازم صفة الشَّهادة لله ﷻ تنزهه سبحانه، وتعالى أيضاً عن الاتصاف بصفة العمى لمنافاتها ما أثبته لنفسه من الاتصاف بصفة البصر، ولدلالتها على النقص، والله ﷻ منزهٌ عن النقائص في ذاته، وأسمائه، وصفاته، بل له الكمال المطلق من كل وجه.

٧٥- صفة العمى داخلةٌ في باب ما ينفى عن الله ﷻ من النقائص المنزه عنها، مع تضمن نفيها عن الله ﷻ ثبوت اتصافه تعالى بصفات الكمال، ومنها صفة البصر، ولازم نفيها، وهي صفة الشهادة، وإذا كان المخلوق متصفٌ بها مع تفاوت كمالها، فمجرد اتصافه بها مع نفيها عن الخالق كمال في حقه، والمخلوق بنصوص الكتاب، والسُّنة انقص من خالقه فلا يماثله، ولا

يكافئه جلَّ، وعلا.

٧٦- تنزيه الله ﷻ عن صفة الموت، وهي من الصفات السَّلبية التي نفاها عن نفسه بقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾، وقوله: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾.

فوصف نفسه - جلَّ، وعلا - بالبقاء، ونفى الموت - الذي يجوز على من سواه من خلقه - عنها، ونزه نفسه عن صفة النقصان مثنياً عليها بنعوت الكمال فحياته ﷻ لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا توصف بنقص فله الحياة الكاملة المطلقة من كل وجه.

٧٧- الرب تعالى منزهٌ عن السِّنة، والنَّوم؛ لأن ذلك يناقض كمال اتصافه ﷻ بصفة الشَّهادة المتضمن لكمال الحياة، والقيومية؛ فإن النَّوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنَّة لا ينامون كما لا يموتون، وكانوا يُلهمون التسبيح كما يُلهم أحدنا النَّفَس.

٧٨- الله ﷻ منزهٌ عن الظلم لكمال عدله، وشهادته على خلقه تبارك، وتعالى، وتنزه الرب جلَّ، وعلا عن الظلم، وإثبات غاية عدله لازمٌ لاتصافه بصفة الشَّهادة، وكمالها على خلقه.

٧٩- من دلائل شَّهادته - ﷻ- بالتوحيد "العدل"، وهو ما شهد به تعالى لنفسه من القيام بالقسط.

٨٠- القِسْط إذا أُطلق أريد به العَدْل بما تصرف من المعاني، والعَدْل يُراد به الاستقامة، والتوسط في الأمر، والإقامة حتى الاستواء، والحكم بالحق، والمثل، والنَّظير، والحَيدُ عن الصواب، وهو بجميع هذه المعاني مرادف لمعنى القسط في الجملة.

٨١- الوجه الصحيح، والمعنى الراجح المعتبر في قوله تعالى: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ هو ما ذهب إليه البصريون لبلاغته كما قال شيخ الإسلام، ووافقه عليه ابن القيم، مع كون كلا المعنيين صحيح، وذلك لما يلي:

أولا: تقدير المعنى على هذا الوجه أنه "هو" وحده الإله قائماً بالقسط فيكون وحده مستحقاً للعبادة مع كونه قائماً بالقسط؛ لأن كونه قائماً بالقسط كما شهد به أبلغ من كونه حال الشَّاهد.

ثانياً: تضمنه لشهادة الملائكة، وأولي العلم له أنه قائم بالقسط مع شهادتهم أنه لا إله إلا هو، و"الوجه الأول" لا يدل على هذا؛ وذلك أنه إذا كان حالاً من المشهود به فهو كالصفة له، فإن الحال صفة في المعنى لصاحبها، فإذا وقعت الشَّهادة على ذي الحال، وصاحبها كان كلاهما مشهوداً به، وفي هذا إثباتٌ لصفة قيامه – ﷻ – بالعدل، وتنزهه عن الظلم مع ما تصف به من الشَّهادة، والوحدانية.

٨٢- تضمنت شهادة الله – ﷻ – على قيامه بالعدل أموراً عديدة من أهمها:

أولا: أنه – تعالى– قائم بالقسط في هذه الشَّهادة التي هي أعدل شهادة على الإطلاق، وإنكارها، وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من التوحيد، ولا أظلم من الشرك، فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشَّهادة قولاً، وفعلاً.

ثانياً: وضعه – جلَّ، وعلا – للأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئاً منها إلا بمخصص اقتضى ذلك.

ثالثاً: أنه سبحانه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يعاقب أَحداً بغير فعله، ولا يعاقبه على فعل غيره، ولا يعاقبه بترك ما لا يُقدر على فعله، ولا على فعل ما لا قدرة له على تركه، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقاً.

وبالجملة تضمنت آية آل عمران، وهذه الشَّهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل، والعيب، ففيها الشَّهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة، والعلم، والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة.

٨٣- من لوازم شهادته –ﷻ– بالعدل إرسال الرُّسل– عليهم الصلاة، والسَّلام–، وإنزال الكُتب، وشرع الشَّرائع، وما تفرد به – تبارك، وتعالى – من الوحدانية، وكمال الصفات، ومنها كمال عدله، وعلمه، وحكمته البالغة، ورحمته الشَّاملة، وقدرته، وإرادته، ومشيئته المتعلقة بأفعاله – ﷻ–، وتنزهه عن الظلم، والحساب، والجزاء الأُخروي من نَصْب الموازين، وحصول الثَّواب، والعقاب، وغير ذلك من اللَّوازم.

٨٤- رد الله – ﷻ – على المشركين المنكرين لشَّهادته، من ذلك رده عليهم في إنكارهم لخلق السَّموات، والأرض بالحق، وحصول البعث بعد الموت، وما في الآخرة من الحساب،

والثواب، والعقاب، والجزاء بالجنة، أو النار مما هو من كمال عدله - بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

٨٥- شهد الله - تعالى-، وأثنى على كتابه العزيز في آيات كثيرة مما يدل على عظمته فوصفه بأوصاف منها وصفه "بالعظيم" في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾، ووصفه "بالكريم" في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾، وبالكتاب المبارك فقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، وبركة هذا الكتاب تمتد، وعطاؤه نامٍ لا ينفذ حتى يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، كما وصفه في أم الكتاب بأنه "عليٌّ حكيم" في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾؛ فهذه شهادة من الله - تعالى - بعلو شأن القرآن، وحكمته، ولا ريب أن من عظمة القرآن أنه "عليٌّ" في محله، وشرفه، وقدره، فهو عال على جميع كتب الله - تعالى - ، بسبب كونه مُعجزاً باقياً على وجه الدهر.

٨٦- شهد الله - تعالى- على كتبه المنزلة كصحف إبراهيم - عليه السلام-، والتوراة التي أنزلها على موسى ابن عمران- عليه السلام -، والزَّبُور على داود - عليه السلام - والإنجيل المنزل على عيسى ابن مريم- عليهما السلام -، وغيرها من الكُتب السَّماوية التي هي من وحيه - تبارك، وتعالى - إلى أنبيائه، ورسله - عليهم الصلاة، والسلام - ، لئلا يكون للنَّاس على الله - تعالى - حُجة بعد الرُّسل.

٨٧- الله - عز وجل- شَّهيد على كل شيءٍ قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، اسمه الشَّهيد، وهو الشَّاهد، والمشَاهد الذي لا يغيب عنه شيءٌ المطلع عليه الحاضر المعاين له العليم بتفاصيله؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السَّماء حاضرٌ يُشاهد الأشياء، ويراها العالم الرائي المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها، وجليلها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها، وجليلها صغيرها، وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء.

٨٨- من شهادة الله - ﷻ - الشَّهيد على كل شيء شهادته على أعمال عباده يحصيها لهم، ثم يجازيهم عليها يوم القيامة، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

٨٩- أثبت الله - جَلَّ، وعز - شهادته للرَّسول ﷺ بالرِّسالة، والنُّبوة في مُحكم كتابه المجيد، وذلك بآيات كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾، وقال تبارك، وتعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾؛ فشهد الله - ﷻ -، وكفى به شهيداً بما أنزل إلى النبي ﷺ من القرآن العظيم الدَّال على رسالته، ونبوته - عليه الصلاة، والسلام - وإن جحده، وكذبه الكافرون.

٩٠- شهد الله ﷻ للرَّسول ﷺ بتأييده بالمعجزات الباهرة، كما أن السنة، والسير شاهدة ببعضها من ذلك: القرآن الكريم، والإسراءُ، والمعراج، وانشقاقُ القمر، وإخباره ﷺ عن بعض حوادث الغيب في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وغيرها من المعجزات التي شهد الله - تعالى - بها في كتابه، أو ثبتت له - عليه الصلاة والسَّلام - في سنته، وسيرته.

٩١- شهد الله - ﷻ- للرَّسول ﷺ بتأييده بالحُجج الظَّاهرة، في مجادلة المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وذلك ثابت بنصوص الكتاب، والسنة.

٩٢- شهد الله - ﷻ - لعبده، ورسوله ﷺ بنصره له، وخذلان أعدائه قال تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾؛ فينصره على سائر أعدائه، ومن ناوأه نصراً، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، بالبأس الذي يؤيده الله به، وبالظفر الذي يمدُّه به.

٩٣- شهد الله - ﷻ - على شريعة النبي ﷺ، وهو ثابت بنص الكتاب، والسُّنة، وأقوال سلف الأمة - رحمهم الله -، وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده إيماناً لا مريةَ فيه، وقبولاً لا تردد فيه، مع التسليم له، والرضا به.

٩٤- لقد شهد الله - ﷻ- على كذب المنافقين، ووصفهم به لقبيح أفعالهم، وذميم أخلاقهم من ذلك ما شهد به عليهم من كذبهم في شهادتهم بالنُّبوة، والرِّسالة لنبي الله، وعبده، ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

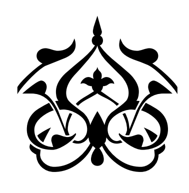
٩٥- أن الله - ﷻ- شهد على المنافقين بصفات كثيرة من الكذب في ادعاء الإيمان، والشَّهادة بالرِّسالة للنَّبي ﷺ ، والإصلاح، وغيرها، ففضح ضمائرهم، بزلاَّتهم، وهتك أستارهم، وأذلهم، وأخزاهم.

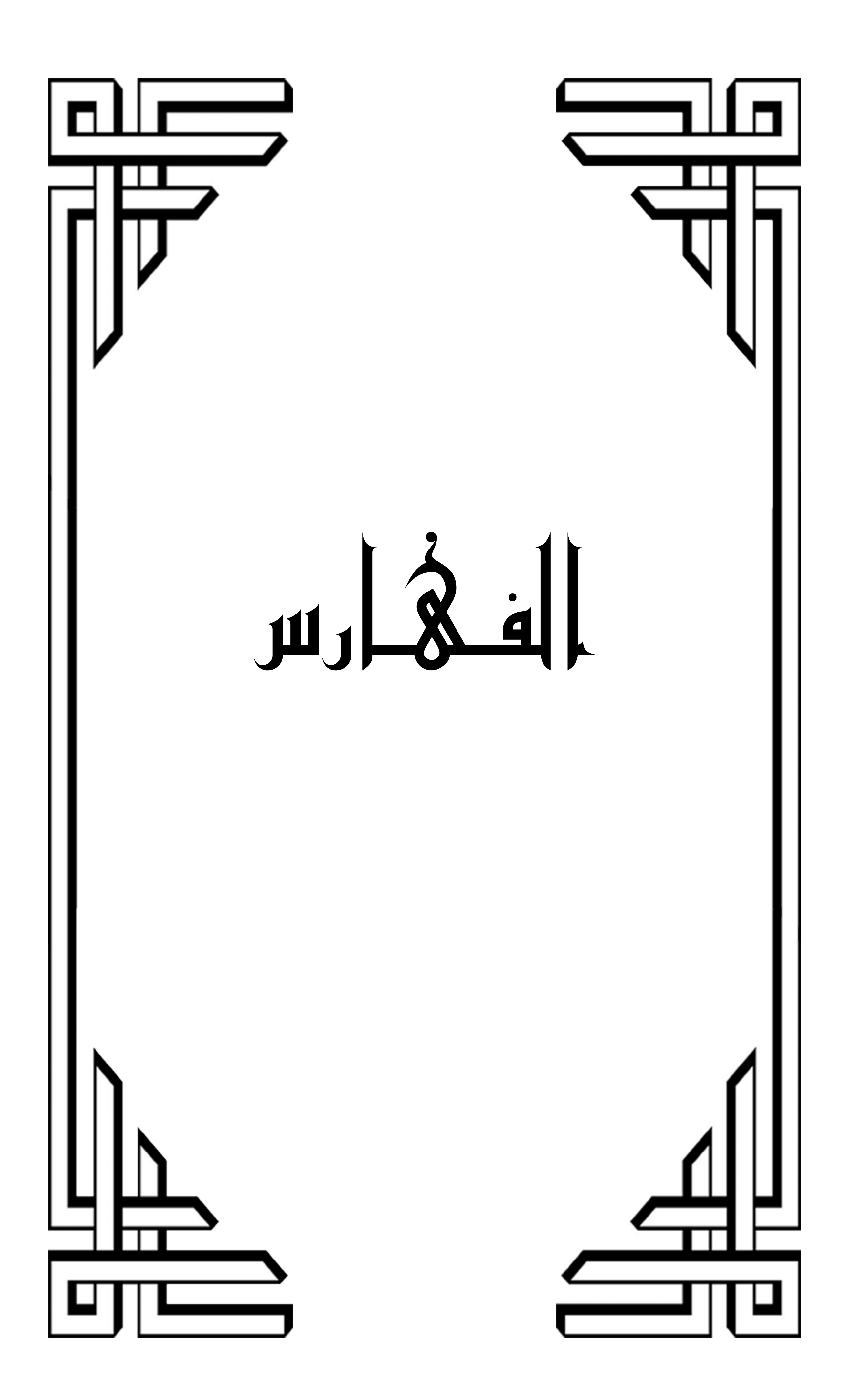
هذا ما تيسر بيانه من نتائج هذه الدِّراسة، ولا أدعي فيها الكمال، والاستيعاب لجميع أطرافها عذري في هذا أن بذلت قُصارى جهدي في إبرازها على أحسن وجه، والله تعالى أسأل أن يعفو عن عما قصر عنه النَّظر، ووقف دون خطه القلم.

كما أسأله سبحانه، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم متقبلاً مباركاً نافعاً لي، وللمسلمين، وأن يثيبني عليه أجراً عظيماً إذا وسدت في التراب.

توصية: أقترح بحث المسائل العقدية المتعلقة بشهادة المخلوق، ففي ذلك قدر عظيم صالح من المسائل للكتابة، وتمس الحاجة إلى طرق هذا الموضوع، وإبرازه في رسالة علمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.




الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٥٣
سورة البقرة		
﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٢	٣٢١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٤٣٧
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾	١٠	٤٣٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾	١١	٤٢٥
﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾	١٣	٤٢٦
﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾	١٧	٢٦٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢١	١٧٨، ٤٢٦
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	٢٣	٣٥٤
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	٢٤	٤٢٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٢٩	١٣٤
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	١٣٥
﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٣٢	٣٤٣
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٥٥-٥٦	٤٢١
﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٧٣	٤٢١
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٧٤	٢٦٦
﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) ﴾	٨٠	٣٨٤
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ﴾	٩١	٣٨٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٤٢	٤٠٧
﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾	١٤٣	٨١
﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾	١٤٣	٧٢
﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾	١٨٥	٧٣
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾	٢٠٤	٣٦٦
﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٠٩	٣٠٣
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾	٢١٣	٣٠٣
﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٤	١٢٤
﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾	٢٣٣	٦٢
﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	٢٣٥	١٠٧، ١٤٧
﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ ﴾	٢٤٣	٤٢١
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٥٢	١٤٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾	٢٥٥	١١٣، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ٢٢٨، ٢٧٤، ٢٧٧
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾	٢٥٥	١٣٨
﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	٢٥٥	٢٣٩
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	٢٥٧	٩٧
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٢٥٨	٣٧٥
﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ	٢٥٩	٤٢٢
﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	٢٦٠	٤٢٢
﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾	٢٦٩	٣٩٤
﴿ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ ﴾	٢٨٢	٢٤
﴿ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾	٢٨٢	٢٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	٢٣-٢٤-٢٥	٣٨٨
﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾	٣٠	٣٠٩
﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾	٣٨	٢١٠
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾	٤٤	٣٦٦
﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ ﴾	٥٠	٣٣٢
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾	٥٩-٦٠	٤٠٠، ٤٠٤
﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾	٦١	٣٢٥
﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٧١	٣٧٨
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾	٧٥	١١٧
﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾	٨٣	١٩٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾	٩٣-٩٤	٤٠٧
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٨	٧٦، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٢، ٣٣٥
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾	٦٤-٦٥	٤٨، ٢٢٧، ٤٠٧
﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٦٦	٣٧٧
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾	٧٠	٣٣٧
﴿ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٨١	٣٣٥
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	٨٥	٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	١٠٢	١
﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٤٠	٨٣، ٢٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾	١٧٣	٩٨
﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ ﴾	١٨١	١٢٥
﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾	١٢٣-١٢٤	٤٢٧
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾	١٤٤	٣٤٧
﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٥١	٤٢٨
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ	١٥٤	٤٢٤
﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾	١٦٧	٤٣٦
﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	١٦٨	٤٢٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٦٩- ١٧٠- ١٧١	٢٦
﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ ﴾	١٨٣	٣٥٢، ٣٧٤
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾	١٨٤	٣٥٢، ٣٧٤
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	١	١، ٩١
﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾	١٩	٢٩٥
﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾	٣٣	٧٦، ١٣٥، ١٦٠، ١٦٢، ٣٣٤، ٣٤٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾	٤٠	٢٨٠
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	٤١	٨١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	١٢٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾	٧٧	٣٨٠
﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	٧٩	٧٦
﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	٧٩	١٤٣
﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	٤١	٧٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	١٣١
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾	٦٩	٨٣
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	٣٢٠
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ	١١٣	٤٣٥
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	١٣٤	١٢٠، ١٢٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	١٣٥	٢٤، ٥٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾	١٦٣	٣٢٧
﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾	١٧٢	٤٠٥
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾	١٦٥	٢٠٤، ٣٥٠
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	١٦٦	٣٧، ٥١، ١٤٤، ١٤٥، ٣١٩، ٣٣٥، ٧٦، ٩٤، ١٣٦، ١٦١، ١٦٢، ٣٢٥، ٣٤٦
سورة المائدة		
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٥-١٦	٣٢٢
﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٦	٣٢٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ ﴾	١٧	٣٩٤
﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾	١٨	٣٩٠
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	٣٧	٣٨٧
﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾	٤١	١٢٣
﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾	٤٢	٢٨٧
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٤٤	٣٣٠
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾	٤٨	٣٢٤
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾	٤٨	٣٣٣
﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾	٦٧	٩٩، ٣٦٩، ٤٣٥
﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ ﴾	٧٢	٣٩٥
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾	٧٣	٣٩٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٧٣-٧٤	٣٩٧
﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	٧٣	٣٩٦
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٣٩٧
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾	١١٦	٣٤٠، ٣٩٦
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	١١٧	٧٩، ٩٠، ٧٦، ١٦٤، ١٦٢، ٣٣٤، ٣٤١
سورة الأنعام		
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	٢٧-٢٨	١٣٥
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	٣٣	٣٣٧
﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾	٤٤	٢٦٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾	٤٤	٢٦٢
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ ﴾	٤٦	٢٠١
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾	٥٠	٣٤٢
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٨	٣٣٨
﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾	١٩	١٤٤، ٣٣٥، ٧٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ٢٣٩، ٢٤٣
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾	٣٨	١٤٩
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾	٥٩	٩٤، ١٣٤، ١٤٩، ٣٤٢
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾	٧٣	١٦
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠	٨٠	٣٧٦
﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾	١٠٢	٢٢٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ ﴾	١٧٣	٢٠٤
﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَا ﴾	١٩٥	١٧٤
سورة الأنفال		
﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾	٦	٣٧٨
﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾	٩	٤٢٧
﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾	١٢	٤٢٩
سورة التوبة		
﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾	٧	٤٤٠
﴿ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ ﴾	٨	٤٤٠
﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾	١٧	٦١
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾	٢١	١٢٣
﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾	٢٣	١٢٢
﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾	٤١	٣٣١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	٦٢-٦٣	٤٢٩
﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ ﴾	٤٧	١٢٢
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	٣١	٢٢٨
﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾	٦٧	٢٦٠، ٢٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	٧٣	٣٨٢
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾	٦٥-٦٦	٤٢٥
﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾	٧٧	٤٣٦
﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	٦٢	٤٣٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾	٧٤	٤٣٧
﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾	٧٥-٧٦	٤٣٨
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾	١٧	٨٠
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾	١٧	٢٠٢
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣١	٦٣
﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	٤١	٣٨٣
﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾	٦٤	٣٦٦
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ﴾	٧٤	٣٦٦
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾	٧٨	٤٣٩
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾	٨٤	٣٦٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٩٤	١٣١
﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾	٩٥	٤٣٧
﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	٩٦	٤٣٧
﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ ﴾	١٢٠	٣٨٣
سورة يونس		
﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾	٢٩	٧٧
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	٧٧
﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٦١	١٤٩
﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ	٦١	١٥٠
﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٠٧	١٥٦
﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	١٦٣
﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٢٩	١٦٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	١٨١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾	٤٤	٢٨٠
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	٣٣٩
﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾	٣٢	٤٠٥
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٣١	٤٠٩
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾	١-٢	٣٢٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥	٣١٣
﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٦١	٧٤، ٢٥١، ٣٣٥
سورة هود		
﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٣٢٣
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٦	١٥٠، ٢٦٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٦	
﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾	٥٧	١٠٢
﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٦	٢٩٨
﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٦	٣١٣
﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٤-٥٥-٦٥	٣٧٦
﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾	٥٣	٣٧٦
﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٤٩	٣٦٤
﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	٤٥	٢٨٤
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	٣٣	٣٧٥
﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٣٢	٣٧٥
﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٣-١٤	١٤٥، ٣١٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾	١٩	١٨٢
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾	٨٧	٣١٧
سورة النحل		
﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾	٢	٥٧، ٦٢
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٥٩
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	١٨٣
﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	١٧	١٧٣
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	٣٦	٦٢، ٦٦
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	٤٠	١٩٩
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٣-٤٤	٣٧٤
﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾	٥١	٦٢، ٦٣
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٦٠	٢٣٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٦٠	١٧٠
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٦٠	٢٤٩
﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾	٧٤	١٧٠
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٧٦	٢٩٩، ٣١٤
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	٨١
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	٣٢٢
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾	١٢٥	٣٧٩، ٣٨٠
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١	٣٥٨
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾	٩	٣٢٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٥	٣٠٢
﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	٢٢	٦٣
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٢٣	٦٢، ٦٣
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾	٤٨	٤١٣
﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾	٤٩-٥٠-٥١	٤٢٣
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٣٩٢
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	٨٨	٣٥٤
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾	٨٩	٣٥٦
﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾	٩٦	٧٧
﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾	٩٨	٤٢٣
سورة الكهف		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ ﴾	٢١	٤٢٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾	٢٨	١٥٣
﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	٤٩	١١١، ٢٨٠
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	٣٥٧
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾	٥٨	١٥٦
﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾	٧٣	٢٦١
﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾	٩٦	٢٩٥
﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾	٩٩	٢٦٥
سورة مريم		
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾	٢٩-٣٠	٤٠٥
﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾	٥	٢١٠
﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾	٥٧	٣٥٩
﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾	٥٨	٢١٠
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٢٥٩
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾	٦٧	١٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	١٠٣
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥	٢٦٢
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾	١٦-١٧-١٨	٣١٣
﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٢	١١٦
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	٤٧	٣٠٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٤٨	٣٣٠
﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾	٥	٤١٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ ﴾	٧	٣٩٨
﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ ﴾	٢٤	٥٧
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٢٥	٥٧، ٥٨، ٦٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	١٠٤	٧٨، ١٦٤
سورة الحج		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	١٧	٧٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾	٣٨	١٠٤
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	٦٥	١١٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	١٧	١٥٢، ١٦٣، ١٧٨
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾	٦٢	٢٢٩
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾	٣٠	٢٤٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	١٧	٣٣٤، ٣٤٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾	٢٢	٣٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾	٥	٤٢٣
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾	٣٢	٢٤٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾	١٧	٧٣
﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾	٥٤	٣٢٠
سورة المؤمنون		
﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾	٩١	٤٠٥
﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾	٨٤-٨٥-٨٦-٨٧	٤٠٩
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾	٦٠-٦١	١٠٦
﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾	١٨	١٨٢
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾	١٧	٢٦٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾	١١٥- ١١٦	٣٠٥
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	٣٠٧
سورة النور		
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٤٥	١٧٩
سورة الفرقان		
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾	٢	١٨٢
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٦	١٤٥، ٣١٩
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾	٥٨	٩٨، ٩٩، ١١٢، ١١٣، ٢٧٤
﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١)	٤١	٤١٥
سورة الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾	١٩٦	٣٢٩
﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾	٢٠٩	٢٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠	٩٢، ١٥٠
﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٢١٨-٢١٩	١٢٦، ١٢٩
سورة النمل		
﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾	٥٩-٦٠	٤٠٩
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٦٥	٣٤٢
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾	٨٨	١٨١
سورة القصص		
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٤٤-٤٥-٤٦	٣٦٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٧٠	٤٤٤
﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	٨٨	٦٣
سورة العنكبوت		
﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	٥٢	٧٧، ١٠٠، ١٦٣
﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾	٣٥	٢٦٥
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾	٤٦	٣٧٩
﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾	٤٩	٣٢٠
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	٥١-٥٢	١٤٣
﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٥٢	١٤٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الروم		
﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	١-٢-٣-٤	٣٦٩
﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾	٨	٣١٣
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴾	٢٥	١١٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾	٢٧	١٨٠
﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	٢٧	٢٣٣، ١٧٠
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	٣٠	١٦٥، ٢٠٠، ٢٠٥
﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾	٥٤	٩٥
سورة لقمان		
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾	٢٥	٢٠٤
﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ ﴾	٢٧	٣٩٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾	٣٤	١٣٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾	٥٢	٩١
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾	٥٥	٧٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٠-٧١	١
سورة سبأ		
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾	٢	٩٥
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	٣	٢٥٢، ٢٥٣
﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾	٦	٣٢٠
﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾	٢١	١٠٢
﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٤٧	٧٧، ١٦٣، ٣٣٤
سورة فاطر		
﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾	٩	٤٢٤
﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ ﴾	١١	١٣٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	٤٩
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾	٣٦	٣٨٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	٤١	١١٦، ٢٤١
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾	٤٥	١٠٧
سورة يس		
﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١-٢-٣	١٤٤
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤	٣٣-٣٤	٦٠
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٧-٧٨-٧٩	٤١٩، ٤٢٠
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٨-٧٩	١٧٩
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٩	٤١٩
﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٨١	٢٦٩، ٤٢٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الصافات		
﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾	١٠٢	٦٢
﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾	١٥١- ١٥٢- ١٥٣- ١٥٤	٦٤
سورة ص		
﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦	٤-٥-٦	٤١٠
﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	٢٧	٣١٢
﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾	٢٨	٢٨١، ٣١٢
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾	٣	٢٣٦
سورة غافر		
﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾	٤	٣٧٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨	٤٣٤
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	٢١	٢٨٢
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	٢٤	٤١٧
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢٥-٢٦	٤١٧
﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾	٣٤	٢٦٠
سورة الأحقاف		
﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾	١	٣١٣
﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٨	٧٨
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٣٣	٤٢٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾	٦-٧-٨	٣١٨
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾	١٦	٩١، ١٣٤
﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	١٧	٢٩٥
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾	٣٨	٢٤٩
سورة الذاريات		
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾	٧	١٨١
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢٠-٢١	٤٥
﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	١٦٦
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٣٠	٣٠٦
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٣٠٥
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾	٣٥-٣٦	١٨٠
سورة النجم		
﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾	٢٣	٢٢٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٦-٣٧-٣٨-٣٩	٣٠٠
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٨-٣٩	٣٠٤
﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾	١-٢-٣-٤-٥-٦-٧	٣٥٨
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾	٣-٤	٣٦٥
﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴾	٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١	٢٨٢
سورة القمر		
﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾	١-٢	٣٦٠
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	٤٩	١٨٢
سورة الرحمن		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	١-٢-٣-٤	١٦٧
﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾	٢٦-٢٧	٢٧٤
﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾	٧٨	٢٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الواقعة		
﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٦٠-٦١-٦٢	٤١٦
﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	٧٤	٢٤٠
﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾	٧٧	٣١٧
سورة الحديد		
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	١٩	٨٣
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾	٢٥	٣٥٢
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	٩٩، ١٣٦
سورة المجادلة		
﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾	١	١٢٠، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦
﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾	٦	٩١، ٣٣٥، ٧٨، ١٢٦، ١٢٩، ٣٣٤، ٣٣٧
﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾	١٤	٤٣٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾	١٦	٤٣٧
﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾	١٨	٤٣٧
سورة الصف		
﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾	٦	٣٣١
سورة المنافقون		
﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١	٤٣٦، ١٤٤، ٣٣٥، ٤٣٧
﴿ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ ﴾	٤	٤٤١
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	٨	٤٤٤
سورة الطلاق		
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾	٢	٢٣
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾	٣	١٠٠، ١٨٢
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾	١٢	١٣٩، ١٣٤، ٣٢٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) ﴾	٢٠-٢١-٢٢	٤١١
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	٢٧	١٣٦
سورة المزمل		
﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾	٩	٩٩
﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾	٢٠	٣٧١
سورة المدثر		
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾	٣١	٤٣٠
﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾	٥٦	٢٣٥
سورة القيامة		
﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾	٣	٣٠٥
﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾	٣٦	٣٠٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة النازعات		
﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾	٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣	٦٠
سورة عبس		
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾	٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢	٦٠، ١٦٧
سورة البروج		
﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٩	٧٨، ٩٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٧، ٢٥٠
﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾	١٥	٢٣٨
سورة الطارق		
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾	٥-٦-٧	١٦٧
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾	١٣-١٤	٣٢١
سورة الأعلى		
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	١-٢-٣	١٦٧
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	٢-٣	١٨٢

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

الموضوع	القائل	الصفحة
أنصبهما جميعاً يعني قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ ﴾	الكسائي رحمه الله	٣٤
أنصبهما جميعاً، بمعنى شهد الله أَنَّه كذا، وأَنَّ الدين عند الله	الكسائي رحمه الله	٣٣
أنه شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٠
أي: بَيَّنَ	ثعلب، والزَّجاج	٢٠
تركوا ما ذُكِّروا به	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٦٢
جاء العاص بن وائل السَّهمي إلى رسول الله ﷺ...	سعيد بن جبير رحمه الله	٤١٩
جمع الله – تعالى– له في هذه الآية ضُروباً من رُتَبِ الْأُثْرَةِ	القاضي عياض رحمه الله	٣٤٧
جمعهم يومئذٍ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة	أُبي بن كعب رضي الله عنه	١٩٤
﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى ﴾ الكتاب ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ ما فيه	قتادة رحمه الله	٢٥٦
﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ بين السَّماء السَّابعة، والأرض السَّابعة	مجاهد رحمه الله	٣٢٥
﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي: موثقاً من الله بذلك...	مجاهد رحمه الله	٣٨٥
حكم الله	مجاهد رحمه الله	٣٦
حَكَمَ، وَقَضَى	مجاهد، والفراء، وأبو عبيدة	٢٠-٢١
ذات البهاء، والجمال، والحسن، والاستواء	ابن عباس رضي الله عنهما	١٨١
ذُكِرَ لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا مات رجلٌ...	قتادة رحمه الله	٣٦٨
السماوات، والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة...	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٤١
السَّيد الذي كَمُلَ في سؤدده، والشَّريف الذي كمل في شرفه..	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٢٥
شهد الله بتدبيره العجيب	ابن كيسان رحمه الله	٣٦- ٥٨- ١٧٦
شهد عندي رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر	ابن عباس رضي الله عنهما	٥٢

الموضوع	القائل	الصفحة
قال ابن عباس: لا لثواب، ولا لعقاب ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾	البغوي رحمه الله	٣١٢
قال مجاهد:﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾بين السَّماء السَّابعة، والأرض السَّابعة	محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله	٣٢٥
قال: "أُبي بن خَلَف أتى رسول الله ﷺ بعَظْم".	مجاهد رحمه الله	٤١٩
قالت اليهود: لن ندخل النَّار إلا تحلةَ القسم...	قتادة رحمه الله	٣٨٥
القضاء جمرٌ فنحه عنك بعودين	شُريح القاضي رحمه الله	٢٣
القيوم هو فيعول من قام يقوم الذي بمعنى دام لا القيام المعروف	الزَّجاج رحمه الله	١١٧
كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث...	سعيد بن عبد العزيز رحمه الله	١٥١
لا لثواب، ولا لعقاب ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾	ابن عباس رضي الله عنهما	٣١٢
لا يخطئُ ذلك الكتاب ربي، ولا ينسى ما فيه	مقاتل رحمه الله	٢٥٦
لا يُخطئ ربي، ولا ينسى	ابن عباس رضي الله عنهما	٢٥٦
لا يُخطئُ، وقت البعث، ولا ينساه	الحسن رحمه الله	٢٥٧
لا يذهبُ عليه موضعه	ثعلب رحمه الله	٢٥٧
لا ينسى الله جلَّ، وعز إنما معناه: تركوا الله فتركهم	ثعلب رحمه الله	٢٦٤
مات رجل من المنافقين، فلم يُصلِّ عليه حذيفة رضي الله عنه	زيد بن وهب رحمه الله	٣٦٧
مقصوده أن الله – تعالى – أخبر بأنه خلق السَّماوات السَّبع...	مجاهد رحمه الله	٣٢٥
من سَرَّه أن يلقى الله غداً مُسلماً...	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٤٣٣
المهيمن هو الشَّهيد على عباده بأعمالهم	ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي	٣٣٧
نزلت في أُبَيِّ بن خلف، جاءَ بعظمٍ نَخِرٍ...	قتادة رحمه الله	٤١٩
هذا عندنا حيث أُخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم	حماد بن سلمة	٢٠٠

فهرس الأعلام المترجمة

فهرس المصطلحات العلمية، والكلمات الغريبة

المصطلحات العلمية، والكلمات الغريبة	الصفحة
غُرْلا	٧٨
غزوة نجد	٣٧٠
الفلسفة	٢١٨
قِبَلًا	١٨٧
القطع	٢٨٨
القِلال	٣٥٩
الكَنُوْد	٨٠
المزَفَّتِ	٦٨
نَعْمان	١٨٦
النَّقِيرُ	٦٧
الْوَبِيصُ	١٩١

فهرس الطوائف، والفرق.

فهرس الشعر

شطر البيت		عجز البيت	الصفحة
...إِنْجِيـــــلُ أَخْبَـــــارٍ وَحَـــــى مُنَمْنِمُـــــهْ			٣٢٨
أَتَـى العُجْـمَ والآفَـاقَ مِنْـهُ قَصَـائِدٌ		... بَقِـينَ بَقَـاءَ الـوَحْيِ فِي الحَجَـرِ	٣٢٨
إحـداهما القيـوم قـام بنفسـه		والكـون قـام بـه همـا الأمـران	١١٤
إحـداهما سـلب وذا نوعـان أيـ		ـضاً فيـه حقـاً فيـه مذكـوران	٢٤٥
أسمـاؤهُ دلـت علـى أوصـافِهِ		مشـتقةٌ منهـا اشـتقاقُ معـانِ	١١٠
أو عطـل الـرحمن مـن أوصـافه		فهـو الكفـور ولـيس ذا إيمـان	٢٢٢
أو عطـل الـرحمن مـن أوصـافه		فهـو الكفـور ولـيس ذا إيمـان	٢٤٨
بِإِذْنِـــهِ الأَرْضُ ومـــا تَعَتَّـــتِ		...أَوْحَـى لَهَـا القَـرَارَ فاسْـتَقَرَّتِ	٣٢٨
بـل يسـتوي في علمـه الـداني مـع الـ		قاصـي وذو الإسـرار والإعـلان	٩٣
تنزيـه أوصـاف الكمـال لـه عـن التشـ		ــبيه والتمثيـل والنكـران	٢٢٢
تنزيـه أوصـاف الكمـال لـه عـن التشـ		ــبيه والتمثيـل والنكـران	٢٤٧
تـوحيدهم نوعـان قـولي وفعـ		ـلي كـلا نوعيـه ذو بـرهان	٢٤٥
حـي مريـد قـادر متكلـم		ذو رحمـة وإرادة وحنـان	٢٤٨
سلبُ الشريـك مع الظهير مع الش		ـفيـع بـدون إذن الخـالق الـدَّيان	٢٢٢
سـلب الشريـك مـع الظهـير معالشـ		ـفيـع بـدون إذن الخـالق الـدَّيان	٢٤٧
سـلب النقـائص والعيـوب جميعـ		ـها عنـه همـا نوعـان معقـولان	٢٤٥
سـلب لمتصـل ومنفصـل همـا		نـوعـان معروفـان أمـا الثـاني	٢٤٥
العـلم واليقـين والقبـول		والانقيـاد فـادر مـا أقـول	٤٨

شطر البيت		عجز البيت	الصفحة
فـــالأول استغنــــاؤه عـــن غيـــره		والفقـــر مـــن كـل إليـــه الثـــاني	١١٤
فـــالأول القـــولي ذو نـــوعين أيـــ		ـضـــاً في كتـــاب الله موجـــودان	٢٤٥
فـــالحي والقيـــوم لـــن تتخلـــف الـــ		أوصـــاف أصـــلا عنهمـــا ببيـــان	١١٤
فـــإِنَّ الصَّـــبَا كَـــانَتْ لِنَصْـــرِ نَبِيِّنَـــا		بِرُعْـــبٍ عَلَـــى شَـــهْرٍ بِـــهِ الخَصْـــمُ	٤٢٨
فـــإن مـــن جـــودك الـــدنيا وضـــرتها		ومـــن علومـــك علـــم اللـــوح والقلـــم	٢٢٤
فـــانظـــر إلى تفسيـــــره بتدبـــــر		وتبصــــــر وتعقــــــل لمعــــــان	٢٤٨
فإنـــــــه لم ينتفـــــــع قائلهـــــــا		بـــالنطق إلا حيـــث يستكملـــها	٤٨
فهـــو العلـــي بـــذاته سبحـــانـــه		إذ يستحيـــل خـــلاف ذا ببيـــان	٢٤٨
فيَـــا عَجَبَـــاً كَيـــفَ يَعصِـــي الإلـــهَ		أمْ كيـــفَ يجحـــدهُ الجـــاحِدُ	٢٢٩
كالمـــوت والإعيـــاء والتعـــب الـــذي		ينفـــى اقتـــدار الخـــالق الديـــان	٢٤٦
كَأَنَّـــــهُ بَعْـــــدَ رِيَـــــاحِ تَدْهَمُـــــهْ		وَمُرْثَعِنَّـــــاتِ الـــــدُّجُونِ تَثِمُـــــهْ	٣٢٨
كـــذاك أمـــر لم يكـــن لـــو كـــــــ		ـــان كيف يكـــون ذا إمكـــانِ	١٣٣
كـــذاكَ يعلـــمُ مـــا يكـــونُ غـــداً ومـــا		قـــد كـــانَ والموجـــود في ذا الآنِ	١٣٣
كعلـــوه ســـبحانه فـــوق السمـــاوا		ت الـــعلى بـــل فـــوق كـــل	٢٤٨
كـــــــلا ولا أمــــــر ولا نهـــــي		عليهـــم من إلـــه قـــادر ديـــان	٢٤٦
كـــــلا ولا نخليـــــه مـــن أوصـــافه		إن المعطـــــل عابـــد البهتـــــان	٢٢٢
كـــــلا ولا نخليـــــه مـــن أوصـــافه		إن المعطـــــل عابـــد البهتـــــان	٢٤٧
لسنـــا نشـــبه وصفـــه بصفاتنـــا		إن المشبـــه عـــابـــد الأوثـــان	٢٢٢
لسنـــا نشـــبه وصفـــه بصفاتنـــا		إن المشبـــه عـــابـــد الأوثـــان	٢٤٧

شطر البيت		عجز البيت	الصفحة
لـــه الحيـــاةُ والكـــلامُ والبصـــر		سمـــعٌ إرادةٌ وعلـــمٌ واقتـــدر	١١٢
مـا فوقـه شـيء كـذا مـا دونـه		شـيء وذا تفسـير ذي البرهـان	٢٤٨
مـا قبـله شـيء كـذا ومـا بـعده		شـيء تعـالى الله ذو السلطـان	٢٤٨
مـن مثـل الله العظيـم بخلقـه		فهـو النسيب لمشـرك نصـراني	٢٢٢
مـن مثـل الله العظيـم بخلقـه		فهـو النسيب لمشـرك نصـراني	٢٤٨
هـذا وثـاني نـوعي السـلب الـذي		هـو أول الأنـواع في الأوزان	٢٢٢
هـذا وثـاني نـوعي السـلب الـذي		هـو أول الأنـواع في الأوزان	٢٤٧
هـذا ومـن أوصـافه القيـوم والـ		قيـوم في أوصـافـه أمـران	١١٤
هـذا ومـن توحيـدهم إثبـات أو		صـاف الكمـال لربنـا الـرحمن	٢٤٨
هـو أول هـو آخـر هـو ظـاهر هـو بـ		ـاطن هـي أربـع بـوزان	٢٤٨
والأول التنزيـه للـرحمن عـن وصـ		ـف العيـوب وكـل ذي نقصـان	٢٤٦
والحـي يتلـوه فأوصـاف الكمـا		ل همـا لأفـق سمائهـا قطبـان	١١٤
والسـمع منـه واسـع الأصـوات لا		يخـفى عليـه بعيدهـا والـدَّان	١٢٢
والصـدق والإخـلاص والمحبـة		وفقـك الله لمـا أحبـه	٤٨
والنـوم والسنـة الـتي هـي أصـله		وعـزوب شـيء عنـه في الأكـوان	٢٤٦
والوصـف بـالقيوم ذو شـأن كـذا		موصـوفه أيضـاً عظـيم الشـان	١١٤
وإِنْ كانَـتِ الرِّيـحُ الرُّخَـاءُ مُطِيْعَـةً		سُلَيـمانَ لا تَـأْلُوْ تَـرُوْحُ وتَسْـرَحُ	٤٢٨
وانظـر إلى مـا فيـه مـن أنـواع معـ		ـرفة لخالقنـا العظيـم الشـان	٢٤٨
وبشـروط سـبعة قـد قيـدت		وفي نصـوص الـوحي حقـاً وردت	٤٧

فهرس المصادر والمراجع

١-الإبانة الكبرى لابن بطة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعات: الأولى، والثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م / ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢-الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ه

٣-إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م.

٤-إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ه)، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر (راجعه ووحد منهج التعليق والإخراج)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، الطبعة: الأولى ، ١٤١٥ه - ١٩٩٤م.

٥-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ه)، ترتيب: الأمير

علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى:٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦-أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧-الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار النشر: دار الخراز - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨-الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

١٠- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٣- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٤- الاستقامة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٦- الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٧- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي.، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونه، الناشر: المكتبة الحضرية – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الرابعة ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

١٨- اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٩- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، فتح رب البرية بتلخيص الحموية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

٢٠- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢١- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ..

٢٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى:، ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة، والنشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢٣- الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٤- الاعتقاد، والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف، وأصحاب الحديث، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة -، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢٦- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٧- الألفاظ، والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية جمع، ودراسة، د. آمال بنت عبد العزيز العمرو، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٤٣٣هـ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – وكرسي الأميرة عنود بنت عبد العزيز بن مساعد لدراسات العقيدة والمذاهب المعاصرة.

٢٨- الأماكن أو ما اتفق لفظه، وافترق مسماه من الأمكنة، المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني،،، زين، الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ)، المحقق: حمد بن محمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر عام النشر: ١٤١٥هـ.

٢٩- إمتاع الأسماع بما للنَّبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٠- الأموال لابن زنجويه، المؤلف: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ).

٣١- إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

٣٢- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٣٤- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

٣٥- إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

٣٦- الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة، والنشر، الطبعة: الأولى.

٣٧- الإيمان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق:

محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٨- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٣٩- بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ، المؤلف: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤٠٦هـ.

٤٠- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٤١- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة — بيروت.

٤٣- البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، الناشر: مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ _ ١٩٨٩م.

٤٤- بستان الواعظين ورياض السامعين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أيمن البحيري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٥- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٤٧- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ)، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر، والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٨- بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمداً عليه السَّلام، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٠- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٥١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٢- تاريخ الطبري المسمى بـ (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

٥٣- التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٥٤- تاريخ بغداد وذيوله، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٥٥- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٦- التبصير في معالم الدين، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥٧- التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٨- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٥٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٦٠- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، المؤلف: فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ.

٦١- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٦٢- تخريج العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، (المتوفى: ٣٢١هـ).

٦٣- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٦٤- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٥- التعليق الوقاد على متن كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تأليف: حنان بنت علي اليماني، مكتبة الأسدي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٦- التعليق على القواعد المثلى، تأليف الشيخ عبد الرحمن ناصر البراك ، دار التدمرية - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٦٧- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٨- التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر، والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٦٩- تفسير أبي السعود، المسمى بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٧٠- تفسير أسماء الله الحسنى، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

٧١- تفسير أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ - السُّنة ٣٣ -١٤٢١هـ..

٧٢- تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٧٣- تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران -، وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٧٤- تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة، العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٥- تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٧٦- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

٧٧- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧٨- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم

بـن عبـاس بـن غنـيم، الناشـر: دار الـوطن، الريـاض – السـعودية، الطبعـة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧٩- تفسير القرطبي، المسمى بـ (الجامع لأحكام القرآن)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨٠- تفسير الماوردي، المسمى بـ (النكت والعيون)، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٨١- تفسير النسفي، المسمى بـ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٨٢- تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر:، دار، الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٨٣- تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨٤- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد، الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٨٥- تقريب التدمرية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودسة، الدمام، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨٦- تلخيص تاريخ نيسابور، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري، الناشر: كتاب خانة ابن سينا – طهران.

٨٧- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف،، والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٨٩- تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

٩٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٩١- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٩٢- التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، ، المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: دار الرشد- الرياض، سنة النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الطبعة: الخامسة.

٩٣- توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار: أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٩٤- التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافعية، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي ، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ.

٩٥- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٩٦- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩٧- توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩٨- التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية، للدكتور محمد عبد الرحمن الخميّس، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٩٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٠٠- التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠١- الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

١٠٢- ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، رقم الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٠٣- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م -١٣٩١هـ -١٩٧١م.

١٠٤- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠٥- جامع الرسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٠٦- جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس

١٠٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه، والمعروف بـ (صحيح البخاري) ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٨- جامع شروح العقيدة الطحاوية، تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألبان، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة الأولى - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠٩- الجبال والأمكنة والمياه، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، المحقق: د/،، أحمد عبد التواب عوض المدرس بجامعة عين شمس، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة، عام النشر: ١٣١٩ هـ - ١٩٩٩م.

١١٠- الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند.

١١١- جزء فيه امتحان السني من البدعي، تأليف: أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي المقدسي، المتوفي سنة ٤٨٦هـ، تحقيق: فهد سعد إبراهيم المقرن، دار الإمام مالك - أبو ظبي، ومكتبة ابن القيم العامة بالرياض، الطبعة بدون.

١١٢- جزء فيه حديث المصيصي لوين، المؤلف: أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير الأسدي المصيصي المعروف بـ لوين (المتوفى: ٢٤٥هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن مسعد بن عبد الحميد السعدني، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١٣- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٤- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١١٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١١٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

١١٧- حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب)، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: دار الزاحم، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١١٨- حاشية مقدمة التفسير (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)، والأصل (المقدمة) لابن تيمية.، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٩- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٠- الحسنة والسيئة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: -، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢١- خصائص أفضل المخلوقين، المؤلف ابن الملقن، تحقيق: عبد الله بحر الدين، (رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية.

١٢٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر، والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٢٣- دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م، المراسيل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: شكر الله نعمة الله قوجاني، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

١٢٤- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

١٢٥- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٢٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٢٨- الدروس المهمة لعامة الأمة، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، سنة النشر: ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م، الطبعة الرابعة.

١٢٩- الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

١٣٠- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٣١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.

١٣٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٣- ديوان أبي العتاهية، الناشر: دار بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٤- ديوان البوصيري ، المؤلف : شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الجنوني الصنهاجي ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة النشر:١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

١٣٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٣٦- رجال الحاكم في المستدرك، المؤلف: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٧- الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

١٣٨- الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهي، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان.

١٣٩- الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: -، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٤٠- رسالة أبي حيان في العلوم، تأليف: أبي حيان التوحيدي ، سنة النشر ١٩٩٨م، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

١٤١- الرسالة التبوكية، والمسماة بـ (زاد المهاجر إلى ربه) ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني — جدة.

١٤٢- الرسالة العرشية، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ..

١٤٣- رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيّويه الجويني، أبو محمد (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: أحمد معاذ بن علوان حقي، الناشر: دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٤٤- الرسالة، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف، المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م

١٤٥- الرسل والرسالات، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

١٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٤٧- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

١٤٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

١٤٩- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، تأليف الشيخ زيد عبد العزيز الفياض، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ.

١٥٠- الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الشيخ الدكتور عبد الله بن جبرين ، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٥١- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٥٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٥٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٥٤- سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث.

١٥٥- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب،، الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

١٥٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٥٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٥٨- السُّنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥٩- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣١٣هـ - ١٩٥٢م.

١٦٠- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٦١- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٦٢- السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي

١٦٣- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٦٤- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٦٥- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٦٦- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١٦٧- شأن الدعاء، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٦٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٦٩- شرح الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧٠- شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧١- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٢- شرح العقيدة الأصفهانية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٥هـ.

١٧٣- شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٧٤- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٧٥- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٧٦- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١٧٧- شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٧٨- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ.

١٧٩- شرح القصيدة النونية، تأليف الدكتور محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٨٠- شرح ثلاثة الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٨١- شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

١٨٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٨٣- شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف: للشيخ: صالح عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق: عادل محمد رفاعي، مكتبة دار الحجاز، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٨٤- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المؤلف: عبد الله بن محمد الغنيمان، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٨٥- شرح معاني الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٨٦- الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: -، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٨٨- شهادة أن لا إله إلا الله، تأليف صالح عبد العزيز سندي، دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٨٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

١٩٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩١- صحيح أبي داود - الأم، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٩٣- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المِعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

١٩٤- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٩٥- صحيح السيرة النبوية، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى.

١٩٦- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتب المعارف، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

١٩٧- صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتب المعارف، سنة النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الطبعة الأولى.

١٩٨- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، المؤلف: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر: الدرر السنية - دار الهجرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٩٩- صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٠٠- الصفدية، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتية ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ

٢٠١-صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ.

٢٠٢- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠٣- ضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، توزيع:المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٠٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢٠٥- طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٠٦- طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠م.

٢٠٧- الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

٢٠٨- طبقات المفسرين للداوودي، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٢٠٩- طبقات المفسرين، المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢١٠- الطرق الحكمية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: زكريا، عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢١١- طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

٢١٢- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم - الدمام، ودار ابن عفان - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢١٣- العقائد الإسلامية، المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

٢١٤- العلل الواردة في الأحاديث النبوية.، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، المجلدات من الأول، إلى الحادي عشر، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي.، الناشر: دار طيبة - الرياض.، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢١٥- العلل لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الناشر: مطابع الحميضي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢١٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١٧- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢١٨- غاية المقصد فى زوائد المسند، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١٩- غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٢٠-الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.

٢٢١- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٢٢٢- فتح الباب في الكنى والألقاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى:، ٣٩٥هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: مكتبة الكوثر - السعودية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٢٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٢٥- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٢٦- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان، الناشر: دار ابن الأثير، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٠هـ.

٢٢٧- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

٢٢٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧هـ.

٢٢٩- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٣٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة.

٢٣١- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣٢- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٣٣- قصص الأنبياء، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٣٤- القضاء والقدر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣٥- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السَّلف، تأليف الدكتور إبراهيم محمد البريكان - دار الهجرة - الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٣٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٣٧- القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٢٣٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة، علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٣٩- كتاب الأفعال، المؤلف: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٤٠- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٤١- كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة، تأليف: محمد إبراهيم التويجري، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، دار أصدار المجتمع - بريدة.

٢٤٢- كتاب السنة، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٤٣- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٤٤- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٤٥- كتاب دلائل النبوة، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد محمد الحداد، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٤٦- الكتاب: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٢٤٨- كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤٩- كشف الشبهات، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٥٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

٢٥١- كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، الناشر: دارا العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة: ١١٩٣هـ – ١٢٨٥هـ.

٢٥٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٥٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور.

٢٥٤- الكلم الطيب، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٩٧٧م.

٢٥٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٥٦- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، تأليف عبد العزيز محمد السلمان، الطبعة العشرون، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٥٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٢٥٨- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٥٩- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ،

٢٦٠- لسان الميزان، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م

٢٦١- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أحمد بن قدامة المقدسية بشرح محمد صالح العثيمين، دار أضواء السلف. الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٦٢- لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية -١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٦٤- المتفق والمفترق، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٦٥- متن العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي، دار طويق - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦٦- متن القصيدة النونية، والمسماة بـ (الكافية الشافية) ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٦٧- المجتبى من السنن، والمسمى بـ (السنن الصغرى)، للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٦٨- المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، المؤلف: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٧٠- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٧١- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،،، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٧٢- مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع حمود بن عبد الله المطر- وعبد الكريم صالح المقرن، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م.

٢٧٣- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣هـ.

٢٧٤- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٢٧٥- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٧٦- مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)،

تحقيق وَدراسة: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان، سَعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميَّد، الناشر: دَارُ العَاصِمَة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٢٧٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧٨- مختصر الكامل في الضعفاء، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: مكتبة السنة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٧٩- المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٨٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٨١- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٨٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٨٣- المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام، تأليف الشيخ ألطاف الرحمن بن ثناء الله. الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية.

٢٨٤- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تأليف: عبد الله بن الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٨٥- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٨٦- مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٢٨٧- مسند الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

٢٨٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٨٩- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

٢٩٠- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٢٩١- مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٩٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو، الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩٣- مسند الموطأ، المؤلف: أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الغَافِقِيُّ، الجَوْهَرِيُّ المالكي (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٩٤- مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى، الناشر: دار المغني، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٩٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث.

٢٩٦- مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٩٧- مصطلحات في كتب العقائد، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الناشر: درا بن خزيمة، الطبعة: الأولى.

٢٩٨- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٩٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٠٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه، وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠١- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٣٠٢- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٠٣- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٣٠٤- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٠٥- معجزات النبي ﷺ للشيخ عبد العزيز محمد السَّلمان، ص(٩٨) مخطوط.

٣٠٦- معجم أعلام شعراء المدح النبوي، المؤلف: محمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى.

٣٠٧- معجم الأدباء، المسمى بـ (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٠٨- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٣٠٩- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين — القاهرة،

٣١٠- المعجم الفلسفي، المؤلف :الدكتور جميل صليبا ، (المتوفى: ١٩٧٦م، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، سنة النشر: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

٣١١- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٣١٢- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٣١٣- معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣١٤- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٣١٥- معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، المؤلف: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣١٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٣١٧- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٣١٨- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، المؤلف: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (المتوفى: ٢٦١هـ)،

المحقق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٣١٩- معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٢٠- معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٣٢١- المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٢٢- المغرب في ترتيب المعرب، المؤلف: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٢٣- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٢٤- المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

٣٢٥- مفاتيح العلوم، المؤلف: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

٣٢٦- مفاتيح الغيب، والمسمى بـ (التفسير الكبير)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٣٢٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٢٨- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٣٢٩- مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد،، السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٣١- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٣٣٢- المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ)، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، الناشر: دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٣٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٣٤- المنهاج في شعب الإيمان، المؤلف: الحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله ، تحقيق: حلمي محمد فوده، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى.

٣٣٥- المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تأليف الدكتور زين محمد شحاتة، دار بلنسيه، الطبعة العاشرة ١٤٢٢هـ.

٣٣٦- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٣٧- مختصر موسوعة أسماء الله الحُسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، تأليف الدكتور عقيل حسين عقيل، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٣٨- موسوعة أسماء الله الحُسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، تأليف الدكتور عقيل حسين عقيل، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٣٩- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ م.

٣٤٠- موارد الظمآن على صحيح بن حبان بترتيب ابن لبان، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ).

٣٤١- التعليقات الحسان، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٤٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٣٤٣- الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٤٤- النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٤٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٤٦- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، تأليف أبي بكر السجستاني، دار شركة بيت المقدس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٣٤٧- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٣٤٩- النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، تأليف أزرقي محمد سُعيداني، مكتبة دار المنهاج – الرياض، الطبعة الثانية – ١٤٣١هـ.

٣٥٠- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٣٥١- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٣٥٢- الهداية الربانية شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الشيخ عبد العزيز الراجحي، دار التوحيد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٣٥٣- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٥٤- وسائل الإثبات، للدكتور محمد مصطفى الزحيلي، نشر دار البيان، ومكتبة المؤيد.

٣٥٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٥٦- توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٣٥٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: ١٩٠٠م - ١٩٩٤م.

٣٥٨- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، تأليف عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣٥٩- يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

